مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله ومن اتبعه من المؤمنين وسار على دربه إلى يوم الدين.

هذا الكتاب ترجمة للكتاب الفارسى "تاريخ سيستان" أى "تاريخ سجستان" وهو مجهول المؤلف، أُلِّف فى منتصف القرن الخامس من الهجرة المباركة، ونشر هذا الكتاب وحققه العلامة الأستاذ/ محمد بهار ملك الشعراء، حيث كان فى تحقيقه دقيق الملاحظة متكئًا على خلفية علمية عميقة له، كان من أهم مقوماتها علمه الواسع باللغة البهلوية التى كانت لغة إيران قبل الإسلام، حيث إن الكتاب أُخِذ عن مصادر كتبت بهذه اللغة واندثر معظمها، إلا أن هذا الكتاب حفظها، وكتاب مثل هذا لا بد أن يكون عظيم الأهمية خصوصًا أنه كتاب تاريخ، ومعلوم أن تاريخ الأمم هو مرآة حضارتها.

تقع سجستان فى الجنوب الشرقى لإيران على حدودها المتاخمة لأفغانستان وهى مدينة قديمة هاجر إليها قوم السكه فى عصر فرهاد الثانى الأسكانى سنة(١٣٦ــ ١٢٨ ق.م.) واستقر فيها، وكانت تسمى فى ذلك الوقت زرنج، ولفظ سجستان معرب من الكلمة الفارسية (سگ) بمعنى الكلب، كما كانت تسمى أيضًا نيمروز لأننا نجد هذا الاسم قد جاء مكررًا فى الشاهنامة، وقد كتب على عملة الدولة الساسانية والكيانية. وتنقسم سجستان إلى قسمين، الأول: الحافة الجنوبية لجبال هندكوش حيث يمر الطريق الذى يربط قندهار بهراة ومرو وبلخ، وهو

موقع متميز للاتصالات. الثاني: المنطقة الصحراوية، وتقع حول بحيرة هامون وأطرافها صالحة للزراعة.

ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن مدينة بم الإيرانية التى ضربها الزلزال وخربها ٢٠٠٤م. قريبة من مدينة سجستان .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن سجستان قد أنجبت للعالم الإسلامى بصفة عامة ولها بصفة خاصة كوكبة كبيرة من العلماء فى كثير من فروع العلم والثقافة، كما أنها قد تميزت بإنجاب العلماء الفقهاء المتخصصين فى علوم الدين ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أبا داود السجستانى المحدث صاحب كتاب السنن، وأبا حاتم السجستانى وهو لغوى وأديب مشهور، وأبا بكر السجستانى وهو فقيه ومفسر وله نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن، وغيرهم كثير.

كما أنه من الأهمية بمكان أن نعلم أن تاريخ المسلمين وحضارتهم فى المشرق الإسلامى فى حاجة ماسة لرصده وتسجيله من عصر إلى آخر، ولا يمكن الإتيان بهذا إلا بالإلمام بلغات هذه الشعوب فى المشرق الإسلامى سواء كانت اللغة الفارسية أو الأردية أو التركية أوغيرها، فلا يجوز بأى حال من الأحوال أن نسجل تاريخ هذه الشعوب من مصادر عربية، فلا بد من معرفة تاريخ هذه الشعوب من لغتها الأم التى يتحدثون بها، ويدونون بها تاريخهم، ومن مصادرهم التى سطروا بها حضارتهم.

والكتاب الذى أقدمه ــ بعد النظر فيه ــ خرجت منه بحقيقتين: إحداهما عامة والأخرى خاصة.

فالحقيقة العامة تتصل بمؤلف الكتاب، فهو يعد من الكتب القليلة من التراث الإسلامى التى لم يعرف لها مؤلف، واتضح فى النهاية أن له مؤلفَين، وذلك أخذًا من اختلاف أسلوب الكتاب فى جانب منه عن الجانب الآخر، فهذان الجانبان يمثلان مؤلفين يختلفان فى أسلوبهما، وفى كيفية تناولهما الأحداث.

أما الحقيقة الخاصة فهى أن للكتاب قيمة تاريخية خاصة، ويعد بحق مصدرًا من المصادر المهمة فى التاريخ الإسلامى بصفة عامة، وفى التأريخ للخوارج والدولة الصفارية بصفة خاصة، وزاد من قيمة الكتاب أن مؤلفيه اعتمدا على مراجع فارسية قديمة ضاع معظمها، وبذلك جاء بمادة نادرة، هى تلك المادة التى نجدها فى هذا الكتاب، وأظن أن مؤلف القسم الأول اعتمد على كتب "بهلوية"، حيث كان يعرفها، أضافت بعدًا جديدًا إلى قيمة هذا الكتاب من حيث كونه كتابًا فى تاريخ ذلك الإقليم الذى أبدى فرط اهتمامه بالتأريخ له منذ بدء الخليقة إلى العصر الذى عاش فيه. وأنه كان يحذو حذو قدماء المؤرخين الذين يستقون مادتهم التاريخية من الأساطير والوقائع. ولا يقلل من قيمة الكتاب أن يؤرخ فيه مؤلفه معتمدًا على ما يعد أسطورة، فمن المعروف أن الأسطورة تاريخ فى مرحلتها الأولى، والأسطورة اليوم كانت حقيقة فى نظر القدماء.

إن المؤلف يبدو معتزًا اعتزازًا كبيرًا ببلده سجستان، فهو يتتبع تاريخها منذ نشأتها، ولا يريد أن يترك حقيقة دون الإشارة إليها، وهو يعمد إلى التفصيل رغبة منه فى التمجيد والتعظيم، لأنه يريد أن يبين أن لها سابقة فى المجد قبل الإسلام، أما بعده فهو يذكر لنا الكثير من الحقائق التى تتعلق بدخول الإسلام إلى سجستان.

وينتقل المؤلف من التاريخ إلى الجغرافيا فى تفصيل، فيقف على كثير من الحقائق، ويذكر كل شيء عنها، راغبًا فى أن يبين فضلها على غيرها من المدن الأخرى، وعقد مقارنات يذكر فيها أخص الخصائص من المعلومات.

اهتم المؤلف بفترة خاصة من تاريخ سجستان، وهى الفترة التى كان للخوارج فيها دولة، وذكر عنهم معلومات قيمة وبيَّن صلتهم بالخلافة الإسلامية فى دمشق وبغداد. كما أرَّخ لميلاد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وعصره، وعصر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، والعلاقات القائمة بين سجستان وبين هؤلاء الخلفاء.

استفاد المؤلف من معظم المصادر التاريخية، كما استفاد من نصوص الشعر العربى والفارسى معًا، ويدعم قوله في الكثير من الأحيان بالحجة أو الدليل، خاصة أثناء سرده لسيرة المصطفى (صلى اللّٰه عليه وسلم) فهو يذكر أحداثًا يتسم معظمها بالغرابة، وهذا دليل على أنه اعتمد على مصادر مفقودة، ولكنه يكتفى بسرد الخبر ولا يتصدى لتوكيده أو تفنيده.

وأرَّخ المؤلف للدويلات الفارسية التى قامت في المشرق الإسلامى، وبيَّن علاقتهم بالخلفاء العرب، وتلك حقبة تاريخية فى غاية الأهمية.

ومن بعض مزايا هذا الكتاب انفراده دون غيره من كتب التاريخ الإسلامى بالحديث عن الفتح الإسلامى لسجستان، وذكر قصة مقتل أبى مسلم الخراسانى على يد أبى جعفر المنصور، وهى قصة فريدة، وكذلك قصة إسراف معن بن زائدة فى العطاء للشاعر مروان بن أبى حفصة، لدرجة أن ما فى الخزانة قد نفد ولم يبق منه شىء، وقصص حمزة الشارى، ورسالة هارون الرشيد إلى حمزة ورد حمزة عليها، وكذلك قصة أبى جعفر أحمد بن محمد مع ماكان بن كاكى، ومجلس الأمير نصر بن أحمد، وقصيدة الرودكى النونية وذكرها كاملة والمناسبة التى نظمت من أجلها، وغيرذلك كثير.

وكما أن الورد لا يخلو من الأشواك، فإن للكتاب عيوبًا تؤخذ عليه، إلا أنها لم تنقص من قيمته التاريخية مطلقًا، منها على سبيل المثال لا الحصر، وجود بياض كثير فى المتن الأصلى، وهذا يجعل المعنى مضطربًا والسياق غير واضح، كما أنه يكثر من ذكر الأسماء أثناء سرده للأحداث، فهذا يشتت تركيز القارئ عن تتبع سير الأحداث، كما أنه يكثر من ذكر الأحداث المتعاقبة فى سرعة، ويضع عناوين ولا يذكر تحتها شيئًا إلا أسطرًا معدودات.

أما الجزء الثانى من الكتاب والذى يبدأ تقريبًا من بعد عنوان" مقدم الأمير بيغو سجستان" حتى نهاية الكتاب، لم يذكر المؤلف عناوين للأحداث التى أرخ لها

- إلا عنوانين تقريبًا - إلا أنه كان يأتى بالحدث تلو الآخر، مما جعل هـذا القسم غير مرتب ومنظم، وأصبحت قراءته للإلمام بأحداثه أمرًا صعبًا بالنسبة للمطلع على الكتاب.

والآن أيها القارئ الكريم أقدم لك بعض ما فتح الله عليَّ من ترجمة عربية للمتن الفارسى برمته لكتاب " تاريخ سيستان"، وقد حاولت جهد الطاقة أن تكون الترجمة مطابقة للأصل الفارسى، وقمت بكتابة بعض الحواشى والتعليقات المفيدة التى قد تساعد على توضيح المعلومات وإزالة اللبس.

والله أسأل أن يكون الكتاب ذا فائدة واقعة للمهتمين بالتاريخ الإسلامى بصفة عامة، وتاريخ المشرق الإسلامى بصفة خاصة، وأن تعم فائدته الجميع، وهو الهادى إلى الصواب.

محمود عبد الكريم على

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وسبحان الذى أحاط بكل شيء علمه، ونفذ في كل موجود حكمه، وظهر في جميع الأمور حكمته، وبان في كل مصنوع لطيفة صنعه، نحمده على نعمته عندنا بموهبة العقل الذى اختصنا من سائر الحيوان به، فوجب علينا بذلك حجته ولزمنا معه عبادته والإقرار بربوبيته، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله من أهله.

أخبار سجستان منذ نشأتها وأنساب عظمائها وحدودها وأين كانت في بداية أمرها وفضائلها على غيرها من المدن الأخرى كما وجدت في كتاب جرشاسب[١]، وكذلك كتاب فضائل سجستان الذى ألفه هلال يوسف الأوقى[٢]، وما حدث بعد ذلك حتى عصر الملك؟ [٣]...، أما بناء سجستان على يد جرشاسب بن أثرت بن شهر بن جورنج بن بيداسب بن تور بن جمشيد الملك بن نوبخان بن إينجد بن اوشهنك بن فراوك بن سيامك بن ميشى بن كيومرث.

---

(١) يوجد فى الأصل ثلاثة أسطر بيضاء ، وكتاب جرشاسب الذى ذكره بهذا التفصيل غير جرشاسب نامه الذى نظمه أسدى الطوسى، وينبغى أن يكون كتابًا آخر غير كتاب أسدى الطوسى الذى أخذ عنه قصة جرشاسب وأسرته، وبموجب تصريح هذا الكتاب فى مكان آخر، فإن الكتاب من تأليف أبى المؤيد البلخى، ولعله كان جزءًا من شهنامته، وسقطت هذه القصة من شهنامة أبى منصور. (من تعليقات محمد بهار على الكتاب، ص٢).

(٢) لا يعرف من هذا الشخص، وأوق اسم مكان منسوب إليه، وهو مكان بين بست وغزنه، وسجله الإصطخرى (أوقل) وكتبت فى الحاشية بنقل عن الإدريسى (أوق)، وذكرت فى هذا التاريخ (الكتاب) مكررة، وقد ذكرها ياقوت فى حاشية كتابه أن (أوه) اسم شخص من معاصريه، وأنه من أحفاد: (يوسف الأوقى) من رجال أوه (من تعليقات محمد بهار على الكتاب ص٢).

(٣) فى المتن ثلاثة أسطر بيضاء ولا نعلم أى ملك هو، ص٢ .

وكان كيومرث [1] آدم علية السلام الذى عاش ألف سنة منذ أن خلقه الله فـــى ذلك اليوم ملكًا. وكان من بعده الملك (أوشهنك) الذى بلغت مدة مملكتـــه أربعـــين سنة، ومن بعده كان الملك (طهمورث) الذى ...[2] وبنوا سجستان حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبيًا من قبل الله تعالى، وجاء بشريعة الإسلام بعد مضى أربعة آلاف سنة شمسية، وأعظم فضل لمدينة سجستان هو أن اسم النبى (ﷺ) وخبره قـد جرى على ألسنة أهلها خاصهم وعامهم. وكان بناء سجستان فى اليوم الذى جمـع فيه جرشاسب علماء عصره قائلاً لهم: "إننى سوف أبنى مدينة فى الوقـت الـذى يخرب فيه الضحاك[3] العالم ويقتل الأحرار ويفسد فى العالم بالسحر حتـى يكـون للناس ملجأ، ولن يكون له على هذا المدينة أمر، فلذلك أريد منكم أن تهتموا فترقبوا الطالع، وتبدأوا فى وقت سـعد ليس به نحس على الإطلاق، وانتظـروا طـويلاً حتى يصبح هذا ممكنا، بحيث تبقى الدنيا وكل ما فيها قائم، ويصبح فى النهايـة لا شىء" فمكثوا على ذلك طويلاً ثم انتظروا وقالوا: [4] "يجب البناء الآن" فبدأ بنفـسه البناء، ثم حكموا بعد ذلك وبقيت هذه المدينة أربعة آلاف سنة شمسية. وعندما يبعـث المصطفى (ﷺ) ويظهر الدين الإسلامى، فإنه يدعو الأعاجم إلى دين الحـق، وأول أناس يستجيبون له أهل سجستان ويدخلون فيه طوعًا أو كرهًا، وفى عـصر دينـه

---

(١) ذكر البعض أن مدة ملك كيومرث ثلاثون عامًا، وقال آخرون هى أربعون وعمره ألف أو ثلاثة آلاف سنة قضى بعضها فى الجنة والبعض الآخر على الأرض (من تعليقات محمد بهار على الكتاب ص٣).

(٢) فى المتن ثلاثة أسطر بيضاء ص٣ .

(٣) الضحاك: هو بيوارسب. من أصل عربى - بناء على ما جاء فى الشاهنامة - قتل والده، وكان يخـرج من منكبيه ثعبانين. قتل جمشيد، وجلس على العرش. وكان ظالمًا، وثـار النـاس عليـه، واسـتدعوا أفريدون، فأسره وسجنه فى جبل دماوند.

(٤) المراد هو رؤية الطالع للمدينة، والطالع يكون أمام أربعة وسبعة باصطلاح أهل الفلك، بحيـث يكـون الغارب مقابلاً للطالع، وأن تكون العشرة مقابلة وثابتة للأربعة، وفى هذه الاصطلاحات، لا وجود لرقم اثنى عشر. والمقصود أنك تنظر إلى الطالع وقت بناء المدينة من أربعة وسبعة وعشرة حيث إنها أوتاد الطالع (من تعليقات محمد بهار على الكتاب، ص٤).

عليه السلام، وقعت أربعمائة وأربع وأربعون موقعة، وعندما تمر أربعمائة وأربع وأربعون سنة تعمر هذه المدينة ثانية على يد الملك بوركان بن كرايست شان وهو قريب من الكيانيين[١] فابتهج جرشاسب بهذا وخلع عليهم الخلع، وبنى هذه المدينة وأتمها، وقصة جرشاسب وبكتابتها يتم الكلام، وقد اكتفينا هنا بهذا المقدار حتى لا يطول الكتاب، أما عن عظمته وفخره فكانت واحدة منها أنه فى عصر الضحاك وكان عمره آنذاك لا يزيد عن أربعة عشر عامًا، قتل تنينًا بمفرده كان فى عدة جبال بأمر من الضحاك، وبعدها مضى مع قليل من الناس الزواليين والإيرانيين وذلك بأمر من الضحاك عونًا لبهرام الهندى[٢]، ثم مضى وقبض على بهو مع فوجين من ألف ألف فارس وألف فيل وقتله، وأمن الهنود وديارهم، وتوجه إلى سرانديب[٣] وقبض هناك على نسرين وقتله، وطاف حول بحر المحيط، ورأى العجائب فى هذه الجزر، ومن هناك توجه إلى المغرب وحقق أعمالاً كثيرة حتى ظهر فريدون ابن عمه ثانية، ثم قيد الضحاك، وأرسل شخصًا لاستدعاء جرشاسب مع حفيده نريمان بن كورنك[٤] بن جرشاسب صوب أفريدون واستقبله أفريدون

---

(١) هذه الجملة محل تأمل فى الأصل وبها اضطراب وليست صحيحة ولم يتيسر لنا أن نخمن عليها (من تعليقات بهار على الكتاب، ص٤).

(٢) ظاهرا مهراج الهندى، لأنه ذكر فى جرشاسب نامه أن مهراج هو اسم جرشاسب أيضًا (مهاراجه) فإنه لقب الملك العظيم وضبط فى إحياء الملوك (بيهو) (من تعليقات محمد بهار، ص٥)

(٣) سرانديب هو الاسم الذى أطلقه العرب على جزيرة سيلان، وهو تحريف للاسم السنسكريتى "سنها لافيا"، اشتهرت سرانديب باللؤلؤ كان يجمع على الساحل الشمالى الغربى، وكان من أسباب غزو البرتغال والهولنديين للجزيرة، فمن ثم أطلق عليها اسم (لؤلؤة الشرق) وإلى هذا المعنى يشير الشاعر العربى:

أمطرى لؤلؤا جبال سرنديب   وفيضى آبار تكروبترا

(٤) فى جرشاسب نامه لأسدى الطوسى يقول: إن نريمان بن كورنك، وكورنك أخو كرشاسب ويقول أيضًا: عندما كان نريمان طفلاً وكورنك رجلاً، استدعى جرشاسب نريمان، وكورنك هذا غير الجد القديم من جهة الأم جرشاسب ووالدة زوجة جمشيد.(من تعليقات محمد بهار، ص٥)

مرة أخرى، وأجلسه على العرش، وأجلس نريمان أمام العرش على كرسي من الذهب ثم أرسله إلى الصين لكي يقبض على ملك الصين الذى لم ينصدع لأمره فقبض عليه، وأرسل إلى العتبة حمولة ألف فيل من الذهب والجواهر إلى نريمان، وكان هو بنفسه فى الصين، وأرسل رسالة إلى أفريدون يقول فيها: (قبضت على هذا الرجل وأرسلته وسأبقى هنا حتى تأتى إلى هذا المكان، أما (توا ورا) فامنحه الخلع وأعده واعف عنه لأنه رجل محتشم، ولم يكن لأحد غيره القدرة على هذه الولاية) وهكذا نفذ أفريدون، ومن هناك جاء جرشاسب إلى أعتابه ثم جاء من هناك إلى سجستان، وظل ملكًا عليها تسعمائة سنة، ولم يكن للضحاك حكم فى سجستان مطلقًا، وأعاد إلى جرشاسب كل زابل وكابل وخراسان التى كانت للضحاك، وأضافها أفريدون إلى ولايته.

حديث كورنك[1]

لم يعش كورنك أكثر من ثلاثين عامًا، ووافاه الأجل فى عصر (گرشاسب) ولما كان (گرشاسب) مشغولاً بعبادة اللّه ، أودع بطولة العالم لحفيده (نريمان) الذى كان ابن كورنك، وكان (أفريدون) فى عصر منوچهر، واستودع (نريمان) منوچهر حتى مضى وثار لدم أبيه إيرج، وشكر (أفريدون) الله تعالى قائلاً: (إنى لم أمت حتى أنصف الله تعالى الدنيا من الظالمين) ، وفى عصر (نوذر) كان (سام بن نريمان) بطلاً للعالم، وكان منصفًا وصفت له الدنيا حتى ظهر أفراسياب ثانية،

(١) يتحدث المؤلف عن كورنك وأفريدون ورستم وفرامرز وأفراسياب وينسب إلى كل منهم أعمالاً قاموا بها، وصبغها بالصبغة الإسلامية، ولكننا لم نتقبل كل ما قاله لأن هؤلاء من الملوك الأسطوريين، ومعروف أن أفراسياب كان ملك الترك ورستم ملك الفرس وكانت إيران وتوران متحدتين وتحت إمرة ملك واحد، وعندما أراد أفريدون أن يعتزل الحكم قسم ملكه بين أبنائه. كما كان فرامرز بن رستم وهو بطل مغوار، وحارب أفراسياب ودارت حرب ضروس بينهما وهزم فرامرز أفراسياب، وعندما قدم رستم المعركة ووجد الحال هكذا، سر سرورًا عظيمًا استقبل ابنه الفارس المغوار.

وكان ممسكًا بزمام الأمور فى مملكة إيران لمدة اثنى عشر عامًا، وكان (نريمان) وابنه (سام) يهاجمونه كثيرًا حتى حرر مملكة إيران، ومضى عاجزًا ثم اتجه إلى التركستان ثانية، وكان (سام) فى عهد (طهساب)[1] بطلاً للدنيا، وعمر ابنه (دستان) العالم، حتى ظهر (أفراسياب) واستولى على إيران، ودخل أهل إيران فى حماية (دستان) حتى مضى، وكان رستم فى الرابعة عشرة من عمره وأحضر (كيقباد) ومضى وسط جيش من الترك، ثم عاد وأظهر الشجاعة، وهاجم أفراسياب وأرواح العالم، وفى عصر (كى كاوس) توجه مرة ثانية إلى التركستان، وانتقم من (سيخاوش) حتى مضى مع كيخسرو وحارب حتى قبض على (أفراسياب) وقتله[2]. وكان من بعده (فرامرز) وأخباره فى اثنى عشر مجلدًا متفرقة، وأخبار (نريمان وسام ودستان) ذكرت فى الشاهنامة[3] ولا تمس الحاجة إلى ذكرها (تكرارها)، وحديث رستم من جملة هذا فقد ذكرها (أبو القاسم الفردوسى) فى شهنامته، وقدمها باسم السلطان (محمود) وقرأها عدة أيام، فقال (محمود): (إن شهنامتك كأنها حديث رستم وفى جيشى ألف رجل مثل رستم)، فقال أبو القاسم (أطال الله عمر مولاى إنى لا أعلم أحدًا فى جيشك مثل رستم أما مبلغ علمى أن الله تعالى لم يخلق عبدًا مثل رستم) قال هذا وقبّل الأرض وانصرف[4]

---

(١) لم يذكر الملك طهماسب فى الكتب المعتبرة مثل الآثار الباقية والشاهنامة ومؤلفات المسعودى وغيره ولكن الشاهنامة ذكرته فى بيت شعر واحد هو:

لم يروا إلا ابن طهماسب منه   وكانت له قوة الملوك وبلاغة القول

ويسمى البيرونى زاب على أنه ابن.طهماسب (من تعليقات محمد بهار ص٧)

(٢) كتب هذا البيت فى الحاشية ص٧ :

إن من يوجه أمرى مثل القلم   فإنه يخاطر بحياته كمن فى عنقه ذنب

(٣) الشاهاناته : كتاب سير الملوك ، ديوان شعر وملحمة العجم نظمها شعرًا الفردوسى وهى تتكون من ستين ألفًا بيت ، حكى فيه أريج وأساطير وقصص إيران منذ القدم حتى فتح العرب بلاد فارس وترجمت إلى جميع لغات العالم

(٤) كتب هذا البيت فى الحاشية ص٨ :

قلت كلامًا صحيحًا ومضيت سريعًا   فلا يوجد رجل فى العالم مثل رستم

فقال السلطان (محمود) لوزيره: (إن هذا الرجل (الحقير) يدعونى كاذبًا معرضًا بى) فقال وزيره (يجب قتله) فكلما طلبوه لم يجدوه وقال: (إنه أضاع آلامه ومضى) ولم يجد أى عطاء فى الغربة حتى مات، وإذا ما انشغلنا بشرح كل واحد بالتفصيل فلن نحقق الهدف المنشود، وكل واحد من هؤلاء معروف ومشهور للدنيا، كما أن أبناءهم جيلاً بعد جيل كانوا أبطال الدنيا فى عصر ملوك العجم، وبعد انقضاء أربعة آلاف عام، بعث نبينا صلى الله عليه وسلم، وجاء بشريعة الإسلام فى عصر (خسرو پرويز بن هرمز بن أنوشروان الملك) وكان (بختيار) بطلاً للعلم وهو من أبناء رستم، وهم يقرأون قصته فى كاتب بختيار نامه.

نسب بختيار الأسپهبد

بختيار بن الملك فيروز بن برزفوى بن شيراوزن بن حذا يكان بن فرخ به ابن ماه خداى بن فيروز بن كرد افرين بن بهلوان بن أسبهبد بن رستم بنى مهرازاد بن رستم ابن بولاد بن كان أزاد مرد رستم بن جهرازاد بن نيروسنج بن فرخ به بن داد افرين بن سام بن به أفريد بن هوشنكى بن فرامرز بن رستم الأكبر ابن دستان بن سام بن نريمان بن كورنك بن كرشاسب.

ولما دخل الإسلام سجستان، وقوى جيش الإسلام وأصبح معروفًا للعالمين ولم يكن لأحد قدرة على الأمر السماوى، ولم يكن العمل بالعدة والسلاح والجيش إلا بأمر من الله تعالى، وكان معروفًا لأهل سجستان أنه فى آخر الزمان يظهر المصطفى عليه السلام وهو على الحق، أعطوه سجستان سلمًا، وكانت سجستان مقامًا لهذا البطل فى عصر الملك[1]، وكان (رستم بن أزاد خو بن بختيار

(١) فى المتن بياض ولم يمكننا من فهم المعنى تمامًا، ص٩.

الأسبهبد) زعيمًا للجيش، وتحدثنا عن (بختيار) إلى (گرشاسب) وذكرنا نسب (جرشاسب) في هذا الكتاب حتى كيومرث الذى كان هو آدم عليه السلام.

والآن نذكر جانبًا من الفضائل التى وردت فى الكتب والتى ذكرها عظماء الأخبار والحكماء حيث نعيد القول من كتاب (الأنبياء عليهم السلام) (لعلى بن محمد الطبرى)[1] حيث يقول: (عندما مضى آدم عليه السلام من سرانديب فى طلب حواء لم يقم فى مكان قط سوى هذا المكان الذى هو سجستان، حيث رأى الماء يجرى على الرمال فشرب فكان عذبًا، وعندما هبت عليه رياح الشمال غلبه النوم، وعندما استيقظ من نومه تطهر وسبح، وعندما فرغ طلب شيئًا يأكله فاقترب منه جبريل عليه السلام، فقدم له فى الحال شجرة رمان ونخلة فصارتا بقدرة البارى تعالى مثمرتين، فأكل آدم منهما، وما زال هناك أصل النخيل والرمان، وعندما أراد جرشاسب بناء سجستان، كان السبب الرئيسى لذلك أنه رأى فيها النخيل والرمان).

وفضل آخر وهو أثناء غرق نوح عليه السلام وهو فى السفينة يدور حول الآفاق، فتوقفت السفينة هناك، فجاءته حمامة تخبره أنها تتعذب حيث أصبح الماء قليلاً، فصلى هناك ركعتين فى سفينته ودعى للحمامة أن أعزها يا رب، وأصبحت هذه البقعة مباركة ببركة هذا الدعاء حيث إن أهلها فى بحبوحة من العيش من الآن حتى يوم القيامة.

---

(٢) هذا الشخص لا يعلم من هو، ولا توجد هذه الرواية فى تاريخ محمد بن جرير الطبرى ولعل المراد هو على بن محمد المداينى، (حيث إن المؤرخين القدماء مثل المسعودى والطبرى والبلعمى وغيره نقلوا عنه الكثير)، أو يكون على بن محمد بن سليمان النوفرى، حيث إن المسعودى ذكر اسمه فى مقدمة مروج الذهب (من تعليقات محمد بيار، ص٩).

وفضل آخر هو أن سليمان عليه السلام، أمر الرياح أن تطوف به مع جيشه حول العالم ورآه الخلق، وصدعوا لأمره، وكان معه الجن والإنس، وكان الطباخون فى عملهم، فقال للرياح: أنزلينى فى مكان أكثر اعتدالاً وهواؤه عليل، فهبط فى سجستان، وتناول الغذاء بها، ثم قال بعد ذلك: ما ذهبنا إلى مكان أحسن من هذا المكان، إن العالم كله اليوم يسير على العدل وليس به جور، لأن العالمين أصبحوا متساوين فى الدين، وقد أخذ الخوارج الفرق بين العدل والجور من ذلك.

فضل آخر

عندما قتل الإسكندر الرومى[١] دارا بن داراب، وتزوج روشنك أخته[٢] قصد الهند، ومضى إلى القلعة التى بناها كيخسرو شمال سجستان وقلعة أخرى فى الجنوب بناها (أردشير بابكان) بعد ذلك، ومكث هناك سبعة أيام وأكرم قائد جيش سجستان الذى خدمه كثيرًا واستقبل ثانية، ثم أمر بعد ذلك أن تنفصل القلعة عن الأماكن التى يكون فيها مواضع للحارس، وأطلق سراح روشنك عندما فرغ من عمله فى الهند، وعاد إلى هناك ثانية بعد أن أنهى أمر تلك القلعة، ثم مكث هناك شهرًا حتى أتموها فى أحسن صورة وقال: (يجب أن يكون الحارس فى داخل

(١) الإسكندر الرومى معروف لدى المؤرخين الفرس القدماء، حكم ما بين سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٢٣ ق.م، وعندما تقاتل مع دارا، واقتتل الجيشان عند الفرات وانتصر الإسكندر، يقال إن دارا وهو جريح وصاه أن يتزوج ابنته روشنك فوعده الإسكندر بتنفيذ هذه الوصية، وأمر الإسكندر أن تشيع جنازته بما يتفق ومقام الملوك، وأصبح الإسكندر الحاكم الشرعى على بلاد الفرس، وذهب إلى الهند لمقاتلة ملكها، ونشبت بينه وبين هذا الملك معارك هائلة انتهت بقتل خصمه فى مبارزة فردية، وبعد ذلك بدأ يغزو بقاع العالم ويقولون: إنه دخل أرض الظلمات وقابل الخضر، وتوفى عند عودته إلى فارس أو بابل، وفى بيت المقدس كما يقول الدنيورى رثاه الفلاسفة بكلمات موجزة، ودفن فى الإسكندرية، ويقول المسعودى: إن قبره كان لا يزال موجودًا حتى عام ٣٢٢هـ. (دائرة المعارف الإسلامية، جـ٣، ص٣١٨ ، ٣١٩(القاهرة ١٩٣٣).

(٢) يقول الفردوسى فى شاهنامته عن ابنة دارا واسمها روشنك إنها امرأة ممتازة ذات حياء بالغ ووصفها فى بيت ما ترجمته:

إنها رائعة ذات دلال وحياء ... وكلامها طيب وصوتها رخيم لين

محمد على إسلامى: مجموعة مقالها أدبى، ص ٥٤ (تهران ١٣٥٤).

القلعة وليس كما كان سابقًا)، وآرك[1] باللغة الرومية يقال لها الحــارس، والقلعــة التى يقال عنها آرك هى قلعة سجستان الآن التى بناها ذو القرنين[2]، وقد جــاءت هذه الحكاية فى عدة كتب واحدة منها بتاريخ سجستان، والأخرى ذكرها عبــد الله ابن المقفع فى كتابه سير ملوك العجم، وذكرها أيضًا أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادى[3] فى كتاب(خراج باب المسالك والممالك)، وأصبحت هذه الأخبار صحيحة فى الحديث عن سجستان من كتاب حديث الأنبياء عليهم الـسلام وبــالله العصمة والتوفيق.

وأما الذى يوجد فى سجستان فلا يوجد فى المدن الأخرى:

أول ذلك حصن شارستان العظيم الذى يشمل عدة مدن، وهذا المكان يقال لــه مدينة (العذرا)، ولا يمكن لأى شخص أن يستولى عليها، إلا إذا أعطوها لــه، ولا يستطيعون ذلك أبدًا، وأهلها رجال حرب حيث إنهم جبلوا على الحــرب والثــورة وحمل السلاح، وكانت لهم هذه العادة منذ الصغر وتعلموا فنون الحرب.

وفى موضع آخر يذكر أنها معتدلة الطقس، حيث ينير القطب الجنوبى والقطــب الشمالى وسهيل وقدمان وفرقدان فى هذا المكان، وتهب عليها رياح الشمال ورياح

---

(١) آرك: كانت تستخدم فى اللغة البهلوية وآركيد كانت لقبًا من الألقاب فى البلاط الساسانى.

(٢) ذو القرنين المذكور فى القرآن كان من حمير مستدلاً باسمه فملوك حمير كانوا يلقبون بــذى، وكــان اسمه أبو بكر بن أفريقش، وأنه رحل بجيوشه إلى البحر المتوسط فمر فى تونس ومراكش، وبنى مدينة أفريقية فسميت القارة كلها باسمه، وسمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس، والتاريخ يعرف ملكًا اسمه الإسكندر ذو القرنين ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور فى القرآن، فالإســكندر الإغريقــى كان وثنيًا، وذو القرنين الذى يتحدث عنه القرآن كان مؤمنًا بالله موحدًا معتقدًا بالبعث والآخرة.

(سيد قطب: فى ظلال القرآن، جــ٤، ص ٢٢٨٩ (القاهرة ١٩٨٢م).

(٣) هو قدامة بن حعفر بن قدامة، كان نصرانيًا، وأسلم على يد المكتفى بالله، وكان بليغًا فصيحًا فاضــلاً، وكان له باع فى علم المنطق، وله من الكتب كتاب الخراج ونقد الشعر وصابون الغم وصــرف الهــم وجلاء الحزن وديارق الفكر وغيرهم.

(ابن النديم: الفهرست، ص ١٨٨، بيروت ١٩٧٨).

الصبا على الدوام، وبذلك يكون فهم أهلها وذهنهم بفضل اعتدال طقسها وهواؤها أفضل من أهل الأماكن الأخرى، ويمارسون أعمالاً لا يمارسها غيرهم، حيث إنهم يحملون الرمل من مكان إلى مكان، ويجمعونه فى الأماكن التى يريدونها، ورملهم هذا كنز عظيم، فكل شيء يريدونه يضعونه فى هذا الرمل، ومهما مرت عليه السنون يحفظه ولا يصيبه أى نقصان، وليس لغيرهم من قبل هذه الدراية، وللرمال فائدة أخرى كذلك، حيث إنهم إذا أخذوا منه قليلاً ووضعوه للنبات فإنه ينمو، بشكل أفضل والماء يغمره بلا تكلف، ويصلح أجساد الناس الذين ينامون ويجلسون عليه، ومن فضل هذا الرمل أن ابن آدم إذا كان نحيف الجسم فإنه يقوى، وتقوى أعضاؤه وتكمل، وهم يصنعون الطواحين ذوات العجلات لتديرها الرياح وتطحن القمح.

أما فى المدن الأخرى فيجب أن تدور الدابة أو طواحين المياه أو طواحين اليد، ويصنعون منها عجلات لكى تسحب الماء من الآبار للحدائق والأرض التى يزرعونها. إذا كان الماء قليلاً، وهم يستخدمون الرياح استخدامًا عظيمًا، وفضلاً عن ذلك فإنها مدينة قائمة بذاتها ولا حاجة بها لغيرها، فإذا ما انقطع قدوم قافلة فكل شيء من النعم وأنواع الثياب الفاخرة، وكل ما يلزم الملوك والعظماء وأهل المروءة يوجد فى هذه المدينة، بحيث لا تمس الحاجة إلى مكان آخر، وتتوافر وتكثر الفاكهة فى الشتاء كما هو الحال فى الصيف عامًا بعد عام، ويوجد الإسبرغم الجيد طوال السنة، والحملان التى يأخذون منها اللبن، والسمك طازج فى كل آن وأوان حيث مدحه الله فى كتابه[1]، ويأتون بالسمك من المدن البعيدة فى السفن ويرسلونها إلى القصبة وتحمله الدواب إلى أماكن أخرى، وهو فى بغداد نفسها، كما طلب كبار العلماء فيها الفقه والأدب والقراءات والتفسير، كما هو الشأن فى طلبهم لهذا من الحرمين والشام والعراق كلما احتاجوا ذلك، وقرأوا الكتب والآن يقرءونها

---

(١) مدح الله عز وجل السمك فى سورة فاطر حين يقول : (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها) الآية ١٢.

بحيث لو ذكرت اسم كل منها لطال الكتاب، ولم يحدث مطلقًا أنها كانت خلوًا من العلماء والفقهاء ففى طبع هوائها لا بد من وجود العلماء بوفرة، وينبغى لأهلها أن يكونوا شغوفين بالعلم حيث إن رجالها بواسل ونساءها عفيفات، فكما أنه ليس لهن حبيب كما فى الأماكن الأخرى ومن شذت عن ذلك فإنها ليست سجستانية أصيلة وربما لم تكن من سجستان وفى قلبها حب لهذه المدينة التى لم يقصدها أى عدو فلم تغز من قبل ولن تغزا وأنه لا يستطيع مهاجمتها، وإذا فعل ذلك فإنه يهلك، وليس فى الدنيا بناء بهذا الكبر ولا يمكن أن يكون إلا فى سجستان، فمن المعروف فى الدنيا أنه لا أرض أفضل من أرض سجستان، ولا يوجد لحم أفضل من لحم حيوانها، ولا يوجد قوم لهم سعة ونعيم مثل أهلها لأن ساحة المدينة وضواحيها واسعة وفيها النعم من كل الأشكال، ومنذ أن خلقوا أكلوا وأعطوا وكان الكرم عادتهم وما زال موجودًا حتى قيام الساعة وبالله التوفيق.

ومن العجائب الأخرى التى كانت فى سجستان والتى أرى بعضًا منها الآن:

يقول أبو المؤيد البلخى وبشر المقسم فى كتاب البر والبحر، إنه كان فيها عجائب لا وجود لها فى موضع آخر، منها: أن ينبوعًا ظهر فى أعلى الجبل فى منطقة فراة، وارتفع فى الجو اثنى عشر فرسخًا، وهبط فى هذا المكان على هيئة مدينة، وخرج ثانية من شارستان وكان لها أرض زراعية تبلغ أربعة فراسخ، وإلى الآن مازال المكان الذى ظهر فيه الينبوع والمدينة والحقل موجودًا، وهذا الينبوع حاول أفراسياب[1] أن يغلقه، فجاء غلامان صغيران فتدبرا أمره، ولما انتهى من العمل قتل الطفلين وما زال قبرهما على رأس هذا الينبوع ظاهرًا.

---

(١) أفراسياب يسمى فى القصص الإيرانية ملك التورانيين الذى دخل فى حرب مع إيران لمدة طويلة من الزمن، وأسر وقتل فى عصر كيخسرو. د محمد معين: فرهنك فارسى، جـ٥، ص١٥٨.

فضل آخر

وبفراة جسر من الجبل يقال له "مسو" به ماء يقطر، فإذا كان المرض شديدًا واغتسلت بمائه الذى يقطر من أعلى الجبل فإنك تشفى، ومن العجيب أنه إذا كان الإنسان حسن السيرة عفيفًا صالحًا فإن الماء يقطر عليه، أما إذا كان رجلاً مفسدًا وسيئ العمل فلا ينزل الماء عليه، ومهما حاول المفسد أن يستمر طويلاً فإن الماء لا ينزل، وإذا ما نهض فإن الماء يقطر(ينزل).

فضل آخر

بفراة أيضًا جبل حرون ويقع على يساره ثقب بحيث لا يصل إليه السهم، ولا يمكن أن يصل إلى أحد هناك، وتخرج من ذلك الثقب حية منذ ألف سنة بحيث ترى عينيها ووجهها ولسانها، ولها قرنان مثل الغزال، وهى حية، ولا يعرف أحد ما غذاؤها وممَّ يكون إلا الله تعالى.

فضل آخر

وفى ناحية رون وجول[1] رملة كبيرة ارتفعت فوق الجبل، فإذا اقترب منها إنسان ولم يلق عليها شيئًا ملوثًا فإنها تنوح كما ينوح الرعد، وهذا من العجائب، وهكذا يقولون، يفتح من تلك الرملة طريق تحت الأرض حتى جبل دماوند[2] حيث أسر أفريدون الضحاك هناك وسجنه، وجاء فى الخبر أن الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان هو الضحاك نفسه وما زال حيًا حتى يخرج، ويهبط عيسى عليه السلام

---

(١) ذكرت فى الكتاب مرة أخرى ص ١٥٦، ولكن لا يوجد فى الكتب الجغرافية القديمة والجديدة ذكر لهذين المحلين، ويحتمل من لفظ جول إنها الجيم ذات الثلاث نقاط، ويظن أن هذا الموضع على حافة الصحراء المالحة، لأن جول المستخدمة فى خراسان الآن بمعنى الصحراء المالحة والصحراء الفقيرة، ويسمون الصحراء السبخة الكبيرة(چول) البستان أو الحديقة، التى خلت من الفاكهة أو المكان الذى نهب تمامًا. (من تعليقات بهار، ص١٥ حاشية١).

(٢) دماوند: اسم مدينة مشهورة فى مازندان، واسم جبل ينسب إلى تلك المدينة، وقيل إن الضحاك حبس فى هذا الجبل.(ابن خلف التبريزى: برهان قاطع، ص ٥٠٤ (تهران ١٣٣٦هـ.ش)

من السماء إلى الأرض ويهلكه وسألوا الحسين بن على عن حديث الدجال، فأجاب بهذين البيتين:

وفى سجستان رمل نحو كورتها   مسجن فى تحتها أى تسجين

إذا ألقيت عليها جيفة نطقت   سمعت منها أنينًا مثل تنين

وغير ذلك من الفضائل، ويظهر أن نهر هيرمند ونهر رخد ونهر خاش ونهر فراة ونهر خشك ونهر هروت ومياه الصحارى والجبال تأتى كلها من أطراف سجستان من ألف فرسخ، وهناك ثقب يقولون له فم الأسد وليس كبيرًا، إلا أن كل هذه المياه تنصب فيه، ولا يعلم أحد إلى أين تذهب إلا الله تعالى وتقدس وهذه من العجائب.

فضل آخر

يقول أبو المؤيد البلخى وكتاب ابن دهشتى المجوسى[١]: إنه فى شارستان التابعة لسجستان بركة حول الفلك، حيث إنها كانت نبعًا، وكانت تفيض من الأرض على الدوام[٢]، حيث إن أفراسياب لجأ إليها وكان يفعل ذلك ببست، وهكذا يقولون: إنه بعد ألف سنة حتى الآن كان قد وصلها وعاد إليها عندما رأى بها منفعة بمشيئة الله.

---

(١) البندهش كتاب مقدس باللغة والخط البهلوى ويحتوى على قصص وروايات دينية وتاريخية، والزردشتين معناه أصل الخلقة حيث إن (چه) بمعنى الأصل (يخ دهشن) بمعنى الخلقة وهذا النوع من قبيل المصادر التى جاءت بالتاء المثناة وتستعمل اليوم بدون نون وتاء، وبما أنه أضيف إلى الزردشتى (كبركان) ولا شك أنها نفسها (بندهش).

(٢) سقط ربع سطر من المتن. وفى بندهش والأوستا، إشارات كثيرة إلى سجستان وبحيراتها وأنهارها وجبالها، ويقرران أن سجستان كانت مركز الدين الزرادشتى.

فصل آخر

ذكروا فى كتاب البلدان ومنافعها ما يستخرج من كل مدينة قالوا: يستخرج من سجستان الذهب الخالص، وأصله ليس معروفًا لدينا الآن، حيث يقول أبو المؤيد البلخى فى كتاب ابن دهشتى المجوسى: إنه كان نبعًا فى هيرمند المقابلة لبست، وتأتى المياه باستمرار فتختلط بالرمل والذهب، وكان عائده لا يقل عن ألف دينار من الذهب، إلا أن أفراسياب عقد عليها بالسح وقال: إنه خزانة وقد قيل إنه يعيد الكرة ثانية فى ثلاثة آلاف عام بعد زرادشت[١] وصارت صالحة للمنفعة بإذن الله، ومن المعروف والمشهور أن جبل توجكى تستخرج منه الفضة، والآن لو أرادوا لخرجت لهم أيضًا.

فصل آخر

يجرى نبع سمور من سنة إلى سنة فى الصيف والشتاء وهو ذو منفعة ويقول أبو المؤيد البلخي: إن فى سجستان جبلاً كالقبة الحديدية[٢]، وتظهر من هذا الجبل كل قبة حديدية جميلة فى ذلك العصر، ولكنها ليست معروفة لأهلنا، وهناك عجائب كثيرة لم نذكر منها شيئًا فى الأماكن الأخرى.

---

(١) بعد مرور ثلاثة آلاف سنة بعد زردشت وفى روايات الزرادشتين أن العالم منذ بدء الخليقة قسّم إلى اثنى عشر قسمًا، وفى آخر ألف منها يتغلب الله (الصدق) على أهريمن (الكذب) يقول المسعودي: (إن كيومرث ملك أربعين سنة وقيل ثلاثين قبل الهزاريكة الأولى فى بدء النسل وتغير ذلك الألف سنة، وفى العشرة من الألف (ألف) وبعده بألف هوشيد آخر، وآخر ألف سو شيانسى (واحتمال أن يكون المسيح) وهم حفدة زرادشت الذين خرجوا من سجستان ويبدأ يوم القيامة وتتطهر الدنيا من الشياطين ويقف كر وثمان (الملكون) مع الشياطين متقابلين وتمتلىء جهنم من قادة الشر والشيطان ويظهر عدم الموت والدنيا (كتب السنن البهلوية). (من تعليقات بهار على الكتاب).

(٢) خم آهن وخم آهان حجر فى غاية الصلابة والسواد، ولونه قريب من الحمرة وهو نوعان ذكر وأنثى، وإذا لمس الماء الذكر فإنه يشبه الشنجرف الأحمر وانثاه كذلك تصبح مثل الزرنيخ الأصفر، ويقال إنه نوع من الحديد ويقال له بالعربى: إنه صندل حديدى، ويقول البعض إنه حجر أسود وأبيض يصنعون منه الخواتم (من تعليقات بهار).

والآن نذكر بعض الأسماء التى عظم قدرها بعد الإسلام وعرفهم الناس بفضلهم

عن عكرمة الفقيه[1] مولى ابن العباس الذى تروى عنه أكثر الروايات فى الفقـــه أن المهدى فوض لمعاذ بن مسلم ولاية خراسان وسجستان كلها، وتولى من بعـــده يحيى بن معاذ بن مسلم ومن بعده بسام مولى[2] الليث بكر بن عبد مناف بن كنانـــة الذى وصل إلى تلك المكانة لغزارة علمه فقد اشتراه من مولاه بمائة ألف دينار.

فقالوا: ألا تريد شيئًا آخر، قال: لا حيث إن قيمتى (قدرى) أكبر من هذا، ودفع فيه مبلغًا جزيلاً وأعطاه، وكان إبراهيم بن بسام بعظمته هو ابنه، وفيـــروز مـــولى الحصين بن أبى الحر العنبري[3]من سجستان حيث كان يحارب الحجاج باستمرار، وفى يوم وضع الحجاج إمارته مع سبعين شخصًا وأعطى قـــواد جيـــشه، ولكـــن فيروز قتل الجميع، وكان آخر صوت يردد كم حجاجكم[4]، فنادى الحجاج قـــائلاً: من جاءنى برأسه أعطيته عشرة آلاف درهم، وقال يزيد للمهلب: تقدم ولك عـــشرة آلاف درهم، فأجاب تقدم أنت ولك عشرون ألف درهم، فأنا وهو ذو رأس واحـــد، فسمع فيروز ونادى فى جيشه أن من يحضر رأس الحجاج سأعطيه مائـــة ألـــف

---

(١) عكرمة مولى ابن عباس: روى عنه وعن عائشة وأبى هريرة وغيرهم، وتفقه على يد ابن عباس وقيل لسعيد بن جبير أتعلم أحدًا أعلم منك قال: نعم عكرمة، وعن الشعبى قال: ما بقى أحد أعلم بكتـــاب الله من عكرمة، ومن ثم لم يخرج له مالك الإمام ولا مسلم بن الحجاج، وتوفى سنة ١٠٧هـــ.

محمد الخضرى بك: تاريخ التشريع الإسلامى، ص ١١٦، ١١٧ الطبعة التاسعة (القاهرة ١٩٧٠).

(٢) سقط شيء فى هذين المكانين يقول البلاذرى إن جد إبراهيم بن بسام أسر فى قرية شروانة وهى مـــن قرى سجستان أو أصبح عبدًا لابن عمير الليثى (فتوح البلدان، طبع مصر، ص ٤٠١) ومـــن تعليقـــات بهار.

(٣) الصحيح الحر العنبرى من بنى العنبر بن عمرو بن تميم وكان من أسرة مشهورة وكريمـــة وكبيـــرة (فتوح البلدان للبلاذرى، جـــ ١، ص ٤٠٣، القاهرة ١٩٣٢).

(٤) فى المتن جاءت هذه الجملة باللغة العربية وجاءت من بعدها ترجمتها إلى الفارسية وفعـــل ذلـــك فـــى جملتين من بعدها.

درهم، وقامت فى ذلك اليوم حرب ضروس، وفى النهاية هزم الحجاج وكان فيروز هذا عالمًا شجاعًا وزهير بن نعيم وعفان بن محمد وعثمان بن عفان وأبو حاتم السجستانى وسليمان بن الشعث وعثمان بن العبد وأبو بكر بن أبى داود وأبو يعقوب الزاهد والخليل بن أحمد[١] وأبو حاتم بن حسان ونصر بن جيك وياسر بن عمار وعبيد القوفى[٢] وعمير بن يحيى وأبى نصر بن حمدان الجوينى وأبو إسحاق الجاشنى[٣] وشاهين بن العنبر وبكر بن جعد وغالب بن شارك وورنك القروى وأبو الحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى الذى ألف غريب القرآن وهلال بن حويص وأبو عامر بن أبى حيان والإمام أبو جعفر فاخر بن هاذ وأبو زكريا يحيى ابن عمار والقاضى أبو الحسن والأستاذ أبو العباس وأبو سعيد بن عمر النوقانى[٤] وأحمد السمورى وأبو أحمد القصار وأبى جعفر بن أبى منصور بن أبى سعيد الوزير[٥].

وكان هؤلاء قد وصلوا إلى مرتبة فى العلم والعظمة بحيث لم ينكر أحد فى العالم فضلهم، وهم كثير ولم نذكر أسماءهم وهم الآن موجودون، ولما كان الشرط فى جمع هذا الكتاب الاختصار حتى لا تطول القصة، وقد ذكرت من كل طائفة قدرًا والقليل يدل.

---

(١) الخليل بن أحمد غير الخليل المعروف ولكنه الخليل بن أحمد السجستانى المعاصر للملك مظفر صالح ابن نوح السامانى، وكان من رواة الحديث، ولم يكن له مثيل فى الفقه.

(٢) القوفي: اسم قرية من قرى سجستان ونسب إليها أناس كثيرون وذكرت هكذا فى كل الكتاب.

(٣) جاشن وكاشن اسم محلة فى سجستان وذكر هذا الاسم نسبة إليها.

(٤) نسبة إلى نوق ونوق محلة من محلات سجستان ويسميها الناس نوها وعربها نوقان ونسب إليها أبو عمر بن أحمد النوقانى صاحب التصانيف فى الأدب وابنه عمر وأخيه أبو سعيد عثمان(ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص١٩٣).

(٥) يوجد فى المتن ثلاثة أسطر بيضاء، ولعل هذا كان من أجل كتابة بقية عظماء سجستان فى هذه الأماكن الخالية.

شروط تعمير سجستان وقد وضعت على أسس ثلاثة: التحكم فى الماء والرمل والمفسدين، وكلما كان التحكم فى هذه الأسس فلن توجد مدينة فى الدنيا مثل سجستان فى نعمة العيش وعندما يحكمون أمرها بهذا الشكل كان لزمانها قوام.

أسماء سجستان

سجستان، زاول، زرنگ، نيمروز

أما سجستان فيقال من أجلها: إن الضحاك كان ضيفًا بها عند گرشاسب، وكان من عادته أن ينزل فى ايلة[1] التى يقال لها الآن بيت المقدس، وكان يشرب مع زوجاته، وفى ذلك الوقت كانوا يقولون لقصر النساء شبستان، وعندما ثمل الضحاك تذكر عادته فقال: أريد قصر النساء لأن الشرب هناك أفضل، وكان جرشاسب يعرف عادته وقال: هنا سجستان لا شبستان، وكان "سيو" قد بلغ مبلغ الرجال فى ذلك الوقت ويقال عن سجستان: إنها كانت دائمًا مكان الرجولة، وينبغى لرجولة الرجل أن تمر من هناك، وعندما قال هذا الكلام خجل الضحاك وقال: أيها البطل قل الحق نحن فى سجستان أم فى شبستان، وبعد ذلك كانوا يقولون لها سجستان وتقل حرفًا وهو الواو ويقولون لها زاول من ذلك حيث إن جميع المدن التى أقاموها فى العالم جعلوها عل شاطئ البحر أو بالقرب من الجبل، لأن الجواهر والأشياء الثمينة تخرج من البحر والمعادن من الجبل وقالوا: يجب أن تصنع جميع أشيائنا من الماء والطين، وهنا سقط حرف من الكلام وقالوا

---

(١) ايلة مدينة على ساحل البحر الأحمر تقع فى بداية أول حد الحجاز وبين مصر والشام وتقع فى الإقليم الثالث وعرضها ثلاثون درجة وبقول آخر إنها جزء من الجبل الرضوى بين مكة والمدينة ويقولون إن إليا وإلياء هى بيت المقدس وبانيها هو ايليا بن آرم بن سام بن نوح (من تعليقات بهار).

لها زاول[1]، أما زرنج فيقولون: إنها أكثر عمرانًا وبها الأنهار ومناطق الزراعة لأن زال العجوز جعلها هكذا، ويقولون لها زالق العتيق وفى المقابل عربوها إلى زالق الحديث، وتلك زال القديمة وزال الجديدة، وأهل سجستان يسمونها زرورنج لأن شعره يشبه الذهب المشدود، وكان بسكو قد أقامها وقالوا لها زرنج[2] وهم بذلك أضاعوا حرفين من الكلام، وبما أن الشجعان ورجال العلم ظهروا من بسكو وسمو كلهم سجستان بهذا الاسم وقالوا لها زرنج.

أما نيمروز ففيها قولان أولهما: إنه كان للملوك يوم واحد فى السنة يحكمون فيه فى المظالم وهذا ما انطبق على نيمروز فى العالم وكان كذلك، وكانوا يسمون من يظلمون فى سجستان باسم نيمروز.

ويقول أبو الفرج البغدادى: إن الأمر ليس كذلك لأن حكماء العالم قسموا الدنيا حسب شروق الشمس وغروبها على نيمروز ويكون هذا على النحو التالى: إنه من ناحية المشرق تشرق الشمس فى أقصر يوم، ومن ناحية المغرب تغرب الشمس فى أطول يوم من هناك، وهذا العلم أصبح معروفًا بالحساب، وهذا كله قسموه إلى أربعة أقسام خراسان وإيران وباختر مع أنهم يسمونها فى الشمال باختر وفى الجنوب يسمونها بنيمروز وفى الوسط تنقسم إلى قسمين وفى الشرق يسمونها خراسان وفى الغرب يسمونها بلاد إيران والله المستعان.

---

(١) هذه التسمية شبيهة بالأسطورة يقول مؤلف برهان قاطع كانت اسم ولاية سجستان، وكانت اسم قوم وطائفة وكانت اسم فن موسيقى ووحدة من سبع لغات فارسية.

(٢) زرنك أقدم اسم لسجستان وزاولستان وذكرت عند كتبة داريوشى (زرنجا) وهذه المدينة خراب الآن، وفى رأى المحققين زرنج وزرويه فى لغة الأوستا بالمعنى نفسه عند الهخامشين ، وكانت زريا فى اللغة البهلوية ودريا بلغة اليوم وكلها واحد وأصبحت اسم المدينة أيضًا (من تعليقات بهار على الكتاب).

حدود سجستان وكم عدد مدنها ومن أين وإلى أين

أسلفنا القول إن جرشاسب بنى سجستان وقبل أن يقسمها كانت لـه بست ورخد[١] وزمين داور وكابل وسوادها، وكان جده من ناحية أمه هو الذى بناها واسمه كورنج[٢]، وهذه المدن يأتى خراجها الآن إلى ديوان بغداد حيث يوجد الخلفاء فى سجستان ويجمع مالها على مال سجستان، وأقام نريمانى سفزار[٣] وبوزستان ولواستان وغور سام، وشيد رستم القصص كشمير ووضع أمواله وخزائنه هناك، كما شيد حمزة بن عبد الله الشارى جرديز، وشيد يعقوب بن الليث ملك الدنيا غزنين، وكانت كل هذه المدن فى العصر الجاهلى فى حوزة الأبطال ومرازبة سجستان حتى جاء الإسلام وتغيرت الولاية، وكان حد الشرق الأقصى كشمير حتى بحر المحيط ومن ناحية الغرب سبه[٤] التى تبدو على بعد عشرة فراسخ فى وسط الجبال على حافة جبل، وكل الصحارى التى تحيط بجهات سجستان الأربع أقاموها كلها فى وسطها وكانت "كس"[٥] وبالله التوفيق.

ويقول أبو الفرج البغدادى صاحب كتاب الخراج: إن إيران وخراسان وسجستان رأس الدنيا ويسمونها الحى الناطق الميت، ويقولون فى هذا الوسط إن

---

(١) أخذت من رخوت البهلوية وهى أرخوزيه الهخامانشية نفسها ورخج بالعربي.

(٢) هو أبو زوجة جمشيد وجد گرشاسب .

(٣) سفزار وسبزاور واسفزار كلها كلمة واحدة وهى اليوم جزء من ولاية هراة ويسمونها سبزوار وهى تختلف عن سبزوار خراسان الحالية.

(٤) سبه واسفه وسفه من توابع سجستان.

(٥) يوجد بياض فى المتن، وكس كانت جنوب حدود سجستان يقول الإصطخرى عن سجستان (فلها من المدن زرنج وكس) ويقول ياقوت: إن كس مدينة فى أرض الهند.

الطقس فيه معتدل وقامة أهل هذه النواحى معتدلة وليست لهم حمرة الروم ولا سواد الحبش ولا غلظة الترك والخرز ولا دمائة أهل الصين، وقد قسموا هذا كله إلى أربعة أقسام خراسان وإيران ونيمروز وباختر، وكل ما هو فى الشمال يسمونه باختر وكل ما هو فى الجنوب يسمونه نيمروز والوسط ينقسم إلى قسمين وكل ما هو فى الشرق يقولون له خراسان وكل ما هو فى حد الغرب يسمونه إيران.

عمل سجستان بعد الإسلام وكورها[١] على الاصطلاح القديم

ألف ألف درهم وهى سجستان وبست ورخد وكابل وزابلستان ونزاذ وزمين داور وأسفزار وخجستان.

خراج خراسان حتى غاية حد الإسلام

فى عصر عبد الله بن طاهر سنة مائتين وإحدى عشر وثلاثون ألف ألف درهم.

كورها

طبسين وقهستان وهراة وطالقان وكوزكانان وخفشان وبادغيس وبشنج وطخارستان وفارياب وبلخ[٢] وخلم ومرو الرود وجغانيان وآشجرد وخنلان وبدخشان وطالقان وأبرشهر وبخارا وسمرقند وشاش وفرغانه وسروشنة وسفد وآمويه وخوارزم وكش وإسيجاب وفارياب وترمذ ونسا وأبيورد وسرخن ومر

---

(١) كورة معرب خورة وكور جمعها، كانت مملكة فارس قبل الإسلام تتقسم إلى خمس كور: ١ـ كورة أردشير ٢ـ كورة استخر ٣ـ كورة داراب ٤ـ كورة شابور ٥ـ كورة قباد، وخورة فى البهلوية بمعنى العظمة وذكر ياقوت أردشير خورة بمعنى عظمة أردشير.

(٢) روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: جاء رجل إليه فقال: من أين هذا الرجل، قال من خراسان، قال من أيها، قال من بلخها، قال على: سقيا لبلخها إنها مكتنزة بالعلم كاكتناز الرمان بحبها.

عبد الله بن محمد بن محمد حسين البلخى: فضائل بلخ ـ تصحيح وتحشية عبد الحى حبيبى، ص١٢، تهران ١٣٥٠ هـ.ش.

وشاهجان يوطوس وبرسجان وبلم وآخرون ونسف. وفى عصر الإسلام إلى ذلك الوقت الذى خرج فيه الخوارج انقطع عن بغداد خرج خراسان وسجستان وفى النهاية تصالحوا على الخطبة التى كانوا يضعونها فى المدن إلى القصبة التى كانت فى حوزة الخوارج، ولكن لم يصل هذا الخراج بعد ذلك فقد قام المتغلبون إلى الآن وبالله التوفيق.

وكان سبب ذكر خراسان وكورها ومجموعها فى هذا الفصل فلنا غرض فى هذا الكتاب وهو فضل مدينتنا حتى أن كل من يقرأ هذا يعلمه، وكانت له سجستان على الدوام مميزة من وسط العالم وقائمة بذاتها ولم يصلوها بمكان آخر، إلا أنهم أقاموا مدنًا كثيرة وأوصلوها بها وبالله التوفيق.

والآن نذكر طول سجستان وعرضها وكورها ورساتيقها بعد الإسلام ومن كان عاملاً وواليًا عليها، أما طول سجستان فمن خراسان حتى حدود السند وعرضها من كرمان حتى حد الهند، أما كور سجستان فهى أسفزار وجبل نية وسردرة وهند قانا وفراة وأوق وخواش وفلاد وفشلنج[1] ونوزاد وبست وزمين داور ورخج وكش ورود بار وزابل وكابل.

رساتيق سجستان

قوس وكاق وسوكنى وبال وجوى كهن وناشيرود [2] ونهيزن وزوشت وبر وجوسم وبكود وكركوى وزالق وميسون ونوجرد ونوق ونيشك وأما الصراة وسيه.

---

(١) يبدو أن فشلنج معربة وأصلها بشلنك أو يشلنج، وكانت قلعة على حدود سجستان وولاية الغور وفتحت على يد محمود الغزنوي، يقول الفرخى:

ذلك الذى حطمه تحت حوافر خيول الجيش — فى زمان وباب وحائط قلعة پشلنج

(٢) جاء هذا الاسم مختلفًا فى كتب المسالك فقد جاء باشترود وباسرود وبيسرود وباسروز وناشرود.

قراها

أما جروا تكن فهى ليست من جالق القديمة ولا الجديدة وقرنين ليست من خاش ولا من نيشك أما الضرائب فكانت لها قسمة أخرى قرنين[١] وأبرونيشك وجالق القديمة وكش ومن الكور بست وررزان وسروان.

تقسيم خراج سجستان

يبلغ خراج سجستان ثلاثة ألف ألف وخمسمائة واثنى عشر ألف ألف درهم غير الجوالى[٢] والصوافي[٣] ومال الإجارة وكانت جملتها خمسة وثمانين ألف درهم فيصبح مجموعها ثلاثين مليونا وخمسمائة وسبعا وتسعين ألف درهم، وكان للسلطان ألف ألف درهم من جملة هذا، وعلاوة على ذلك تفصيلاً فقد ذكروا هذا حتى لا يتضايق الناس في الوقت الذى يكونون مشغولين فيه بأعمالهم، والأول هو إقامة الجيش وكان هذا من بيت المال ومهما كان الأمر فكان يجب تقديم مليونى درهم كل سنة، أما ما كان يجب أن يحصل على المال فالعامل والوالى كانا يأخذان اثنى عشر ألف درهم كل سنة ولإصلاح الكور أربعة آلاف درهم، ولإصلاح القلاع المتفرقة خمسين ألف درهم، وللسجناء بكل مدينة عشرين ألف درهم، ولشهر رمضان فى المسجد الجامع ثلاثين ألف درهم، وكان لكل من قارئى القرآن وخدم

(١) قرية من قرى سجستان وينسب إليها أبو الحسن محمد بن حسين الأبرى الذى كان من شيوخ أئمة الحديث.

(٢) جمع جالية وفى عهد عمر رضى الله عنه أمر أن تؤخذ هذه القسمة من أهل الذمة الذين أجلاهم عمر عن جزيرة العرب واستوطنوا وسميت جالية رويدًا رويدًا ثم أطلق هذا اللفظ على الجزية التى تؤخذ من هؤلاء القوم وبتلك الصورة يمكن أن تقول إن الجوالى مال الجزية التى تؤخذ من هؤلاء القوم.

(٣) هى العائدات الخالصة مع أن كلمة صافى وصافية لم تشاهد فى كتب اللغة ولكن فى الاصطلاح الفقهى كلمة صفى بمعنى الغنيمة وهى من الغنائم التى يختص بها السلطان. وقد ذكر أبو يوسف عن ابن سيرين أن النبى (ﷺ) كان يصطفى من كل غنيمة صفيًا يصطفيه، كما أن لفظ صافى جعلوه علمًا على أملاك السلطان، يقول الإصطخرى: رخج إقليم بين أرض راور وبين بالس وعامتها صواف يرتفع لبيت المال منها مال عظيم.

الديوان وموظفيه وحرسه ورؤساء المدينة والحراس والمطلعين على أحوال الناس والمفتشين والمخبرين السريين مهما كان عددهم فى كل مدينة فكل واحد منهم لـــه فى آخر الشهر عشرون درهمًا ومنان من الخبز كل يوم، وللمؤذنين فى كل مكان عشرون ألف درهم، وكانوا فى كل سنة يشترون مائة من العبيد بحوالى خمسمائة درهم ويعتقونهم ويعطونهم مثل قيمة العتق[1] وللمستشفيات عـــشرة آلاف درهـــم، ولإقامة السدود وإصلاحها خمسة وعشرون ألف درهم، ولوالى الـــشرطة ثلاثـــون ألف درهم وللســـدود الرملية ثلاثون ألف درهم وخمسون ألفًـــا لحفـــظ الجـــسور وثلاثون ألفًا لترميم الجسور والأنهار ومعابر السفن فى نهر هيرمند، كمـــا أنهـــم كانوا ينفقون على أبناء السبيل والضعفاء وكانوا يعطونهم الملابس وكذلك الغربـــاء أيضًا. وكانوا إذا رأوا على أحد دينًا قضوه عنه وإذا غرق مكـــان بالمـــاء فكـــانوا يعمرونه، وكل ما زاد فى أول العام كان الوالى يوزعه على هـــؤلاء الأشـــخاص وكانوا يقيمون الولائم فى الأعياد وكانوا يوزعون البخور والغالية وكان للـــضعفاء نصيب منها وبالله التوفيق.

مذهب أهل سجستان فى القدم حتى ظهور الإسلام

كان گرشاسب وأحفاده إلى فرامرز بنى رستم على مذهبهم وهو المذهب الذى جاء به آدم عليه السلام حيث كانوا يصلون الفجر والظهر والمغرب ويعبـــدون الله تعالى، كما أنهم كانوا يقدمون على الأعمال الدنيوية قليلاً ويداومون على الـــصلاة كثيرًا، وكانوا يكثرون من الصلاة ثم يمضون إلى العمل، وكان الزنا واللواط والدم الحرام محرمة عندهم ولا يأكلون الجيفة وما لم يذكر يذبح، أما الذى يـــذبح فإنـــه

---

(١) يوجد بياض فى المتن مما أدى إلى اضطراب فى المعنى ولكننا كتبناها هكذا كما فهمناها من الحاشية.

حلال ويأكلونه وغير ذلك لا يأكلون، ويوزعون الصدقات كثيرًا ويكرمون الضيف دائمًا ويدعونه، وكانوا يعدون ذلك من الفرائض عليهم ولا يتزوجون بناتهم وأخواتهم.

أما سبب الحرب التى وقعت بين رستم وأسفنديار فبسبب أنه عندما ظهر زرادشت وجاء بدين عبادة الله (مرديستان) ولكن رستم أنكر مذهبه ولم يقبل، ولهذا السبب تمرد على الملك گشتاسب ولم يلازم العرش مطلقًا، ولما قال جاماسب لگشتاسب: إن موت أسفنديار سيكون على يد رستم، خاف گشتاسب من أسفنديار وأرسله لمحاربة رستم حتى قتل أسفنديار، وبعد ذلك مضى فرامرز من سجستان، وجاء بهمن بن اسفنديار ليثأر لأبيه، وكان فرامرز قد مضى إلى الهند وأثناء عودته غرق، وكان بخت النصر الذى كان قائده رأى أنه من الصواب أن يتصالح مع بهمن وأسفنديار وهوشنك الذى كان صغيرًا ودعاه إلى ملك سجستان وتصالح، وخرج من سجستان اثنا عشر ألف رجل زوالى مع بهمن وتوجهوا إلى بلخ.

نسب بخت النصر

كان بخت النصر حفيدًا لرستم دستان من ناحية ابنة أخته بنت فرامرز، وكان اسمه بخت نرس بن كيو ين جود بن كشواد بن أشجمر بن فرجير بن حير بن يشودان بن أنبوت بن نابجن بن تفر بن تفوك بن وأيذنج بن ذنج بن ماى شو ابن نوذر بن الملك، وكان بهمن أسفنديار حفيد بن يامين من ناحية الأم، ولما قتل بنو إسرائيل يحيى وزكريا عليهما السلام، أرسل بخت النصر إلى هناك حتى يثأر لهما، وذكر الله تعالى بخت النصر وأهل سجستان بالشجاعة فى كلامه حيث قال

تعالى : (عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ)[١] وعندما نزلت هذه الآيــة تعجــب ســادات العرب وعظماؤهم من المهاجرين والأنصار فى أى حال كان هؤلاء حتى مدحهم الله تعالى وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (إن أمتى ستغلب عليها) وكان فخر سجستان بالإسلام، وكان أعظم فخر لهذه المدينة كلام الله وقول الرسول(ﷺ).

والآن نذكر سبب نار كركوى[٢]

يقول أبو المؤيد البلخى فى كتاب گرشاسب: عندما ذهــب كيخــسرو إلـــى أذربيجان ومعه رستم داستان، ورأى بقدرة الله تعالى تلك الظلمة وجنة الأشــرار، وظهرت النار المقدسة وظهور الفور على أذن حصانه وأصبح له الملك، ورجــع كيخسرو من هناك بمعجزات عديدة ومضى على التركستان طالبًا دم أبيه سياوش، وكان يقتل كل من وجده فى التركستان من الذكور، وكان معه رستم وأبطال إيران الآخرون، وهرب أفراسياب وذهب إلى الصين ومنها إلى الهند ومن هناك جاء إلى سجستان، وقال: لقد جئت فى حماية رستم فنزل فى بنكوه، وعندما يأتى الجــيش فوجًا فوجًا كان فى بنكوه مخزن للغلال كانوا يدخرون فيه على الدوام فـــى كــل جانب من جوانبه الثلاثة، وكانوا يضعون فيه ما يقرب من مائة ألف كيلة من الغلة، والتف حوله السحرة وكان هو ساحرًا حيث إن العلف موجود والحصار محكم ولا يجب أن يبدو العجز، وأراد أن يجرب ثانية، وأقام بالسحر ظلامًا مخيفًا على بعــد فرسخين من كل جانب وعندما مضى كيخسرو إلى إيران وعلم بخبره مضى إليــه إلا أنه علم أنه لا يقدر على الوصول إليه بسبب هذا الظلام، وكان معبد گرشاســب

---

(١) سورة الإسراء، آية ٥.

(٢) كركوى وكركويه اسم محلة تبعد ثلاثة فراسخ عن مدينة زرنج على طريق هراة وكانت اسم بوابة من بوابات المدينة نفسها.

فى هذا المكان الذى أطلق عليه الآن اسم بيت نار كركوى، وكان گرشاسب فى عصره مستجاب الدعوة وله الأمر والناس يذهبون إليه أملاً فى بركاته ويدعون فيستجيب الله دعاءهم، ولما أصبح الحال هكذا، توجه كيخسرو إلى هناك وارتدى الصوف ودعا فأظهر الله تعالى نورًا فى ذلك المكان الذى أصبح الآن موضع النار، وما إن ظهر الضياء بجوار الظلمة حتى تبددت، فمضى كيخسرو إلى رستم فى القلعة وقذفوا النار بالمجانيق، فاشتعلت المخازن كلها بكل الذى ادخروه لعدة سنين، واحترقت تلك القلعة، وهرب افراسياب من هناك بالسحر[1] واحترق أناس آخرون وخربت القلعة، ثم أقام كيخسرو مدينة فى نصف هذه القلعة ومكانًا للنار تسمى كركويه، ويقال إنه يخرج منها ضياء، ويقول المجوس أيضًا إنها عقل كرشاسب، ويحتجون فى هذا الكلام بأشعار كركوى:

ليكن موقدًا عليه — فغنى عقل كرشاسب

وكله ممتلئ فياض — فاشرب الخمر الحلوة

واحتضن الحبيب — واصغ إلى المدح

وواظب فى الخير على الدوام — فقد مضى أمس والبارحة

أيها الملك الممدوح

وبما أن شرطنا فى أول الكتاب هو أن نذكر أنساب العظماء الذين ذكرنا أسماءهم وأن أعظم إنسان فى الدنيا والآخرة هو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم،

---

(١) كتب هذا البيت فى الحاشية مع العلم أن ذكره لا يؤدى لغرض وترجمته هكذا:

لم يرتفع رأس أفراسياب — قال رستم لم تكن ردينة وبيضاء

وعندما نذكر عصر الإسلام، ينبغى أن نبدأ به وبحديثه حتى يكرم الكتاب بذكره وبالله التوفيق.

ذكر مولد المصطفى ﷺ

نذكر مولد المصطفى عليه السلام فليس لسجستان فخر أعظم من هذا.

وفى روايتين حدثنا وأخبرنا جاء فى كتاب مولد النبى صلى الله عليه وسلم لكعب الأحبار، أما نحن فقد كففنا عن الإطالة ولكن سعيد بن عمرو الأنصارى فيروى عن أبيه قائلاً: لم أر أحدًا على صفة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أكثر علمًا ورأيًا عن كعب الأحبار، وكان أقوى سبب لإسلامنا قبل رؤية النبى (ﷺ) كان من الروايات والأخبار التى قصها كعب الأحبار علينا وذلك فى حديثه قبل بعثته، لأنه ذكر لنا خاتم نبوته وأخلاقه وصورته قبل الرؤيا وما رأيناه، كما أخبرنا عن عامه وشهره ويومه وساعة موته (ﷺ)، وفى الليلة التى تلقى فيها النبي(ﷺ) الأمر كنا مع كعب الأحبار فى المدينة فلم ينم كعب وكان خارج البيت طوال الليل، ثم عاد ودخل ونظر إلى السماء، ولما طلع الفجر قلنا يا أبا إسحاق رأينا البارحة شيئًا عجيبًا عنك فبكى وقال: كان شيئًا يسحق الوجود ففى هذه الليلة مضى نبينا وكانت أبواب الجنة مفتحة لدخوله، وليس فى أرضنا مكان أعظم من ذلك المكان الذى يضمه فتعجبت منه فعاد، فمضيت حتى توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وفى عهد عمر قدم المدينة واقتربت منه فعرفنى وقربنى إليه وكنت أحدث الناس عما رأيته منه، فتعجب الناس وقالوا: إن ما قاله بالسحر وكله هكذا، وسمع كلام الناس فقال: الله أكبر والله لست بساحر وقال هذا ثانية، فأخرجوا سلة صغيرة كان فيها درة بيضاء وقفل من الذهب الأحمر كان عليه خاتم، فأخذ

الخاتم وفتح القفل وأخرج حريرًا أخضر وقال: ها هى صفة المصطفى صلى الله عليه وسلم(١) وقلت من هذا المكان فقلنا ثانية يا أبا إسحاق والآن اقرأ علينا هذه الصحيفة وحدثنا عن حاله من البداية إلى النهاية فقال: نصنع هذا إن شاء الله، وعندما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق سيد ولد آدم عليه السلام، أمر جبريل أن يقبض من قلب الأرض قبضة بيضاء وهى نور بهاء الأرض، وفى ذلك المكان الذى هو الآن قبره عجن القبضة بماء التسنيم(٢) حتى أصبح كالدرة البيضاء، ثم غسله فى أنهار الجنة وأذراه فى السماوات والأراضين وفى البحار حتى عرفه الملائكة، إن فضل النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من فضل آدم عليه السلام، وعندما تم خلق آدم وأوجد الروح فيه سمع آدم عليه السلام من جبلته فقال: سبحانك يا رب العظيم ما هذا؟ فقال الله تعالى: تقبل يا آدم تسبيح خاتم الأنبياء وسيد ولدك، ولا تجعل هذا وهو عهدى وميثاقى فى أى مكان قط إلا عند الطاهرين والطاهرات، قال آدم: تقبلت يا إلهى العظيم. إن نور محمد صلى الله عليه وسلم كان فى دائرة غرة جبين آدم مثل الشمس وهى تدور حول الفلك، وعندما أراد آدم عليه السلام أن يقترب من حواء تطهر وتطيب وأمر حواء أن تفعل مثله حتى جاء إلى الوجود بدر الأنبياء شيث، وفتح فى ذلك اليوم لآدم وحواء نهر الجنة وغمرتهما رحمة الله حتى يغتسلا منه وشربا منه، ونظر آدم فى الصباح فرأى هذا النور فى وجه حواء فابتهج، وزادت مكانة حواء عنده حتى أن طيور الجو والوحوش والحيوانات كلها أنست حواء ولم يقترب آدم عليه السلام منها، وكانت الملائكة يأتون فى كل يوم للتسليم والتهنئة وكانوا يحضرون ماء التسنيم حتى شربت منه، ولما تم خلق شيث انفصل عنها، فما كان له من ولد آخر حتى انفصل

---

(١) كتب هذا البيت فى حاشية الكتاب:

صلوا على روح النبى المصطفى ... النبى الهاشمى الأبطحى المجتبى

(٢) المؤلف تأثر بالقرآن الكريم ويقول عز وجل : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة المطففين : آيـة ٢٧، ٢٨].

عن أمه، ثم ظهر نور المصطفى صلى الله عليه وسلم على جبينـــه، ووضـــع الله سبحانه وتعالى حجابًا من نور بينه وبينها، إلا أن إبليس اللعين رفع الحجـــاب ودام ذلك لمدة خمسمائة عام، إلا أن شيث كان يزيد فى هذا النور باستمرار حتى ارتفع إلى السماء، وكل الملائكة الذين كانوا يشاهدونه كانوا يقولون هذا نور المـــصطفى (ﷺ)[1] وعندما بلغ شيث مبلغ الرجال، وحان أجل آدم أمسك بيد شيث وحمله إلـــى حواء وقال: يا بنى إن ذلك النور الذى تملكه وديعة الله وأنا لا أضعه عندى إلا فى أطهر مكان سواء عند الرجال أو النساء، وقال ثانية: يا ربى العظيم أرسل ملائكـــة حتى يشهدوا على شيث، ودخل جبريل عليه السلام مع سبعين ألـــف ملـــك ومعـــه حرير أبيض وقلم من أقلام الجنة وقال: يا آدم هذا قلم من الجنة وحرير وإن هـــذا القلم لا يحتاج لمحبرة لأن به مدادًا للكتابة، فاكتب على هذا الحريـــر كمـــا كتبـــوا عليك، وكتب آدم عهدًا على شيث وأشهد الله والملائكـــة وختمـــه بخـــاتم جبريـــل صلوات الله عليه واستودعه هذه الوديعة الخفية وفى الحال أحضر حلتين من نور الجنة ولون الشمس وألبسوها شيث بأمر الله تعالى، وزوجـــه الله تعـــالى محوايلـــة البيضاء وهى تشبه حواء تمامًا، فقرأ جبريل عليه السلام الخطبة وكان الملائكـــة شهودًا، وآدم عليه السلام ولى العروس وأقام قبة مـــن الزمـــرد الأخـــضر حـــول محوايلة، وبقدرة البارى تعالى حملت محوايلة من شيث، وفى الحال سمع نداء من كل مكان قائلاً: هنيئًا هنيئًا يا بيضا فقد جاء نور محمد تجاهـــك، وقـــد حجـــب الله تعالى هذه القبة عن عيون الناس والشياطين حتى أن أحدًا لم يستطع أن ينظر مـــن أى جهة من شدة هذا النور الذى يعمى العيون، وفى الحال ولدت بيضا أنـــوش[2] والنور ظاهر فى جبينه فابتهجت، وعندما كبر أنوش استودعه شيث هذه الوديعة،

---

(١) كتب هذا البيت فى الحاشية وترجمته:

نور الهـــداية للمصـــــتباح الأرضى   وفى الرفعة أعلى من السماء السبع

(٢) يقول الطبرى: إن أم أنوش هى خرورة أخت شيث.(الطبرى ،جـــ١، ص١٢٧).

واستودعها أنوش عند قينان واستودعها قينان عند مهلائيل، ولما اختــار مهلائيــل زوجة كما كان الأمر واسمها آجرة، وحملت وجاء لها أخنوج وكان هــو إدريــس وذلك النور فى جبينه، فأودعه العهد نفسه والوديعة وقبلها وتزوج بروحــا وهــى أعظم النساء، ولد منها متشولخ وجاء لمتشولخ لمك، وكان لمك رجــلاً عظيمًــا ذا قوة، وتزوج قينوس بنت بركائيل، وجاء منها نوح عليه السلام بهذا النور الواضح، وربط لمك هذا العهد بنوح وقبل هذا وتزوج عمرية وكانت امرأة عظيمة مؤمنــة فجاء منها سام ونور المصطفى صلى الله عليه وسلم واضح عليه وقد اســتودعها نوح هذا النور وقبلته،. وأودع عنده تابوت آدم وكان هذا التابوت من درة بيــضاء وبابين من الذهب الأحمر وقفلين من الزمرد الأخضر، وزوجه امرأة مــن بنــات الملوك وهى امرأة لم يكن لها فى العالم نظير فى الحسن والجمال والعفة، وجاء منها أرفخشد وأحضر النور سام وأودع عنده النــور والتــابوت وقبلــه. وتــزوج أرفخشد مرغانة وجاء منها عابر وكان هوهود النبى صلوات الله عليــه وأحــضر النور وارتفع النداء من كل جهة أن هذا النور هو نور المصطفى صلى الله عليــه وسلم، وهو النور الذى يحطم الأصنام ويهلك الكفار، واســتودع أرفخــشد نــورًا وتابوت أبيه وقبله وتزوج ميشاخا وجاء منها فالخ ومن فالخ شــانخ ومــن شــانخ أرغوا ومن أرغوا أشروع ومن أشروع ناجور ومن ناجور تارخ ومن تــارخ آذر حتى تزوج بنت ثمر وجاء منها الخليل إبراهيم صلوات الله عليه وفى وقت ولادة إبراهيم ظهر له غلمان توجه أحدهما للمشرق والآخر للمغرب، وامتلأت الدنيا كلها بالنور، ولما ارتفع النور تجاه السماء مثل عمود حيث جاء صوت من هناك وظهر الملائكة وقالوا يا إلهى ما هذا؟ فجاء صوت إنه نور محمــد صــلوات الله عليــه، واتخذ إبراهيم عليه السلام الحجاب - كما كان ذلك لآدم عليه السلام - مــن قبــل حتى ظهر كل بنى آدم ولم ير أمة أعظم من أمم الأنبياء عليهم السلام أعظــم مــن أمة المصطفى عليه السلام، فأراد أن يسأله فجاء نداء أن هذا محمد ؛ يا خليل إنــه حبيبى - صلوات الله عليهما- ودون هذا ليس لى حبيب، لقد ذكرته قبــل خلــق

السماوات والأرض، وأبوه آدم كان فى ذلك الوقت بين الطين والروح، وأنت وهو فى درجة بلا ترديد وأنا أربط نورى بنوره ومنك إسماعيل صلى الله عليه وسلم وأمرت بالكرم والخير والعظمة حتى تكون معه رفيق الطريق، فأخبر إبراهيم سارة بما أظهره الله له، وطمعت سارة فى نور النبى صلى الله عليه وسلم وكانت تأمل فيه على الدوام حتى وجدته هاجر، ولما جاء إسماعيل وأحضر النور حزنت سارة وبكت من الغيرة، وقالت: يا إبراهيم ماذا حدث حتى أننى دون النساء جميعًا بغير ابن، وقال إبراهيم عليه السلام: لا تحزنى فإن الله منجز وعده، وظلت حزينة حتى جاء إسحاق وكبر وعندما حان وقت رحيل إبراهيم من هذه الدنيا، أحضر تابوت آدم وجمع أبناءه وكان له فى ذلك اليوم ستة أولاد، وكان لكل نبى فى هذا التابوت منزل فقال ارفعوا غطاء هذا التابوت، فرفعوا، ونظروا وظهرت بيوت ولد إبراهيم عليه السلام كلها وكان فى آخر البيوت بيت محمد المصطفى عليه السلام، ووجدوا كل أنسابهم وعرفوا نسب كل واحد، وإلى أى جيل ينتسب، وكان محمد صلى الله عليه وسلم فى بيت من الياقوت الأحمر وكان يصلى وعلى يده اليمنى رجل شيخ مطيع وقد كتب على جبينه: هذا أول من تبعه من أمته من المؤمنين كان هو أبوبكر الصديق، وعلى يساره الفاروق وكتب على جبينه فرق من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم، وكان هو عمر بن الخطاب، وكان خلف ظهره وقد كتب على جبينه: يا زين البرية ولب الخلفاء وكان هذا عثمان بن عفان، وأمامه كان على بن أبى طالب وقد استل سيفه ووضعه على العنق وقد كتب على جبينه: هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله تعالى وحوله المهاجرون والأنصار وقالوا: إن نور حوافر خيولهم متألق كالشمس الآن فى دار الدنيا. وبعد ذلك قال إبراهيم عليه السلام للأبناء: انظروا جيدًا حيث إن الأنبياء ارتبطت بمن منكم، ثم نظروا، فاتصلوا كلهم بإسحاق إلا محمد صلى الله عليه وسلم فقد انفصل عنهم واتصل بإسماعيل.

وظهر فى الحال النور على جبين إسماعيل فقال أبوه: بخ بخ هنيئًا لـك يـا بنى، فقد اختصك الله تعالى بهذا النور العظيم لخاتم الأنبياء، وأعطـاه عهـد أبيـه وتابوته وقبّله.

ثم تزوج هالة بنت الحارث وجاء منها قيدار وأحضر النور، ولما كبر أودعه إسماعيل العهد وأودعه التابوت وكان قيدار ملكًا.

وأراد باختيار هذا النور أن يجعله متصلاً بنسب إسحاق عليه الـسلام. وأراد الله تعالى أن تكون له عجائب كثيرة يظهرها فى نفسه وهذا آخر ما يريد الله.

قصة قيدار الملك بن إسماعيل فى حديث نور المصطفى عليه السلام

كان قيدار ملكًا وله سبع خصال لم تكن لأى ملك وكان يريد صيد كل ما يراه بالشبكة وإذا ما أراد، كان يرمى بالسهم بحيث لا يخطئ. والثالثة: لم يكـن هنـاك فارس يضارعه. والرابعة: لم يكن لشخص من البشر قوة مثل قوته. والخامسة: لم يكن أحد فى مثل شجاعته. والسادسة: لم يكن هناك أحد فى كرمه. والسابعة: لـم يكن لأحد قوته فى مجامعة النساء وتزوج مائتى فتاة من ولد إسحاق عليه الـسلام لعل هذا النور يتصل بأحد منهم، ولم يتصل وبلغ عمره مائتى عام ولم يولد له ولد، وفى النهاية مضى ذات يوم إلى الصيد ثم عاد ورأى الوحوش والطيور والـسباع، وقد اجتمعت فى مكان واحد فتعجب من ذلك فقالوا له، بـصوت واحـد وبلـسان فصيح وبكلام البشر: لماذا لا تفكر فى نور محمد المصطفى عليه السلام، حيـث إن الوصية والوديعة التى قبلتها لم تتمها وانقضى وقت من العمـر وقـد شـغلت باللعب، فعاد قيدار إلى داره محزونًا، وأقسم ألا يأكل ولا يشرب حتى يظهر الله له ماذا ينبغى أن يعمل، ومضت عدة أيام ولم يأكل شيئًا وكان يصلى فى وسط سهل

فجاءه ملك فى صورة إنسان جميل الوجه وفى ثوب من الهواء وسلم عليه، ورد عليه قيدار السلام، ثم قال له الملك: لقد ملكت عدة ممالك ومدن وكنـت مـشغولاً بالشهوات ولذات الدنيا، ألم يحن الوقت لتفى بالعهد وتؤدى نور محمد المـصطفى عليه السلام.

واعلم أنه لن يكون فى ولد إسحاق. أما الآن فينبغى الذهاب وأن تقدم القربان إلى الله تعالى وتقدس، وأن تطلب منه حتى يظهر قال هذا وصـعد إلـى الـسماء، وسرعان ما مضى قيدار إلى ذلك المكان الذى ولد فيه إسماعيل فنحـر سـبعمائة كبش أقرن من أكباش إبراهيم عليه السلام، وكلما قدم قربانًا هبطت من السماء نار حمراء وحملت هذا القربان إلى السماء وبعد الهواء جاء صوت: كفى فقد استجاب الله تعالى دعاءك وقبل قربانك امضى ونم تحت شجرة الوعد حتى يبدو لـك فـى المنام ما ينبغى أن تصنع فمضى قيدار إلى تلك الشجرة ونام. فرأى فى النـوم أن شخصًا يأتى ويقول له إن هذا النور الذى تملكه صنع الله منه كل الأنوار ولا يريد أن يصل إلى مكان آخر ما عدا الأطهار وبنات العرب ومن فتاة اسمها غاضـرة، فاستيقظ قيدار وابتهج[1]. وفى الحال أرسل الرسل إلى كل مكان يطلبون فتـاة تـسمى غاضرة، ولم يصبر على هذا وركب واستل سيفه وكان يطلب حتى وصل إلى ملك جرهم، وهو من ولد ذهل بن عامر بن يعرب بن قحطان، وكان له أخـت اسـمها غاضرة، وهى أجمل نساء زمانها وتزوجها وحملها إلى مملكته فحملت منه غاضـرة، ونظر قيدار فى يوم آخر فى وجه غاضرة فرأى النور فابتهج، وكان يملك تابوت آدم عليه السلام وكانوا يقولون له: يا ولد إسحاق أعطنا التابوت فأنتم تملكون نوره فاكتفى والأنبياء فى ولدنا ولم يعط وقال: أوصانى أبى (لقد أوصانى أبى)، ولما مضى يوم أراد أن يفتح التابوت ولكنه لم يفتح، وجاء صوت من الـسماء أن هـذا

(١) كتب هذا البيت فى حاشية الكتاب وترجمته:

كنت أرى سـحر دلاله فى المـنام فما أفضل مراتب النوم التى فى اليقظة

التابوت لا يفتح بيدك قبل أن تتم وصيتك وأعط التابوت لابن عمك يعقوب حتى يفتحه بيده وهو إسرائيل ويقول أبو محمد الترقفي[1]: إنهم يسمونه إسرائيل حيث كان فى بيت المقدس، وفى النهاية خرج كل شخص ودخل قبل شخص وعندما رأى المصابيح كلها أطفأها فتعجب من ذلك واختفى فى المسجد حتى يعمل هذا وبعد مدة وجد هذا الشخص وأمسك به، وربطه على عمود حتى دخل الناس فى الفجر ورأوه وكان جنيًا، واسمه قيدار وجعلوا اسم إسرائيل ليعقوب، لأنه كان قد أسر هذا الجن ولما جاء لقيدار الأمر أن أعط التابوت لإسرائيل، قال لغاضرة لا بد من تأدية هذه الوديعة لأنها أمانة عندى، وإذا مت وجاء لك غلام سميه حملاً، ثم أخذ التابوت ليحمله إلى كنعان وحمله على كتفه، وببركة هذا التابوت وصل إلى كنعان فى ساعة واحدة، وضعه على الأرض، فارتفع من التابوت نداء، ثم بكى يعقوب لأنه لم يشاهد هذا النور معه، قال يا ابن العم ماذا حدث لك، قال: لقد أعطيت نور محمد المصطفى عليه السلام وذهب(بعد) عنى، قال يعقوب هل أعطيته لأولاد إسحاق؟ قال: لا،أعطيته للأعرابية الجرهمية غاضرة قال يعقوب بأبنائى هؤلاء لم يكن لك شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا فى العربيات الطاهرات، يا قيدار لك البشرى فقد جاء لك البارحة ولد عظيم، فقال قيدار: أنت فى أرض الشام، وهو فى أرض الحرم فكيف علمت؟ قال : رأيت أبواب السماء مفتوحة وارتفع هذا النور إلى السماء فإن محمد المصطفى عليه السلام أوجده الله تعالى من هذا النور، فعلمت أنه كان موجودًا فى عالم الجهة، ولما كبر حمل، أمسك قيدار يده حتى يدله على مكة والمقام وموضع البيت، وعندما وصل إلى جبل ثبير، جاءه ملك الموت فى صورة آدمى وسلم عليه، وقال: أين تذهب يا قيدار، قال أريد أن أدل هذا الفتى على المقام والبيت الحرام قال: آهل خيرًا، أما فلك نصيحة

---

(١) نسبة إلى بلد " ترقف" التى ينسب إليها أبو محمد العباس بن عبد الله بن أبى عيسى الترقفى الباكسائى أحد أئمة الحديث توفى سنة ٣٦٨، أو ٢٦٩هـ. ياقوت الحمى: معجم البلدان (نقلاً عن تعليقات بهار).

منى، وأمسك بيده فقبض روحه من ناحية أذنه. وسقط قيدار ميتًا أمام ابنه، فغضب حمل، وقال قتلت أبى فقال ملك الموت انظر جيدًا حتى تعلم هل مات أم لا؟ فنظر حمل (فأراد حمل أن ينظر) فارتفع ملك الموت من أمامه إلى السماء، ونظر حمل فلم ير شيئًا وعرف الحال فجلس على رأس أبيه باكيًا، فأوجد الله السبب فوصلت جماعة من أبناء إسحاق عليه السلام وغسلوا قيدار وكفنوه ودفنوه، ووضعوه فى جبل ثبير[١] فبقى حمل وحيدًا يتيمًا ورضى الله تعالى عنه وقبله حتى كبر، وأصبح ملكًا ذا عز وشرف وتزوج امرأة من عظماء قومه الذين كان لهم العهد واسمها حربوة، وجاء له منها نبت وكان على شكل أبيه فى الجلالة والعظمة حتى جاء منه هميع وجاء لهميع أدد وأصبح له اسم عظيم فى الدنيا وتعلم العلم والأدب، وكان له فضل الكتابة على أهل زمانه وجاء عدنان لأدد، وقالوا له عدنان لأنه كان له عين الإنس والجن وأرادوا أن يحموه من الحسد، وقال العلماء والحكماء وعظماء العالم منهم، إن الله تبارك وتعالى وكل به مهما جهدوا حتى أنهم لم يستطيعوا أن يؤذوه، وجاء منه معد وسموه معد لأنه حارب كثيرًا وأغار كثيرًا فى بنى إسرائيل وكان على الدوام منصورًا مظفرًا. وجمع له مال لم يكن لأى ملك مثله فى الدنيا، وجاء منه نزار وسموه نزارًا لأن نور محمد صلوات الله عليه عندما ظهر فيه قدم قرابين كثيرة، وقال فى النهاية وإن كان ليس لى ملك ولا ملك فإن كل شىء أمام هذا النور قليل وكما جرت عادة قومه تزوج امرأة اسمها سعدة[٢] وجاء منها مضر وقالوا له مضر حيث إنه كلما وضع يده على قلب لم يكن أحد يراه، وكان سيد كل العرب، ومن هذا كتب كتابًا على كل أبنائه عهدًا وميثاقًا على جملة ما قلناه، وقد أخفوا هذا الكتاب فى بيت الكعبة منذ عهد إسماعيل عليه السلام إلى أن جاءوا بالفيل على

---

(١) ثبير: اسم جبل بمكة يقال: أشرق ثبير كيما نغير (مادة ثبر صحاح اللغة).

(٢) سعدة بنت عك (الطبرى)

مكة، ثم غير عمرو بن اللحى[١] كل ذلك. ثم تزوج مضر كزمة وكانت تسمى كزمة أم حكيم وجاء منها إلياس بعد أن يئست أن يولد لها ولد. وكان إلياس على الدوام يسمع تلبية حضرة الرسول عليه السلام ويقول للناس، حتى تزوج مخة وجاء له منها مدركة وسموها مدركة لأنها وصلت إلى مكانة عظيمة من الشرف والفضل، وتزوج بعد مدركة قرعة وجاء منها خزيمة[٢] وبقى خزيمة مدة بلا زواج لأنه لم يجد من تليق به ولكن رأى أن يتزوج مرة بنت أدين الطانجة[٣]، فتزوجها وجاء منها كنانة وتزوج كنانة ريحانة التى تسمى أم الطيب وجاء منها النضر وقد اختاره الله سبحانه وتعالى وظهر منه نور عظيم وسموه قريش (وقالوا له قريش) فكل من هم أبناء النضر قرشيون وكل من ليسوا منه فهم ليسوا قرشيين وكانت تلك الرؤيا التى رآها فى المنام.

رؤيا نصر بن كنانة وهو من سموه قريشاً

رأى فى المنام رؤيا، فقال: إن شجرة نبتت من ظهرى وتأصلت وارتفعت حتى عنان السماء ومدت غصونها فى العالم كله، وأصبحت هذه الأغصان كلها نوراً. ورأيت جماعة إلى حد أن الدنيا امتلأت بالناس وأمسك كل منهم بغصن من أغصانها، حتى رأيت سماء الدنيا ممتلئة بالناس، ولما استيقظت من النوم سألت علماء قريش فقالوا: إذا رأيت هذا الحلم فقد اختصصت بالعز والكرم ووصلت إلى منزلة لم يصلها أحد. وفى الحال نظر الله تعالى تجاه الأرض وقال للملائكة: من ذا

---

(١) عمر بن اللحى بن حارثة بن عمر بن الأزدى من ملك العرب فى الجاهلية، أول من أتى بالأصنام من بلقاء الشام إلى الحجاز، فجعلها فى الكعبة، دعا العرب إلى الاستشفاء بها والعبادة حولها ويظن أنه كان فى أوئل القرن الثالث للميلاد.

خير الدين الزركلى: الأعلام، جـ٢، ص ٧٣٧ (القاهرة ١٩٢٨).

(٢) يوجد بياض فى المتن صححناها كما وردت فى الحاشية.

(٣) الطانجة لقب عامر بن إلياس بن مضر لقبه بذلك لأنه طبخ العنب (صحاح اللغة مادة طنج).

فى هذه الأرض وفى هذا الزمان أكبر عندى وأعلم وأنا بهذا أعلم قالوا يا إلهــى العظيم لا نرى أحدًا يذكرك على الدوام فى الأرض إلا نورًا وهو تلك الوديعة التى عند أحد من أولاد إسماعيل عليه السلام. فقال الجبار جل جلاله: اشهدوا يا ملائكة لقد اخترته ببركة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقربته. وقد فتح له الحرم ومكة والعرب كلها وجاء منه مالك. وقالوا له مالك حيث إن العرب جميعًا كــانوا تحــت إمرته وجاء فهر من مالك. ومن فهر لؤي، ومن لؤى غالب ومن غالــب كعــب، ومن كعب مرة ومن مرة كلاب ومن كلاب قصى وسمى قصيًا لأنه طرح الباطــل بعيدًا وقرب الحق وهو الذى عمل أحكام العرب وجاء من قصى عبد مناف وكان له شرف عظيم حيث إن ملوك الأرض جميعهم أرسلوا إليه الهدايا والرسل وكــان معه لواء نزار وقوس إسماعيل وسقاية الحاج ومفاتيح الكعبة، وكان له خمسة أبناء وتسع بنات، وأول أبنائه كان هاشم وسموه هاشم لأنه هو أول من وضــع الثريــد ووضع المائدة للعالم كله. وقد أحضر هاشمًا هذا النور وقبل الوصية. وكانت كــل أمهاتهم إلى قرب حضرة الرسول طاهرات حرائر، وكلهن قبلن العهد ووفــين بــه وكان لكل منهن صداق عظيم لا يقل عن ألف دينار وكان أكثر، ويقول الأقدي: إن الله تعالى اختار هاشمًا وطهره وعرف الملائكة أن طهرت هذا العبد من كل شيء. وقد أثر فيه هذا النور بحيث كان فى جبينه مشرقًا كأنه هلال بدر أو كوكب درى. بحيث لم يشاهد مثل هذا إنس ولا جن إلا سجد، ووصل خبــره تجــاه قــسطنطين قيصر الروم، فأرسل إليه رسولاً قائلاً له إن لدى فتاة ليس فى الــشرق ولا فــى الغرب سواها وأنا أزوجك إياها، إلا أنه رفض، وبسبب هذا النور العظيم لم يتزوج حتى أظهر الله له فى الرؤيا أن يتزوج سلمى بنت زياد بن عمرو بــن لبيــد بــن خدادين عدى بن النجار فتزوجها وكانت من حرائر العرب كما كانت خديجة بنــت خويلد فى عهد الرسول عليه السلام، وكانت بكرًا وعاقلة وذات جمال وكمــال وجــاء منها عبد المطلب وكان هاشم نائمًا فاستيقظ، ورأى حلة من الجنة فارتداها، وزيــن المهد بحلل الجنة ورأى عبد المطلب هذه العفيفة فى المهد وقد كحلت عين أمهــا

وابنها وطلاها بزيوت لم ير مثلها قط فتعجب فأخذ حلة ومضى إلى (كهنة) قريش وقص عليهم القصة، فقالوا: إن الله تعالى أمر أن تزوج هذا الرجل العظيم وسوف يصبح عظيمًا. وزوجوه قيلة بنت عمرو بن عاجر وأصبح عظيمًا وقبل العهد وجاء له الحارث وماتت هذه الزوجة وتزوج هند بنت عمرو ثم حان أجل هاشم فقال لعبد المطلب اجمع أبناء النضر عندى عبد شمس ، ومخزوم ، وفهر ، ولؤى ، وغالب. وهاشم ما عدا أم عبد المطلب..؟ وكان عبد المطلب فى ذلك الوقت يبلغ الخامسة والعشرين وكان أجمل وأعقل أهل الدنيا، ولم يستطع أحد فى الدنيا أن يساجله (يفعل مثله) لما له من هيبة وشجاعة ويشم منه رائحة أجمل من رائحة المسك والكافور والعنبر، وتألق نور المصطفى صلى الله عليه وسلم فى غرته، وعندما رأى هاشم هذا النور وقد اجتمعت قريش كلها قال: اعلموا أنكم مخ ولد إسماعيل وقد اختاركم الله عز وجل وجعلكم خاصته، وأنتم سكان الحرم وسدنة بيته وأنا اليوم رئيسكم وسيدكم ولواء نزار وقوس إسماعيل عليه السلام فى يدى وسقاية الحاج ومفاتيح الأصنام وحماية وحراسة كل هذه الأشياء التى ذكرتها لكم أودعتها عند عبد المطلب وجعلته سيدكم. وكان لعظماء هذه الدنيا كلها خبر عن هذا النور وكانوا يؤمنون به ويرسلون الهدايا. وبما أن المطر لم يسقط على مكة فذهب السادة والعظماء واجتمعت قريش، ومضوا إلى عبد المطلب حيث جبل ثبير، فدعى فأرسل الله تبارك وتعالى المطر فى الحال، وكانت عجائب كثيرة له (وكانت له عجائب كثيرة) بفضل نور المصطفى عليه السلام.

فى قصة أبرهة الصباح[1] مع عبد المطلب الذى كان أول من قدم مكة

حينما قدم أبرهة فى المرة الأولى، وقصد تخريب مكة، قال عبد المطلب لعظماء العرب لا ينبغى شغل القلب بهذا الأمر، إنه لا يستطيع أن يخرب هذا لأن له ربًا قديرًا لا يدعه يصنع هذا وهو يحفظ هذا البيت. ثم جاء أبرهة حتى نزل بالقرب من هذا الحرم وساق جمال المكيين وخرافهم وكان فى وسطهم أربعمائة جمل أحمر لعبد المطلب، وعندما عرف الخبر جلس مع جماعة من عظماء قريش، وعندما وصل إلى جبل ثبير، وذلك النور يظهر على جبين عبد المطلب، وعندما سطع نور القمر ومن هناك أشرق على مكة، فتعجب عظماء قريش من هذا فقالوا: عاد هذا النور ولم يشرق قط على مكان إلا ظفر، وعاد وأشرق على مكة فعادوا من هناك، وبلغ الخبر أبرهة بأن رؤساء قريش قدموا ورجعوا فغضب، وكان له قائد ومعه ألف فارس يسمونه حباطة الحمير[2] فأرسله قائلاً: امض واحضر لى عبد المطلب فجاء ودخل مكة، ولما رأى عبد المطلب وعلى جبينه هذا النور خاف وارتعب وذهب عقله، ولما عاد إلى وعيه قال حقًا إنك سيد قريش ثم سجد له وقال يقول الملك أبرهة: إنك جئت ثم رجعت فما السبب؟ والآن يعمل الفضل ونحن فى ألم حتى نشاهده فركب عبد المطلب مع رؤساء قريش ومضى، ولما دخل فى وسط الجيش ومضى إلى الرسول مع الحاجب إليه حتى دخلا على الملك وقال ها هو ذا سيد قريش قد جاء، وعندما رآه أبرهة قال لا ينبغى تعريف هذا السيد فإن كل من يراه يوقن أنه السيد بهذا النور الكبير، ثم وقف وأمسك بيد عبد المطلب ورفعه إلى العرش وأجلسه وكان ينظر إليه باستمرار، فعاد ثم قال يا عبد المطلب كان هذا

---

(١) قال الجوهرى فى الصحاح (أبرهة بن الصباح أيضًا ملك اليمن كان عالمًا جادًا) أبرهة الأشرم من ملك اليمن ابن يكم صاحب الفيل، من هذا القرار فإن حكاية أبرهة صاحب الفيل معروفة مع عبد المطلب قد أشار إليها فى المتن.

(٢) ذكره ابن الأثير والطبرى فى تاريخهما حناطة الحميري.

النور لآبائك فقال عبد المطلب إن هذا ميراث وكان لكل آبائى مثل هذا، فقال أنت شرف الملوك والعظماء، ونظر إليه ثانية وكان له فيل أبيض وهو كبير إلى حد أن سنه كانت مرصعة بالجواهر وكان يفخر على الملوك كلهم بهذا الفيل، وكانت كل الفيلة تسجد لأبرهة ولم يسجد فيل فأمر، وقال: احضروا هذا الفيل فأحضروه أمامه مزينًا، ولما رأى الفيل عبد المطلب ركع وسجد له، وصاح بلغة الآدميين بحيث سمع الخلق كلهم صوته سلام على تلك العظمة التى على جبينك فإن شرف الدنيا والآخرة وعزهما فيه يا عبد المطلب إنك لن تذل ولا ظفر لأحد عليك وتعجب الملك من ذلك وخاف فى قلبه أن يكون عبد المطلب ساحرًا فنادى سحرته وكهانه فقال لهم قولوا لى الحق فما السبب فى أن هذا الفيل لم يسجد لى فقال ساحر إن هذا النور الذى هو مودع فيه يخرج فى آخر الزمان وأنه محمد ويشمل كل الدنيا وهو يذل الملوك ويصلح دين هذا البيت(يعنى يجدد دين إبراهيم صلوات الله عليه) وزاد ملكه كثيرًا عما كان للملوك السابقين فى الدنيا حتى الآن، ثم قالوا مرنا حتى نقبّل يد عبد المطلب وقدمه جميعًا، فأمرهم فقبّلوا يد عبد المطلب وقدمه ، ثم نهض الملك وقبّل رأسه وأعطاه عطاء جزيلاً ثم أعاد إليه الجمال والخراف كلها، وعاد عبد المطلب من هناك وتزوج هالة بنت الحارث، وجاء منها أبو لهب وكان اسم أبو لهب عبد العزى، وكان كافرًا وشيطانًا رجيمًا، ثم تزوج سعدى بنت غياث وجاء منها العباس، وجاء منه الأمراء والخلفاء وجاءت صفية منه وتزوج حميدة وجاء منها حمزة سيد الشهداء ورأى ذات يوم كلاً من جحل بن عبد المطلب وعاتكة بنت عبد المطلب فى المنام فاستيقظ من نومه خائفًا وهكذا مضى مسرعًا ويقول العباس: إنى كنت كبيرًا وذهبت من بعد أبى حتى أقبل عليه كهنة قريش ماذا حدث يا أبا الحارث، قال: رأيت حلمًا وخفت منه، قالوا ماذا رأيت؟ قال رأيت سلسلة خرجت من ظهرى ولها أربعة أطراف مضى واحد وشمل الشرق، والآخر مضى وشمل المغرب وواحد صعد إلى السماء وواحد دخل فى الأرض وكنت أنظر إليه حتى أصبحت هذه السلسلة شجرة وقد جمعت كل شيء وكلما اخضرت

وحملت انتشر النور فى كل مكان من هذه الشجرة وكلمـــا كنـــت أنظـــر رأيـــت شخصين عظيمين عليهما الهيبة فقلت لأحدهما من أنت؟ قال ألا تعرفنى؟ قال : لا. قال: أنا نوح نبى رب العالمين. وقلت للآخر من أنت؟ قـــال أنـــا إبـــراهيم خليـــل الرحمن. فاستيقظت، فقال الكهنة إذا كان حلمك صادقًا فمن ظهرك يخرج ولد يؤمن به أهل السماوات والأرض ويظهر العلم فى الدنيا والآخرة، ثم مرَّ على عبد المطلـــب وقت لم يتزوج فيه أى امرأة، حتى رأى ثانية فى المنام من يقول له تزوج فاطمة بنت عمرو فتزوجها وأمهرها مائة جمل أحمر ومائة رطل من الذهب الأحمر فجاء له منها أبو طالب وآمنة بنت عبد المطلب ولم يخرج هذا النور قط منذ أن خـــرج يومًا للصيد ورجع متعبًا، ورأى ظلاً كبيرًا وقد نزل الماء عليه وشرب منه ومضى إلى منزله وفى تلك الليلة مضى هذا النور وعرف أحبار الشام جميعهم فى الحال عن ولادة عبد الله وسبب هذا أنه كان لديه صوف أبيض ليحيى بن زكريا عليهمـــا السلام وقد جف دمه عليه وقد كتب على الجبة أنه كلما شـــاهدتم الدم يقطـــر مـــن هذه الجبة قطرة قطرة وتصبح الجبة بيضاء اعلموا أن عبد الله والد محمـــد عليـــه السلام قد جاء فى هذه الدنيا وكانوا يحصون اليوم والشهر والسنة، وعنـــدما رأوا أن الدم أصبح قطرة وأصبحت الجبة بيضاء عرفوا أنه بعد أن يكبر يـــأتى اليهـــود يطلبونه حتى يقتلوه، وحفظه الله تعالى حتى أن أعينهم لم تقع عليه فرجعـــوا ولـــم يروه وكل من رآه فى الشام قادمًا من مكة سألوه عن عبد الله وكانت قريش تمدحه بصورته وجماله وكماله، وكانت اليهود تقول: إن ذلك ليس نور عبد الله ثم قـــالوا لمن؟ قالوا: لمحمد ابنه عليه السلام الذى يظهر النبوة آخر الزمان ويحطم الأصنام ويأتى بدين إبراهيم عليه السلام وقد بلغ عبد الله فى الحسن إلى حد أن النساء جمـــيعهن افتتن به وأصبح يوسف عصره، وكانت النساء الكاهنات جميعهن يعرضن أنفسهن عليه وقال: لا طريق إليكن إلىَّ وقال: كل عجائب أمره لأبيه وخرج ذات يوم إلـــى بطحاء مكة فرأى نورًا خرج من جبينه وتفرع فرعين أحدهما اتجه إلـــى الـــشرق واتجه الآخر إلى الغرب، واجتمع فى جبينه فقال الأب: لا يمر طويلاً زمان حتى

يأتى منك ولد تسخَّر له الدنيا كلها، وكان أحبار الشام يقصدون إهلاك عبد الله على الدوام حتى قدم سبعون رجلاً من هناك وقدموا خفية وجلسوا فى كمين حتى خرج عبد الله للصيد فمضوا إليه والتفوا حوله ثم رأى وهب بن عبد مناف من بعيد وكان والد آمنة وجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأراد أن ينصر عبد الله وجاء من السماء فرسان (ورأى فرسانًا جاءت من السماء) فقتلوا اليهود جميعًا فأخذه العجب من هذا وذهب فى الحال إلى داره وقال لبرة وهى أم آمنة يجب أن نبذل الجهد لكى نعطى ابنتنا لعبد الله قبل أن يخرج من اليد فجاءت برة إلى عبد المطلب قائلة له: أعط ابنتى آمنة إلى عبد الله. فقال عبد المطلب: ليس أحد من أبنائى أفضل من آمنة. وبعد ذلك أعطاها الأب لعبد الله ومرضت مائة امرأة من قريش ومتن بغمهن، وكانت آمنة أجمل وأطهر نساء قريش، وتم ذلك بأمر الله تعالى وتقدس فى غرة شهر جمادى الآخر ليلة الجمعة أودع عبد الله هذا النور عند آمنة، وفتحت أبواب الجنة فزفت البشرى ملائكة السماوات والأرض جميعها بأن محمدًا عليه السلام وجد فى هذه الليلة. وفى هذه الليلة نكست كل الأصنام الموجودة فى الدنيا ونكس عرش إبليس اللعين، وسقط فى البحر وزجه أحد الملائكة فى البحر أربعين يومًا ليحترق بالشمس حتى أنه حرره فى اليوم الأربعين وقد صعد إلى جبل بوقبيس(١)، هاربًا محترقًا وناح حتى اجتمعت عليه جميع الشياطين، فقالوا: أيها الرئيس! ماذا وقع؟ قال: لقد هلكت فمثل هذا العصر لم يكن لنا قالوا قل الحال، قال خرج محمد ابن عبد الله عليه السلام بسيف قاطع، فبعد هذا ليست لنا قوة فغير الأديان وحطم الأصنام وأهلكها ويصبح دين وحدانية الله فى الدنيا ظاهرًا، وأن محمدًا وأمته هما السبب فى أن الله تعالى جعلنى لعينًا طريدًا، والآن ضاق الحال بى ولا أعلم ماذا أصنع وإلى أين أمضى؟ قالت العفاريت: لاتخف فإن الله سبحانه خلق بنى آدم سبع طبقات وكل طبقة منهم كانت لها قسمة، وتركوا الطبقات الست التى كانت أعظم وقد أنصفنا أنفسنا منهم ونجتهد عليهم أيضًا، ثم قال إبليس:كيف نسيطر عليهم

---

(١) بوقبيس: اسم جبل مشهور فى مكة المكرمة ويقع فى الناحية الشرقية منها.

وفيهم خصال فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكــر ويقيمــون الــصلاة[1] ويدعون الله ويحجون ويغزون ويزكون ويقرأون القرآن، قالوا: نتوسل علــى كــل جماعة بهذا الشئ فنتوسل على العالم بالعلم وعلى الجاهل بالجهــل وعلــى الزاهــد بزهده وعلى صاحب الرياء بريائه ونزين الدنيا فى عيونهم حتى نفسد الــدين علــيهم، قال إبليس: إن هؤلاء يعتصمون بالله، قالوا : نحن نلقى الهوى والبدع بينهم ونجعل هذا جميلاً فى قلوبهم فضحك إبليس وقال: الآن سر قلبى، وفى ذلك العام الذى ولــد فيه الرسول عليه السلام كان عام قحط وقد عجزت قريش وعندما جاءت(هطلــت) الأمطار واخضرَّت الدنيا كلها، وجاءت الوفود من كل مكان إلى قــريش، وســموا هذا العام عام الفتح، والآن سنة الفتح معروفة بينهم، وكان لعبد المطلب الحكم على العرب جميعهم فى هذا العام، وكان يخرج كل يوم يطوف ولما طاف رأى شخصًا عظيمًا فوقف أمامه على تلك الصورة التى جاء بها المصطفى عليه السلام، وكان يقول للناس: إنى أرى شخصًا كأنه قطعة نور ثم نظرت قريش ولم تشاهده، وفــى تلك الليلة قالت الجياد جميعها التى كانت عند قريش بلسان فصيح ، قسمًا بالآلهــة مع إله الكعبة إن محمدًا قد خلق، وهو أمان على الدنيا وسراج أهلها، وفــى تلــك الليلة يئس الكهان كلهم بعضهم من بعض ومضى وولى عنهم علمهم وقد نكست فى هذه الليلة عروش ملوك العالم جميعها، وقد رأوا فى الفجر ألسنتهم جميعًا قــد انعقــدت فما استطاعوا أن يقولوا هذا الكلام إلى الفجر وبشّرت وحوش الأرض وهوام البحر بعضها بعضًا بولادته عليه السلام، وكانت الملائكة تنادى فى الأرض والسماء قائلــة: قد جاء وقت ظهور أبى القاسم صلى الله عليه وسلم، فقد مضت تسعة شهور - بلا ألــم ولا حرقة ــ فظهر فى العالم ولم يكن قد ولد بعد، وانتقل أبوه إلى العالم الآخر.

---

(١) المؤلف متأثر بالقرآن الكريم ويقول الله عز وجل : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بــالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) [آل عمران، آية ١١٠] .

ولادة محمد المصطفى عليه السلام

يقول محمد بن موسى الخوارزمى[1] فى تاريخه: إن مولد المصطفى كان يوم الاثنين لثمانى ليال خلون من شهر ربيع سنة الفيل، وبعد ذلك بخمسين يومًا ولد، بعد ذلك هلك أصحاب الفيل وفى السابع عشر من شهر ذى الحجة والعشرين من شهر نيسان سنة ٨٨٢ من وقت ذى القرنين[2] وفى ذلك اليوم كانت الشمس فى عشر درجات من برج الثور، والقمر فى برج الأسد فى ثمانى عشرة درجة وعشر دقائق، وزحل فى برج العقرب بتسع درجات وأربعين دقيقة راجعة، والمشترى فى برج العقرب فى درجتين وعشر دقائق راجعة، والمريخ فى السرطان بدرجتين وخمسين دقيقة، والزهرة فى برج الثور فى اثنتى عشرة درجة وعشر دقائق، وعطارد فى الحمل بتسع درجات وأربعين دقيقة ، وقالت أمه: جاءنى صوت إذا كان لك ولد فأسميه محمدًا. فإنه سيد العالمين، وفى يوم الاثنين كنت وحيدة وكان عبد المطلب يطوف ودخل الرعب قلبى ورأيت جناح طائر أبيض يمسح على قلبى وأصبحت ساكنة، وفارقنى كل غم وألم فنظرت ثانية فرأيت كأسًا فأعطونى إياها

---

(١) محمد بن موسى أصله من خوارزم، وكان منقطعًا إلى خزانة الحكمة للمأمون وهو من أصحاب علوم الهيئة، وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجه الأول والثانى ويعرفان بالسند هند. وله من الكتب كتاب الزيج نسختان أولى وثانية وكتاب الرخامه وكتاب العمل بالإسطرلابان وكتاب التاريخ.

(ابن النديم: الفهرست ، ص ٣٨٣ ، القاهرة ١٩٧٠) .

(٢) اختلف المؤرخون فى تحديد ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول ابن الأثير: انه ولد فى العشرين من نيسان الموافق الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٤٢ للملك انوشروان وسنة ٨٨٢ بالتاريخ الرومى ويقول الطبرى: ولد ليوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٨١٠ من التاريخ القديم الموافق ٢٠ من نيسان سنة ٨٩١ بالتاريخ الرومى .

ويقول المسعودى: ولد عليه السلام لعام الفيل لثمان من ربيع الأول وقيل لعشر وهو اليوم الثامن من ديماه من بدء الملك بختنصر يوافق اليوم العشرين من نيسان سنة ٨٨٢ بالتقويم الرومى .

قلت: لعله لبن وكنت ظمأى فشربت، فرأيت نورًا ظهر مثل نخلة تنمو ورأيت ثانية نساء على نور مثل بنات عبد مناف وقد التففن حولى ثم رأيت ديباجًا أبيض جـاء فى الجو والتف حولى، وجاء نداء احفظيه من أعين الناس ثم رأيت أناسًا فى الجو وفى أيديهم أباريق من فضة مملوءة من هذا الماء جاءت على وجهى قطرة طيبـة الرائحة وأطيب من المسك وكنت أقول: ليت عبد المطلب جاء إلى جانبى، ثم رأيت طائرًا ودخل حجرتى ومنقاره من الزمرد وريشه من الياقوت الأحمر، وعندما هبط فتحت لى الدنيا. ورأيت من الشرق إلى الغرب. ورأيت ثلاثة أعلام غرس أحـدها بالمشرق والآخر بالمغرب والثالث على سطح الكعبة ثم ضاقت الحـال وأمـسكت النساء بيدى وولدت محمدًا عليه السلام، فنظرت فكان ساجدًا على الأرض وقد رفع إصبعه فى الهواء متضرعًا، فنزل سحاب أبيض من الجو وحمله وجاء صـوت احملوا الرسول عليه الصلاة والسلام من الشرق إلى الغرب وإلـى البحـار حتـى يعرفوا صفته وصورته ويقولون إنه الماحى وقد انمحى به الشرك والكفر كله ولـم يمض طويل زمان ثم نظرت ثم أحضروه ملفوفًا فى قطعة فى صوف أبيض من الحرير، وكان كل شىء تحته حرير أخضر وبه ثلاثة أربطة من اللؤلـؤ المبلـول وثلاثة مفاتيح أيضًا من اللؤلؤ، وكتب على الثلاثة مفتاح النصر ومفتـاح الـشريعة ومفتاح النبوة، وفى الوقت جاءت سحابة أخرى أكبر منها، ومن هذا جاء صـوت الخيول وصوت الطيور وصوت كلام الناس وغيبوه عنى ساعة، وسمعت صوتًا أن طوّفوا محمدًا عليه السلام بالمشرق والمغرب وعلى مواليد الأنبياء علـيهم الـسلام وعلى أرواح الإنس والجن والطيور والسباع والحيوان، وقد أعطيته (وهبته) صفوة آدم ورقة نوح ويعقوب ووجه داود وصبر أيوب وزهـد يحيـى وكـرم عيـسي، فحملوه، وجاءوا به فى الحال ولفوه فى حرير أخضر، وصاحوا، حبذا محمد جعـل العالم كله فى يده حتى الرجال الثلاثة الذين كنت رأيتهم فى الجو جاءوا بـإبريق وطست وهذا الماء الذى هو أطيب رائحة من المسك، وأمسكوه وغسلوه به، وجـاء واحد وبيده خاتم يتألق مثل الشمس وغسلوه سبع مرات، وبهذا الخاتم ختمـوا بـين

كتفيه هذه قبلة محمد علية السلام، ووضعوه فى وسط الحرير وكان حبل من المسك وربطوه ربطًا محكمًا وحمله واحد من هؤلاء الثلاثة، وقبله بين عينيه وقال ثانية يا محمد البشرى لك فلم يكن لنبى علم إلا أعطى لك وعلمك الخاص زيادتها ومفتـــاح النصر معك، ولا يسمع أحد قط اسمك دون أن يخاف، ثم رأيت رجلاً آخر فوضـــع شفته على شفته وسلمه شيئًا كما تزق الحمام وليدها (فرخها) الحبة، وقـــال محمـــد زدنى زدنى وأشار بيده نحو السماء، فرأيت شيئًا يبدو كأنه البدر فى ليلة الرابـــع عشر، ووضعه أمامى خذ سيد الأولين والآخرين فقد أدرك عز الـــدنيا والآخـــرة، وذهبوا، وبعد ذلك لم أر أحدًا. ويقول عبد المطلب كنت فى تلك الليلة فى الكعبـــة عند مقام إبراهيم عليه السلام، وقد رأيت الكعبة ساجدة ثم وقفت وقالـــت بـــصوت فصيح الله أكبر الله أكبر رب محمد عليه السلام، والآن طهرنى الله تعالى ونجـــوت من المشركين فنكست الأصنام كلها ونادى مناد أن آمنة ولدت محمدًا عليه الـــسلام وها هو ذا غسل مرتين فى طست وإبريق وماء الفردوس وقلت لعلى أرى هذا فى المنام، فقلت سبحان الله فاستيقظت فخرجت من باب بنى شيبة إلى بطحـــاء مكـــة ورأيت الصفا و المروة تتحركان، وقالوا لى: أين تذهب يا سيد قريش ولـــم أجـــب مطلقًا فقد كان قلبى مقيدًا بحديثه، حتى أمضى إلى آمنة وأنظر ماذا حدث، وعندما وصلت إلى هناك، رأيت طيور الدنيا جميعها قد وقفت فى الجو وقد أظلت سحابة بيضاء حجرتها، فحاولت كثيرًا حتى جئت بنفسى كى أطرق الباب، فنادتنى آمنـــة بصوت خافت وجاءت وفتحت الباب ونظرت إلى وجهها فلم أر النور فى جبينهـــا ولم أر عليه أى علامة، ومن ضعف إدراكى أردت أن أمزق حريره، فقالت آمنـــة: ماذا كان فقلت أين النور فقالت جئت بالتمام ها هى ذى الطيـــور تقـــول لـــى لا تفرطى فيه حتى تربيه وتقول هذه السحابة أعطيه لى كى أربيه قال عبد المطلب: أرنى قالت لا أستطيع اليوم فإن شخصًا جاء يقول لا طريق لأحد إليه قبل مـــرور ثلاثة أيام فسحب (استل) عبد المطلب السيف ومضى إلى باب الحجرة ويقول: رأيـــت رجلاً مخيفًا خرج لى واستقبلنى، وقال ارجع وإلا أهلكتك قال لقد ضـــعفت يـــدى

ووقف (بكم) لسانى وغطى سيفه (أى وضع السيف فى جرابه) ثم قال لـى قبـل مرور ثلاثة أيام حتى تأتى الملائكة جميعها ويزورونه ثم يراه الآدميون ويقول ابن عباس: فى أسبوع ليلاً ونهارًا لم يستطع عبد المطلب أن يتكلم، ثم يقول لقـد تنازعـت هذه السحاب والطيور و الرياح والجن قال كل منهما أنا أرضعه ثم سمعت مناديًـا أن أحدًا لا يرضعه إلا الآدميون ثم يئست ثم جاء صوت طوبى لمن يرضعه حتـى قدر الله تعالى وتقدَّس له حليمة بنت أبى ذويب السعدية، تقول : إنه كان فى هـذه السنة قحط كبير (شديد) وكنت أعانى ألمًا كثيرًا وفى هذه الليلة التى ولد فيهـا محمـد عليه السلام رأيت رؤيا (فى منام) ملكًا يمسكنى ويرفعنى فى الهواء، ورأيت نبـع ماء لم أر مثله مطلقًا وقال اشربى فشربت فقال مرة ثانية اشربى فـشربت أيـضًا فقال: أصبح الآن لبنك غزيرًا وسيأتى إليك رضيع هو سـيد الأولـين والآخـرين فاستيقظت من النوم فوجدت لبنى كثيرًا وبه قوة ولم يكن للجوع طريقًا لى بعد ذلك، وفى اليوم الآخر قالت لى نساء بنى سعد يا حليمة إنك اليوم مثل بنت الملك ولـم أقل لهن شيئًا مطلقًا حتى مضيت (صعدت) إلى الجبل لطلب الحطب و الحـشائش فسمعت مناديًا ينادى لماذا لا تذهبين إلى مكة و الحرم وتتـسلمين سـيد الأولـين والآخرين وترضعينه فى الدارين ونزلت (هبطت) النساء وأنا معهن أيضًا وسـلكنا الطريق فكلما بقيت فى مكان وحدى كانت تقول لى النباتات والحجارة كلهـا لقـد فزت بأفضل الخلق فلا تحزنى أبدًا، وعندما جئت (وصلت) حتى وجدت نساء بنى سعد كلهن قد ذهبن إلى مكة فقلت لصاحبى، يجب أن نذهب إلى هناك أيـضًا، فركبـت حمارًا ومضيت مع صاحبى إلى مكة وعندما وصلنا كانت هذه النساء قد دخلن مكة وأخذن كل الأطفال الذين لهم أب وأم، ولكنى رأيت رجلاً عليه العظمة أمام نخلـة خرجت من وسط الجبال ويقول يا حليمة ذلك بقى لك فاطلبى سيد العرب، وعنـدما وصلت إلى هناك قلت لصاحبى من سيد العرب، قال عبد المطلب، ثم ذهبت إلـى مكة فرأيت النساء اللاتى أخذن أطفال (أبناء) قريش وقد أخذت كـل مـنهن شـيئًا ورجعن وعدن ورأيت عبد المطلب يقول: هل منكن يا نساء بنى سعد مـن تربـى

ابنى فقلت: أنا قال ما اسمك؟ قلت: حليمـــة قال: بخ بخ نعم المربية. قلـــت علـــى الرغم من أنه ليس له أب فإن ما رأيته فى منامى وما قيل لى ليس بخطأ وذهبــت معه ومضى يتقدمنى ويمشى حتى حجرة آمنة وفتح الباب وهكذا قلت وخيل لى من الرائحة أن باب الجنة قد فتح، ودخلت ورأيت آمنة كالقمر فى ليلة الرابع عشر أو كوكب دري، وإذا علمت وذهبت إلى تلك الحجرة كانت الرائحة جميلـــة، وهكـــذا قلت: كأننى كنت ميتة وأصبحت الآن حية، وكانت هذه الروح ونظـــرت فرأيـــت محمدًا نائمًا فى صوف أبيض، وعلمت أنه ليس من صنع مخلوق وفـــى حريـــر مكتوب منقط وحرير أخضر، وكان يظهر من رائحة كل قميص ولونه أنه ليس من صنع مخلوق وأنه من صنع الله تعالي، واستغرق فى النوم وعندما رأيـــت نـــوره وبهاءه أردت أن أنثر روحى أمامه ولم يطاوعنى قلبى كى أوقظه وأردت أن أضع ثديى فى فمه ففتح عينيه وابتسم وإذا بالنور يخرج من عينيه ويرتفع إلى الـــسماء، فتحيرت وقبلته بين عينيه وأعطيته ثديى الأيمن فرضع ولما أردت أن أعطيه ثديى الأيسر أبى (رفض) ولم يأخذه. يقول ابن عباس: كان عليه السلام عدلاً.

فأخذته وأتيت به إلى صاحبى (وحملته عند صاحبى) وعنـــدما رآه ســـجد لله تعالى شاكرًا وقال ما رجع أحد إلى داره أكثر منا غنى، ثم أرسلت أمه إليَّ مـــن يخبرنى ألا أخرج به من بطحاء مكة قبل أن أراك لأن لى وصـــايا لـــك بـــشأنه، ومكثت هناك ثلاث ليال وتيقظت ذات ليلة فرأيت رجلاً كانت تخرج (تسطع) منـــه الأنوار إلى السماء (تسطع منه الأنوار وترتفع إلى السماء) يحتضنه فى مهـــده ويقبلـــه فأيقظت صاحبى فقال اسكتى فإنه منذ أن ولد وليس ليهود العالم من نوم ولا قـــرار وعليك أن تخفى كل ما ترين منه ثم مضيت إلى أمه وودعتها وذهبت. وجلـــست على حمارى هذا، وحملته أمامي وولى الحمار وجهه ناحية الكعبة، وسجد وأشـــار لشيء برأسه وذهبنا، وتعجبت هؤلاء النساء منى، يا بنت ذويـــب إن الـــذى كـــان

يمشى معنا ليس حمارًا . إنه جمل بختى[1] فقلت إن هذا ليس حمارًا إن هذا شيء آخر عظيم، عندما قلت هذا قال الحمار: كنت ميتًا وأصبحت حيًا وخطفتك وأصبحت سميناً ومن يعلم عن بركات خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وفى الوقت سرعان ما ذهب إلى خيولهم ورجالهم كلهم، وقد نما فى كل مكان وصلت إليه نبات أخضر حتى أكل حمارى وعندما وصلت إلى المنزل فإن الخراف والجمل وحمارى هذا وكل ما ملكته قد زاد من النتاج ومن اللبن ومن السمنة حتى أصبح مالى كثيرًا من بركته، وذلك الشخص الذى اتصل بى وعرفنا وكنا نعتز به جميعاً ثم سمعت أنه قال ذات يوم الله اكبر الله اكبر والحمد لله رب العالمين، فتعجبت منه كثيرًا ولم أر قط بوله ولا غائطه حيث لا ينبغى الغسيل ولم يلعب مع الأطفال قط وقال لى ذات يوم أين أصحابي؟ قلت خراف مضوا بها إلى المرعى وتعود فى الليل فبكى، وقال لماذا لا ترسلينى معهم، قلت فدتك نفسى أرسلك فى الصباح فمسحت عليه بالزيت فى الفجر وكحلت عينيه وطوقت عنقه بالجذع اليمانى ووضعت عصابة عليه تمنعه من الحسد، وكان يمضى مسرورًا ويأتى مسرورًا حتى جاءنى ذات يوم فى وقت الظهيرة ابن ضمرة وجاءنى باكيًا وعرقانًا وقال: افهموا محمدًا قلت ماذا حدث قال إن رجلاً أخذه من وسطنا وحمله إلى رأس الجبل ورأيته يمزق بطنه ولا أعلم ماذا صنع، وأسرعت أنا وأبوه إلى هناك جريًا فرأيناه جالسًا على رأس الجبل وعيناه فى السماء وتبتسم فرميت نفسى وقبلته بين عينيه وقلت: ماذا جرى يا روحى ودنياى قال: يا أمى لا شيء إلا الحسن، ولكن فى الوقت الذى كنت مشغولاً فيه بالحديث مع أخى رأيت ثلاث صورعظيمة حتى دعونى فرأيت فى يد أحدهم إبريقاً مضيئًا وفى يد الآخر طستًا من الزمرد الأخضر به ثلج وأخذونى وحملونى إلى رأس هذا الجبل وفتحوا بلطف

---

(١) نوع من الجمال القوية ذات السنامي، وتوجد بكثرة على حدود السند وكابل وغالبًا كان الملوك يرسلونها هدايا إلى الخلفاء من سجستان ونيمروز وكابل والسند وقد ذكر البعض أنها منسوبة إلى يختان وهى الاسم الأصلى لأفغانة، وقد ذكر البلعمى أن بختى مكان موجود على ساحل دجلة.

وشفقة صدري، فنظرت فلم يجد الأذى لى طريقًا وأدخل واحد منهم يده فى جوفى وأخرج كل شيء كان فى جوفى، وبهذا الثلج طهرونى وغسلونى ووضعونى فى مكان آخر، فنهض آخر وقال لرفيقه أنت أتممت فيجب تنفيذ أمر الله تعالى فوضع يده وأخرج قلبى وقسمه شطرين وأخرج نقطة سوداء كانت هناك فى الـدم قلـت أخذت ذلك الشيء الذى تعلق به الشيطان والآن يا حبيب الله ليس للشيطان طريـق إليك، فنهض الثالث وقال أنا أنفذ الأمر أيضًا فأنزل يده على صدرى فـتم شـفاؤه كله، ولم يبق أى أثر مطلقًا ولم يكن لى من هذا أى ألم مطلقاً فقال أعـط هـذا لعشرة أشخاص لكى يزنوه فكان زيادة فقال أعطه لمائة شخص لكى يزنوه فـزاد وزنه أيضًا فقال: دعه إذا وزنته بالعالم كله لرجح هو وأمـسكونى بلطـف ورقـة وأوقعونى على الأرض وقبلونى على رأسى وعينى وقالوا ألا تعلـم أى خبـر سوف يأتى لك يا حبيب الله ولكن سترى ولكنه لن يتأخر وتركـونى فـى هـذا المكان الذى نراه، وارتفعوا إلى السماء ولو أردت أن أبين لك إلى أى مكان فـى السماء دخلوا، قالت حليمة: فأخذته وأحضرته إلى بنى سعد وكان الناس قد سـمعوا هذا الخبر فقالوا يجب حمله إلى فلان الكاهن حتى يعالجه فقال النبى (ﷺ) لـست فى حاجة لأى معالجة فإن جسدى وعقلى وقلبى صحاح بحمد الله تعالى وفـى النهاية قال الناس: إن هذا العمل عمله الجن فقال: سبحان الله ليس بى شيء وأنـا أعلم منكم بشأنى وفى النهاية نفد صبرى حتى أخذته وحملته إلى الكاهن وطلبت أن أعيد القصة فقال الكاهن: دعيه حتى يقول الغلام بنفسه فالتفت إليه وقال: قل يـا غلام قال محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام القصة من البداية إلى النهاية فقفز الكاهن على قدميه خائفًا وأخذه وصاح يا آل العرب يا آل العرب اقتلوه فإن شـرًا عظيمًا قد اقترب بسبب هذا الغلام، فإذا ما وصل سن البلوغ فإنه يحطم أصـنامكم ويهلك دينكم ويتركم بلا إله إذ إنكم لا تعرفوه قالت حليمة: وعندما سمعت منه هذا قلت من أنت حتى تقتله، أنا لا أقتل محمدًا ولو علمت بأنى أرى هذا الشيء وأسمع ما أحضرته، ثم أحضـرته إلى المنزل، وعنـدما مضيت به إلى بنى سـعد قـال

بنو سعد جميعهم إن رائحة المسك تأتى منه حيث ملأت المنزل كله وعندما كبر كنت أرى كل يوم فى النور أن نورًا يأتى من الجو ويختفى فى ثيابه ولما كان الحال هكذا قال الناس لحليمة ثانيةً أرجعيه إلى عبد المطلب حتى يخرج عهدتك فأخذته ومضيت ولما خرجت إلى الصحراء صاح ونادى من الجو هنيئًا لك ببطحاء مكة وقد عاد إليك النور والدين ووصل البهاء والكمال إليك وتطهرت من الشرور ونجوت من الخراب وعمرت وركبت حمارى وحملته أمامى حتى وصلت إلى باب مكة الأعظم، وكان هناك جماعة جالسون ونزلت ووضعته وقلت: حتى أقوم بعملى فارتفع صوت شديد فنظرت ولم أره وعجبت وقلت: يا أيها الناس أين ذهب هذا الطفل قالوا أى طفل: قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى أصبح فقرى به ثراءً وأصبح مرضى عافية وكثر فرحى به وانصرف عنى الغم كله فأحضرته حتى أودعه إلى أبيه عبد المطلب والآن لا أعلم أين ذهب وإن لم أعثر (أجد) عليه ثانية ألق نفسى (جسدي) من فوق الجبل وأمزقه وبكيت وبكى الناس كلهم رحمة علىَّ، فوضعت يدى على رأسى وصحت: يا محمداه ــ يا ولداه فاجتمع علىَّ (عندى) أهل مكة فرأيت شيخًا يتوكأ على عصا فقال لى : تعالى حتى أحملك إلى مكانه حتى يقول لك أين هو فقلت: فدتك نفسى من هو قال: الصنم الأعظم هبل[1] فهو يعلم ويقول لك فى أى مكان فقلت فى نفسى لتبكى عليك أمك فإنى لا أعلم ما الذى حدث (وصل) بهبل بولادة محمد عليه الصلاة والسلام وما الذى وصل إليه بعد ذلك الآن ولكنى لم أقل شيئًا ولما حملنى الشيخ وطاف سبع مرات حول هبل ودخل عليه وكنت أنظر فقبّل رأسه وقال يا سيدى إن منتك على قريش كبيرة فقد ضاع لهذه المرأة ابن فارفع الغم عن مكة، ودله على الطريق وسقط هبل وأصنام

(١)هبل : أعظم الأصنام فى جوف الكعبة كان من عقيق أحمر على صورة إنسان أدركته قريش ويده مكسورة فجعلوا له يدًا من ذهب أول من نصبه خزيمة وبه كان يسمى ابن الكلبى كان عنده سبعة أقداح بمعرفة الولد المشكوك فيه إن كان صريح النسب أو ملصقًا.

ابن الكلبى : كتاب الأصنام ص ٢٧ الطبعة الثانية (القاهرة ١٣٤٣ هـ) ١٩٢٤.

أخرى على وجهها وقال هبل بلسان فصيح ابتعد عنا أيها الشيخ إن هلاكنا سيكون على يد هذا الطفل وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) فكشر الشيخ أسنانه على بعضها وسقط العكاز من يده وقال: يا حليمة ابتهجي فلمحمد هذا إله لا يضيعه فابحثي عنه حتى تجديه ومضيت إلى عبدالمطلب وأنا خائفة فلما رآني على هذا الحال قال ماذا حدث وقلت: مشكلة وأى مشكلة (وقعت مشكلة) قال: لعل ابنك قد ضاع، قلت نعم وخيل لى أن قريشًا قد قتلته، فاستل سيفه وخرج غاضبًا وصاح، يا آل غالب وكانوا ينادونهم (يسمونهم) هكذا فى الجاهلية فاجتمع كلهم فى الحال وقالوا أمرك قال: ضاع محمد فقالوا له: اركب حتى نركب وسرعان ما ركب وركب الجميع (بحثوا) فى مكة وبحثوا فى السهل والجبال لم يجدوه فطاف عبد المطلب حول الحرم وطاف حول البيت وقال هذين البيتين:

يا رب رد زاكى محمدًا   أودده ربى واتخذ عندى عبدا

يا رب إن محمدًا لم يوجد   فجمع قومى كلهم مبدد

وعندما ذكر عبد المطلب هذين البيتين جاء صوت من الجو يا معاشر الناس لا تحزنوا فإن لمحمد ربًا لا يضيعه، فقال عبد المطلب: يا هاتف ماذا يكون لو قلت لى أين هو ، قال: هو بوادى تهامة عند شجرة اليمن، فركب عبد المطلب ومعه سلاحه وجرى وكان عنده ورقة بن نوفل[1] فجرى معه حتى وصل إلى هناك فشاهد محمدًا وبيده ورقة شجر فتقدم عبد المطلب فقال محمد من أنت قال: أنا جدك فنزل وحمله وقبّله وركب ووضعه أمامه على قربوس السرج وأحضره إلىّ وهدأت قريش.

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى من قريش حكيم جاهلى. اعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع من أكل ذبائحها وقرأ كتب الأديان وكان يكتب اللغة العربية بالحروف العبرية أدرك أوائل النبوة ولم يدرك الدعوة له شعر سلك فيه مسلك العلماء.

وتقول حليمة: لاطفنى عبد المطلب وأعطانى عطاءً كثيرًا من كل شئ من جمال وخراف وملابس فاخرة وذهب وفضة ومسك وكافور وعنبر وأعادنى مكرمة مع جماعة كبيرة من الغلمان والعبيد، ووجدت خير الدنيا والآخرة، ورجعت إلى المنزل، وبقى محمد عليه السلام عند جده عبدالمطلب، والآن لو اشتغلت بمحمد عليه السلام ومعجزاته وعظمته لانتهى العمر ولن تأتى كلمة من الآلاف، وقد ذكرنا هذا حتى يعلم كل من يقرأ هذا الكتاب أن أهل سجستان سلّموا هذه المدينة طواعية، وكان هذا الغرض العظيم للمصطفى صلى الله عليه وسلم وللدين الإسلامى وكانوا يعلمونها وقرأوها من قبل فى الكتب السابقة وهو على الحق ولسجستان مناقب كثيرة على جميع المدن وبالله التوفيق.

وكان محمد عليه الصلاة والسلام أينما سار كانت الأحجار والجبال والأراضى والنباتات والأشجار والحيوان والسباع والملائكة والجن تسلم عليه وعندما مر أربعون عامًا من عمره وقد عصمه الله تعالى فما وقف أمام صنم مطلقًا وكان كلما يعبد يقول: يا الله (ولم يعبد إلا الله تعالى) وعندما انقضت أربعون سنة وجاء إليه الأمر أن ادع الناس للتوحيد وقل حتى يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله،، وكان أبو بكر الصديق أول من آمن به ونصر الله تعالى دينه، وكانت الفتوح كثيرة وأول فتح كان للمدينة وبعدها كان فتح بنى النضير وخيبر وفدك وتيمة[١] ومكة والطائف وتبالة[٢] وجرش[٣] ودومة الجندل وبخران واليمن وعمان والبحرين واليمامة وبعد هذه الفتوح كان نبينا عليه الصلاة والسلام بالمدينة وجاءه الأمر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مرت من شهر ربيع الأول سنة عشر.

---

(١) بالفتح والمد مدينة فى أطراف الشام تقع بين الشام ووادى القرى على طريق حجاج الشام ودمشق اصطلح أهلها مع النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة فى الهجرة وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تؤخذ منهم الجزية.

(٢) بلدة مشهورة تقع بين تهامة على طريق اليمن بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخًا وبينها وبين الطائف ستة أيام.

(٣) جرش: فتحت فى السنة العاشرة للهجرة بدون حرب.

خلافة أمير المؤمنين أبى بكر رضى الله عنه

جلس يوم الثلاثاء فى سقيفة بنى ساعدة وبويع من قبل عمر بن الخطاب وعبيدة ابن الجراح ثم الأنصار قبل دفن الرسول عليه السلام، وهو أبو بكر بن أبى قحافة وكان اسمه عبد الله ولقبه العتيق واسم أبيه أبو قحافة بن عامر بن عمر ابن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر، وكان النضر من قريش، ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان رضى الله عنه، وسار على سيرة المصطفى(ﷺ) وحافظ على آثاره ونفذ سنته ودبر أمور المسلمين على المنهج نفسه وهى أحكام الكتاب والشريعة وحارب المرتدين وسالمهم، وجعل الدين فى نصابه، وجاء مسيلمة الكذاب وعيسى(١) بدعوة كاذبة وقتل الجماعة التى ناصرتهما فى قصة يطول بها الكلام وعندما جاءه الموت استخلف عمر بن الخطاب عهدًا بالخلافة، وأرسل نسخة من هذه البيعة إلى كل مكان وتوفى وكان عمره اثنتين وستين سنة، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنى عشر يومًا، ودفنه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن أبو بكر بجانب قبر المصطفى (ﷺ) فى المساء.

خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ثم بايع المهاجرون والأنصار عمر وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن زياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر

(١) مراده الأسود العنسى الذى ظهر فى أواخر عهد الرسول(ﷺ) فى اليمن وادعى النبوة، وكان الرسول(ﷺ) وهو فى مرض الموت قد أرسل إليه رسالة، وتوفى العنسى بعد وفاة الرسول(ﷺ) فى خلافة أبى بكر الصديق.

ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت كنيته أبا حفص العدوي، وكان لقبه الفاروق رضى الله عنه، وتولى يوم الاثنين، وقام بإعلان الإسلام على حكم الشريعة وسنة المصطفى (ﷺ). وفتح الله تعالى على يده كثيرًا من البلاد وجمع مالاً كثيرًا فـى بيـت المـسلمين، (نهض) بقطع عنق الضلالة وانمحت الجهالة، وكان أول فتوحاته الجسر، وأرسـل الجيش حتى يفتح الشام وفى هذه الموقعة قتل سبعون ألف رجل من الروم وعـزَّ شأن الإسلام وسما، انمحا الكفر، ثم أرسل سعدًا بن أبى وقاص إلـى القادسـية[1] وجاء رستم قائد جيش يزدجرد ملك العجم مع جيش كثير وأرسل عمر رضى الله عنه عتبة بن غزوان ليفتح الأيلة والفرات وميسان، ثم أعطاهم الأمر أن يفتحـوا الكوفة والبصرة، ومضى بنفسه إلى الشام ثم رجع، وأمر أبا عبيدة بن الجراح حتى أرسل عمرو بن العاص إلى قنسرين حتى يفتحها، وأمر عمر عمرو بفتح رهـاء[2] وسياط[3]، ثم أرسل خالد بن الوليد حتى يفتح حمص، ثم أمر أبا موسى الأشـعرى ليفتح جندى سابور وسوس ورامهر مزوتستر وسباهان وقم وقاشان إما بالميثاق أو الصلح أو الحرب ، ثم أرسل معاوية بن أبى سفيان حتى يفتح قيسارية والرملة ثـم كتب لعمرو بن العاص ليفتح الإسكندرية، ثم أرسل المغيـرة بـن شـعبة ليفـتح أذربيجان، وأرسل عثمان بن عفان ليفتح نواحيها (أى توابعها) حتى فتحها. ولمـا بلغ الأمر هذا الحد أراد أن يصلى الفجر يوم الأربعاء[4] من ذى الحجـة وأراد أن يكبِّر، فطعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ثلاث ضربات، فتألم عمر، فأمسك يد عبد الرحمن بن عوف وداوم حتى انتهى من صلاته، ثم استدعى عثمـان وعليًـا

---

(١) مدينة تقع على حافة نهر الفرات بينها والكوفة خمسة وعشرون فرسخًا، ويقـول الـبعض إنهـا تقـع بالقرب من كربلاء

(٢) مدينة فى الجزيرة الواقعة ما بين النهرين دجلة والفرات، وتقع أيضًا بين الموصل والشام.

(٣) مدينة كبيرة قديمة ولها سور وتقع بين دمشق وحلب.

(٤) يوجد بياض فى المتن.

وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وقال: أشيروا عليَّ وكل من يكون رأيه أصلح من رأى الجميع اجعلوه خليفة، وتوفى، وكان عمره خمسًا وستين سنة، ودامت مدة خلافته عشر سنوات وستة أشهر وأربع ليال، وصلى عليه صهيب، ودفنه عثمان ابن عفان وابنه عبد الله فى بيت عائشة بجانب أبى بكر.

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وعندما دفن عمر، أبدى على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعثمان بن عفان الرأى فى الخلافة، قال عثمان لعبد الرحمن خذ أنت الخلافة، قال: لا أستطيع ثم قال عبد الرحمن: يجب أن تمر ثلاثة أيام حتى نرى الأمر جيدًا فسألوا الناس جميعًا، وعندما انتهت المدة اتفقوا على عثمان فى غرة المحرم بعد دفن عمر بثلاثة أيام، وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان له ثلاث كنى أبو عمرو، وأبو عبدالله وأبو ليلى. وسار عثمان على منهج الخلفاء السابقين الذين قبله فى الدين والقسمة والعدل فى الحكم، وكان أول فتح فى خلافة عثمان كان فتح همدان وهذا ما كانوا فتحوه فى خلافة عمر إلا أنهم ارتدوا فى يوم وفاته، وأرسل عثمان المغيرة بن شعبه إلى هناك حتى فتحها ثم أرسل أبا موسى الأشعرى حتى يفتح الرّى، وكان معه البراء بن عازب وقرظة بن كعب، ثم أرسل معاوية إلى الروم حتى فتح قلاعها، وهناك ولد يزيد ابنه، وكان هذا فى سنة خمس وعشرين، ثم ارتد أهل الإسكندرية، فأرسل عمرو بن العاص إلى هناك حتى فتحها، ثم عزل عمرو بن العاص من الإسكندرية ومن مصر، وأرسل عبد الله ابن سعد بن أبى سرح إلى هناك، وفتح عبد الله المغرب، ثم عزل سعد عن الكوفة،

وأرسل وليد بن عقبة بن أبى معيط إلى هناك، وكان مع وليد سلمان بن ربيعة الباهلى ومعهما اثنا عشر ألف فارس إلى بردعة وفتحها وسلمت له البلقان وجرزان صلحًا، وكان غزو سابور الأول فى العام نفسه ، وعندما جاء العام السادس والعشرون أرسل عبد الله بن سعد للغزو فاستولى على أفريقية وكان معه العبادلة[١]وخرج جرجير مع مائتى ألف فارس إلى مكان يسمى سبيطلة[٢] وهى على بعد سبعين ميلاً من القيروان فقتلوا جرجير، وكان الفتح، وقسموا الغنائم وكان نصيب الفارس ثلاثة آلاف دينار، ولكل مترجل ألف دينار إضافة للأشياء الأخرى، وفتح عثمان بن أبى العاص سابور ثانية بأمر عثمان واستولى على كزروان، وأرسل هرم بن حيان العبدى إلى قلعة جرة ليستولى عليها (أخذها) والآن يسمونها قلعة الشيوخ، ولما جاءت سنة ثمان وعشرين استولى عثمان ابن أبى العاص على آرجان ودار بجرد، وعندما جاءت سنة سبع وعشرين أرسل عثمان معاوية وعبادة ابن الصامت إلى غزو درياباز، ثم استولوا على هذه الجزر كلها ، ثم كان فتح فارس على يد هشام بن عامر، وفى العام نفسه مضى عبد الله بن سعد خلف معاوية ليعاونه واستولوا على كثير من بلاد الروم مثل سوريا وقبرص، ثم استولى هشام على إصطخر فى العام نفسه، وعندما حل العام التاسع والعشرون عزل عثمان أبا موسى الأشعرى عن البصرة وعثمان بن العاص عن فارس، وأعطى البصرة وفارس لعبد الله بن كريز، وكان عمر عبد الله خمسًا وعشرين عامًا وقدم البصرة، وبقى فيها عدة أيام، ومضى إلى فارس، وولى زياد بن أبيه على البصرة، وكان من قبل كاتبه وقائد جيش عبدالله بن معمر التميمى، وقد فتح إصطخر وغزنة وجورن واتجه إلى كازرون، وجاء إلى دار بجرد واستولى على أردشيرخوره ، وهرب يزدجرد من مدينة يل واتجه إلى مرو، وأرسل عبد الله بن عامر مجاشع

---

(١) عبادلة جمع عبد الله ومراده عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن نافع وعبد الله ابن الحصين أنهم قدموا بجيوش وذلك لمعاونة عبد الله بن سعد .

(٢) اسم مدينة فى أفريقيا ويظنون أنها مدينة جرجير نفسها التى كانت للأمير الرومي، وبينها والقيروان سبعون ميلاً.

ابن مسعود السلمى خلف يزد جرد وجاء مجاشع واستولى على سيرجان، وعندما أحل العام الثلاثون من هجرة المصطفى (ﷺ) أرسل عبد الله بن عامر بن كريز مجاشع إلى سيستان وحارب وقتلوا كثيرًا من المسلمين وعاد مجاشع

حديث فتح سجستان فى عهد عثمان بن عفان فى سنة ثلاثين من الهجرة

ولما بلغ خبر مجاشع إلى عثمان على أنه عاد من سجستان على تلك الحال، أرسل الربيع بن زياد بن أسد الذيال بجيش إلى عبد الله بن عامر قائلاً له: أرسل هذا إلى سجستان، ووصل إلى بهره وكرمان فسلموها أهلها صلحًا، ومضى من هناك إلى جالق فصالحه أميزها، فقال له الربيع يجب أن أمضى إلى سجستان، فقال هذا الطريق فإذا ما عبرت هيرمند فإنك ترى رملاً فاعبره، ثم تجد حصى وتبدو من هناك القلعة والقصبة، فمضى الربيع والجيش فعبر هيرمند، فخرج جيش سجستان أمامه، وحاربوا حربًا صعبة، وقتل فيها كثير من الجيشين وقتل عدد كبير من المسلمين، ثم حمل المسلمون عليهم أيضًا فعاد أهل سجستان إلى المدينة، ثم استدعى ملك سجستان إيران بن رستم بن زاد بن بختيار[1] موبد الموبدان (رئيس الموابذة) والأعيان، وقال: إن هذا ليس عملاً سيطوى فى يوم أو سنة أو ألف وسيظهر (يبدو) فى الكتب، وسيبقى هذا الدين وهذا الزمان حتى النهاية، ولا يستقيم معه قتال أو حرب ولا يمكن لشخص تغيير أمر السماء، ومن الأصح أن نصطلح فقال الجميع: هذا هو الصواب ثم أرسل رسولاً قائلاً: إننا لسنا عاجزين عن الحرب مع أن المدينة فيها الشجعان والأبطال ولكنهم لا يستطيعون حرب الله تعالى وأنتم جند الله وقد صح ما رأيناه فى الكتب أنكم ستخرجون بقيادة محمد عليه السلام وأن هذه الدولة ستتأخر والصواب فى الصلح حتى لا يقع القتل بين الجيش ثم سلم

---

(١) ذكر البلاذرى اسم هذا الملك وهو إيرويز مرزبان سجستان وليس إيران.

الرسول الرسالة. فقال الربيع: من العقل ما يقوله الدهقان[1] ونحـن أقـرب إلـى الصلح من الحرب فأمنه وأمر الجيش أن يبعد السـلاح وألا يـأذوا أحـدا، حتـى يستطيع كل منهم أن يمضى ويأتى، ثم أمر أن يقيموا له صدرًا من هـؤلاء القتلـى وألقوا الثياب على ظهورهم، وصنعوا من هؤلاء القتلى متكأ فصعد عليهم وجلـس، وجاء إيران بن رستم بنفسه والسادة ومبد الموبدان، ولما دخلوا المعسكر اقتربـوا من الصدر ورأوه هكذا فنزلوا ووقفوا، وكان الربيع هذا رجلاً طويلاً أسمر الوجـه وأسنانه كبيرة وشفتاه كبيرتان، ولما رآه إيران بن رستم على تلك الحال وصـدره من القتلى فنظر وقال لرفاقه: يقولون: إن أهرمن لا يظهر فى النهار، ولكن ها هو أهرمن قد جاء وليس فى هذا شك، فسأل الربيع ماذا يقول: فقال المترجم ما قالـه إيران، فضحك الربيع كثيرًا ثم سلم عليه إيران بن رستم من بعيد وقـال: نحـن لا نقف على صدركم فإنه ليس صدرًا طاهرًا وألقوا الثياب من عليه وجلسوا، وقـرر عليهم أن يؤدوا خراج سجستان لأمير المؤمنين ألف ألف درهم، واشترى فى هـذا العام ألف وصيفة[2] وفى يد كل منها ثوب ذهبى وأرسلهم هدية، وتعاهدوا علـى هذا كله وقدموا المنشورات(الخطط) وقام الربيع من هذا المكان ودخل القصبة آمنا، ومكث عدة أيام، ومضى من هناك إلى خواش ليمضى إلى بست إلا أن أهل بـست لم يطيعوه وحاربوا وقالوا: نحن لا نريد الصلح، وفى النهاية قتل منهم خلق كثير، وحملوا منهم مجموعة كبيرة ومضوا إلى قصر أمير المؤمنين، وأصبح منهم رجال عظماء مثل عبد الرحمن[3] الذى كان كاتبًا للحجاج وولاه سليمان بن عبـد الملـك خراج العراقيين، وحصين أبو الحرث وبسام وسالم بن ذكوان وبشر مـولى بنـى مازن، والذين سبق ذكرهم فى بداية هذا الكتاب، وقلنا: إنهم أصبحوا من العظماء ببركة الإسلام وعلم الأمراء، وقد وجدوا الحرية بعد الرق، وكان لهم خلق كثير من

---

(١) هو رئيس الطبقة الثالثة من أهل ايران وكبير الزراع، وقالوا عنه فى الإسلام إن الدهقان هـو كبيـر الإيرانيين، كما كانت تطلق هذه الكلمة المرزبان فى القرية أو المدينة، وكان لهم حق رئاسة القوم وقـد حافظوا على التراث الإيرانى خصوصًا فى الأدب والحكمة.

(٢) الوصيف الغلام دون المراهق أى المقارب للبلوغ جمع وصفاء ووصيفة جمع وصائف.

(٣) عبد الرحمن أبو صالح بن عبد الرحمن الذى كان كاتبًا للحجاج بدلاً من زاد نفروخ بن نيـرى، كمـا ولاه سليمان بن عبدالملك خراج العراق. (البلاذرى: فتوح البلدان، ص٤٠١، القاهرة ١٩٧٢م).

العبيد، ثم مضى إلى غزنين التى كانت بها حظيرة خيول رستم فبقى فيهـا مـدة، وأراد أن يترك الصحراء، ومضى إلى بست ولم يتركها حتى مضى إلى عبـد الله ابن عامر، ولكن أهل سجستان تمردوا عليه، فأرسل عبد الله بن عامر بأمر عثمان عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان، وكان معه الحسن البصرى وفقهاء كبار.

مجىء عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان فى سنة ثلاث وثلاثين

كان رجلاً عظيمًا من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولما قدم بـاب سجستان، مضى إليه إيران بن رستم، وقال: أنا داخل فى هذا الصلح، إلا أن الربيع تركنا عبثًا ومضى، ومكث عبد الرحمن هناك واضطرب أمر عثمان، ودخل عليـه تسعة وأربعون من صحابة النبى(ﷺ) فى قصره [1] وقالوا: أنت لا تسير على سيرة رسول الله وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فقالت زوجته: إنه يختـم الـصلاة بالقرآن كله، فإذا شئتم فدعوه وإذا شئتم فاقتلوه، فقتله سودان بن حمزان المـرادى مع جماعة من الصحابة، ثم غسله جبير بن مطعم بعد ثلاثة أيام وكفنه ليلة الـسبت لاثنى عشر يومًا بقين من شهر ذى الحجة، وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، ثم تولى الخلافة من بعده على بن أبى طالب رضى الله عنه.

خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وهو على بن أبى طالب بن عبـد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قـصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بـن كنانـة

---

(١) ترك المؤلف الأحداث وعرج على ذكر استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسن الهاشمى.

ولما وصل خبر عثمان عند عبد الرحمن فى سجستان، استشار أصحابه وكان منهم المهلب بن أبى صفرة قالوا: يجب أن نمضى إلى عبد الله بن عامر، ثم استخلف عبد الله أمير بن الأحمر اليشكرى على سجستان، ومضى بنفسه إلى عبد الله بن عامر، وعندما وصل رأى الناس قد ضيقوا على الأمير لأنه خليفة عبد الرحمن، ولما وصل عبد الرحمن إلى البصرة كانت حرب (موقعة) الجمل قد اشتعلت، وكان علىٌّ مشغولاً بها، ولما رأى عبد الرحمن الأمر كذلك اختفى حتى انتهى علىٌّ من هذه الحرب، وبعد ذلك مضى عبد الرحمن بالمال الذى كان يملكه إلى الشام عند معاوية، وقدم لمعاوية كثيرًا من الهدايا، وبقى هناك، وكان من سنن عبد الرحمن أنه أمر بعدم قتل ابن عرس والقنفذ لأنهما يلتهمان الثعابين ويأكلانها حيث إن الثعابين كثيرة فى سجستان كى يبعد (يندفع) شرها، ولما سمع أمير المؤمنين على أنه جاء ومضى إلى معاوية، أرسل عبد الرحمن بن جرو الطائى إلى سجستان، ولما بدأت حرب صفين، خطب لعبدالرحمن بن سمرة على أنه عامل علىٍّ، وأعاده معاوية إليها مرة ثانية، ولما علم عبدالرحمن الطائى خبره مضى إلى علىٍّ، وجاء عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان فى سنة ست وثلاثين، وامتثل الناس لأمره، ومكث هناك مدة فى سجستان، ثم مضى إلى خواش، وعبر الصحراء وفتح بست ورخد [1]، ومضى من هناك إلى كابل وفتحها، وأحضر كثيرًا من العبيد منها وكثيرًا من عظماء القوم، ومن جملة هؤلاء العبيد باب مولى ابن سعد وجد عمرو بن عبيد بن باب، ومكحول السامى الفقيه، وسالم بن عجلان الأفطن وحميد الطويل ونافع مولى بن عمر، ثم أرسل عبدالرحمن بن سمرة المهلب ابن أبى صفرة إلى الهند، وجعله قائدًا للجيش، فحيث وجد فى مكان وجد فارس، والآن نذكر قصته.

---

(١) اسم ولاية من ولايات زمين داور، وهى اليوم تابع للحكومة الأفغانية، وكان الفرس يقولون لها قديمًا (أرخوذيا) وذكرت فى الأصول البهلوية (رخوت) وشيدها هام بن كودرز.(من تعليقات بهار على الكتاب).

سبب قيادة المهلب[1]

كان المهلب فى العشرين من عمره، وكان فى جيش عبد الرحمن، إلا أنه كان رزينًا وحكيمًا وشجاعًا، وكان دائمًا يقود الجيش بفكر مفاجئ، وكانوا يأتون إلى صحراء كرمان، وقدم جماعة من التجار فى صحبة جيش عبد الرحمن إلى سجستان، وكان من بين هؤلاء التجار رجل شجاع وعالم بأخبار العرب والعجم ويحفظ كثيرًا من الشعر الجاهلى، وتحدث معه المهلب، ولما كان رجلاً ظريفًا، أنس به المهلب وكان يصحبه حيثما يمضى، ولما خرج الجيش من الصحراء، لم يكن لدى التجار خوف، ولكن جاء الكفجيون[2] خلف الجيش لعلهم يجدون شيئًا، فوجدوا هؤلاء التجار نائمين، فأغاروا عليهم وقتلوا جماعة منهم وأسروا الآخرين وقيدوهم، واستولوا على أموال كثيرة وجياد وساقوهم، وتركوا الأسرى هناك، وكان من عادة المهلب أن ينزل فى ركن، ولم يعلم عنهم أى خبر، وفى الصباح نهض وركب ومضى إلى التجار، وكان الحال هكذا فأخذه الحزن، ففاتحهم ثم قال: إذا ساعدتمونى كما أقول لكم فأسترد مالكم بتوفيق الله. قالوا: نحن جميعًا نصدع لأمرك ونكون عبيدك وأحرارك. فقال: كل منكم يأخذ عمودًا من هذه الخيمة، وأنا أمضى فى المقدمة وأتعقبهم، وتأتون على أثرى، فإذا شاهدتمونى معهم كبروا. ففعلوا ما طلب منهم، وهجم المهلب، وكلما وجد واحدًا أو اثنين من هؤلاء الكفجيين كان يمضى إليهم ويقتلهم، حتى قتل سبعة منهم، ولما اقترب من الآخرين كان

---

(١) المهلب: أمير كبير مشهور الذكر، شجاع جواد صاحب عقل وشجاعة لا مثيل لها، نشأ فى دولة آل أبى سفيان، ولاه عبد الله بن الزبير خراسان، وقتل الخوارج واستمر على ذلك حتى مات فى زمن الحجاج سنة ٨٣هـ.

(٢) هم قبيلة تعيش فى حدود كرمان ومكران وبلوجستان، ومفردها كفج، ويقال لهم أيضًا بلوج ولكن يذكر اسم الكفج أكثر من البلوج، ومن عادتهم قطع الطريق، قضى عليهم السلطان محمود الغزنوى ومحا اسمهم من الوجود.

فارسًا منفردًا، وكانوا هم خلق كثير فساقهم، وكان يصعد على المرتفعات، وكان يضع علامة على رأس الرمح، ولما رأوا هذا - إلى أن وصل هؤلاء التجار، وكبروا- ولما رأى الكفجيون أن الأمر هكذا، مضوا منهزمين، وتركوا الخيول والأمتعة، وبذلك استرد المهلب مالهم على تلك الحال، وجاءوا إلى سجستان، مضى رئيس هؤلاء التجار إلى عبدالرحمن، وقص هذه القصة وشكر المهلب، وفى الحال استدعى عبد الرحمن المهلب ورعى جانبه، وتعجب من دهائه وحكمته وشجاعته ورزانته، ثم قالوا: إن هذا كله بعيد عنا. وقال عبد الرحمن: الأشراف فى الأطراف. وكان سبب هذا المثل فى الأغلب المهلب، فخلع عليه وأعطاه مائة فارس وعلمًا وبوقًا وطبلاً، وأمر بأن يكتب اسمه فى ديوان العرض فارس الفرسان، ولما مضوا إلى حرب كابل، وتقابلت الجيوش، كان ملك كابل يقاتل بنفسه، حيث كان رجلاً لم يساوه أى إنسان، وقتل الكثير حتى استشهد على يده عشرون ألفًا ونيفٌ من المسلمين، ولما رأى المهلب هذا، حمل على ملك كابل الذى كان قد رجع نحو جيشه فى هذا الوقت، فرشقه برمح أصابه فى ظهره ودخل الرمح فى الدرع، ولم يدخل فى ملك كابل، ومضى ونفذ الرمح أمام وجهه فقوى المهلب ليحضره ثانية وهكذا قوى إلى حد أنه استطاع أن يضم عنق الفرس إلى صدره، فبقى الفرس فى مكانه، وفى النهاية اقتلع الرمح، وولى عنه ملك كابل من أمامه، وفى الحال أرسل شخصًا وأبرم الصلح وقال: لا يمكن أن نتحارب مع هذا الجيش، ولما تم الصلح، جاء إلى عبد الرحمن ثم قال: لما تم الصلح حتى باغتنى أحد الفرسان، فسأل عبدالرحمن: من الذى باغته؟ فجاء عدة رجال قائلين نحن كنا فقال عبد الرحمن: إن هذا لا يعنى أن يكون عشرة رجال فى جسم واحد، إنه شخص واحد، ليس أكثر من ذلك، والتسعة الآخرون يقولون كذبًا، وفى النهاية سأل ملك كابل هل تعرفه؟ قال: إذا كان قد ركب ومر علىَّ فى يوم الحرب فأنا أعرفه، فأمر عبد الرحمن بأن يرتدى الجيش كله السلاح، ثم عرض هذا كله على ملك كابل، ولما قدم المهلب أمامه ممتطيًا جوادًا أبلق من سلالة خيل أبيه، فقال ملك

كابل: ها هو أيها الأمير، فاستدعى عبد الرحمن المهلب قائلاً: يا سبحان الله، ادعى عدة رجال أنهم هم الطاعنون، ولم يقل أحد أنت الذى طعنت فلم يقل شيئًا، فقال المهلب: أعز الله الأمير لا تكون المفاخرة بحديث علج، فأعزه عبد الرحمن، وعظم المهلب فى عين الجيش، ولما مضوا إلى حرب ملك كابل، تقدم الملك بجيش مجهز، وسبعة من الفيلة المدربة ومع كل فيل أربعة آلاف فارس، وحاربوا حربًا عنيفة، وكان جيش الإسلام يفر من أمام الفيلة، ولكن لم يتقدم أحد، ولما رأى المهلب ذلك تقدم وواجه الفيلة، وألقى الفيال الفيل أمامه، ورشق المهلب صدر الفيل برمح، فأصاب الفيل سبعة رماح التى بلغت إلى قلب الفيل، فصاح الفيل، وسحب الرماح، وعاد الفيل وهو يصيح، ولما رأى الفيلة الأخرى هذا، وشاهدت تمزق هذا الفيل وموته، عاد الجيش مع الفيلة الأخرى منهزمين، وقتل جيش المسلمين منهم خلقًا كثيرًا وكان الأسرى أكثر، وتم هذا النصر العظيم على يد المهلب، ولما كان الأمر هكذا، ففى هذا اليوم منح عبد الرحمن المهلب قيادة الجيش، وجعل الجيش تحت أمره، وأرسله إلى الهند وعاد ووثق فيه، وعظم المهلب ومضى وكانت الفتوح كثيرة حتى وصلت قندابيل، وعاد من هناك سالمًا بكثير من الغنائم، وجاء عبد الرحمن إلى سجستان، وكان عباد بن الحصين الحبطى صاحب شرطته، ومكث ثلاثة أعوام فى تلك الديار، وكان هناك أبو الحسن البصري[١]، وبنى عبد الرحمن فى سجستان مسجد الجمعة، ووضع الحسن البصرى محرابه، وكان الحسن البصرى فى الثلاث سنوات هذه ملازمًا لمسجد الجمعة فى سجستان، وكان أهلها يقرأون العلم عليه، وكذلك كان حال عبد الرحمن بن سمرة فى تلك الأعوام الثلاثة كلها، كان يجمع ويقصر الصلاة لأنهم لم يكونوا يستقرون فى مكان واحد، ولما أراد عبد الرحمن أن يغادر (يترك) سجستان، اجتمع أهلها من علماء وأعيان وقادة

---

(١) الحسن البصرى من كبار التابعين، وكان أبوه من أسرى ولاية ميسان، ولد فى خلافة عمر بن الخطاب فى المدينة ومكث بها، وفى رجب سنة ١١٠ توفى فى البصرة. (ابن خلكان: وفيات العيان، جـ١، ص١٨٠ (القاهرة ١٩٧٢).

وقالوا: يجب أن يكون لنا إمام بحق على سنة المصطفى (ﷺ) والآن على بن أبى طالب مكانه، وقد أرسلك معاوية إلى هنا وقد قتل بينهما ثمانين ألفاً من أهل التهليل، ويجب أن تكون هذه الصلاة والخطبة بالحق، أما الحال التى هى عليها فنحن لا نرتضيها، وحدث هذا فى حضور الحسن البصرى وعمر بن عبد الله ابن فهر والمهلب بن أبى صفرة وقطرى بن الفجاءة والسادات والعلماء والكبار، ثم قال عبد الرحمن: إنى ذاهب إلى هناك حتى يستقر هذا الأمر، وإذا ما كان فى العمر بقية أعود، وحافظوا على هذا الأمر، ونفذوا أوامر الإسلام، واستخلف عباد ابن الحسن الحبطى، ومضى بنفسه إلى البصرة، ومكث هناك مدة، وكان زياد بن أبيه فى الكوفة، ومضى عبد الرحمن عند زياد، وعندما وصل إلى باب الكوفة توفى، وصلى عليه زياد ودفنه، ونسبه عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر، وكانت كنيته أبا سعيد، ولما فرغ أمير المؤمنين من أمر الحرمين، أعطى البصرة لعبد الله بن عباس الذى أرسل ربعى بن الكاس العنبرى إلى سجستان، فاستدعاه من الطريق، ثم أرسل عبد الرحمن بن جرو الطائى إلى سجستان، وبعد أن ظل مدة عزله، وجاء ربعى بن كاس إلى هنا، ولما وصل قتل علىٌ أمير المؤمنين على يد عبد الرحمن بن ملجم ليلة الجمعة لسبعه عشرة ليلة خلت من شهر الله المبارك (رمضان) وكان فى الثانية والستين من عمره، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وتسعة أشهر، واعتقل عبد الله بن جعفر والحسين بن على عبد الرحمن بن ملجم[1] وقيدوا يديه وقدميه، وسملوا عينيه وقطعوا لسانه، وبايع أهل الكوفة الحسن بن على بن أبى طالب، ولما وصل خبر مقتل علىٍّ إلى الشام، بايع أهل الشام معاوية فى إيليا، وهو معاوية بن أبى سفيان، واسمه أبو سفيان صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته عبد الرحمن، وجاء معاوية

(١) اتفق المؤرخون جميعهم أنهم ضربوه ضربة واحدة، إلاّ أن ابن الأثير يقول: إن أهل الكوفة أحرقوه.

إلى دمشق ومنها جاء إلى الكوفة، وخرج الحسن بن على من الكوفة واجتمعوا فى الأنبار، وتعاقدوا هناك على الصلح بشروط، وترك الحسن الإمارة.

تولى معاوية الخلافة

وصفا الملك لمعاوية، ومضى من هناك إلى المدينة، وكان هذا فى سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وسموا هذه السنة بسنة الجماعة لأن ما كان يريـده معاويـة حدث فى هذه السنة، ولما كان الحال كذلك، أعطى معاويـة البـصرة وسجـستان وخراسان إلى عبد الله بن عامر بن كريز ومضى حتى وصل سجستان.

مقدم عبد الله بن عامر بن كريز فى سنة إحدى وأربعين

لما وكلت إليه هذه الولاية، مضى أولاً إلى سجستان، وكـان علـى مقدمتـه الأحنف بن قيس، وكان معه جيش غفير من العظماء والسادة والعرب والعجم، ولما بقى هناك مدة مضى من هناك إلى خراسان حتى وصل إلى المدينة التى يـسمونها نيسابور، وترك هناك خليفة عنه، وبقى عامين فى سجستان فى عهد معاويـة، ثـم أعطى معاوية البصرة وخراسان وسجستان إلى زياد بن أبيه الذى أرسـل ربيـع الحارثى إلى سجستان.

مقدم ربيع الحارثى إلى سجستان عاملاً عليها فى سنة ست وأربعين

قدم ربيع سجستان، وكانت له سيرة حسنة، وأجبر الناس على أن يتعلموا العلم والقرآن والتفسير، وأقام العدل، ودخل كثير من المجوس فى الإسلام وذلك لحسن سيرته، وفى سنة سبع وأربعين مضى إلى بست ورخد وتلك الناحية التى اصطدم فيها بزنبيل[1] الذى كان قد مضى إلى محاربته، ومضى زنبيل أمامه منهزمًا إلى بلاد الهند، وصفت له هذه الديار، وأخذ لهم حقهم، وعاد إلى سجستان، وهو الذى وضع ديوان الخراج فيها على أساس الكتاب والحساب وجامعى الضرائب والمستوفين والمشرفين والمعتمدين، وكان كل هذا بمشورة الحسن البصرى الذى وصل إلى هناك معه، ولم يصنعوا شيئًا إلا إذا سألوه، ثم عزل زياد بن أبيه ربيع عن سجستان، وأرسل عبد الله بن أبى بكرة إلى سجستان.

مقدم عبد الله بن أبى بكرة إلى سجستان فى سنة إحدى وخمسين

وأمر قائلاً: لقد جئت إلى هذا لأقتل الهرابذة[2]، وأخمد نيران المجوس ومضى إلى سجستان على هذا الحال، وقصد الدهاقين والمجوس فى سجستان على

---

(١) ذكر هذا الاسم فى معظم الكتب خصوصًا المخطوطات، ولكن هذا الاسم لقب لملوك كابل وسجستان، إلا أنه ذكر فى عدة مواضع من هذا الكتاب (زنبيل) و(زنبل) و(رتبيل) وبما أن النسخة التى بين أيدينا قليلة النقط وهذا عيبها الوحيد فإنها من حيث صحة الأسماء والسنين التى وردت فيها منقطعة النظير، وقد ترددت فى صحة هذا الاسم، وقدُر لى أن وجدت نسخة من الطبرى تكاد تكون صحيحة وخالية من الخطأ حيث وجدت فى كل مرة يكتب اسم (زنتبيل) وذكرت أيضًا (زنده بيل) وقد وقع العرب فى كثير من الأخطاء المتعلقة بهذا الاسم (من تعليقات بهار على الكتاب).

(٢) هم رؤساء المجوس وهى كلمة مشتقة من (هيربز) وهذه الكلمة لقب لبعض رؤساء المجوسيين مثل موبذ وكانوا يسمون رئيس المعبد (ايربذ) أى رئيس الأحبار ويقولها العرب (هيربذ).

عصيانه إذا سلك هذا الطريق، ثم قال مسلمو سجستان، لو أن نبينا صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدين فعلوا هذا مع جماعة اصطلحوا معهم، فيجب أن نفعل هذا الأمر، وإن لم يكن فلا يجب هذا الأمر، لأنه ليس فى شريعة الإسلام، وليس فى الصلح، وكتبوا رسالة إلى الشام، وكان الرد عليها على النحو التالى لا ينبغى أن يكونوا معاهدين، ولهم هذا المعبد، وهم يقولون: نحن نعبد الله، ولكننا نملك معبد النار هذا وأيضًا معبد الشمس الذى لنا لا نملكها كى نعبدها، وإنما نملكها بمثابة مالكم أنتم من محراب الكعبة بمكة، ولما كان الحال هكذا، فلا ينبغى هدمها فلليهود كذلك معبد، وللنصارى كنيسة وللمجوس بيت النار، وما دام الكل معاهدين، فما الفرق بين معابدهم[1]، يقولون: إننا نعبد الله، ومعبد النار الذى نمتلكه وكذلك الشمس، أى فرق نجده حتى يكونوا لهم منكرين، وهم لا يحبون هدم أى شيء، وهدم كل الكفر والأديان إلا دين الإسلام، ولكنهم لم يفعلوا، وصالحهم على الجزية، وكان عز الإسلام ما دامت الدنيا ودام الزمان، فإن المسلمين يحافظون على عقيدتهم ودينهم، ويشكرون الله تعالى من جديد، وإذا رأوا خللاً فى طريق دينهم أو يسمعون فإنهم يتحركون أويتكون، وقضاؤهم يحكم بأمر الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال: لا تحكم بين شخصين وأنت غضبان. ثم مكث عبد الله مدة فى سجستان، ومضى لى بست ورخد وكابل، وحارب زنبيل وفى النهاية اصطلحوا على ألف ألف درهم، وجاء معه زنبيل وعادا معًا إلى سجستان، وأرسله من هنا إلى البصرة أمام زياد بن أبيه بأمر منه، وكان زياد يريد لقاءه، ولما وصل أكرمه زياد وخلع عليه، وأعاده إلى عبد الله بن أبى بكرة، وله أخبار كثيرة فى الجود والسخاء والشجاعة، ولكن كان قصدنا فى الكتاب الاختصار فلا يجوز أن نتحدث عما وقع فى هذه المدينة الكبيرة فى عصره، وعندما حلت السنة الثالثة بعد الخمسين من الهجرة، مات زياد بن أبيه فى البصرة، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وخمسين سنة، فصار سمرة بن جندب خليفته على البصرة، وكان على الكوفة

---

(١) يوجد بياض فى المتن وهذا ما نجده كثيرًا .

عبد الله بن خالد، وعندما وصل معاوية خبر وفاة زياد، عزل عبد الله بن أبى بكـر عن سجستان، ومضى عبيد الله وعباد بن زياد أخوه إلى معاوية، فأعطى معاويـة خراسان لعبيد الله بن زياد، وأرسل أخاه عباد بن زياد إلى سجستان.

مقدم عباد بن زياد إلى سجستان

قدم عباد سجستان، وكان يجلس كل يوم خميس للنظر فى مظالم الناس، وكان يقضى الحاجات التى تطلب إليه فى كل يوم، وكان يعطى الصدقات ويحسن إلـى الناس، وكان هذا الخبر يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم خميس (اللهم بارك لأمتى فى بكورها واجعل ذلك يوم الخميس) وبعد أن استقرت الخلافة، مضى إلى كابل ومن هناك مضى إلى قندهار حيث واجه جيش الهنـد، وقامـت حـرب صعبة، وفى النهاية نصر الله تعالى المسلمين، وكان عباد فى ذلك اليـوم يحـارب بنفسه وهو على ظهر بغلة، وحارب زهير بن ذويب العدوى هناك فى ذلك اليـوم مثل رستم فى عصره، ووقع فى أيدى المسلمين ديار ممتلئة بالذهب وغنائم كثيرة، وكان ابن المفرغ [1]هناك، وكان يهجو عبادًا وزيادًا كل يوم، ونذكره كما كان فـى زمانه:

وأشهد أن أمك لم تبـاشر	أبا سـفيان واضعة القناع
ولكن كان أمرًا فيه لبـس	على وجـل شديد وارتياع

فاستقدمه عباد وأدبه وحبسه، وسلمه للحجامين، وكان الحجامون قـد مـضوا وجاءوا بالخنازير البرية والخمر، وأكل هذا الشاعر وأصبح ثملاً، وفى اليوم التالى لسكره أصابه الإسهال، وكان الأطفال يشاهدونه، ومن كثرة السواد الذى كان له من

---

(١) هو يزيد بن ربيعة المفرغ الحميرى، سمى بهذا لأنه تراهن على شرب وعاء حتى يفرغه وقع خـلاف بينه وبين الصاحب بن عباد فحبسه فهجاه ابن المفرغ وهو فى السجن.

الإسهال، كانوا ينادونه باللغة الفارسية، هذه الليلة، هذه الليلة، فأجابهم بالفارسية قائلا[1]:

مـــــاء ونبيـــــذ	وعصـــــارة الزبيـــب
وليـــلة مملوءة بالشـــحم	وســـمية أيضًا بغيـــة

وكانت سمية اسم أم زياد، ثم أعطاه عباد مالاً وأعاده إلى العرب قال: يكفينى هذا منك، وكان واليًا على سجستان على الدوام حتى وفاة معاوية يوم الخميس منتصف شهر رجب سنة ستين، وكان عمره ثمانى وسبعين سنة، وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهرى، بعد خلافة دامت تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنى وعشرين يومًا، وكان خضابه الحنة والشبر، وكان توقيعه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وقبره فى دمشق فى مقبرة الباب الصغير، والله المستعان.

تولى يزيد بن معاوية الخلافة

يوم الخميس لثمانى ليالٍ بقين من شهر رجب سنة ستين

وكانت كنيته أبا خالد، وتوقيعه آمنت بالله مخلصًا، وعندما بلغت أخبار تولى يزيد وبيعة أهل الشام عند الحسين بن على رضوان الله عليه، أرسل مسلم بن عقيل أبا طالب إلى الكوفة حتى يبايعوه، إلا أن أهل الكوفة غدروا به، حيث إن حاله لم يكن خفيًا على الخاص والعام، وأقروا مسلم كى يقطعوا رقبته، وأخبروا يزيد بذلك، وبقى عمر بن سعد إلى أن أرسل يزيد عبد الله بن زياد إلى هناك، وفى هذه الليلة كان ثلاثة آلاف فارس مع مسلم يجتمعون حوله مدة من الزمن، فنظر فلم يجد

(١) لمزيد من المعلومات انظر فى هذه القصة الكامل فى التاريخ لا بن الأثير، جـ٣، ص ٢٠٥ وأيضًا فى كتاب الأغانى، جـ ١٧، ص ٥١.

سوى عشرة رجال فعاد، وأراد أن يهرب حتى لا يراه أحد، وكان ظمآن فطلب ماء من امرأة، ودخل بيتها، فأخبرت المرأة عبيد الله بن زياد، فأرسل شرطيًا حتى أحضره، وأمر أن يحمل إلى سطح القصر، فضربوا عنقه، وألقوا رأسه وجسمه فى الميدان، كما ضرب أيضًا عنق هانى بن عروة المرادى والزبير بن أروح التميمى، وأرسل الرءوس الثلاثة إلى يزيد، ولما وصل خبر مسلم إلى الحسين بن على، نهض وسلك طريق الكوفة، ولما سمع عبيد الله بن زياد خبره، أرسل عمر بن سعد بجيش لاستقباله فى كربلاء، فالتقوا معًا وحاربوا، وقطعوا طريق الماء على الحسين حتى أصابه الظمأ، ثم قتلوه هناك وهو ظمآن فى يوم عاشوراء الموافق الأربعاء سنة إحدى وستين، وقتل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مع الحسين هناك، جعفر بن على بن أبى طالب، وعباس بن على بن أبى طالب، ومحمد بن على، وعلى بن الحسين الأصغر وعلى بن الحسين بن على، وعبد الله بن الحسن بن على، والقاسم بن الحسن بن على، وعون بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب، ومحمد بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن مسلم ابن عقيل بن أبى طالب، وأكثر من هؤلاء الصغار والكبار، الذين إذا ذكرنا أسماءهم لطالت القصة، وكان هؤلاء هم المعرفون، وأخرج شمر بن ذى الجوشن لعنه الله رأس الحسين بن على رضى الله عنه، وأسر عبد الله الرأس مع النساء والأطفال، وأرسلها إلى الشام على الجمال ورءوسهم عارية، وكانوا كلما نزلوا فى موضع أخرجوا الرأس من الصندوق، ورفعوها على رأس رمح، وكان الحراس يفعلون هذا حتى يركبوا دوابهم، حتى وصلوا إلى منزل كان فيه راهب من النصارى، ورفعوا الرأس على الرمح كما هى عادتهم، ولما دخل الليل، كان الراهب يتعبد فى صومعته، فرأى نورًا يصعد من الأرض إلى السماء، بحيث لم تبق ظلمة وسطع هذا النور من السماء إلى الأرض، فصاح من على السطح قائلا: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الشام، قال: رأس من هذا؟ قالوا: رأس الحسين بن على قال: جماعة سيئة هذه، لو أن بقى لعيسى عليه السلام فإننا نضعه فى عيوننا، ثم

قال: يا قوم لدىَّ عشرة آلاف دينار وهى ميراث حلال إذا كنتم تسلموننى هذه الرأس إلى الصباح، فأنا أعطيكم هذا الذهب الحلال، قالوا: أعطنا، فأحضر الذهب فأخذوه وقسموه فيما بينهم وأعطوه الرأس فغسله ونظفه وطهره، فعجن ماء الورد والمسك والكافور، ووضعه (وأدخله) فى منافذه وقبله، ووضعه فى جانب، وظل يبكى حتى طلع الصباح وقال: أيها الرأس العظيم إن لى السيطرة على نفسى وأشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمد صلى الله عليه رسول الله وأسلم، وأصبح مولى الحسين رضى الله عنه، ثم سلمهم الرأس مرة أخرى، فوضعوه فى الصندوق ومضوا، ولما وصلوا بالقرب من دمشق نظروا إلى الذهب الذى أخذوه من الراهب، فأصبح كله فخارًا، وفى مكان خاتم العملة وجدوا (ولا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)[1] وظهر على الوجه الآخر بقدرة البارى تعالى (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[2] فجمعوا هذا الذهب كله وألقوه فى النهر، فبكى كثير منهم وتابوا، ومضوا فى الحال إلى الجبل والصحراء وكانوا كثيرين، وأصر الباقون وحملوا النساء الأسيرات والأطفال الحاسرين على جمل إلى دمشق، ووضعوا هذا الرأس أمامهم فى طست، وكانوا يضربون بقضيب شفة الرأس وأسنانه، وذكر هذا الخبر فى كتاب الخلفاء[3] كاملاً وهو معروف، ولما وصل هذا الخبر سجستان، قال أهلها: إن يزيد لم يسلك مسلكًا حسنًا مع أبناء رسول الله عليه السلام، وهكذا فعل، فثار بعضهم، فأودع عباد سجستان لأهلها، وكان قد جمع عشرين حملاً وكل حمل ألف ألف درهم لبيت المال من غنائم كابل، وأخذ الأموال الأخرى، وعاد إلى البصرة، فعهد عبيد الله بن زياد بأخيه ليزيد بن زياد، وأرسل أخاه أبا عبيدة بن زياد إلى سجستان فى أول سنة اثنتين وستين.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧ .

(٣) لا نعلم عن هذا الكتاب شيئا.

مقدم ولدى زياد بن عباد وأبى عبيدة إلى سجستان

يزيد للإمارة وأبو عبيدة للقيادة

وقدم يزيد سجستان، ومكث مدة طيب السيرة، ثم انصرف عنه أهل كابل، فمضى يزيد إلى هناك بجيش وجمع جيشًا كبيرًا هناك، وحاربوا حربًا صعبة، وقتل خلق كثير من المسلمين ووقعوا فى الأسر ونجا بعضهم، وظل أبو عبيدة فى الأسر ويزيد وصلة بن أشيم العدوى[1] وأبو الصهباء وأبوه وزيد بن جدعان والد على بن يزيد وبديل بن نعيم العدوى، وعثمان بن الأدهم العدوى، واستشهد هناك جمع عظيم من العباد والعظماء (والأعيان)، ولما بلغ الخبر الشام، أرسل يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن أبيه إلى خراسان وسجستان الذى أرسل طلحة بن عبد الله ابن خلف الخزاعى الذى يسمونه طلحة الطلحات إلى سجستان وأرسل رسولاً إلى يزيد بن معاوية برسالة يطلب فيها أن يرسل طلحة إلى سجستان، فأرسل يزيد عهد سجستان لطلحة، وأمر أن يكون سلم خليفة له من بعده وقد جاءه هذا الأمر وهو فى الطريق، فكان أن آمر يا أخى خذ الأمر ثانية.

مقدم طلحة الطلحات إلى سجستان وكان أخوه عمر صاحب الجيش

قدم طلحة سجستان، وكان أخوه عمر صاحب الجيش، وصاحب شرطته مالك ابن أوسى الأزدى، وأرسل رسولاً وافتدى أبا عبيدة والأسرى الذين كانوا معه بخمسمائة ألف درهم، ثم مضى إلى بست، ونظم شئون تلك الديار وعاد إلى سجستان، وكان رجلاً عظيمًا حكيمًا حسن السيرة، ولم يكن له نظير فى الشجاعة

---

(١) صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوى وهو زوج معاذة العدوية (البلاذرى، ص ٤٠٥).

والسخاء، وصار بعدله وسخائه أن أهل سجستان كانوا يقسمون بروحه، وذلك لأن محبته تمكنت فى قلوبهم وكان هكذا يقول الشاعر:

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده فبحيث بت من المـــنازل باتا

شهد الأنام صغيرهـــــم وكبيرهم أن الندى إن مات طلحة ماتا

وبلغ من السخاء منزلة أن أبا الأسد [١]، قدم سجستان يقصده، وبقى مدة على بابه، ولكنهم لم يخبروه، وفى النهاية كتب هذه الأبيات وأرسلها إليه:

ورد السقاة المعطشون فأنهلوا ريـــا وطاب لهم لديك المكرع

ووردت بحرك طاميـــا متـــدفقًا فرددت دلـــــوى شنها يتقعقع

وأراك تقطر جانبًـــــا عن جانب ومحـــل بيتى عن سمائك بلقع

ولما رأى خطه وشعره، تملكه الخجل، وأحضره فى الحـــال، واعتـــذر إليـــه وأعطاه فى يديه ياقوتتين حمراوين ثمينتين وقال: يا أبا الأسد: مـــا أحـــب إليـــك، العشرون ألف درهم أم واحدة منهما فقال: لا أختار قطعة من حجر، فأحـــضر لـــه عشرين ألف درهم، وقال: إنه لا يخدع الناس بهذا فقد اشتريتها بمائة ألف درهـــم، وحملهما أبو الأسد إلى العراق وباعهم بمائة وعشرين ألف درهم.

---

(١) قدم أبو الأسد ذات مرة سجستان لزيارته، وإذا ما فرضنا أن أبا الأسد هذا رجل مغمور وأما أبو الأسد ذلك الشاعر الذى كان معاصرًا لطلحة ويزيد، وليس من المستبعد أن يكون قد مضى إلـــى سجـــستان ولكننا لم نجد عن أخباره شيئًا، وسياق النص يدل على أن أبا الأسد لم يكن موجودًا، لأنه من المـــستبعد أن يمضى أبو الأسد إلى سجستان وأن طلحة لا يعلم بمقدمه.

مقدم الأسود بن سعيد إلى سجستان

وأرسل يزيد بن معاوية أسود بن سعيد إلى سجستان فى آخر سنة اثنتين وستين، ولما مكث عدة أيام، أرسل فى أثره عبد الله بن طلحة الطلحات إلى سجستان فى سنة ثلاث وستين.

مجيء عبد الله بن طلحة إلى سجستان

وبقى عامًا فى سجستان، ثم أرسل يزيد أباه طلحة إلى سجستان فى سنة أربع وستين، وجعل ابنه عبد الله خليفته حتى أن الناس مدحوا حسن سيرته، وبقى طلحة فى سجستان (إلى وقت وفاته) ثم أوصى ابنه قائلاً: ادفنى هنا، فإن هؤلاء القوم يحبوننى حتى ذكرى هنا بين أصدقائى ويذكروننى أعوامًا، لأن من يذكره الناس لا يموت، والكلام الذى قالوه منذ ألف سنة ليس خطأً وهو أن بقاء الإنسان فى الذكر الطيب، وإنى آمل ان أكون من جملة هؤلاء فى هذه المدينة الكبيرة وبين هؤلاء الرجال العظماء الأحرار، وعندما مات نفذ ابنه أمره، ودفنه فى تل مهاجر، وقبره الآن معروف يقول الشاعر ــ وهو عبد الله بن قيس الرقيات[1]:

رحم الله أعظمًا دفنوها ... بسجستان طلحة الطلحات

ولما مات طلحة، تمرد جيشه على يزيد بن معاوية، واستقر كل شخص على ناحية من نواحى سجستان، ولما كان الأمر كذلك، ترك ابنه القصبة وعاد، فاستولى

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن غالب، لقب بعبيد الله بن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعهن رقية، وهو شاعر قرشى..

أبو سليح بن ربعى القشرى على باب طعام، ووكيع بن أسود على أوق، وعبـد المجيـد ابن جميل على خواش وعبدالله بن ناشرة على فراة، وأهملوا القصبة وبسكر بحيث لم يكن لهما واليًا حتى توفى يزيد بن معاوية فى حوران من توابع الـشام لأربعـة عشر يومًا مضت من ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان عمره ثمانيـة وثلاثـين عامًا وثمانية أشهر إلا ثمانية أيام، ودفنوه فى دمشق.

تولى معاوية بن يزيد بن معاوية الخلافة

وتولى معاوية بن يزيد الخلافة فى منتصف ربيع سنة أربع وستين[١]، وكانت كنيته أبا ليلى، وكان فى الأربعين من عمره عندما تولى الإمارة، ولما ضاق الحال عليه قالوا: اتخذ لك (فليكن لك) وليًا للعهد، قال: إنى لم أر من دنياكم الخير وأجعل وبال ما تبقى فى عنكم، وتوفى لأربعة أيام بقين من ربيع الأول سنة أربع وستين، وبايعوا مروان بن الحكم فى الشام وعبد الله بن الزبير فى مكة.

تولى مروان بن الحكم فى الشام

وهو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منـاف، وبايعوه فى جابيه يوم الأربعاء لثلاثة مضت من شهر ذى القعدة سنة أربع وستين.

---

(١) لم يحدد الطبرى وابن الأثير اليوم والشهر الذى تولى فيه معاوية بن يزيد الخلافة.

تولى عبد الله بن الزبير فى مكة

وهو عبد الله بن الزبير بن العوام، وكانت كنيته أبا حبيب، بايعه أهل العراق، وكان اسم أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق، ولما استقام له الأمر، أعطى الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى البصرة وخراسان وسجستان الذى كانوا يسمونه القناع[1]، ثم أرسل القناع عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كيز إلى سجستان.

مقدم عبدالعزيز أميرًا من قِبل الحارث بن عبد الله

وقدم سجستان، وأحسن إلى الناس وقال لهم خيرًا، وجمع جيش طلحة وخلع عليهم (وداعبهم) وذكروا له خبر كابل وبست وهو أنهم أعلنوا العصيان.

ذهاب عبد العزيز إلى بست وكابل

ومضى بطريق الصحراء، وجمع زنبيل جيشًا من الأتراك، وحارب حربًا صعبة، حتى عجز المسلمون وأرادوا أن يفروا أمام قوة الأعداء وشجاعتهم، وكان عمر بن شان العرى رجلاً شجاعًا ومعروفًا، وكان مع عبد العزيز فى موضع

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى المعروف بالقناع (البلاذرى، فتوح البلدان ، ص٤٠٥).

واحد، فحمل على زنبيل[1] وهزموه، وقتلوا كثيرًا من الأتراك وهزموهم، ووجد المسلمون كثيرا من الغنائم وكثيرًا من الغلمان والخيول والسلاح، واستقام له أمر كابل وزابل، وعاد إلى سجستان منصورًا، وكان رجلاً عالمًا وكان يحب العلماء، واستدعى ذات يوم رستم بن مهر هرمز المجوسى وأجلسه، وكان متكلم سجستان، وقال له: إن للدهاقين حكمًا فقل لى شيئا منها، قال: إن الجاهل هو من يفتعل الصداقة، ويرائى فى تقوى الله، ويصاحب النساء بغلظة، ويرى منفعته فى إيذاء الناس ويريد أن يتعلم الأدب بسهولة، فقال له: زدنا، فقال الدهقان: ماء النهر حسن حتى يصل إلى البحر، والأسرة فى سلامة ما لم تلد ابنًا، والصداقة بين شخصين فى صلاح ما لم يصل إليها سوء ظن، والعالم دائمًا قوى مادام الهوى لا يغلب عليه، وأمر الملك والملك مستقيم دائمًا مادام الوزراء صالحين. وبقى عبد العزيز فى سجستان حتى توفى مروان بن الحكم فى شهر رمضان سنة خمس وستين، وكان يبلغ من العمر اثنتين وستين عامًا، وكانت مدة ولايته عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام، وصلى عليه ابنه عبد الملك بن مروان الذى كان وليًا لعهده، ودفنوه فى دمشق، وبايع أهل الشام عبد الملك.

تولى عبد الملك بن مروان بن الحكم الخلافة

وكانت كنيته أبا ذنان، وتولى فى شهر رمضان سنة خمس وستين، ونعود إلى حديث عبدالله بن الزبير، فقد عزل الحارث بن عبد الله من إمارة العراق، وأعطى العراق لأخيه مصعب بن الزبير، وكتب لمصعب رسالة بذلك، وجعل عمل سجستان لعبد العزيز الذى كان فيها على الدوام إلى عام اثنتى وسبعين حينما قصد

(١) يذكر البلاذرى وابن الأثير أن زنبيل قتل فى هذه المعركة، إلا أن مؤلفنا يقول انه هزم فقط.

مصعب بن الزبير محاربة عبد الملك، وسلك طريق الشام إليه مع جيش عظيم، كما أن عبد الملك قصده أيضًا وسلك طريق العراق، حتى وصل الجيشان إلى دير جاليق، ووقعت بينهما مواقع وحروب كثيرة، حتى وقعت الهزيمة مرة على جيش مصعب الذى قتل لأنه لم يهرب، وكان له من العمر أربعون عامًا، ولما حل عام ثلاثة وسبعين، أرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير، ودخل الحجاج الحرم، وصوب المنجنيقات على الكعبة، ومكث هناك مدة، وكان يقتل الناس فى الحرم، حتى قتل عبد الله بن الزبير فى يوم السبت لثلاثة عشر يومًا بقين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وعلقه (نكسه) على نخلة وهو بلا رأس، وبذلك استقر الأمر لعبد الملك، ثم أسند إلى الحجاج العراق وخراسان وسجستان، ثم أعطى الحجاج لأمية بن عبد الملك خراسان وسجستان، وأعطى أمية سجستان لابنه عبد الله بن أمية.

مقدم عبد الله بن أمية إلى سجستان
فى عصر الحجاج سنة أربع وستين من الهجرة

ما إن انقضى شهر حتى مضى عبد العزيز، ومكث عبد الله مدة فى سجستان، ثم مضى إلى بست، وحارب زنبيل، واستولى على ملتقى الطرق، ولما ضاق الأمر على زنبيل أرسل إليه حمل حمار من الذهب هدية متعهدًا بعدم الحرب، واصطلح على ألفى ألف درهم، وله ثلاث مائة ألف درهم، ولما بلغ هذا الخبر إلى عبد الملك عزله.

مقدم موسى بن طلحة بن عبد الله[1] إلى سجستان

وأرسل الخليفة موسى بن طلحة بن عبد الله إلى سجستان، وعاد عبد الله وبقى موسى هناك حتى أول سنة خمس وسبعين، وتوفى بشر بن مروان أخو عبد الملك فى البصرة، وقدم الحجاج الكوفة، ومكث فيها عدة أيام، ثم عاد إلى البصرة، واستخلف عروة بن المغيرة بن شعبة على الكوفة، ولما استقر بالبصرة جمع جيشًا ليحارب الخوارج، الذين كانوا قد خرجوا من كل مكان، وانضم الناس خاصهم وعامهم معهم، وكان قوادهم من صناديد العرب وعظمائهم، من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولما وقعت الوقائع بين المسلمين، وخرجت الأمور عن حدها إذ لم يروها فى الكتاب والسنة وكانوا يزدادون يومًا بعد يوم، ولما ظهرت أحداث أمير المؤمنين عثمان والذين اجتمعوا حوله من الصحابة، وأنكروه حتى بلغ الكلام معه إلى أن يقتلوه على تلك الحال وكذلك حرب الجمل ومقتل طلحة والزبير وهؤلاء العظماء الذين كانوا ضمن الجماعتين، ثم خلاف معاوية وحرب صفين وحديث الحكمين ونية أبى موسى الأشعرى وخدعة عمرو بن العاص وقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثم اجتماع القوم مع معاوية، وعزل الحسن بن على عن الخلافة، وقتل الحسين بن على وكل أهل المصطفى صلى الله عليه وسلم فى عصر يزيد بن معاوية، وأخذ رأس الحسين وحريم آل بيت المصطفى(ﷺ) وهن عاريات الرأس إلى الشام، وضرب شفاه الحسين وأسنانه بالقضيب حيث إن النبي(ﷺ) قبلهما آلاف المرات، ثم قتل مصعب بن الزبير وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصرعبد الملك بن مروان، ثم إرسال الحجاج بن يوسف إلى مكة لدق حرم الله تعالى وقبلة الإسلام بالحجر والمنجنيق، وإزهاق دماء كثيرة بغير حق فى الحرم، وقتل عبد الله بن الزبير وتعليقه فى شجرة، وما تبقى من ذلك

---

(١) لم يذكر هذا الاسم عند الطبرى والبلاذرى فى تاريخهما .

إذا ذكرناه كله لطال بنا الكلام، ولما رأى جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأحوال قالوا: إن الدنيا لا تساوى الدين ونحن نعلم أن العبد ليس معصومًا من الخطأ والوقوع فى الهفوات، أما أن تمر الساعات والأيام والشهور والأعوام على هذه الحال وبهذا الإصرار، فقد برأوا منهم، وكان رجلاً عظيمًا هو قطرى بن الفجاءة[1]، الذى كان من سادات العرب كان مع عبد الرحمن بن سمرة هناك، وكان صديقًا لأهل سجستان، ولما نهض من العراق وخرج من جماعته، طلبوه وقصدوه، فكان لابد له أن يحارب، ووقعت حروب كثيرة، ثم أرسل أشخاصًا إلى سجستان وذكروا هذه القصة، وأن مثل هذه الأشياء وقعت فى الإسلام، واتفق معهم أهل سجستان خاصهم وعامهم، ولما دبر الحجاج هذا التدبير، وجهز الجيوش، وأرسل عبيد الله بن أبى بكرة بجيش عظيم إلى سجستان، وجعل حربش ابن بسطام التميمى قائدًا للجيش، ورافقه ابنه بو بردعة بن عبيد الله بن أبى بكرة أيضًا بجيش كبير.

مقدم عبيد الله بن أبى بكرة إلى سجستان فى عصر الحجاج

وقدم عبيد الله بن أبى بكرة بجيش، ولما وصل مشارف سجستان كان حربش ابن بسطام التميمى قد جاء من قبله بجيش كبير، ومضى أهل سجستان لمحاربته، وحارب جماعة الخوارج حربًا عنيفة وقتلوا خلقًا كثيرًا، وأجهد الظمأ والجوع جيش حربش وقتل منه الكثير، وقتل فى ذلك اليوم شريح بن هانى الحارثى وعبد الله

---

(١) كان من عظماء الخوارج وكنيته أبو نعامة ويتصل نسبه بمازن بن مال بن عمرو بن تميم وعندما كان مصعب أخو عبد الله واليًا على العراقيين، ظهر قطرى، وكان خليفة على الخوارج مدة عشرين عامًا ورائدًا لهم، وكان يلقب بأمير المؤمنين، وقد انتصر أكثر من مرة على جنود بنى أمية، وحارب المهلب وأبناءه حروبًا كثيرة، وفى آخر أمره سقط من واد وقتل سنة ٧٩هـ.

ابن عباس بن ربيعة بن عبد المطلب ثم عاد جماعة منهزمين إلى القصبة، فقدَّم إليهم الناس الطعام فأكلوا، ولما أكلوا كثيرًا ماتوا جميعًا بحيث لم يبق أحد من هذا الجيش إلا قتيلاً أو ميتًا، ولما قدم العرب بعدهم، ورأوا الأمر كذلك سموهم جيش الفناء، ثم وصل عبيد الله بن أبى بكرة سجستان فى أول سنة ثمان وسبعين، وجعل ابنه بوبردعة واليًا على الخراج وكان اسمه المغيرة، ومكث عبيد الله هناك مدة، ثم مضى إلى بست عن طريق الصحراء، وعهد بسجستان إلى ابنه بو بردعة، ولما وصل بست، كان زنبيل قد أعد جيشًا وكان على مقدمته، وكان مع عبيد الله جيش كبير، وحاربوا حربًا شعواء(١)، ووقعت وقائع عظيمة بينهما، كان آخرها الصلح على سبعمائة ألف درهم، ومات عبيد الله فى بست بسبب مرض فى الأذن، وقبره موجود الآن فى بست، ثم مضى ابنه بو بردعة لمحاربة زنبيل، وضاق الأمر على زنبيل حتى قبل الصلح وذلك من الكرة الأولى، ففتح الثانى الطريق، وعاد إلى سجستان، ولما وصل خبر وفاة عبيد الله إلى الحجاج، جمع جيشًا، واختار عشرة آلاف فارس من بين مائة وعشرين ألفًا، وجهزهم بما يجب تجهيزهم من السلاح والدواب والرواتب (العتاد) وجعل عمر بن عطا قائدًا عليهم، ثم استدعى عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندى، وأعطاه ولاية سجستان، وجعل هذا الجيش كله تحت يده، وأمرهم بأن يدينوا له بالطاعة، وسموا هذا الجيش جيش الطواويس، وذلك لأن جميع الصناديد وأبناء النعم من العرب كانوا فيه، وقدم عبد الرحمن مع هذا الجيش.

---

(١) كانت للخوارج الغلبة عل سجستان، حيث يقول المؤرخون المسلمون الذين ذكروا هذه الحرب إنها كانت فى حوزة عبد الله بن أبى بكرة وإنها وقعت فى ملك رتبيل بالقرب من كابل وإن شريح بن هانىء قتل مع جميع المسلمين فى هذه الحرب وإن عبيد الله قد مات أيضًا فى هذه الحرب بسبب مرض بالأذن، وأن أعدادًا كبيرة قد ماتت من بعده عطشًا أو جوعًا، وهذه الحرب كانت مع الخوارج فى زرنج كما يقول مؤلف تاريخ سجستان، يقول البلاذرى: إنها حرب كانت ضد زنبيل وليست ضد السيستانيين، انظر فتوح البلدان. ص ٤٠٦ والطبرى جـ٣، ص ١٠٣٨ وابن الأثير جـ٤، ص ١٧٤.

مقدم عبد الرحمن بن محمد الأشعث إلى سجستان فى سنة اثنتين وثمانين

ومنذ أن قدم عبد الرحمن سجستان، كان قد قدمها همام[1] بن عدى السدوسى وهو قائد عظيم من قواد الخوارج بجيش عظيم، فحاربه عبد الرحمن، وقتل خلقًا كثيرًا من الطائفتين، وفى النهاية انهزم همام، وأرسل عبد الرحمن رءوس هؤلاء الصناديد الذين قتلوا إلى الحجاج، ودخل القصبة، وكان عبد الله بن عامر المجاشعى من عظماء سجستان، ولما سمع خبر مقدم عبدالرحمن مضى إليه، وأرسل بو بردعة رسالة إلى المهلب بن أبى صفرة ــ وكان المهلب واليًا على خراسان ــ قائلاً له: أرسل إلينا رجلاً عمل بجيش حتى لا يضعف أمرى هنا، حيث كثر الخوارج، فأرسل المهلب وكيع بن أبى بكر بن وائل، فاتفق بو بردعة ووكيع على أن يصالحا أبا عبد الله بن عامر الذى كان أبوه قائدًا لجيش سجستان وكان عبد الله يحافظ على الناس، ولما وصل عبد الرحمن طلب عبد الله بن عامر واستدعاه وأكرم وفادته، وأدخله المدينة وكان يصنع كل شيء بمشورته وتدبيره[2] وكان أهل سجستان شيعة لعبد الله بن عامر وكان منهم عظماء سجستان، ثم مضى عبد الرحمن لحرب زنبيل، وأودع سجستان لعبد الله بن عامر، ودخل بست فى نهاية سنة اثنتين وثمانين، وحارب زنبيل حربا شعواء، وقتل عددًا كبيرًا من الكفار، واستولى على غنائم كثيرة، ثم نظم جيشه وعاد على سجستان، فوصلته رسالة الحجاج يقول فيها: حصّل الضرائب من الناس، واهجم على الهند والسند، وأرسل فى الوقت نفسه عبد الله بن عامر، ولما قرأ عبد الرحمن الرسالة، صلى العشاء وأحضروا إليه الطعام حتى يأكله، وكان طائرًا سمينًا على المائدة، فأكله واستحسنه، وسأل قائلاً للطباخ حدثنى عن أمر هذه الدجاجة، قال: إن هذه الدجاجة أرسلها عبد الرحمن بن عامر مع غيرها وكلهم على هذا النحو، وفى الحال أرسل شخصا

(١) ذكر المؤلف اسم هذا الشخص عل أكثر من وجه. ذكره همام وبعده ذكره همان.ولكنه ورد عند ابن الأثير (هميان) إلا أننا نرى أن (همام) هى الأقرب للصواب.

(٢) لم تذكر الأمهات من كتب التاريخ الموثوق بها هذا الخبر وينفرد به هذا الكتاب.

واستدعاه، وعندما جلس، عرض عليه رسالة الحجاج قال عبد الله: إن لله زمنا طويلاً وأوصيك، فضحك عبد الرحمن وقال: إنه عمر منحك الله إياه ولم أقدر على اعتقاله، أما إن استطعت بما يقوله الحجاج فإنى لن أصنع، فأنت آمن، فهل من الواجب أن آكل طيرك وأن أجفوك بأمر من الحجاج وأصبح مأخوذاً بدمك، ابسط يدك وكل شيئًا، فسر عبد الله وأكل شيئًا، ثم رد على رسالة الحجاج بقوله: أنا أغزو الهند والسند ولكنى لا آخذ شيئًا بغير حق ولا أريق دمًا ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والسلام[1]، وأرسل الرسالة إلى الحجاج، ثم جاءته رسالة منه بالتهديد، فنهض ومضى إلى كابل، وهناك حارب زنبيل، وصادقه فى الخفاء، وأحسن إلى أهل سجستان وبست، وبهذا أصبحت هذه النواحى حتى زابل وكابل والهند والسند ، ومواطنوها كلهم تحت أمره، وعزم على أن يخالف الحجاج لسوء معاملته له وللمحرمات التى يقترفها من إراقة الدماء بلا حق وعدم رعايته الرعية، وكان معه كثير من أهل العلم فى هذا الرأى، وكان من جملتهم عمر الذى كان يعقد مجلس التذكير وكان فصيحًا يقول كلامًا بليغًا، واجتذب قلوب أهل تلك النواحى، وجعل للدين وللشريعة مساغًا فى قلوبهم، وصرح بأن ما صنعه الحجاج يتجافى مع الشريعة، وبايع عبدالرحمن فى السر، وكان يدعو الناس، ثم أرسل عبد الرحمن رسالة فى هذا الموضوع إلى المهلب بن أبى صفرة الذى كان فى مرو، قائلاً له: أنت ترى وتسمع عن سوء ما يصنعه الحجاج واعتقاده الشئ والأشياء التى صنعها فى الإسلام، ومضى عبد الرحمن إلى كابل، وكان يأخذ البيعة من الناس فى كل الأماكن، ولما فشا هذا الخبر وانتشر، مضى أبى بن سفيان الدوسى إلى الحجاج، وأخبره بحديث عبد الرحمن، وفى الحال أرسل الحجاج رسولاً إلى عبد الملك بن مروان وأخبره، فأجاب عبد الملك عليه فى الحال، أن اجمع الجيوش من كل مكان، وأعد العدة والعتاد وتركه تحت تصرف الحجاج، فجمع الحجاج

---

(١) لم يرد هذا الخبر فى كتب التاريخ الأخرى وبذلك يعد خبرًا جديدًا ولطيفًا (من تعليقات بهار).

وجهزه ومضى قاصدًا عبد الرحمن الذى عزم أيضًا على مواجهة الحجاج، فوصلا إلى البصرة[1]، وكان الحجاج فيها وخرج منها قبل وصول عبد الرحمن، وصعد عبد الرحمن المنبر فى ذلك اليوم وهو فى البصرة، وذكر أفعال الحجاج، وتعرض لهؤلاء الأشخاص الذين كانوا معه، وتضامن معه فى ذلك اليوم أربعة آلاف من العباد من العراقيين ولم يكن لهم غرض سوى خلع الحجاج، وفى اليوم التالى مضى خلف الحجاج وتحاربوا فى الزاوية حربًا شعواء، وقتل خلق كثير، وفى النهاية انهزم عبد الرحمن، مضى إلى الكوفة عند مطر بن ناحية الرياحى[2]، وبايعه مطر وأهل الكوفة، ولما قوى أمره عاود القتال، وحارب فى دير الجماجم إحدى وثمانين مرة، انهزم الحجاج فى ثمانين منها وفى الأخيرة هزمه الحجاج، وقتل وغرق معظم رفاقه، وضاع بعضهم فى الصحارى وكان منهم عامر الشعبى[3] الذى ضل طريقه فوصل إلى ما وراء النهر، وسعيد بن جبير الذى وصل إلى مكة، أما عبد الرحمن فقد اتجه إلى البصرة ومن خلفه الحجاج، إلا أنه وصل فارس ومنها إلى كرمان إلى أن دخل سجستان، وقبله أهلها فيها، وأرسل الحجاج رسالة إلى المهلب فى خراسان، أن أرسل جيشًا يطلب عبد الرحمن بن الأشعث فى سجستان، وفى الحال أرسل المهلب ابنه مفضل بجيش غفير إلى سجستان، وأرسل الحجاج من البصرة عبد الرحمن بن العباس الهاشمى مع ألفى فارس إلى سجستان، وعندما علم عبد الرحمن بن الأشعث بذلك مضى من سجستان إلى بست، ومضى عبد الرحمن

---

(١) يقول ابن الأثير: نزل الحجاج بتستر وجاء إلى البصرة بعد المعركة التى اشتبك فيها مع جيش عبد الرحمن فى (دجيل) وهزمت فيها مقدمة جيش الحجاج فى يوم عيد الأضحى سنة واحد وثمانين من الهجرة. (الكامل جـ٤، ص١٧٩).

(٢) ذكره ابن الأثير بتاريخه مطر بن ناجية اليربوعى.

(٣) هو أبو عمرو عامر بن سراخيل بن عبد ذى كبار الشعبى الحميرى كان من أهل الكوفة، ومن التابعين المشاهير كان رجلاً فاضلاً عالمًا وزاهدًا، تتلمذ عل يد ابن عباس، وقتل على يد الحجاج بن يوسف فى شعبان سنة خمس وتسعين أو أربع وتسعين (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٢٨٨).

الهاشمى والمفضل بن المهلب بجيشهما فى أثره إلى بست، وبين بست ورخد اشتعلت حرب شعواء، و قتل خلق كثير من كلا الفريقين، وانهزم عبد الرحمن بن الأشعث، وأسر معظم رفاقه، وكان من ضمن هؤلاء الأسرى يزيد بن طلحة بن عبد الله الطلحات ونصر بن أنس بن مالك وعبيد الله بن فضالة الزهرانى، وكثير من أهل العلم، وأرسلوا هؤلاء الأسرى إلى يزيد بن المهلب، الذى أحسن إليهم فى الخفاء، وأعطاهم عطاءً كثيراً، أما عبد الرحمن بن الأشعث فمضى إلى زابلستان فى أمان زنبيل، فوصل الخبر إلى الحجاج، فأرسل عمارة بن تميم القيسى إلى زنبيل وحضر واختلى بزنبيل، وكان قد أرسل العهود قائلاً: إن جيشك لم يأت بعد إلى ولايتك ولا أريد منك مالاً وبيننا صلح ومودة، فأرسل إلى عبد الرحمن بن الأشعث ورفاقه، فقيد زنبيل عبد الرحمن وذلك الرجل، وأحضر حلقة وضع قدم عبد الرحمن فى ناحية منها، وناحية أخرى فى قدم ذلك الرجل فقال عبد الرحمن: يجب أن أكون على حافة السطح، فسحبوا الاثنين إلى الحافة فألقى عبد الرحمن بنفسه من فوق السطح، فوقعا كلاهما، وأسلما الروح، وكان اسم صاحب عبد الرحمن أبا العنبر[1] وأخذ عمارة بن تميم رأسيهما، وأرسلهما إلى الحجاج، ووقع هذا فى رخد، ودفنوا جثته فيها، وأرسل الحجاج رأس عبد الرحمن إلى عبد الملك فى دمشق، فأرسلها عبد الملك إلى عبد العزيز بن مروان فى مصر، ثم دفنوا رأس عبد الرحمن فى مصر، وجثته فى رخد، وفى هذا يقول الشاعر:

هيهات موضع جثة من رأسها ... رأس بمصر وجثة بالرخج

وكانت الحرب التى كانت بين عبد الرحمن والحجاج فى دير الجماجم فى سنة ثلاث وثمانين، وبقى عامين فى بست وزاول، وكان مقتله فى سنة خمس وثمانين،

---

(١) لم تذكر كتب التاريخ اسم هذا الشخص الذى كان مع ابن الأشعث وسقط معه من فوق السطح إلا أن البلاذرى يقول فى هذا الصدد: إن الشخص الذى كان مع عبد الرحمن كان حارسه ومقيدا معه بالسلاسل وسقط معه (البلاذرى، ص٤٠٧)،

وقدم عمارة بن تميم سجستان بعد أن أتم هذه المهمة، وعرض ما وعد به الحجاج، ولكن لم يمر وقت طويل إلا وانعزل بأمر من الخليفة عبد الملك، وقدم مسمع ابن مالك(١).

مقدم مسمع بن مالك إلى سجستان فى سنة ست وثمانين

ولما جاء مسمع إلى سجستان كان أبو خلدة مع كثير من الناس الأعيان فى سجستان، وحاربوا مسمعًا كثيرًا، وفى النهاية اعتقل أبوخلدة، وأرسل مسمع رسالة إلى الحجاج وعرفه، فأجاب الحجاج: أن أرسل لى أبا خلدة، فأرسله إلى الحجاج، وفى السنة نفسها مات مسمع فى سجستان، وعينوا مكانه ابن أخيه محمد بن شيبان ابن مالك، وتوفى عبد الملك بن مروان فى دمشق لأربعة أيام مضت من شهر شوال سنة ست وثمانين، وكان يبلغ من العمر اثنين وستين عامًا، ودامت خلافته ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا ستة أيام ثم بايعوا الوليد بن عبد الملك فى دمشق فى اليوم نفسه الذى مات فيه عبد الملك.

(١) يقول اليعقوبى فى كتاب البلدان: إن رتبيل كان يكره عمارة بن تميم اللخمى، ولما استقرت العلاقة بين الحجاج ورتبيل، عزل الحجاج عمارة عن سجستان (من تعليقات بهار نقلاً عن كتاب اليعقوبى).

تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة

وكانت كنية الوليد أبا العباس، وكان توقيعه يا وليد إنك ميت، ولما تولى الوليد، أعطى الحجاج العراق وخراسان وسجستان، فأعطى الحجاج خراسان وسجستان لقتيبة بن مسلم.

مقدم قتيبة بن مسلم فى رجب سنة ست وثمانين إلى سجستان

ومضى قتيبة أولاً إلى سجستان، وكان على مقدمته عمرو بن مسلم، ومضى حتى دخل سجستان، ومكث هناك مدة، ثم مضى إلى خراسان، واستخلف عبد ربه ابن عبد الله هناك، وهو عبد ربه بن عبد الله بن عمرو الليثى، ولما مضى قتيبة إلى خراسان، وأقر الأعمال، أرسل الأشعث بن بشر اليربوعى إلى الحجاج كى يخبره بما يتم من حديث سجستان وخراسان الذى لم ينته، وأرسل حملاً مع الرسول، وكان الأشعث رجلاً فصيحًا على قدر من الكفاءة والبشاشة وحسن الكلام، فلما رآه الحجاج وعن كل ما سأله سمع جوابًا حسنًا منه، فولى الأشعث عل سجستان، وعزل قتيبة، الذى عزل فى الوقت نفسه عبد ربه، وأرسل النعمان بن عوف اليشكرى إلى سجستان، ومنذ أن وصل النعمان إلى سجستان، كان الأشعث بن بشر قدم سجستان من قبل الحجاج فى سنة اثنتين وثمانين، ومكث الأشعث فى سجستان مدة، ثم مضى إلى بست، وأبرم زنبيل مع الأشعث صلحًا معروفًا، وعاد الأشعث إلى سجستان، وأرسل رسالة إلى الحجاج فى هذا الصدد، وقد عاب الحجاج هذا الصلح وغضب، فعزل الأشعث وأرسل إلى قتيبة عهدًا ومنشورًا جديدين لسجستان، وأرسل قتيبة أخاه عمرًا بن مسلم إلى سجستان، ومكث عمرو بسجستان عدة أيام،

ثم مضى إلى بست وبدأ الحرب مع زنبيل وفى النهاية تم الصلح على ثمانمائة ألف درهم، فأرسل عمرو رسالة إلى قتيبة وعرفه، فأبلغ قتيبة الحجاج ولكنه لم يرض، وأجاب على قتيبة أن امض بنفسك لمحاربة زنبيل وقدم قتيبة بن مسلم سجستان.

مقدم قتيبة بن مسلم إلى سجستان ثانية فى عهد أخيه عمرو

ولبث مدة فى سجستان، واجتذب إليه الناس، وكان رجل عمل، وكان يجمع العلماء فى كل يوم ثم مضى من هنا إلى بست، ومكث مدة، وجهز جيشاً، وجمع ألف زوج من الثيران القوية وألفين من الفلاحين (المزارعين) مع الآلات الزراعية التى تلزمهم، وحملهم لمحاربة زنبيل، ومضى إلى هناك ليحارب ويقتل، ولما سمع زنبيل هذا الخبر، اشتد عليه هذا، ودخله الفزع، وعلم أنه (أى قتيبة) لا يريد العودة، فأرسل رسولاً يعرض (يقدم) ضعف ألف ألف درهم كل سنة (وقبل زنبيل أن يرسل فى كل عام حملين من ألف ألف درهم) وأرسل أول سنة فى سنة أربع وتسعين، وراجع قتيبة وقدم سجستان من هناك ومضى إلى خراسان، واستخلف عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثى على سجستان ثانية، وبعد أن مكث عبد ربه هناك مدة، أرسل قتيبة منيع المنقرى إلى هناك، وأمر أن يقيدوا عبد ربه ويحبسوه، فلما جاء منيع، أحسن إلى عبد ربه، ولم يحبسه، وكان يأخذ منه المال بالرقة واللطف، فوصل الخبر إلى قتيبة، فعزله، وأرسله النعمان بن عوف اليشكرى إلى هناك، فقبض النعمان على عبد ربه وقيده، وأذاقه أنواع العذاب وأخذ ماله، وفى ذلك الوقت عزل الحجاج قتيبة بم مسلم عن خراسان وسجستان وأرسل يزيد ابن المهلب إلى خراسان وسجستان.

مقدم يزيد بن المهلب إلى خراسان عاملاً عليها
وإرسال أخيه المدرك بن المهلب إلى سجستان

لما وصل مدرك بن المهلب سجستان، توفى الوليد بن عبد الملك فى دمشق، وكان عمره ثمانى وأربعين سنة، ودفن فى مقبرة الباب الصغير فى دمشق، وفى ذلك اليوم تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة، وكانت كنيته أبا أيوب، وأعطى سليمان خراسان وسجستان ليزيد بن المهلب، وبقى مدرك بن المهلب مدة فى سجستان حتى عزل يزيد بن المهلب مدرك، وأرسل ابنه معاوية بن يزيد بن المهلب إلى سجستان، وقدمها، وسلك مع الناس سيرة حسنة، ومكث فيها، حتى توفى سليمان بن عبد الملك فى دابق[1] يوم الجمعة، لعشرة أيام بقيت من شهر صفر سنة تسع وتسعين، وكان عمره خمسًا وأربعين سنة، وتولى عمر ابن عبد العزيز بن مروان الخلافة.

تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من شهر صفر سنة تسعة وتسعين

وكانت كنيته أبا حفص، وفى اليوم الذى تولى فيه الخلافة، جمع وكلاءه، وعمل حسابه معهم، وكلف مناديًا أن ينادى أن من له خصومة مع أحد فليقدم، ومن يطلب الإنصاف فسوف يجد الحل، ثم جمع نساءه وجواريه وطلقهن جميعًا، وأعطاهن مهورهن ونفقتهن وعدتهن، وأعتق الأخريات، وأعطى كلاً منهن جهازًا

---

(١) دابق قرية بالقرب من حلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ ويوجد بها قبر سليمان بن عبد الملك (معجم البلدان، جـ٢)

وعين لكل منهن زوجًا، وباع بهائمه وضياعه فكان ثمنها أربعة وعشرين دينارًا[1]، فتصدق بها ثم خطب قائلاً: أيها الناس لقد جعلتم فى عنقى مسئولية عظيمة وقد ضمنتها، وسأجتهد أن اعمل بمقتضى طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنته، وأن أسلك طريق الخلفاء الراشدين، وقرب أهل العلم والزهاد، وأسند إليهم الأعمال، وعلق فى أعناقهم ما علقه الله فى عنقه من عهود، وأرسل جراح ابن عبد الله الحكمى إلى خراسان وسجستان، وأمره قائلاً: يجب أن تصنع ما صنعت أيضًا من أن عمالك يجب أن يكونوا من أهل الدين والورع والعلم والزهد.

مقدم سباك بن المنذر الشيبانى

وأرسل جراح سباك بن المنذر الشيبانى إلى سجستان، وكان رجلاً تقيًا طاهرًا حسن السيرة، ومكث هناك مدة، ووجد الناس منه النعمة والرخاء، ثم قامت الفتنة، فعزل عمر بن عبد العزيز الجراح من سجستان.

مجىء عبد الرحمن إلى سجستان

وأرسل عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد القشيرى إلى سجستان، ثم عزله.

(1) هكذا فى النص .

مقدم معارك بن الصلت سجستان

وأرسل معارك بن الصلت إلى سجستان، وكان هذا كله فى أقل من عام، ثـم توفى عمر بن عبدالعزيز يوم الجمعة لخمسة أيام بقيت من شهر رجب سنة إحـدى ومائة، وكانت مدة ولايته عامين وخمسة شهور وخمسة أيام، وهو ابن أم عاصـم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان حفيدًا لعمر، فقالوا: عـدل العمـرين فـى سيرته، وتوفى فى دير سمعان من توابع حمص، وأجلسوا يزيد بن عبد الملك فـى ذلك اليوم.

تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة فى رجب سنة إحدى ومائة

أرسل يزيد فى مطلع سنة اثنتين ومائة عمر بن هبيرة إلى العراق وخراسـان وسجستان وقتل يزيد بن المهلب فى شهر صـفر من هـذا العام، ومكث سـرى ابن عبد الله مدة فى سجستان، ثم أرسل حكم بن عبد الله إلى سجستان، وجعل عمر ابن هبيرة للصلاة والحرب وأسند إلى القعقاع بن سويد المال والخراج ولم يمض وقـت طويل، حتى أسند أمر الإمامة (الصلاة) والحرب والمال والخراج كلها إلى القعقاع، وكان ذلك فى آخر سنة أربع ومائة، وأقام القعقاع مجلسًا للشراب والطعام واللهـو، صنع فيه معظم أهل سجستان ما صنعه، فأصابهم ما أصابهم مـن تخمـة، وكـان القعقاع دائمًا عاملاً على سجستان حتى توفى يزيد بن عبد الملك فى حوران يـوم الجمعة لخمسة أيام بقيت من شعبان سنة خمس ومائة، وكان عمره سبعة وعشرين عامًا، ومدة خلافته أربعة أعوام وشهرًا، ويقول البعض إنه توفى فـى البلقـا فـى

الشام، ويقــول آخرون: إنه توفى فى ســواد الأردن، وبايعوا هشام بــن عبـــد الملك فى اليوم نفسه .

تولى هشام بن عبد الملك الخلافة فى يوم الجمعة لخمسة أيام بقيت من شهر شعبان سنة خمس ومائة

وكانت كنية هشام أبا الوليد، وعزل هشام عمر بن هبيرة فى أول سنة ســت ومائة عن خراسان، وأعطى خالد بن عبد الله القسرى العراق وخراسان وسجستان، وأرسل خالد حبلة بن هماد الغطفانى إلى سجستان، وقدمها حبلة فى أول سنة ســت ومائة، وبقى مدة طويلة فى سجستان، ثم أرسل خالد يزيد بن العريف الهمدانى فى أول سنة سبع ومائة إلى هناك، وأرسل يزيد بلال بن أبى كشته إلى زنبيل، فمضى بلال مباشرة، إلا أن زنبيل لم يدن له بالطاعة، فعاد بلال إلى سجستان ثانية، وعين يزيد بشر الحوارى أميرًا للشرطة، وجاء فى الليل خمسة من الخوارج وقتلوا بشرًا، وظلوا يقاتلون فى الليل حتى قتلوا، وكانت الغلبة فى سجستان للخوارج، وأعطـــى يزيد بن العريف قضاء سجستان لمعمر بن عبد الله ، الــذى كـــان مـــن عظمـــاء سجستان، وهو المعمر الذى جاءت عنه روايات حديث رسول الله (ﷺ) ولما غلـــب الخوارج على سجستان، عزل خالد بن عبد الله يزيد، وأرسل أصفح بــن عبـــد الله الشيبانى إلى سجستان فى سنة ثمان ومائة، وكان محمد بن جحش قائـــدًا لجيـــشه، فمكثا وقتًا فى سجستان، ثم مضيا لمحاربة زنبيل، وكان معهم عمـــر بـــن بجيـــر، وكانوا قد بقوا عدة أيام فى بست سنة تسع ومائة، ثم مضوا إلى زنبيل، وحـــاربوا حروبًا صعبة، وفى النهاية أغلق زنبيل الطريق على المسلمين، وقتل كثيـــر مـــن المسلمين من العظماء، وأسر سوار بن الأشعر، وجرح أصفح فـــى رأســـه وقـــدم

سجستان، ومات بها شهيدًا، وكانت هذه المقاتلة[1] فى سنة تسع ومائة، ولما وصل الخبر إلى خالد بن عبد الله القسرى، اغتم، وأرسل محمد بن حجر الكندى إلى سجستان، وقدمها، ومكث بها مدة، ثم أرسل خالد بن عبد الله، وعبد الله بن بلال ابن بدة بن أبى موسى الأشعرى إلى سجستان، وجاءها فى شعبان سنة إحدى عشر ومائة، وسار فى الناس سيرة حسنة، وأقام العدل، وبنى مصلى باب فارس، ومازال هذا المصلى موجودًا حتى الآن، واشترى كل هذه الساحة بالذهب والفضة، كما اشترى كثيرًا من مشغلاتها ووقفها عليه، ودفع ثمن كل ما اشتراه نقدًا، وأسند قضاء سجستان إلى عبد الله بن الحسين الذين كانوا يقولون له أبا حرير، وكان من عباد الله الصالحين، وكان عظيمًا فى العلم، وتروى عنه أكثر روايات الحديث للبصريين وفى أثناء ولاية عبد الله بن بلال وقع زلزال شديد لم يره أحد من قبل، وعظم أمر الخوارج فى سجستان، وكان عبد الله بن بلال واليًا حتى سنة ستة عشر ومائة وفيها عزل خالد بن عبد الله القسرى[2]، وأعطى العراق وخراسان وسجستان ليوسف بن عمر، الذى أرسل إبراهيم بن عاصم العقيلى إلى سجستان فى رجب من سنة ستة عشر ومائة، وقدم إبراهيم سجستان، وكان معه نحيف بن عمير الشاعر، واعتقل عبد الله بن بلال، وأرسله إلى العراق، واستمر يوسف بن عمر حتى موته يطالب عبد الله بن بلال لأخذ ماله، ولما اشتد عليه الأمر، أعطى مستخرجًا مالاً قائلاً: قل عن يوسف إن عبد الله بن بلال أسلم الروح، فقال لمستخرج: أحضره أمامى حتى أراه وهو ميت، فرجع المستخرج وقتله، وحمله إلى يوسف بن عمر، وبقى إبراهيم بن عاصم أميرًا على سجستان بالسيرة الحسنة وإقامة العدل، حتى

---

(١) يقول البلاذرى: فى خلافة يزيد بن عبد الملك لم يعط زنبيل شيئًا للعمال العرب وقال: ماذا سيصير من قوم حلوا بنا وضمرت بطونهم ولفحتهم الشمس من الصلاة ونعالهم من ليف النخل؟ فقالوا له: لقد انقرضوا فقال: إنهم أقوى صلة منك وأشد قوة ولوكانت وجوهكم أجمل منهم، فقالوا ماذا أصبح من الحجاج الذى كنت تدفع له ولا تدفع لنا، قال: الحجاج رجل لا يهمه ما ينفق فى سبيل تحقيق هدفه، أما أنتم فلا تنفقون درهمًا إلا إذا عاد عليكم بعشرة ، (البلاذرى، ص ٤٠٨).

(٢) يذكر ابن الأثير أن خالد بن عبد الله القسرى عزل عن العراق وخراسان سنة ١٢٠هـ.

توفى هشام بن عبد الملك فى أرض قنسرين[١] يوم الأربعاء لستة أيام مضت من شهر ربيع الآخر سنة خمسة وعشرين ومائة، وكان يبلغ من العمر ستًا وخمسين سنة، ومدة خلافته تسع عشرة سنة، وستة أشهر وأحد عشر يومًا، وفى يوم وفاته، بايعوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة
فى ربيع الأول فى العام الخامس والعشرين بعد المائة

وكنيته أبو العباس، ثم أسند إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولاية العراق وسجستان وخراسان، ثم أرسل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حرب بن قطن ابن مخارق الهلالى إلى سجستان وأول سنة مائة وست وعشرين، وتوفى إبراهيم ابن عاصم فى سجستان فى صفر فى السنة نفسها، وخرج فى العام نفسه فى العراق عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ذى الجناحين[٢] على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ودعا الناس إلى الرضا عن أهل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وظهر وجمع جيشًا، ومضى عبد الله بن عمر لمحاربته، ووقعت وقائع كثيرة بينهما، وفى النهاية انهزم ذو الجناحين ومضى على سباهان، وقدم سجستان منها، ولما دخل ذو الجناحين حدود سجستان، لم يرد حرب بن قطر أن يحاربه فعهد لسوار بن الأشعر سجستان ومضى، ولما وصل الخبر إلى عبد الله بن عمر بأن حربًا لم يرد أن يحاربه، عزل حربًا عن سجستان، وأسندها إلى محمد

---

(١) يقول ابن الأثير إن هشامًا توفى فى الرصافة وهى مكان فى صحراء الشام.

(٢) فى رأى الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل: إن عبد الله بن معاوية كان يعتقد فى التناسخ، وكان يعتبر الثواب والعقاب فى تناسخ الأرواح، وكان يعد نفسه وصى بنى هاشم الذى ينتسب إليه الهاشميون(من تعليات بهار).

ابن عروان، وقدمها فى شعبان سنة مائة وست وعشرين، واعتقل حربًا وحبسه وعثمان ابن ربيعة، وأخذ منه مالاً كثيرًا، ولما كان الحال هكذا، كان حرب رجلاً عادلاً حسن السيرة، وأرسل مشايخ سجستان وعظماؤهم وفدًا إلى عبد الله بن عمر فى العراق، وطلبوا أن يطلقوا سراح حرب بن قطن، وجعله عاملاً على سجستان مرة أخرى، وأن الناس لن يسعدوا بغيره، فتركوه للرجال، حتى قتل الوليد بن يزيد ابن عبد الملك يوم الخميس، لليلتين بقيتا من جمادى الآخر سنة ست وعشرين ومائة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر واثنين وعشرين يومًا، وبايعوا يزيد بن الوليد.

تولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الخلافة يوم الخميس في شهر جمادى الآخر سنة ست وعشرين ومائة

وسموه يزيد الناقص، ثم أبقى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على ولاية العراق وخراسان وسجستان، وأرسل عبد الله بن عمر حرب بن قطن إلى سجستان، حتى توفى يزيد بن الوليد فى دمشق، فى ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وكانت مدة خلافته خمسة أشهر ويومين، ثم بايعوا أخاه إبراهيم.

تولى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة في ذى الحجة سنة مائة وستة وعشرين

جعل إبراهيم عبد الله بن عمر أيضًا على ولاية العراق وسجستان وخراسان، وأرسل عبد الله بن عمر حرب بن قطن إلى هناك.

أول تعصب بين الفريقين

ثم وقعت الفتنة فى سجستان من قبل العرب، بين بنى تميم وبين بكر ابن وائل، وكان من هذه المجموعة من كانوا رفاق قطرى بن الفجاءة، وكانوا يتحدثون عن فضائل الصحابة، ونشبت حروب كثيرة، وكان فى كل يوم حرب وأصبح الغوغاء وأهل سجستان جميعهم فريقين، وكانت كل طائفة تبحث عن ود الطائفة الأخرى، ولما خشى حرب بن قطن على نفسه، مضى من سجستان، وكان سوار ابن الأشعث خليفته على سجستان، ثم أرسل عبد الله بن عمر سعيد بن عمر من أهل سعيد بن العاص إلى سجستان، وقدم سعيد بن عمر سجستان فى المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة. ثم دان بنو تميم بالطاعة لسعيد بن عمرو، وأعلن بنو بكر العصيان عليه، ثم قدم بجير بن سهلب بمنشور وعهد مزورين من قبل أمير المؤمنين على سجستان وكرمان وكان بجير بن سهلب بكريًا، وسوار بن الأشعث تميميًا، ثم وقعت بينهما حروب ووقائع شديدة،وقتل خلق كثير، وكان سعيد بن عمر أيضًا من أنصار بنى تميم، وقتل فى هذه الواقعة سبعون شيخًا غير الشباب، وسموا هذه الحرب بحرب الشيوخ، وكان بجير بن سهلب من بست، وقتل فى هذه الواقعة كثير من الأعيان منهم علاء بن عبيد الله الحجازى، ثم اجتمع غوغاء سجستان وأخرجوا سعيد بن عمرو والبحترى بن سهلب كليهما من القصبة، وتولى سوار ابن الأشعر الإمارة فى جمادى الآخر سنة مائة وثلاثين.

مقدم سوار بن الأشعر فى سجستان

فخرجوا على سوار، وقتلوه فى الشهر نفسه، ثم طلبوا البحترى بن سهلب، ولم يجدوه، وخرج من المدينة خمسون ألف رجل من الغوغاء، ووجدوا البحترى

فى الرمال وقتلوه، وولوا هيثم بن عبدالله بن البغاث الإمارة بشرط ألا يترك بكريًا يأتى إلى سجستان، ثم قدم شيبان الخارجى[1] واتحد مع أهل المدينة، وعاد عبد الله ابن معاوية ذو الجناحين إلى سوار سجستان فحاربه غوغاء المدينة وشيبان الخارجى، وقتل شيبان، ولم يكن مع ذى الجناحين جيش كبير، واتحد عوام سجستان وغوغاؤها وحاصروه، ولم يستطع ذو الجناحين أن يصنع شيئًا، ومضى منها إلى فراة، وكان إبراهيم بن الوليد الخليفة قد عزل عبد الله بن عمر عن العراق وخراسان وسجستان فى هذه الأثناء، وأسندها ليزيد بن عمر بن هبيرة، ولما صارت الأحوال على هذا النحو، بزغت الفتنة فى كل جانب، وظهر مروان بن محمد ابن مروان فى حران وقال: الخلافة لى، وقدم حمص من هناك حيث كان عبد العزيز ابن الحجاج هناك، فتحاربوا، وأخذ حمص، ومضى سليمان بن هشام بجيش لحربه بأمر من إبراهيم بن الوليد، وحاربوا حربًا قاسية بين دمشق وحمص، وقتل الحكم وعثمان ولدا الوليد بن عبد الملك فى هذه الحرب، وقدم مروان بن محمد من هناك إلى غوطة، ونزل على حدود دمشق، ولما رأى إبراهيم بن الوليد أن أمره قد ضعف، خلع نفسه، وسموه المخلوع، وبايعوا مروان بن محمد.

تولى مروان بن محمد الخلافة فى سنة سبع وعشرين ومائة

وكانت كنيته أبا عبد الملك، وكانوا يلقبونه بمروان الحمار، وقامت فتنة كبيرة فى عصره فى خراسان وسجستان والعراق وفى كل مكان، وظهر أبو مسلم ابن عبد الرحمن بن مسلم و دعا للرضا من آل الرسول(ﷺ)، وانضم إليه أناس من

(١) هو شيبان بن عبد العزيز أبو دلف اليشكرى، من الخوارج الحرورية الذين ظهروا فى العراق سنة١٢٧هـ وخرج على مروان الأموى مبايعًا الضحاك بن قيس الخارجى، وبعد قتل الضحاك اختير شيبان هذا لرئاسة الخوارج (ابن الأثير: الكامل فى التارخ، جـ٥، ص١٣١).

كل لون، واجتمعوا حول حافة الصحراء، ولما كثر جمعه،دخل مرو، وحارب نصرًا بن سيار، وهزمه، ومضى نصر إلى العراق حتى وصل ساوة، وهناك انتهى الأجل، وتوفى، ثم أرسل أبو مسلم قحطبة بن شيب الطائى[1] بجيش كبير إلى العراق، كما أرسل مالك بن الهيثم مع ثلاثين ألف رجل إلى سجستان.

مقدم مالك إلى سجستان

كان هيثم بن عبد الله قد قدم سجستان من طرف مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم ومعه ألف فارس من الشام، ولما قدم مالك من جهة أبى مسلم إلى هناك نزل على باب المدينة وقال لأهلها: يجب أن تسلموا إلى هيثم بن عبد الله والجيش الذى معه، قال الناس: يقبح أن نأسر رجلاً كان أميرًا وأن نسلمه إلى العدو، نحن لا نصنع هذا ونحارب، وفى النهاية تم الصلح على ألف ألف درهم، وسلموا هيثم ابن عبد الله وجماعته إلى مالك، وضمنوا سلامته، وأرسلوه للشام، وفتحوا أبواب القصبة والقلاع، حتى يدخل مالك بن الهيثم المدينة من ناحية أبى مسلم.

نهوض أبى مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم صاحب الدعوة يوم الإثنين من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة

وقتل مروان بن محمد يوم الخميس لستة أيام بقيت من شهر ذى الحجة سنه إحدى وثلاثين ومائة، قتله عامر بن إسماعيل فى دمشق[2]، وكانت مدة خلافته

---

(١) قحطبة بن شبيب بن خالد بن حمدان الطائى، كان نقيبا من اثنى عشر شخصا لبنى العباس فى خراسان.

(٢) من المعروف أن مروان بن محمد لم يقتل فى دمشق، بل قتل باتفاق المؤرخين فى مصر، يقول الطبرى: إنه قتل فى عين شمس، ويقول ابن الأثير: إنه قتل فى كنيسة بأبى صوير، ولم يعرف من =

أربعة أعوام وعشرة شهور،وانتهى به ملك بنى أمية،وقدم أبو مسلم العراق، وأحضر أبا العباس وأبناءه من المدينة وأهل البيت كلهم إلى الكوفة، وبايعه، وكان هو أول خليفة من ولد عباس بن عبد المطلب.

تولى أبى العباس السفاح الخلافة وبيعته

تولى يوم الجمعة لثلاث عشر يومًا مضت من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ثم أعطى أبو مسلم سجستان فى خلافة السفاح لعمر بن العباس بن عمر ابن مطارد بن حاجب بن زرارة، وجعل عمر أخاه إبراهيم بن العباس على مقدمته، وقدموا سجستان، وأعطاه ولاية السند، وفى اليوم الذى أراد أن يمضى فيه إلى السند، طلب إلى أخيه عمر أن يقول للناس أن شيعوه، ثم أمر عمر يزيد بن بسطام الذى كان واليًا لشرطته أن ينادى: إنكم تشيعون أخا الأمير لأنه ماضٍ إلى ولاية السند، وكانت منزلة عمر عظيمة عند أبى مسلم، وخرج الناس، وكان معه ثلاثة آلاف من الغوغاء والخواص والعوام، ومعهم جماعة من بنى تميم، وقد وقعت فتنة من غوغاء سجستان فى ذلك الوقت، ولكن أساء الأدب واحد من بنى تميم فأمر إبراهيم: أن يضربوا عنقه، فثار بنو تميم، وقتل يزيد بن بسطام الذى كان صاحب الشرطة، ودارت الحروب والمعارك الشديدة، وزج الغوغاء بإبراهيم وجيشه كله فى القتال، وخدعوا بنى تميم بمصادقتهم وقتلوهم جميعًا، وأغاروا على خيولهم ومتاعهم وسلعهم، وأصبح الحفل مأتمًا، واضطربت المدينة كلها ثم قصدوا عمر بن العباس

= قتله، وفصل أهل الكوفة رأسه وجعلوها كأسًا يشربون فيها شراب الرمان، وقتل فى الثامن والعشرين من شهر ذى الحجة، ويقول المسعودى: إنه قتل فى ليلة السبت السابع والعشرين من ذى الحجة فى "أبو صوير".

الذى كان قد خرج من المدينة بسبب الهجوم عليها على طريق بست التى قـصدها، وكان قد قدم من بست إلى سجستان مطر بن ميسرة وكان من بنى تميم، وكان قـد مضى ألف فارس من بنى تميم على أثر عمر بن العباس. واتصلت الجيوش الثلاثة فى وسط الصحراء، ولما عرف مطر بن ميسرة الأمر ساعد بنى تمـيم، وقامـت حرب صعبة، وقتل هناك عمر بن العباس، وقد وصل مطـر بـن ميـسرة إلـى سجستان فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فى شهر جمادى الأولى،ولما بلغ الخبر إلـى أبى مسلم أرسل أبا النجم عمار بن إسماعيل إلى سجستان على أساس إذا كان عمر ابن العباس حيًا فهو الأمير، وإن لم يكن حيًا فالإمارة لك، ولما قـدم أبـو الـنجم سجستان، كان من يسمى أبا العاصم قد قدم سجستان من بست بجيش كبير، واتحـد معه بنو تميم، وحاربوا أبا النجم وهزموه، واستولى أبو عاصم على سجستان بـلا عهد ولا منشور سلطانى[1]، حتى توفى أبو العباس السفاح فى الأنبار لثلاثة عـشر يومًا مضت من ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وكانت مـدة خلافتـه أربـع سنوات وثمانية أشهر، وبايعوا فى هذا اليوم أبا جعفر المنصور للخلافة.

تولى أبى جعفر المنصور أخى السفاح

وكان اسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلـب، ولمـا تولى المنـصور، دبر حيلة لقتل أبى مسلم لأنه كان مستاء منه منـذ أيـام أخيـه، وكتب الرسائل إليه، وكان أبو مسلم فى مرو، وكان المنصور يرسل إليـه الرسـل تباعًا، إلا أنه لم يأت، وأقسم له فى النهاية، وعقد معه العهد أنه سيكون معه ولـن

---

(١) كلمة السلطان فى ذلك الوقت كانت تعنى الخلافة، معلوم أن أول من لقب بهذا اللقب هو السلطان محمود الغزنوى وذلك بعد أن حاصر خلف بن أحمد فى القلعة فلقبه بالسلطان.

يخونه، ومضى أبو مسلم ذات مرة مع جماعة، وقال: ليكن ما يحدث من قضاء، حتى وصل إلى نيسابور، فوصلت الرسل بالهدايا من ناحية المنصور، إلى أن قدم الرى، ولما وصلها ترك رأيه وحكمته فيها، ومضى إلى همدان، فوصل الرسل بالهدايا ثانية، ومضى إلى حلوان، وأحضروا الخلع، فمضى إلى النهروان، فوصلت الجيوش لاستقباله، ودخل بغداد فى أحسن هيئة وكرامة وعزة، ولما وصل بابها ترك جيشه فى الميدان، وعندما وصل إلى الحجاب، اعتقلوا خواصه، وقالوا: اجلسوا، وحملوا أبا مسلم وحيدًا، وعندما دخل وسط القصر، نزعوا سلاحه، وكان المنصور جالسًا تحت قبة، وأعد الغلمان لقتله خارج مكان حضرته، وقال لهم: عندما تسمعوننى أصفق ادخلوا واقتلوه، ودخل أبو مسلم وقبّل الأرض، وطلب أن يبدى عذره فى التأخير، وكان المنصور يوجه له أشياء وكلمات قاسية، وكان يذكر له مساوئه، وكان أبو مسلم يبدى لكل واحدة منها حجة، وبعد ذلك صفق ولكن الغلمان لم تكن عندهم الشجاعة فى ذلك الوقت لقتله، إلا أن أبا منصور أمسك فى يده قضيبًا من حديد، وضرب رأس أبى مسلم، وكان أبو مسلم حتى هذا الوقت يقبّل الأرض وعندما عرف الغلمان أن المنصور يضربه بالحديد دخلوا، وقتلوا أبا مسلم، وحدث هذا فى آخر شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم نهض المنصور بعد أن قتله، وصلى ركعتين، وشكر الله تعالى بعد ذلك، وقال: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا الله لَفَسَدَتَا)، ونعود إلى حديث سجستان، وأصبح أبو عاصم عظيمًا فى سجستان، وصاحب جاه، ومضى من سجستان بجيش كثيف ليستولى على خراسان، واستخلف عتاب بن العلا على سجستان، وكان أبو داود واليا على خراسان، وكان خبر سجستان قد وصله، فماذا يصنع أبو العاصم هناك؟ شق عصا الطاعة وقصد خراسان، ثم أرسل أبا داود سليمان بن عبد الله الكندى بجيش كبير إلى سجستان لمحاربة عاصم.

مقدم سليمان بن عبد الله الكندى

لما وصل سليمان إلى سفزار[1]، سمع أهل سجستان خبره، فاجتمعوا، وأرسلوا عبيد الله بن العلا والحصن بن الربيع بجيش مجهز للهجوم على أبى عاصم من خلفه، ووصلوا أبا عاصم فى فراة، وقاتلوا قتالاً عنيفا، وقتلوا أبا عاصم هناك، واستقبلوا سليمان بن عبد الله الكندى، وأحضروه إلى سجستان يوم السبت فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائة، وبقى هناك بضعة أيام، ونزل فى سر لشكر، ولذلك يسمونها سر لشكر، ثم مضى إلى بست ومنها إلى رخد، وهرب زنبيل، وفى هذه الأثناء وصل الخبر إلى المنصور أن هناك فتنة فى سجستان، فأرسل المنصور هنادى السرى إليها[2].

مقدم هنادى السرى إلى سجستان

ومنذ أن قدم سجستان، عاد من بست ونزل هناك، ومن ثم يسمونها الآن سر لشكر سليمان، ووقع هذا الأمر فى سنة إحدى وأربعين ومائة، مضى من هناك لحرب الخوارج، وظهر فى مدينة سر لشكر حضين بن الرقاد، وكان من قرية رون وجول، وكان رجلاً أصيلاً نجيبًا، والتف حوله خلق كثير، وتحارب معه سليمان وقتله، ثم عاد إلى القصبة، وجمع أموالاً طائلة من غزوه لرخد وحربه للخوارج، ونزل فى سر لشكر، ثم وقعت الحرب بين سليمان وهنادى السرى، حيث

---

(١) سفزار مدينة من مدن سجستان تقع ناحية هراة.

(٢) يقول اليعقوبى: إن أول وال جاء سجستان من قبل المنصور هو إبراهيم بن حميد المروذى ومن بعده جاء معن بن زائدة (كتاب البلدان، ص٢٨٥ نقلا عن بهار).

اتحد أهل المدينة مع هنادى، لأنه كان معه عهد المنصورولواؤه، ثم سجن هنادى سليمان، ثم أعطى المنصور ولاية سجستان إلى زهير بن محمد الأزدى فى آخر سنة إحدى وأربعين ومائة.

مقدم زهير بن محمد الأزدى إلى سجستان

وفد زهير سجستان، وقال هنادى: لن أترك لك القصبة، وحاربوا، وقتل هنادى السرى، وتولى زهير، وأدخل سليمًا السجن لأنه كان قويًا، وأرسل شجاع ابن عطا بجيش عظيم إلى السند، وغزا هناك غزوات، وحصلوا على أموال وفيلة كثيرة، ثم عاد، فوقع بينهم وبين زهير خلاف، وتحارب معهم زهير، وفى النهاية وقع فى الحصار، وكان زياج بن همام الراسب مع زهير وكان رجل عمل، وكان هذا الحصار فى ذى الحجة سنة ثلاثة وأربعين ومائة، واستولى شجاع بن عطا على السواد والقصبة، حتى وجد زياد بن همام مصلحته فى المخالفة، وأخرج زهيرًا من الحصار، وأدخل شجاع بن عطا وجماعته تحت أمره فى المحرم سنة أربع وأربعين ومائة، ثم جهز جيشًا وجعل عتيبة بن موسى قائدًا له، وأرسله إلى بست، وجمع عتيبة بن موسى حوله جماعة من هؤلاء المتمردين ليدخلهم فى طاعته، فبلغ زهير الخبر، فاستخلف عبيد الله بن العلا على سجستان، ومضى إلى بست، ولما اقترب منها، رجع عتيبة بن موسى، أما زهير فنقل العزى، وعسكر بين رخد وبست، وهناك اشتعلت حرب صعبة، وقتل عتيبة وأرسل زهير رأسه إلى المنصور، ولم يقتل بكر بن أبان الذى كان مع عتيبة، فقيده، ثم وصلت رسالة المنصور يقول فيها: استخلف على سجستان رجل عمل، وأحضره إلى البلاط فورًا، فاستخلف زهير عبيد الله بن العلا إمامًا للصلاة والحضين بن محمد على

الخراج، ومضى إلى المنصور حاملاً معه زياد بن همام الراسبى فى سنة خمس وأربعين ومائة، ولما وصل هناك، اختار المنصور المهدى وليًا للعهد.

تولى المهدى الخلافة[1] وإرسال يزيد بن منصور إلى سجستان

وأرسل المهدى خاله يزيد بن منصور إلى سجستان، وبعد أن وصل زهير إلى العراق، واصطحب يزيد بن منصور زياد بن همام معه إلى سجستان، ودخل المدينة يوم الثلاثاء لثلاثة مضت من شهر شوال سنة ست وأربعين ومائة، وأحسن إلى الناس، وكان رجلاً عادلاً، فمكث مدة، ثم مضى إلى بست فى سنة خمسين ومائة، وذلك بسبب أن رجلاً ظهر من(لغمريات) واسمه محمد بن شداد حيث انضم إليه آذرويه المجوس ومرزبان المجوس ومجموعة كبيرة سيئة، ولما قوى أمره قصد سجستان، وخرج يزيد بن منصور لمحاربته، واستخلف عثمان الطارابى على سجستان، وتطاولت الحروب بينهما، وفى النهاية لحقت الهزيمة بيزيد بن منصور، وسلك طريق نيسابور، وكان معه عبيد الله بن العلا فاستخلفه وهو معه فى الطريق وأرسله إلى سجستان.

(١) لعل المؤلف قد أخطأ فى هذا العنوان، لأن خلافة المهدى العباسى بدأت فى عام ١٥٨هـ، ويبدو أن المؤلف كان هدفه هو أخذ البيعة للمهدى وخلع عيسى بن موسى ولاية العهد بينما هذا الأمر حدث فى سنة سبع وأربعين وليس خمسًا وأربعين، وهذا الخطأ حدث فى العنوان.

مقدم عبيد الله بن العلا إلى سجستان فى سنة إحدى وخمسين ومائة

وقدم عبيد الله بن العلا سجستان خليفة فى أول سنة إحدى وخمسين ومائة، وكان هناك، ولما وصل الخبر إلى المنصور بما وقع، أرسل معن بن زائدة الشيبانى إلى سجستان.

مقدم معن بن زايدة الشيبانى إلى سجستان

وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك[1] وكان مطر بن شريك أخا خوفران بن شريك، ودخل القصبة فى شعبان سنة إحدى وخمسين ومائة، وعزل عبيد الله بن العلاء وكل أتباعه، وأرسل يزيد بن مزيد[2] إلى رخد، ومضى فى أثره، وأرسل إليه زنبيل الهدايا من الأوانى الفضية والثياب التركية المصنوعة من الحرير وأشياء رقيقة[3]، ولكن معن عد هذا قليلاً، وغضب، ولما وصل بست قدم إليه يزيد بن مزيد، وأمره أن يستولى على مفترق الطرق، حتى وصله خبر مقدم زنبيل، وهجم هجمات كثيرة بجيش كبير، وهجم عليهم فجأة، وأسر ثلاثين ألف رجل منهم فى مكان واحد، ولكن طلب صهر زنبيل الأمان، وقدم إلى معن،

---

(١) أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب، وذكره أيضا ابن الكلبى فى جمهرة النسب كما يأتى معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة ابن همام بن ذهل، والرواية الأخيرة أقرب إلى الصحة. (من تعليقات بهار).

(٢) هو ابن أخى معن بن زائدة، من كبار وشجعان وأسخياء أمراء العرب، وعين على إمارة أذربيجان وأرمينية فى عهد هارون الرشيد (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٤٢٠).

(٣) يقول البلاذرى: إن زنبيل أرسل إلى من الخراج ليرسله إلى الحجاج، إلا أن زنبيل أرسل جمالاً وعبيدا وأشياء كثيرة، فغضب من ذلك معن(البلاذرى، ص٤٠٨).

وأمنه، وكان اسم هذا الصهر ماويد، وأحضره معه إلى سجستان، وأرسله مع عدد كبير من أعوانه معززين مكرمين إلى المنصور، فأحسن المنصور إليه، وأمـر أن يكتب اسمه ومن معه من الجند فى ديوان الجند، وأقر لهم رواتب الجنـد، وعنـد عودة معن أوقف أهل بست كلهم، وقدم سجستان من هناك، وكانت هذه هى عادته، فثار أهل سجستان، وكتب عبيد الله بن العلاء رسالة إلى المنـصور شـاكيًا لـه، ولكنهم عثروا على الرسالة وهى فى الطريق، وأحضروها إلى معن، حيث استدعى عبيد الله بن العلاء، وسأله عن هذا الحال ولكنه أنكر، فأمر أن يجردوه من ثيابـه، وأن يضربوه أربعمائة سوط، وأن يضربوا رءوس رفاقه فى هذا العمـل، ولكـنهم فدوا أنفسهم بدفع مال كبير، ثم أخذ أربعين رجلاً من هـؤلاء الخـوارج وقيـدهم، وأرسلهم إلى بست، وأمر أن يكون عملهم بناء قصر له، وأمـرهم بالـسرعة فـى عملهم، وكلما انتهوا من موضع من القصر، كانوا يبدأون فى موضع آخر، وكـان ينفق من أجل هذا مالاً كثيرًا لا يحصى ولا يعد، ثم جاء مروان بن حفـصة[1] ذات يوم من الأيام إليه ــ وكان مروان شاعره ــ ومكث عدة أيام ولم يره معـن، ثـم قال: أين كنت؟ قال: كان عندى ميلاد وكنت مشغولاً بحديثه، قال: ما اسمه؟ قال:

سميت معنًا بمعن ثم قلت له   هذا سمى [illegible]يد المجد والجود

قال: يا غلام أعطه ألف دينار، وقل يا مروان بيتًا آخر، قال:

أنت الجواد ومنك الجود أوله   فإن هلكت فما جود بموجود

فقال ثانية: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

أضحت يمينك من جود مصورة   لابل يمينك منها صورة الجود

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

من نور وجهك تضحى الأرض مشرقة   ومن بنانك يجرى الماء فى العود

---

(١) كان شاعرًا كبيرًا بلغ شهرة عظيمة، وممدوحه الأصيل هو معن بن زائدة الشيبانى (ت ١٨٥هـ).

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

صلى لجودك جود الناس كلهم　　　فصار جودك محراب الأجاويد

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، قال:

لو أن من نوره مثقال خردلة　　　فى السود كلهم لابيضت السود

فقال: يا غلام أعطه ألف دينار أخرى، وقل بيتًا آخر، فقال الغلام: لم يبق فى الخزينة دينار، فقال معن: أقسم بالله تعالى لو كان معى دينار، وقلت أبياتًا هكذا حتى ألف بيت لأعطيتك على كل بيت ألف دينار، وكان هكذا على الدوام، يأخذ المال ظلمًا، ويعطيه جودًا (تكرمًا) ولما كان مبذرًا للمال مسيئًا فى تدبيره خلعه الحكماء من قلوبهم، وذلك بسبب ذلك الظلم الذى كان يرتكبه، فتعاهدت جماعة من الخوارج على قتله مكابرة، ومنذ أن مضى معن إلى بست وكان يمضى على ذلك الجوسق الذى كان قد شيده الخوارج، وصعد إلى سطحه، فشرب الخمر، حتى خرج عليه هؤلاء الخوارج الذين قد تبايعوا على قتله وكان كل منهم يحمل حزمة من القصب معلقة فى عنقه، وفى كل حزمة منها سيف مسلول فقالوا للحاجب: نحن الذين أقمنا (أتممنا) برجه، ولكن الحاجب منعهم، فصاحوا أنت تمنع عنا عطاء الأمير، فسمع معن ضجيجهم، وقال: أدخلوهم، فدخلوا عليه مع ما يحملون، ولما رأوه، استلوا سيوفهم من الحزم، وهجموا عليه، واتخذ ترسًا له من وسادة، حتى جرحوه جراحًا كثيرة ، وفى النهاية مزقوا بطنه إربًا إربًا، حيث كان كبير البطن، وقتل، ودفنوه فى بست يوم الخميس لثمانية أيام مضت من شهر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين ومائة، وجاء يزيد بن مزيد، وكان يبعد عن بست أربعة فراسخ، وقتل هؤلاء الخوارج وبايعه الجيش وأهل سجستان، ووصل الخبر المهدى، فجعل يزيد بن مزيد واليًا على سجستان، وأرسل إليه العهد، وكان هذا فى أول سنة ثلاث وخمسين ومائة، ومكث يزيد مدة طويلة، ثم كتب رسالة، وسلمها لأحد رفاقه من

قبيلة بكر وائل ليمضى بها إلى المهدى يخبره بأن جماعة من الخوارج من قبيلة بكر وائل أرادت أن تضع خراجها فى سجستان، ولما وصل إلى العتبة احتال جماعة من المحتالين على يزيد بن مزيد، ودفعوا لهذا الرجل عشرة آلاف درهم، وزوروا رسالة يزيد، وجعلوها باسم المنصور قائلاً يزيد فيها أعطنى أمرًا اجعل سجستان تحت أمركم فليس للمهدى علىَّ من سبيل، فقرأ المنصور الرسالة، فغضب، وأعطى الرسالة للمهدى قائلاً له: هذه رسالة يا ملك فعزله المهدى، وأسند سجستان إلى تميم بن عمر التميمى من تميم، وكان عامله على هراة، وكان أصله من سرخس، ووصلت الرسالة هراة إلى تميم بن عمر الذى قدم سجستان فى سنة ثلاث وخمسين ومائة، وكان معه الجراح بن زياد بن همام، وكان تميم بن عمر مصاحبًا للمنصور فى رحلة للحج، ثم قيد يزيد بن مزيد وحبسه، فاحتال يزيد حتى هرب ومضى إلى بغداد، ومكث بها مدة متواريًا، وأراد ذات يوم بعدها أن يمر من على جسر، فكان هناك جماعة من خوارج سجستان التقوا به، فعرفوه، وحدث قتال بينهم أسفر عن قتل يزيد بن مزيد لعدد منهم، وأصبح بذلك أنه عمل عملاً كبيرًا، فأرسلوه إلى خراسان، وقد كثر الخوارج فى ولاية تميم بن عمر فى سجستان، وعظم شأنهم، حيث قتلوا الحضين بن محمد يوم عاشوراء فى المحرم سنة ست وخمسين ومائة، وبلغ الخبر المهدى، فأعاد تميم بن عمر إلى هراة ثانية، وأرسل عبيد الله بن العلاء[1] إلى سجستان ثانية، ووصل العهد هناك فى رمضان سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفى أبو جعفر المنصور يوم الثلاثاء قبل يوم التروية بيوم وهو على بئر ميمون سنة ثمان وخمسين ومائة، وكان له من العمر ثلاثة وستون

---

(١) فى فهرست ولاية سجستان عند اليعقوبى ينتهى بذكر هذا الشخص ويقول: فمات أبو جعفر (يعنى عبد الله بن العلاء) وهو عليها، ثم مضمومة إلى عمال خراسان يولونها رجلاً من قبلهم، وذلك أن الشراة غلبت عليها وكثرت عليها، وخراج سجستان عشرة آلاف درهم، ويوزع بين جيوشها وثغورها. (كتاب البلدان، ص٢٨٦ نقلاً عن بهار).

عامًا وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين عامًا إلا يومين، وأصبحت إقامة الحج بعد وفاته في هذه السنة لإبراهيم بن يحيى بن محمد.

تولى المهدى بن المنصور الخلافة يوم الثلاثاء في شهر ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة

وكانت كنيته أبا عبد الله، واسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، وأرسل المهدى حمزة بن مال الخزاعى إلى سجستان، وجعل حمزة بن مالك خالد بن سويد خليفة له على سجستان، فقدمها خالد يوم الأربعاء لأربعة أيام بقين من ربيع الأول سنة تسع وخمسين ومائة، ومكث عدة أيام، أرسل عثمان الطارابى ليحارب نوحًا الخارجي، ومضى عثمان إلى هناك، فأخرج نوح جيشًا، ووقعت بينهما حرب شعواء، وقتل في هذه الحرب من الأعيان زياد بن هما الراسبى، ثم مضى حمزة بن مالك بنفسه إلى سجستان فى آخر سنة تسع وخمسين ومائة، ومكث عدة أيام، وأرسل جيشًا إلى خراسان، وجعل عثمان ابن بسام الأزدى رئيسًا عليهم، ولما وصل فراة، خرج عليه أتباعه، وقتلوه، ودفنوه هناك، ورجع الجيش إلى سجستان، وجعل رئيسهم سعيد بن قثم السعدى، وأنزلوه فى ضاحية المدينة، ودخل حمزة بن مالك الربض[1]، يوم الجمعة فى شهر صفر سنة ست ومائة، وحارب سعيد بن قثم عدة أيام، وعاد عاجزًا، ورجع بالجيش، واستولى على بست، وقوى أمره، وعاد يزيد بن مزيد من خراسان بجيش كبير قاصدًا سجستان فى شعبان سنة ستين ومائة، وعند مقدم يزيد بن مزيد وصلت رسالة من المهدى إلى حمزة بن مالك قائلاً له: اسند ولاية سجستان إلى عبيد الله

(١) الربض هو العمران المقام حول المدينة خارج القلعة الأصلية فى مركز المدينة، وكان ربض سجستان هو المدينة الكبيرة العامرة نفسها ، وقديمًا كان لكل مدينة قلعتان واحدة للحاكم، والمبانى الأهلية التى كانت فى وسط المدينة كانت تمثل قلعة أخرى يسمونها ربض أو حومة.

ابن العلاء، فسلم حمزة الولاية، ومضى إلى العراق، ثم وقعت وفاة عبيد الله في ذى الحجة سنة ستين ومائة في سجستان، وصلى عليه يزيد بن مزيد، وكفنه ودفنه، ثم أرسل يزيد ابنه فياضًا بجيش إلى بست، وجعل مطيعًا بن زياد اللخمى نائبًا عن ابنه في الخلافة، ثم أرسل المهدى زهير بن محمد الأزدى إلى سجستان، وأمر يزيد ابن مزيد أن يخرج من سجستان.

مقدم زهير بن محمد الأزدى إلى سجستان

وقدم زهير بن محمد الأزدى سجستان في أول سنة إحدى وستين ومائة، ومضى يزيد بن مزيد، وتولى زهير الإمارة، وأحسن إلى الناس ثمانية أعوام، إلى أن مات المهدى فجأة في قرية تسمى سريرا[1] من توابع ماسذان، في ليلة الخميس لثمانية أيام بقيت من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، ومدة ولايته عشرة أعوام وشهرًا وأربعة عشر يومًا، وتولى ابنه الهادى الخلافة.

تولى الهادى الخلافة في سنة تسع وستين ومائة

وكان اسمه موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وكانت البيعة لأبيه في بغداد، وجعله وليًا للعهد، وكان موسى في هذا اليوم في جرجان، وأعطى الهادى خراسان لفضل بن سليمان، وبقية سجستان لتميم ابن سعيد، ودخلها تميم في يوم السبت لثمانية أيام بقيت من شهر صفر سنة تسع

(١) ذكر المسعودى اسم هذه القرية (زرين) وزرين وسرى لم أرها في المعجم، ولكن يبدو أن الاثنين لاسم واحد، وذكر ياقوت أن قبر المهدى في قرية (رذ) وهى من قرى ماسبذان.

وستين ومائة، وكان معه بشر بن فرقد عاملاً على خراجها، فمكث تميم بها وقتا، ثم مضى إلى بست، وجعل بشرًا بن فرقد خليفة مكانه، ومضى من بست إلى رخد وحارب زنبيل، وأسر أخاه، وأرسله إلى العراق، ثم أعطى الهادى سجستان لكثير ابن سالم.

مقدم كثير بن سالم لسجستان

وقدم كثير سجستان لثلاثة أيام خلون من شهر ذى الحجة سنة تسع و ستين ومائة، وجعل أسد بن حبلة أميرًا للشرطة، وتوفى الهادى فى عيسى أباد يوم الجمعة لأربعة أيام خلت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكان كثير قد أحسن إلى الناس حتى وفاة الهادى، وكان عمره خمسًا وعشرين عامًا، وكانت مدة خلافته أربعة عشر شهرًا إلا ستة أيام، ثم ترك الهادى الخلافة إلى أخيه هارون الرشيد.

تولى هارون الرشيد الخلافة يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة

وكانت كنيته أبا جعفر، هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وفى اليوم التالى لتوليه الخلافة ولد له ابنه عبد الله المأمون، ثم اضطربت سجستان على كثير بن سالم، وطلب الجيش الرواتب، وحاربوا.

وفى النهاية هرب كثير من سجستان، ومضى إلى بغداد لعشرة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة سبعين ومائة، ثم أرسل هارون الرشيد عهد سجستان وخراسان إلى فضل بن سليمان الذى أعطى الأصرم بن عبد الحميد سجستان، ثم أرسل الأصرم حميد بن عبد الحميد أخاه خليفة له عليها، ودخلها يوم الجمعة لسبعة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة سبعين ومائة، وكان كثير بن سالم بعدها بثلاثة أيام وصل بغداد، وقدم أصرم بن عبد الحميد على أثر أخيه، ومكث مدة هنا فى سجستان، أحسن فيها إلى الناس، حتى أرسل الرشيد عبد الله بن حميد من جهته إلى سجستان.

مقدم عبد الله بن حميد إلى سجستان

كان أول عامل خاص قدم سجستان من قبل هارون الرشيد هو عبد الله بن حميد، ودخلها لثمانية أيام خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائة، وجعل عبد الله ابن عون خليفة له، ومكث هناك مدة، ثم عزله الرشيد، وأرسل عثمان بن عمارة ابن خزيمة المزنى إلى سجستان ثم أرسل عثمان رسالة إلى شبيب بن عبد الله، وجعله خليفة، واستمالة شبيب الناس، فأراح المدينة، وعاد عبد الله إلى العراق، وقدم عثمان بن عمارة بنفسه إلى سجستان يوم الجمعة لسبعة أيام بقيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة، ودخل من باب پارس، وقتل بشر بن فرقد[١] فى هذا اليوم، ولما دخل المدينة، طلب من الناس الهدوء، وكان سبب قتل بشر، أنه قد جرى على الألسنة أن بشرا بن فرقد سبب فتنة سجستان، ثم أرسل ابنه صدقة ابن عثمان بجيش إلى بست، وكان معه مطرف بن سمرة القاضى وجماعة من

(١) بشر بن فرقد اسم جد من أجداد الأسرة الصفارية.

الغزاة، حتى وصلوا رخد، كان الترك قد اجتمعوا هناك، فحاربهم، وانتصر عليهم، وقتلوا كثيرًا منهم، ولم يمض صدقة إلى سجستان لأنه توقف في بست، وكان الحضين الخارجى[1] ومعه جماعة من الخوارج يهجمون على المنطقة ما بين بست وسجستان، فكتب عثمان رسالة إلى ابنه صدقة أن يقدم من بست لمحاربة الحضين، وقدم معه الغزاة، ومضى من هذه الناحية حتى وصل عثمان إلى الخوارج، وانتصر صدقة على الخوارج، وعاد الجيشان إلى سجستان، وأعطى عامة سجستان، وأحسن إلى الناس حتى بلغ حديث سجستان إلى حضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد، وذات يوم وبعد أن عاد الخليفة من الصيد، تقدم إليه الليث ابن ترسل فى الوقت المناسب فاستدعاه، وقال: أنا أرسلك إلى مصر، إذا كنت تعمل وفق ما أمر الله تعالى به، فأنا أعينك على سجستان حتى يصبح شأنك عظيمًا، ثم قال: قال الشاعر:

الزم سجستان واحذر أن تنافيها فإنها جنة سبحان منشيها

ثم قال لمن كانوا حضورًا فى المجلس: إن مصر بلد عظيم، فمنذ ذلك اليوم الذى ذكر فيه أمير المؤمنين سجستان، وكان داود بن بشر المهلبى من العظماء فأسند إليه هارون الرشيد ولاية سجستان، وقدمها داود عن طريق خراسان يوم الخميس لإحدى عشر مضت من شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة، وقدم همام بن سلمة بن زياد بن همام واليًا على الخراج، ومكث بها داود هناك مدة، ثم خرج لمحاربة الحضين ليلة السبت لثلاثة عشر يومًا مضت من ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة، وكان معه الجيش والمتطوعون والغازون، وكانت حربًا شديدة، قتل فيها خلق كثير من الفريقين، وقتل الحضين الخارجى[2]، ورجع داود

---

(١) يذكره ابن الأثير الحصين وهو من موالى قيس بن ثعلبة الذى كان من أهالى أوق.

(٢) يقول ابن الأثير: إن الحصين الخارجى مضى إلى خراسان بعد هزيمة جيش سجستان ومضى إلى يوشنج وهراة وبادغيس، وكتب هارون الرشيد رسالة إلى خالد الغطريف بن عطا والى خراسان يطلب فيها إحضار الحصين، فأرسل داود بن يزيد مع اثنى عشر ألف جندى لمحاربة الحصين، ولكنه =

إلى سجستان، ثم أعطى خراسان وسجستان لرشيد بن فضل بن يحيى، وأرسل فضل يزيد بن جرير إلى سجستان.

مقدم يزيد بن جرير إلى سجستان

قدمها يوم الخميس لاثنى عشر يومًا بقيت من جمادى الآخر سنة ثمان وسبعين ومائة، ولبث فيها مدة، ثم عزل فضلاً، ثم أعطى سجستان لإبراهيم ابن جبريل الذى أرسل إبراهيم بن بسام بن زياد إلى هناك، ودخلها بسام يوم الاثنين لثلاثة أيام مضت من شهر صفر سنة تسع وسبعين ومائة، ومضى إبراهيم فى أثر بسام إليها يوم السبت فى شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، ومكث هناك مدة، ثم مضى إلى بست ومنها إلى رخد، وحارب الترك، وانتصر، ومضى من هناك إلى كابل وغزاها، وغنم منها كثيرًا، ومضى من هناك إلى سجستان، ثم خرج عمر بن مروان عليه فى سجستان، والتف حوله كثير من الخوارج، ومضى إبراهيم بن جبريل مع الغازين لحرب عمر، وتحاربوا حربًا صعبة، وعاد إبراهيم إلى المدينة، ثم أعطى رشيد خراسان وسجستان إلى على بن عيسى بن ماهان، الذى أرسل عليًا بن الحصين بن قحطبة إلى سجستان وقدمها فى غرة شعبان سنة ثمانين ومائة، وبعد أن مرت عشرة أيام أعطى عليًا بن عيسى سجستان إلى همام ابن سلمة، وقدمها بعهد على الخراج والصلاة والحرب، وخلفه وصلت رسالة بعهد إلى ابن على بن عيسى، واسمه الحسين بن على بن عيسى الذى أرسل نصر ابن سليمان إلى سجستان، ودخلها يوم الأربعاء لأربعة أيام بقيت من شعبان سنة ثمانين ومائة، ثم أعطى عليًا بن عيسى ولاية سجستان إلى يزيد بن جرير الذى قدمها

= انتصر بجيشه القليل الذى يبلغ ستمائة جندى على هذا الجيش، وقتل منه خلق كثير (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٦، ص٤١).

بطريق آخر، فى غرة المحرم سنة إحدى وثمانين ومائة، وتوفى فى السنة نفسها مطرف بن سمرة القاضى، وكان قد تولى القضاء عشرين سنة، وكان رجلاً عظيمًا فقيهًا، ثم أرسل عليًا بن عيسى الأصرم بن عبد الحميد إلى سجستان بطريق آخر، وكان معه همام بن سلمة واليًا على الخراج[1] فى السنة نفسها كما ذكرنا، ولما قدم الأصرم سجستان، أصيب بمرض صعب، فاستخلف همام بن سلمة ليحفظ المدينة، وتوفى، ثم أعطى على بن عيسى ابنه عيسى سجستان واستخلف عيسى همام كى يحفظ المدينة، وقدم فى أثره، ولم يمكث فى سجستان طويلاً، ومضى إلى بست، ومنها مضى إلى كابل، ثم عاد إلى بست ثانية ثم قدم سجستان فى أول سنة اثنتين وثمانين ومائة.

ظهور الأمير حمزة بن عبد الله الخارجي في سنة إحدى وثمانين ومائة

كان حمزة بن عبد الله من نسل ذى طهماسب[2]، وكان رجلاً عظيمًا وشجاعًا، وكان من رون وجول[3]، فقد أساء أحد العمال الأدب عليه، وكان حمزة

---

(١) كان فى عهد الفتوحات أن يوكل شخص بالممالك الكبيرة، ويكون له ولاية فى حكم الثغور وأجزاء المملكة الأخرى، وكان هؤلاء الولاة يصرفون أمور هذه الجهات ويستقلون بها، وكانوا يختارون من يقوم بعمل الصلاة وشئون القضاء والمظالم والحرب والصلاة أما الخراج فكان يعهد به إلى آخر (من تعليقات بهار على الكتاب).

(٢) ذكر ابن الأثير أنه حمزة بن أترك السجستانى وأنه ظهر فى سنة ١٧٧هـ ، وذكره البيهقي(حمزة ابن أذرك، ويقول: إنّه جاء فى عام ٢١٣ من جانب ترشز إلى سبزاور، وقتل كثيرًا من أهل بيهق ويبدو أن أذرك أحد أصدقاء حمزة بن عبد الله. (من تعليقات بهار).

(٣) لم يعرف أين كانت تقع رون جول من سجستان، إلا أن لفظ (جول) فى اللهجة الخرسانية تعنى الصحراء الفقيرة، وبذلك تكون (رون جول) من المناطق الصحراوية التى كانت ترتبط بسجستان (من تعليقات بهار) .

عالمًا، ويأمر بالمعروف، وأراد هذا العامل أن يقضى عليه، وفى النهاية قتل العامل، مضى حمزة من سجستان لأداء فريضة الحج، ثم عاد من هناك مع جماعة من رفاق قطرى بن الفجاءة، وكان خوارج سجستان قد ثاروا على خلف الخارجى، واجتمع أتباع الحضين وخلق كثير كان تعدادهم خمسة آلاف، ولما قدم حمزة بايعه أتباعه، وفد بسكر، وخرج هناك وظهر، ومضى عيسى بن على بن عيسى بجيش لحربه، واستخلف حفص بن عمر بن تركة على سجستان، ومضى يوم الجمعة من شهر شوال سنة اثنتين وثمانين ومائة لحرب حمزة، وكان فى هذه الحرب سيف ابن عثمان الطارابى والحضين بن محمد القوسى وروق بن حريس مع عيسى ابن على، وحاربوا حربًا صعبة، وقتل الخوارج خلقًا كثيرًا منهم، ومضى عيسى ابن على منهزمًا إلى خراسان ومضى معه هؤلاء الرؤساء بطريق الصحراء، وفى هذا يقول الشاعر:

يا ابن على أين تسرى فى الفلا ... وكنت ليث الغاب قبلاً مرسلا

بين يدىّ حمزة فى قبيلة ... فصرت فى الجبن لدينا مثلا

ولما كان الأمر كذلك، قدم الخوارج إلى باب القصبة، وتوارى حفص ابن عمر بن تركة، وكان حمزة قد قدم المدينة فى الصباح(الفجر)، وسمع الآذان كثيرًا فى هذه المدينة من غير عدد ولا إحصاء، فتملكه العجب، وقال فى النهاية: عودوا عن تلك المدينة التى يكبرون فيها إلى هذا الحد، ولا ينبغى سل السيف، ونزل فى حلفا باد، وأرسل رسولاً يقول: لن أحارب عامة المدينة، ويجب على عامل السلطان أن يخرج كى نتحارب، فنظروا، فكان حفص بن عمر بن تركة قد مضى، واختفى فى موضع، فقال شاعر جيش حمزة هذين البيتين:

ومن رأى أبدًا أميرًا هاربًا ... متواريًا فى أرضه من أهلها

حفص بن تركة قد نراه خائفًا ... من سطوت قد عاينوا من قبلها

ثم استدعى حمزة أهل سواد سجستان جميعًا وقال: لا تعطوا درهمًا خراجًا ولا مالاً آخر للسلطان، لأنه لا يستطيع أن يرعاكم، وأنا لا آخذ منكم شيئًا قط، فأنا لن استقر فى مكان، ومن ذلك اليوم وما بعده لن يدخل بغداد من سجستان دخل ولاحمل، وفى النهاية اتفقوا على أن يكون أهل المدينة على ولاية أمير المؤمنين هارون الرشيد، وخطبوا له، ومازالت هذه الخطبة لبنى العباس حتى الآن، أما المال فمقطوع، وأما عظماء سجستان الذين كانوا مع عيسى بن على فمضوا إلى على بن عيسى، وطلبوا منه عزل حفص بن عمر الذى أصبح عاجزًا، فأرسل سيف بن عثمان الطارابى إلى سجستان للصلاة والحرب، والحصين بن محمد القوسى على الخراج، وقدما فى المحرم سنة ست وثمانين ومائة.

مقدم سيف بن عثمان الطارابى والحصين بن محمد القوسى إلى سجستان

واعتقلوا حفص بن تركة، وسجنوه واعتقلوا رفاقه، وكان حبيب بن تركة صاحبًا لشرطة حفص، وكان فى در طعام[1] فأرسلوا شخصًا، فاحضروه واعتقلوه، وعذبوا حفصًا عذابًا شديدًا، حتى قتل، ثم أرسل على بن عيسى عبد الله بن العباس قائد جيش خراسان إلى هناك، ودخلها فى غرة ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائة.

(١) درطعام بوابة من بوابات مدينة زرنج، ويقول محمد بن وصيف الجزى شاعر يعقوب بن الليث: بوابة أكاروا بوابة طعام، ويقول الإصطخرى: لمدينة زرنج خمس بوابات واحدة فى الحى الجديد والأخرى فى الحى القديم الذى يفتح على بوابتين تجاه إقليم فارس، وبوابة ثالثة فى كركويه التى تقع على خراسان، والرابع فى نيشك والخامسة بوابة در طعام وهى أكثر البوابات عمرانًا ز

مقدم عبد الله بن العباس إلى سجستان

ومكث هناك مدة، ومضى حمزة إلى نيسابور، وأعلن هنـاك الحـرب علـى ابن عيسى، حتى مضى حمزة إلى خراسان، وعاد، وكان عبد الله بن العباس قـد خـرج إلى بسكر، وأغار كثيرًا، وعاد إلى المدينة ثم أسند على بن عيسى إلى ابنه عيـسى سجستان بطريق آخر، ولما قدم عيسى فراة، وجبى الخراج، وقدم آوق، وقتل هناك خلقًا كثيرًا، ودخل المدينة، ونزل بباب كركوى فى شوال سنة ثمان وثمانين ومائة، ثم وصل حمزة من خراسان، وقتل جميع العمال الذين جاءوا مع الجيش فى بسكر وقدم باب المدينة، وخرج عيسى بن على لمحاربته، وكان معه خلق كثيـر، كـان معه عفان بن محمد فى ذلك الجيش وحاربوا حربًا شعواء، وقتل عفان بن محمـد فى هذه الحرب، فأحضروه إلى المدينة، ودفنوه بجوار مسجده، وكان عفـان مـن علماء زمانه وفقهائهم، ثم مضى حمزة تجاه خراسان، عندما عرف أن هؤلاء القوم لا قدرة لهم، ومضى عيسى بن على فى إثره بجيش يوم الخميس لثلاثة عشر يومًا مضت من شوال سنة ثمان وثمانين ومائة، وفى أثناء هذا الوقت مكث عيسى هناك اثنى عشر يومًا ومضى حمزة إلى نيسابور، وفى إثره عيسى والتقيـا علـى بـاب نيسابور، وتحاربا حربًا عنيفة، فعاد حمزة، ومضى إلى سجستان، ومكث عيـسى عند أبيه فى نيسابور، وأعطى سجستان للحصين بن محمد القوسى، وأرسـل إليـه العهد، وكتب له رسالة، وكان الحصين فى قرية قوس، فأرسل لابنه رسـالة كـى يسيطر على المدينة، وفى النهاية دخل المدينة يوم الثلاثاء العاشر مـن ذى القعـدة سنة تسع وثمانين ومائة، وانتظم أمر القصبة وارتاح الناس به، ووقع زلزال فـى سجستان فى السادس من المحرم من سنة تسعين ومائة، وأرسل على بـن عيـسى رسالة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، وأخبره فيهـا أن رجـلاً مـن خـوارج

سجستان قد ثار ويغير باستمرار على خراسان وكرمان، وقتل عمال هذه النواحى الثلاثة جميعهم، وطلب الخراج، ولم يتحصل درهمًا ولا حبة من خراسان وسجستان وكرمان، ثم بايع الرشيد ابنه المأمون[1] على الولايات الإسلامية جميعها، فى سنة ثمان وثمانين ومائة، وأراد الرشيد أن يأتى بنفسه إلى الرى قاصدًا خراسان لمحاربة حمزة، فقد قوى وازدادت شوكته، واجتمع له ثلاثون ألف فارس وجعلهم خمسمائة ـ خمسمائة، وأرسل كل جمع إلى ناحية من النواحى بحيث لا تقيم فى مكان أكثر من يوم واحد، فبلغ الخبر إلى الرى أنه خرج جيش من بلاد الروم، فرجع من هنالك، ومضى إلى بغداد، وتوفى الحسين بن محمد القوسى فى سجستان سنة ستة وتسعين ومائة، وأحرقوا الدواوين ولما كان الخرج ينقص ويزيد، فعزل الرشيد عليًا بن عيسى من خراسان، وأمر أن يأخذوا ماله، وأسند خراسان إلى هرثمة بن أعين وكذلك سجستان، وأعطى هرثمة سيف بن عثمان الطارابى سجستان.

مقدم سيف بن عثمان الطارابى إلى سجستان

ولما قدم سيف سجستان، كان محمد بن الحسين بن محمد القوسى قد حل محل أبيه واستولى على الولاية، ولم يتركه فى المدينة، فنزل على باب المدينة ومضى إلى المشايخ وقالوا : من الصواب أن ترجع، فعاد، ولم يستطع الاستقرار فى سواد سجستان بسبب حمزة، فمضى إلى فراة، ومنها إلى بست، وهناك حشد جيشًا، وقدم

---

(١) يقول ابن الأثير: فى هذه السنة بايع الرشيد عبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين وولاّه خراسان، وما يتصل بها من همدان ولقبه المأمون .

سجستان، وكان معه أبو العريان، وكان أبو العريان هذا رجلاً عيارًا[١] من سجستان، ويعتبر من القادة الذين لهم رفاق من الغوغاء، فنزل سيف وقادة جيشه فى قصره، وحاربا محمد بن الحسين والخطبة، ولم يكن هناك دخل قط من القرى بسبب خروج الخوارج، فأرسل هرثمة بن أعين الحكم بن سنان إلى سجستان، وكان صالح بن الفكاك قائدا لجيش الحكم، ولكن لم يأتمر بأمرهم محمد بن الحسين، وتحاربا حروبًا، وفى النهاية تصالحا، ونزل الحكم بن سنان فى قصر الحسين ابن بشر بن فرقد، ونزل محمد بن الحسين فى قصر الرجال، ثم قال محمد بن الحسين الحكم، إن الإمارة فى سجستان الآن هى محاربة الخوارج، ولكم الخطبة والصلاة فهذا أمر يسير، فالقوم فى هذه القصبة فى ولاية أمير المؤمنين، إذًا فالحديث فى حرب الخوارج، ثم أرسل الحكم صالح بن حماد على رأس جيش لمحاربة الخوارج، وحاربوا حربًا صعبة، وقتل صالح بن حماد ورفاقه، وعاد قليل منهم إلى القصبة منهزمين، وتوفى سيف بن عثمان الطارابي، وبسبب الخوارج قصد أمير المؤمنين هارون الرشيد فى السنة نفسها، ونزل فى جرجان وكتب رسالة إلى حمزة ابن عبد الله الخارجى.

نص رسالة هارون الرشيد :

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى حمزة بن عبد الله سلام عليك وإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى بعث محمدًا نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا

---

(١) العيار: هو الرجل الكثير الطواف والحركة بذكاء، ويتضح من كتب التاريخ أن العيارين قد ظهروا فى العصر العباسى فى بغداد وخراسان وبصفة خاصة فى سجستان، وكان منهم يعقوب بن الليث، وكان العيارون ينتخبون لهم قائدًا فى كل مدينة يوجدون فيها.

منيرًا ويبشر بالجنة من أطاعه وينذر بالنار من عصاه وأنزل إليه كتابًا عزيـزًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيلاً من حكيم حميد بيَّن فيه حلاله وحرامه وفرائضه وحدوده وشرائع دينه وبلغ محمد رسالة ربه ونصح الأمـة وبـيَّن لهـم السنن الهادية لا اختلاف بين الأمة فيها فى الصلاة وأركانها والحـج والفـرائض والحدود وأوجب الله على عباده طاعة نبيه وجعل طاعته مقرونة بطاعتـه ومـن أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصا الله فلما بلغ به الله عامة الاحتجاج على خلقـه، قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم واختار له ما عنده.

وخلف بين ظهرانى أمته كتاب الله وسنته التى فيها رضى ربه والفوز والنجاة لمن لزمها واعتصم بها والبوار والهلاك لمن خالفها وعمل بغيرها وأمير المؤمنين يدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ويحثك على طاعته وينهاك عـن معـصيته وقـد عرف أمير المؤمنين الذى كان بينك وبين عماله فى خراسان وسجـستان وفـارس وكرمان من المحاربة وسفك الدماء، فأحب النظر إليك ولأصحابك فيما فيه صـلاحك وجمع كلمتكم ورد ألفتكم، وإدخال السلامة والعافية والطمأنينـة علـيكم وخلفكـم بإخوانكم من المسلمين وأعطاكم نصيبكم من الفئ والصدقات والحق والعدل وحقن دمائكم والصفح والعفو والتجاوز عنكم عما سلف من أحداثكم وجرائمكم، وإهدار ما نلتم من دم أو مال أو غير ذلك، فى هذه الحروب بينكم وبين عماله لما نوى مـن الأجر والزجر وحسن المثوبة، ولرغبته فى صلاحك خاصة واستيفائك وخلطك بأهـل طاعته، وما يجب من الإحسان إليك والاتصال عليك، وقد قوت من بلادك وتـرك بصدد منك، ولم يأت منه كتاب ولا رسول قبل كتابه هذا ورسوله وقد أمنك أميـر المؤمنين على دمك ومالك وشعرك وبشرك ووهب لك كل يوم جرمًا كان منك وكل دم أصبته أنت أو أحد من أصحابك، أو حدث أحدثته أو مال نلته أو صـغيرًا أو كبيـرًا كان منك فى هذه الحروب، وصفح عن ذلك وتركه لله وحده لا شريك له إن قبلـت أمانه، وقدمت عليه سامعًا مطيعًا تائبًا إلى الله من ذنوبك داخلاً فى جماعة المسلمين

متمسكًا بطاعته وولاة عهده ولم تعد تنكث، وجعل لك إن قبلت أمانه، وقدمت عليه ووفيت بما اشترط عليك عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة آبائه وأشد ما أخذ الله على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين من عهد وميثاق بالوفاء لك ولأصحابك بالأمان على دمائكم وأموالكم وجميع ما أحدثتم فى الحروب التى كانت بينكم وبين عماله ما وقيتم، ولم تبدلوا ولم تغيروا ولم تغدروا، فاقبل نصيحة أمير المؤمنين ونظره لك ولأصحابك واعرف ما فى ذلك من الحظ والرشد فى العاجل والآجل، واقدم عليه مع رسوله وتأمن بالوفاء لك ولأصحابك والإحسان إليك والإفضال عليك، وإن أنت لم تقبل أمانه ولم تشخص إليه فاردد إليه أمانه مع رسوله، وعجل سراحه، ولا يكونن له من قبلك لبث إن شاء الله ، والله يشهد أمير المؤمنين فإنه قد أعذر إليك واحتج عليك وكفى بالله شهيدًا، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب إسماعيل بن صبيح مولى أمير المؤمنين يوم الجمعة لثمان بقين من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة، والحمد لله وصلواته على رسوله محمد وآله أجمعين.

رد (جواب) حمزة بن عبد الله الخارجى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله حمزة أمين المؤمنين، سلام على أولياء الله، أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى اصطفى آدم عليه السلام، وكرمه وأنشأ منه ذريته، فاستودعه أمانته وأوجب عليهم معرفة ربوبيته والعمل بطاعته وجعل منهم أنبياءه ورسله، وأنزل عليهم كتبه وشرع لهم دينه، فتتابعت رسل الله تترى فى أممها على منهج واحد وشرائع مختلفة، يصدق آخرهم أولهم حتى مضت القرون أممًا،

(١) لم أجد ذكرًا لهاتين الرسالتين فى أى كتاب من كتب التاريخ الأخرى، وبذلك ينفرد هذا الكتاب بهذه الميزة عن بقية هذه الكتب.

وأصنافًا مهدية بطاعة ربها وتصديق رسلها فبعث الله محمدًا على حين فترة من الرسول، واقتراب من الساعة رحمة للعالمين وخاتمًا للنبيين ومصدقًا لهم، وأنزل عليه الفرقان مهيمنًا على الكتب وناسخًا لهم، فاقتدى نبى الله كتاب الله وصدع بأمره فى مجاهدة أعدائه، والدعاء إلى دينه والنصيحة لأمته حتى أكمل الله له الدين وبلغ به الحجة وأظهر له الدعوى ومكن له الأرض واختار له ما عنده من كرامة والفضيلة فقبضه الله فختم به النبوة ورفع الوحى، وخلف لأمته كتاب الله وصيته فى خلقه بيَّن فيه حلاله وحرامه وسنته وفرائضه ومحكمه ومتشابهه وأمثاله وثواب أهل طاعته وعقاب أهل معصيته فتمسك به أولياء الله بعد نبى الله فاقتدوا به وآثروه فأيدهم الله وأهله فى زيادة من نعماء الله، وما افتتح لهم من رحمته خلافة أبى بكر وعمر، وصدرًا من خلافته عثمان حتى تعرضت الدنيا ببهجتها فركن إليها الراكنون وآثروها ومالوا إليها، وخالفوا كتاب الله وسنة نبيه، فاختلفت الأمة بعد إيلافها وتفرقت بعد اجتماعها فهدى الله الذين آمنوا، لما اختلفوا به من الحق بإذنه وضل من استحق الضلالة بما ضيعه من كتاب الله وخالفوا من سنة نبيه، واهتدى من أثر حق الله ودينه وكتابه ولزموا سبيل من هدى الله قبلهم فصبروا عليه حتى قهروا باطل هذه الأمة أهل حقها فألبست شيعًا وأذيق بعضهم بأس بعض، فلا تزال مختلفة إلا من رحم ربك ولا يزال الإسلام وأهله فى نقصان حتى تقوم الساعة وذلك موعد هذه الأمة عند اجتماعها على الضلالة حيث يقول بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر فنعوذ بالله أن يقدمنا فى الجهل والضلال أو يخلفنا فى الأشرار، وقد وصل إلىَّ كتابك تدعونى فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه، وذكرت محاربتى عمالك فى كور خراسان وغيرها وصفحك عن ذلك وغيره مما كان منا، ومما عرضت من أمانك وإحسانك بعد قبولها كتابك وأمانك ودخولنا فى طاعتك وكل ما كتبت به فقد فهمته أما كتاب الله فإليه دعوتى وبه رضاى، ولست أبغى إلا به حكمًا فالحمد لله على ما منَّ به علىَّ فى ما عرفنى من دينه وبصرنى من هداه وجعلنى أدعو إلى

محكم كتابه وبالواجب من طاعته وأجاهد عليها من عندِ عنهـا وخالفهـا وعمـل بغيرها والله المعين والموفق، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العظيم، وأما ماتنـاهى إليـك من محاربتى عما لك فما كان ذلك من منازعة لك فى ملكك، ولا رغبة فى دنيا أنا لها بذلك ولا طالبًا الرفعة والذكر فيها، ولا ابتدأت أحدًا منهم بغى عليهم مع ما ظهـر للعامة من سوء سيرتهم، فيمن ولوا عليهم وما تعاطوا من سـفك الـدماء وإباحـة الأموال وركبوا الفواحش، وما لم يحله الله إلى عباده لا أظنه إلا قد بُيِّن لـك مـن رجال خراسان وبلغك من سجستان وفارس وكرمان، وما فيه كفاية عن التطويـل عليك فيما أصف لك من ذلك، وأما إحسانك إلىَّ ونظرك لى وما دعوت إليـه فلـو كنت ممن يؤثر الدنيا ويرغب فيها ويلتمس خفض العيش والنعمة فيمـا عرضـت دركًا فى العاجل دون الآجل إنى أعوذ بجلال الله أن يجعل ذلك حظـى ونـصيبى منهم فإن المغبون من باع دينه بدنيا تبقى له ولا يبقى لها ولا خير بخير بعده النار ولا شر بعده الجنة بشر. وأما الفيء والصدقات فأنى ذلك وقـد فقـد المـسلمون عطاياهم وأرزاقهم وصدقاتهم بعد الخليفتين فصارت تؤخذ مـن غيـر موضـعها وتصرف إلى غير أهلها، والله حسيب خلقه وأما ما عرضت من أمانك ودعوت إليـه من طاعتك فهل لمخلوق أمان الأمر، إن يوم الفزع الأكبر يوم لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وكيف يأمن من ذلك من لا يملك لنفسه موتًا ولاحياة ولا نـشورًا فانظر لمعادك وما أنت صائر إليه وبه مرتهن وعنه مسئول وبه عما قليل محاسب، فقد رأيت ما فعلت الدنيا بأربابها الراكبين إليها المؤثرين لها كيف أبقتهم وخـذلتهم وأسلمتهم، فلن تغنى عنهم شيئًا اعتذروا لها عنهم وبقيت أعمالهم قلائد فى أعنـاقهم وصاروا إلى الندامة وتلهفوا حيث لا يغنى عنهم ذلك على ما فرطوا، وفاتهم مـن العمل فى دنياهم لمعادهم ويوم فقرهم وفاقتهم حيث يقول يا حسرتى ما فرطت فى جنب الله وقد بايعت الله وعاهدته على القيام بأمره والدعاء إلى طاعتـه ومجاهـدة أعدائه حتى تفنى نفسنا، ما موف عهدى ومنجز موعدى قـال الله تعـالى وأوفـوا

بعهدى أوف بعهدكم فنسأل الله الانتفاع بما علمنا من كتابه ونعوذ بـــالله أن نكــون ممن لبسوا دينهم على أنفسهم فلبس الله عليهم، ونسأله العصمة والكــلاءة وأن لا تكلنـــا إلى نفسنا ولا إلى أحد من خلقه وأن يتولى منا مما هو أهل التقوى وأهل المغفـــرة رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا وبـــالقرآن إمامًـــا وحكمًـــا، ربنـــا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهًا لقد قلنا إذًا شططًا هذه سبيلى أدعو إلــــى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى، وسبحان الله رب العالمين وما أنا من المــشركين، ولا حول ولا قوة إلا بالله لا حكم إلا لله، يقص الحق وهو خير الفاصلين فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصلى الله على محمد النبى وعلى جميع المرسلين .

فأحسن إلى رسوله، وأعطاه العهد وهذه الرسالة وأعاده، ولما وصل الرسول عند أمير المؤمنين هارون الرشيد قدم من جرجان إلى طوس فى جمـــادى الآخـــر سنة ثلاث وتسعين ومائة فى موضع يسمى سناباد من توابع نوق[1]، وهناك تـــوفى وكان عمره تسعًا وأربعين سنة وكانت كنيته أبا عبد الله، ثم هيأ حمـــزة الأســـباب للحرب والتف حوله الكثير معظمهم من الأعراب فأعطى للنساء مهـــورهن ونفـــذ الوصايا ولبثوا الأكفان، وحملوا الأسلحة عليها، ومضى ثلاثون ألفًا مـــن الزهـــاد وقارئى القرآن، وقال شاعرهم هذه الأبيات:

أظن هـــارون وأشياعـــــه   **أنَّا نبيع الحـــق بالبـــاطل**

نمـــق فى قرطاسه أسطرًا   **أجهل به مـــن كاتب جاهل**

خشن فى بعض وفى بعضه   **لين كفعل اللاعب الهـــازل**

يعرض سلطانًا على حمزة   **ملكًا وشيكًا غيـــر ما طايل**

---

(١) نوق: كانت من قرى طوس المشهورة، أما هى الآن فتعد من محلات مدينة مشهد.

ولـــم يكن حمزة ممن يبيع آجلــه بالعـــاجل الزائـــل
هو الإمام المرتضى والذى يقيم صعر الأعـــوج المايل
والصادى الوعد إذا ما أوى ليس بمخلاف ولا مـــاطل

ولما وصلوا بالقرب من نيسابور، سمعوا بخبر وفاة هـــارون، ودفنـــه فـــى طوس، وعودة الجيش إلى بغداد، فقال حمزة : " وكَفَى اللهُ المُـــؤْمِنِينَ القِتَـــالَ "[1]، ولما كان الحال هكذا، وجب علينا أن نمضى لنغزو عباد الأصنام، فى السند والهند والصين والترك والروم وأحلاق الزنج فقال أتباعه: إن ما أبراه الله تعـــالى علـــى لسانك هو الصواب، فقسم خمسة آلاف فارس إلـــى مجموعـــات، كـــل مجموعـــة خمسمائة فارس إلى خراسان وسجستان وفارس وكرمـــان، وقـــال : لا تـــسمحوا لهؤلاء الظلمة أن يظلموا الطغاء، ووصل حديث هذه الجيوش إلى هنـــا، وهـــو أن يخرج بعضهم على بعض، ونحن لا نتدخل حتى يفنى بعضهم، فقد قـــسم الخليفـــة ملكه على أولاده الثلاثة، والملوك غيور، ثم مضى إلى الهند والسند حتـــى وصـــل إلى سرانديب، وعبر البحر، وزار قبر آدم عليه السلام، وشاهد هذه الآثار، وغـــزا كثيرا، ومضى إلى الصين من ناحية البحر، ومن هناك مضوا إلى ماچين، ودخلوا التركستان، ومنها إلى بلاد الروم، ثم رجع إلى التركـــستان، ومـــضى منهـــا إلـــى سجستان عن طريق مكران، وغزا كل مكان، وقال لرفاقه: إن الله تعالى ناصر دين محمد عليه السلام، وألا ينبغي علينا أن نؤدى ما علينا، وعليه الشكر، وتأتى ذكـــر غزوات حمزة[2] كاملة وبالله التوفيق .

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٥.

(٢) وردت أخبار حمزة فى الكامل فى التاريخ عند ابن الأثير ومعظم التواريخ غير مكتملة ومختلطة، أمـــا ما ذكره هذا الكتاب فإنه يحتاج إلى التأمل (من تعليقات بهار).

ثم أعطى المأمون سجستان إلى زهير بن المسيب، وأرسل زهير خليفة له هناك اسمه إسحق بن سمن(١)، ومضى زهير بنفسه فى شوال سنة ثلاث وتسعين ومائة، وجاء هنا، وأحسن إلى الناس، ولم يطلب شيئًا، ومكث مدة، ثم أعطى المأمون سجستان لفتح بن حجاج مولى الرشيد، فأسند فتح لسهل بن حمزة سجستان، ثم مضى إلى هناك فى ذى العقدة سنة أربع وتسعين ومائة، ولكن محمد ابن الحصين القوسى أثار عليه المدينة، حتى وقعت الحرب بينهما فى النهاية، ومضى محمد بن الحصين منهزمًا إلى شعبه، وفى ذلك الوقت توفى فقيه سجستان خالد بن مظا الذهلي، وكان عالمًا ورعًا، وحارب الخوارج الذين كانوا من جهة حمزة هنا، وكان قائدهم أبو عقيل فى شوال سنة خمس وتسعين ومائة، ثم حاربوا قائد جيش فتح بن أبى على، ودخل على المدينة منهزمًا، وقتل كثير من رفاقه ثم قال فتح: إنهم كثيرون ونصف سجستان معهم.

وكان يحب الشعر، وقال شعراء سجستان الشعر فيه، وسمع وقال : هل يوجد شاعر حسن، وكان عمار بن عيسى الشاعر ذات يوم فى مجلسه، وصار الحديث عن الشعر، فقال عمار: أيها الأمير سأقول شعرًا فى مدحك حسب الحال، فإذا كان جيدًا فسأكون سعيدًا، فقال: قل: فقال :

سألت رسمًا مهدذا عنها فماذا أنبا   يافتح بل من جوده يغنى من فقراء

الفتح والجود حليفا مكرمات نشا

فنهض فتح، وأجلسه إلى جانبه، وأعطاه عشرة آلاف درهم، ثم أعطى المأمون سجستان لمحمد بن الأشعث الطارابي، ودخلها يوم الأربعاء لاثنى عشر يومًا بقين من المحرم سنة سبع وتسعين ومائة .

---

(١) يوجد ما يقرب من ثلثى سطر أبيض فى المتن.

مقدم محمد بن الأشعث إلى سجستان

وأرسل الأشعث ابنه إلى بست، وكان هناك بنفسه، وسار مع الناس الصالحين، ثم جمع المأمون الجيش، وأرسل طاهرًا الأعور[1] إلى بغداد لمحاربة أخيه محمد بن زبيد، وهو طاهر بن حسين مصعب بن زريق مولى على بن أبى طالب، وكثرت الحروب بين طاهر ومحمد كما ذكر ذلك فى كتاب الخلفاء، حتى قتل محمد لسبعة أيام بقيت من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة فى بغداد، وكان عمره سبعًا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يومًا، وبايعوا بعد ذلك أبا العباس عبد الله المأمون .

تولى أبى العباس عبد الله المأمون الخلافة

هو ابن هارون الرشيد، وفى اليوم نفسه الذى قتل فيه محمد، خرج أبو السرايا فى الكوفة مبايعًا ابن طباطبا[2]، واسمه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، ودخل أهل الحجاز واليمن جميعهم فى هذه البيعة، وتوفى ابن طباطبا يوم الخميس لثلاثة أيام مضت من شهر

---

(١) يقصد أبا الطيب طاهر بن حسين بن مصعب بن زريق بن ماهان، وعند زريق هو ابن أسعد ابن دادويه، ويقول آخر أسعد بن زادان، ويقول مصعب بن طلحة بن زريق الملقب بذى اليمينين وهو من أهل پوشنج ومن الموالى وجده زريق مولى طلحة الطلحات الخزاعى، وهجاه عمرو بن باءة بقوله:

يا ذا اليمينين وعين واحدة   نقصان عين ويمين زائدة

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على وهو الذى يعرف بابن طبا طبا، ولكن ابن الأثير يذكر أنه ظهر فى عام ١٩٩هـ.

رجب سنة تسعين ومائة، وقتلوا أبا السرايا فى الكوفة فى السنة نفسها، وظهر رجل فى بست فى السنة نفسها وخرج وكان معه كثير من الغوغاء، واسمه حرب ابن عبيدة، وكان من خوارج سجستان، وخرج الأشعث بن محمد بن الأشعث لمحاربته ومضى حرب منهزمًا، وتعقبه الأشعث، فعاد حرب، وحاربوا حربًا شعواء، وانهزم الأشعث، وقتل حرب فيها كثيرًا من جنده، وأخذ متاعهم ودوابهم ومالهم، وقوى بها وقدم الأشعث ومضى فى الطريق لمحاصرة بست، وقدم حرب ولكن فشل حصاره، وضيق عليه، وادعى حرب أنه قد جدد حرب حمزة الخارجى من جديد،لأن جيشه العربى لم يكن كافيًا، ولما وصل الخبر عند محمد بن الأشعث أرسل المثنى بن سليم الباهلى إلى بست بجيش عظيم، ولما وصل بست، لم يدعه حرب فيها، وظهر فى سجستان حمدويه بن الأشعث بن الحارث بن مجاشع الغجلي، واجتمع له الغوغاء، وحاربه محمد بن الأشعث بنفسه وخدامه وغلمانه، ولكنه انهزم، ونزل فى قصر الرعية (الناس) وقدم حرب بن عبيدة من بست، وتحارب مع حمدويه، ومضى حمدويه منهزمًا، وكذلك مضى محمد بن الأشعث، واستولى حرب بن عبيدة على مال كل منهم، ودوابهم وكان هذا فى آخر سنه تسع وتسعين ومائة، وتوفى عمرو ابن عمارة الفقيه الذى أقام المذهب السفياني[1] فى سجستان فى السنة نفسها، ومسجده معروف فى بوابة فارس، ووقع فى السنة نفسها زلزال فى سجستان، وأسند المأمون ولاية سجستان إلى الليث بن الفضل، الذى كانوا يقولون له ابن ترسل، وكان واليًا على قهستان، وأرسل أخاه أحمد بن الفضل إلى هناك .

---

(١) يقول بهار معلقًا على هذا الخبر: كان هناك سفيانان ويعدان من أئمة الحديث أولهما سفيان الثورى، وهو أبو عبد الله بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى المنسوب إلى ثور بن عبد مناة، وعاش بين سنة ٩٧ إلى سنة ١٦١، أما سفيان الثانى فهو سفيان بن عيينة وهو أبو محمد بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى مولى امرأة من بنى هلال، وكان كلاهما من أئمة الحديث والعلماء.

مقدم أحمد بن الفضل إلى سجستان

ودخلها لإحدى عشر يومًا مضت من شهر رمضان سنة تسع وتسعين ومائة، وكان محمد بن الأشعث فى هذا الوقت فى أمان مع حرب بن عبيدة، واتحدا معًـا، وصار من قواعده، ونزل أحمد بن الفضل فى قصر محمد بن الأشعث وأغار على ماله ودوابه، وكان قد خرج حرب بن عبيدة، ومحمد بن الأشعث وكل جيشهما إلى درطعام، ليمضوا لمحاربة الخوارج، واستولى أحمد على المدينة، ولما عادوا، لـم يفتحوا الطريق، وحاصروا المدينة، ثم قدم الليث بن الفضل المدينة فـى جمـادى الأول سنة مائتين، ومضى طالبًا حرب بن عبيد، وجيشه، واستولى على أمتعتـه، ولكنه عاد عندما رأى أنه لاطاقة له بقوة حرب، فكان قوام جيش الليث أربعمائـة فارس، ومع حرب عبيدة ثلاثون ألف فارس غير المترجلين بالسلاح أقوياء، ودخل الليث المدينة، وقبض على أصدقاء حرب، وعاد، ثم عاد حمـزة الخـارجى إلـى سجستان وعن طريق مكران، وأرسل الليث بن الفضل الرسل إليه يريـد الـصلح قائلاً: إنك غزوت غزوات كثيرة، ونريد محالفتك كى نستفيد، وهذا الرجل الثـائر اسمه حرب بن عبيدة، ويقول: إننى بعثت حرب حمزة من جديد، وهو يريد بـذلك لنفسه الشهوة والانتشار، ولم يكن يخطر ببال أن نطلب منك المساعدة، كـى نبعـد شره عن المسلمين، فقد أصبح جاهز العتاد قوى الشوكة .فرد حمزة قائلاً: يجب أن نشغل البال بهذا الموضوع، فلو أراد المولى عز وجل أن يتم نعمته فإن حقك علينا واجب، ما دام الأصدقاء والأعوان لنا شكروك كثيرًا . ثم مضى حمزة للهجوم على حرب بن عبيدة، وحاربوا، وقتل فى مكان واحد من رفاق حرب بن عبيدة عشرين ألفًا ونيفًا، وقدم محمد بن الأشعث المدينة منهزمًا، فأخذه الليث بن الفضل، وأخرجه مقيد اليدين والقدمين، وعلقه على ناحية من بوابة فارس، وكان الليث كلمـا وجـد شيئًا فى سجستان، كان يجهز منه الطعام، واستضاف عليه عيارى سجستان .

وخلع عليهم، وقدم الخوارج فى عهده إلى المدينـة، وتـصالح مـع حمـزة الخارجى ورفاقه، وأحسن السيرة معهم، وبقى على هذا الحال مدة أربع سـنوات، وشيد أبنية كثيرة، واشترى كثيرًا من الضياع والمزارع فى كل مكان، ثم أعطـى المأمون خرسانة وسجستان إلى غسان بن عباد، الذى أعطى أعين بن هرثمة عمر ابن الهيثم إلى هناك، يوم الأربعاء فى شهر ربيع الأول سنة أربع ومائتين.

مقدم عمر بن الهيثم إلى سجستان

ودخلها متنكرًا، وأخفى عمله، وكان الليث بن الفضل قد خرج إلى قرية مـن ضياعه، فمضى عمرو إلى هناك، وأراد أن يقبض عليه، وأن يسجنه، ولكن لم يكن ذلك فى الإمكان بين يوم وليلة قضاها، وجلس كلاهما فى اليوم التالى بين جيشه فى صلاة الجمعة، ولما وصلوا إلى باب مسجد الجمعة، عرض عمرو بن الهيثم عهده ومنشوره، فعاد الليث، ومضى إلى قريته، فدخل عمرو، وأدى الصلاة واستقام لـه الأمر، وقدم أعين بن الهيثم بنفسه فى يوم الجمعة لعشرة أيام مضت من شوال سنة أربع ومائتين، وأحسن إلى الناس، ووعدهم وعودًا حسنة، ثم أعطى غسان بن عيار سجستان إلى عبد الحميد بن شبيب ودخلها يوم الخميس لعشرة أيـام بقيـت مـن رمضان سنة خمس ومائتين، وأحسن إلى الناس بأن ما يأخذه من ولاية سجـستان كان لدر طعام، فلم يحدث لذلك نفقات يتحملها الخوارج، ولم يأخذ لنفسه شيئًا، ولـم يسمحوا لأحد أن يأخذ شيئًا وكانوا يشنون الحملات على الدوام على الغور والهنـد والسند، ولم يؤذوا أهل سجستان، إلا إذا هاجمهم جيش، فإنهم سيقاتلونه .

ثم أعطى المأمون ولاية سجستان وخراسان لطاهر بن الحسين، وأرسل طاهر ابنه إلى الجزيرة[١] فى سنة ست ومائتين لمحاربة نصر بن شبيب، وأرسل فى السنة نفسها محمد بن الحصين القوسى إلى سجستان .

مقدم محمد بن الحصين القوسى إلى سجستان

ودخل سجستان لعشرة أيام مضت من جمادى الأول سنة ست ومائتين، وأحسن إلى الناس واشترى كثيرًا من الضياع، واجتذب قلوب الناس إليه بحسن العمل والقول، ثم أسند طاهر بن الحسين سجستان إلى ابنه طلحة بن طاهر، الذى أرسل إلياس بن أسد[٢] إلى هناك .

مقدم إلياس بن أسد إلى سجستان

ودخلها فى يوم الخميس لعشرة أيام مضت من شهر صفر سنة ثمان ومائتين، ولم يمض بها طويل زمان حتى قدم معدل بن الحصين القوسى أخو محمد

(١) كان عبد الله بن طاهر واليا على الجزيرة قبل ذلك، وكان يحارب نصر بن شبث، وبعد تولى أبيه أمر خراسان، أصبح صاحبا للشرطة فى عهد المأمون (من تعليقات بهار).

(٢) إن إلياس بن أسد هو أخو نوح ويحيى وأحمد والد إسماعيل فنصر جد السامانيين ولكن ولايته على سجستان لم تأت فى بقية كتب التاريخ.

ابن الحصين، من جهة طلحة ليكون خليفة لأخيه فى يوم الخميس من جمادى الآخر سنة ثمان ومائتين، وسلمه إلياس بن أسد العمل، وخرج من دار الإمارة ونزل فى قصر الحارث بن المثني، وكان يثير الناس باستمرار ضد معدل بن الحصين، وكان الناس أميل إلى إلياس، وانحاز محمد بن الحصين إلى الخوارج كى يقوى بهم، وخرج ومضى إلى فراة، وطلب من حمزة جيشاً، وجاء ولكن لم يسمح له القوم بدخول القصبة، فمضى إلى قريته التى بين النهرين، ونزل بها وكان الخوارج معه ولزمهم باستمرار، وكان تحت حوزته سواد سجستان كله، وكان على الدوام فى وفاق مع الخوارج، ولم يؤذوه مطلقاً، ثم أسند طلحة بن طاهر سجستان إلى محمد الأحوص.

مقدم محمد بن الأحوص إلى سجستان

ودخلها يوم الخميس لعشرة أيام بقيت من شوال سنة ثمان ومائتين، وأحسن إلى الناس، وأرسى العدل والإنصاف، ثم أسند طلحة بن طاهر سجستان إلى محمد ابن شيب .

مقدم محمد بن شيب إلى سجستان

ودخلها يوم الثلاثاء لأربع عشر يومًا مضت من جمادى الآخر سنة تسع ومائتين، ولم يتأخر، حتى أعطى طلحة بن طاهر سجستان إلى ابن إسحاق بن سمرة،

الذى استخلف محمد بن يزيد، وأرسله، ودخلها يوم الجمعة فى شهر رجب سنة ست عشر ومائتين، واستولى على المدينة .

مقدم محمد بن يزيد إلى سجستان

وقدم فى إثره محمد بن إسحاق، ثم ظهر رجل من عيارى سجستان فى بست، والتف حوله الغوغاء، وخرج محمد بن إسحاق لمحاربة هذا العيارى ولما وصل إلى خواش[1] قدم حسن بن على السيارى عاملاً على سجستان، من قبل طلحة ابن طاهر.

مقدم حسين بن على إلى سجستان

ودخلها، وأخفى عهده عدة أيام، ثم أظهره، وأرسل جيشًا طالبًا محمد ابن إسحاق، فوصلوا، وجاءوا به أسيرًا، وكان هذا كله فى سنة مائتين وإحدى عشر، ثم أرسل عيسى بن أحمد لحرب ذلك العيار فى بست، ومضى هناك وعاد إلى سجستان، ثم أسند طلحة بن طاهر سجستان إلى ابن خالد .

(١) خواش: اسم ولاية من ولايات سجستان، واليوم جزء من بلوجستان، ويتضح من النص أن خواش قريبة من زرنگ، كما تنسب فاشرود إلى هذا المكان وهما الآن من بلاد الأفغان.

مقدم أحمد بن خالد إلى سجستان

وأرسل محمد بن إسماعيل الذهلي إلى هناك، ودخلها يوم الأربعاء لأسبوع بقى من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشر ومائتين، وقدم على أثره أحمد بن طاهر فى شهر جمادى الأولى من السنة نفسها ولما أراد أن يدخل المدينة، وهجم عليه فوج من أصحاب حمزة الخارجي، ولم يسمحوا له بدخول المدينة، وحاربوا حربًا عنيفة، وعاد أحمد بن خالد منهزمًا إلى خراسان، وتوفى حمزة الخارجى يوم الجمعة لاثنى عشر يومًا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ومائتين فى بيهش(١)، وبايع الخوارج فى اليوم نفسه إسحاق بن إبراهيم بن عمير الجاشني، وكان رجلاً طيب القلب حسن السيرة وعالمًا، وأنكر على الخوارج، وكان يغير أحيانًا على أهل التهليل، ولما لم يطيعوه، فر من بينهم، ومضى إلى بحيرة زره، واختفى فى غابة من القصب، والآن يسمونها كويل پير وهى معروفة، ثم بايع الخوارج أبا عوف ابن عبد الرحمن بن بزيع، فى جمادى الآخر سنة خمس عشرة ومائتين، وتوفى طلحة بن طاهر يوم الأحد لأربعة أيام بقيت من ربيع الأول سنة ثلاثة عشر ومائتين، ثم أسند عبد الله بن طاهر سجستان إلى محمد بن الحوص.

---

(١) لم يعين الطبرى مكان وفاة حمزة ويذكر ابن الأثير فى كتابه الكامل أنه توفى فى عام ١٨٥هـ ولكنه خطأ، يقول ابن الأثير: مات حمزة الخارجي فى بادغيس وفى حوادث سنة ١٩٢هـ يتحدث عن هجوم حمزة على خراسان، ولم يذكر الطبرى شيئًا عن هذا، ويقول اليعقوبى، خرج حمزة الشارى على على ابن عيسى بن ماهان فى بادغيس فنهض إلى ابن عيسى وهزمه واتبعه حتى مضى إلى كابل فحاربه حتى قتله، ومع تصريح مؤلف هذا الكتاب وعدم معرفة تاريخ وفاة حمزة لدى الطبرى وابن الأثير واليعقوبى. إلا أن حمزة الشارى يعد من مشاهير الخوارج ولم يمت على يد على بن عيسى وإنما مات ميتة طبيعية عام ٢١٣هـ (من تعليقات بهار).

مقدم محمد بن الأحوص إلى سجستان

ودخلها ليلة عيد الفطر، واجتذب إليه جيش سجستان، وخرج لمحاربة الخوارج، وكان معه علماء سجستان، مثل الحسن بن عمرو الفقيه وشارك ابن النصر وياسر بن عمار بن شجاع ـ وكان ياسر خارجى المذهب ـ ولكن عندما دخل أبو إسحاق البحيرة، دخل هو القصبة، ومحمد بن بكر بن الكريم، وعمرو ابن واصل، كلهم من أهل الفضل وعلماء سجستان، ومضوا وقاتلوا الخوارج قتالاً عنيفًا، وقتل كثير من هؤلاء على يد الخوارج، وأخبروا عبد الله بن طاهر، أن عزيز بن نوح، أرسل جيشًا كثيفًا من الغرباء لمحاربة الخوارج، فاجتمع الجيشان (جيش الغرباء، وجيش سجستان) ومضيا لمحاربة أبى عوف، وتحاربا، وقتل من الخوارج ومن كلا الجيشين خلق كثير، ونزل أبو عوف فى كركوي[1]، ودخل الجيشان فى المدينة واستعدوا ثانية، وأخذوا كثيرًا من العدة اللازمة لهم للحصول على الماء والحبال والمسك وآلات السفر، فى شهر ذى القعدة سنة خمس عشرة ومائتين، وعزموا على أن ينزلوا فى كل صحراء وجبل وكل مكان يوجد فيه الخوارج، حتى لا يبقى من الخوارج أحد، وكان محمد بن الأحوص مع عزيز بن نوح فى مكان واحد، ونزل على باب غنجره[2]، وطلب الجند الرواتب من محمد ابن الأحوص، وأعطاهم مالاً كثيرًا، وخرج كلا الجيشين وغوغاء المدينة مع عزيز ابن نوح، وهاجموا أبا عوف عندما وصلوا إليه فى جروا ركن يوم السبت أول شهر رمضان سنة ست عشر ومائتين، وقتلوا عزيز بن نوح ومجموعة كبيرة،

---

(١) كركوى: كانت محلة على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة زرنج على طريق هراة.

(٢) در غنجرة: كانت واحدة من بوابات ربض مدينة زرنج.

ودفنوا فى باب كركوى وبايع الناس الحصين بن الحسين بن مصعب عم عبد الله ابن طاهر.

مبايعة الحصين بن الحسين عم عبد الله

وكان قد قدم مع عزيز بن نوح، وكان محمد بن الأحوص يدبر الشئون عنده ثم أرسل عبد الله بن طاهر عباس بن هاشم بن أبى حور وإلياس بن أسد لمحاربة الخوارج وأعطاهم مالاً كثيرًا من الدراهم والدنانير، ولم يكن هذا المال يدخل سجستان قط، وكان قد مضى أبو عوف مع جماعة من رفاقه إلى خرجانة، ومضى إلياس بن أسد بجيش فى طلبه، وخرج عن طريق الصحراء، ونزل فى جالف، وبلغ الخبر الحضين بن الحسين بن مصعب وكان قد نزل فى قصر معدل بن الحصين القوسي، وأراد أن يهاجم أبا عوف فمضى أهل المدينة وجيشه للهجوم يوم الجمعة لسبعة عشر يومًا مضت من شهر ذى الحجة سنة ستة عشر ومائتين، ثم ضلوا الطريق بين الرمال، وكان يومًا شديد البرد، فخرج أبو عوف بجيش، وتحاربوا حربًا عنيفة، وفى النهاية قتل الجيش كله على يد الخوارج، إلا عددًا قليلاً لم يشاهدوه، وقتل فى ذلك اليوم محمد بن الأحوص وأحمد بن عمرو بن مسلم الباهلى ووهب بن هلال ودفنوهم فى باب كركوي، ومضى أبو عوف من هناك إلى آوق(١)، واجتمع حوله الخوارج، وعندما قتل محمد بن الأحوص، جعل الحصين بن الحسين إلياس خليفة على سجستان، وأرسل محمد بن زاهر بجيش

---

(١) أوق: ذكرت فى بداية الكتاب على أنها جزء من كور سجستان، يقول الإصطخرى: أوقل رباط فى الطريق بين بست وغزنين، وضبطها نقلاً عن الإدريسى : أوق، وذكرها صاحب برهان قاطع: أنها اسم قلعة بين فراة وسجستان.

لطلب الخوارج، ووجدوا مجموعة قليلة منهم فقتلوهم وأحضروا رءوسهم وأرسلوها إلى نيسابور، وأحضروا عهد سجستان للحصين بن الحسين من عبد الله ابن طاهر يوم الجمعة سنة سبعة عشر ومائتين، وتوفى المأمون أمير المؤمنين فى قرية ندندون تابعة لبلاد الروم بالقرب من طرطوس، ودفنوه هناك فى يوم الخميس سنة ثمانية عشر ومائتين، واستمرت خلافته عشرين سنة وستة أشهر وستًا وعشرين يومًا، وكان عمره ثمانية وأربعين عامًا وثلاثة أشهر ويومًا واحدًا، وفى اليوم نفسه بايعوا المعتصم .

تولى أبى إسحاق المعتصم بالله الخلافة

وكنيته أبو إسحاق المعتصم بالله بن هارون الرشيد ، واسمه محمد ، ولما بلغ الخبر بغداد بايعوه أيضًا فيها، وكان المعتصم مع المأمون فى بذندون[١]، وكان ميالاً إلى أهل البدع والمعتزلة، وولى عبد الله بن طاهر على خراسان وسجستان الذى أسند ولاية سجستان إلى الحسين بن عبد الله السياري، وكان فى سجستان.

مقدم الحسين بن عبد الله السيارى إلى سجستان

وبمجرد أن وصل إليه العهد، استولى على المدينة، وأعطى ابن أخيه عبد الله ابن محمد بست، وكان معروفًا بعبدوس، ومضى إلى بست، وأحسن إلى الناس

---

(١) قرية على حدود بلاد الروم، بينها وبين طرسوس يوم فى الطريق، ومات بها المأمون ودفن فى طرسوس، وطرسوس من مدن آسيا الصغرى بين حدود الشام وحلب.

وخرج فى سجستان رجل من الخوارج أيضا، وقال: أنا أقوم بدور الخوارج، واسمه ابن الحصين والتف حوله خلق كثير من كلا الفريقين، وأرسل حسين السيارى مشايخ المدينة وكبارهم إليه مثل حسن بن عمر و شارك بن النصر وعثمان بن عفان وياسر بن عمار قائلين له: أبعد عنك هؤلاء القوم فليس لك أمر عليهم، ثم مضى حسين السيارى بنفسه لحربه، وفرق جمعهم وظن السيارى أن أهل المدينة سيعينونه بدون ابن الحصين، وأرسل رسالة وعرف عبد الله بن طاهر بالأمر، فرد عليه: أن أرسل إلى إبراهيم بن الحضين ومعدل بن الحصين بن القوسى وعثمان بن روح بن بسام وأحمد بن محمد بن تركة وأحمد بن الحصين، فأرسلهم السيارى إلى خراسان، وهرب شارك بن سليمان الحميرى، ومضى إلى مكة، وجاور هناك ثم عاد، وقدم سجستان وقتلوه فى اليوم الثالث، وأرسلوا أميرا للشرطة، وعزل إسحاق بن إبراهيم بن الحصين ثم بدأ محمد بن سيف الطارابى فى طلب رفاق ابن الحصين فى الجبال والصحراء والرمال التابعة لسجستان، وكان يقتل كل من يجد منهم واستدعى المعتصم أحمد بن حنبل[1] فى سنة عشرين ومائتين وضربه بالسوط، وكتب رسالة أرسلها فى كل مكان يدعو الناس فيها إلى خلق القرآن والكفر، ونعوذ بالله من الكفر .

---

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن شيبان بن ذهل، كان من أصحاب الشافعى رضى الله عنه، كان يحفظ ما يقرب من المليون حديث، ودعى وقال: إن القرآن غير مخلوق. فضربه المعتصم وحبسه، وتوفى فى شهر ربيع الأول أو ربيع الآخر سنة ٢٤١هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٢٨٤).

جفاف نهر هيرمند وحدوث القحط والموت

جف ماء نهر هيرمند فى سنة مائتين وعشرين، وتجمد الماء وظهر قحط شديد فى ولاية سجستان وبست، وكثر الموت، ومات كثير من التجار والعظماء وأصحاب النعم ، ودام الحال على ذلك عامًا، حتى أول سنة إحدى وعشرين ومائتين، وأعطى الناس فى هذه السنة أموالاً كثيرة إلى الضعفاء، وأخبر السيارى عبد الله بن طاهر بهذا الحال وكتب إليه رسالة أن يعطوا للفقراء مبلغ ثلاثمائة ألف درهم وسلم السيارى هذا المال جميعه إلى عثمان بن عفان وحسين بن عمرو اللذين كانا من فقهاء الفريقين، كى يفرقاه على المحتاجين وأهل البيوت[١] الذين ساءت حالتهم، ثم خرج فى بست رجل يسمى عبد روس، وكانوا يسمونه عبد الله الجبلي، واجتمع حوله جمع كبير من الخوارج، وحاربوا، ومضى عبد روس إلى سجستان منهزمًا، وأرسل السيارى محمد بن سيف إلى بست ومضى لمحاربة عبد الله الجبلي، وفى النهاية تصالحوا وخلع على عبد الله، ولما أرسل محمد بن سيف إلى بست، أسند شرطة سجستان إلى على بن سهل بن عثمان الطارابى ثم أرسل عبدوس بطريق آخر إلى بست، ولما دخلها، خرج عليه رجل يسمى محمد بن يزيد، واجتمع حوله فى باز كل الذين سبق لهم الفرار، وعاد إلى سواد بست، وخرج عبد روس بجيش، وقتل رفاق محمد بن يزيد الذى مضى منهزمًا، اختفى، وبحثوا عليه، ولكنهم لم يجدوه، وتوفى السيارى فى سجستان يوم الأربعاء لأربعة أيام بقيت من شهر صفر سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وكان قد استخلف قبل وفاته على

---

(١) أهل البيوت أى أصحاب الأسر، وهذه الكلمة ترجمة للكلمة البهلوية (ويسپهرهر) التى يقولون لها بالآرامية (بريشا) وكان فى إيران القديمة سبع أسر كبيرة كانوا يقولون لها (ويسپهوهرجان) وقد سموا بقايا هذه الأسر أهل البيوت. (من تعليقات بهار على الكتاب).

سجستان ابن عمه نصر بن منصـــور بن عبد الله السياري، ووصل إلياس ابن أسد من جهة عبد الله بن طاهر لمحاربة الخوارج، ونزل فى قصر عبد الله ابن القاسم وطلب مالاً من نصر السياري، ولم يكن فى بيوت المال بقية من المال، فأخذ مـــالاً من أهل المدينة، وخرج إلياس على ناحية بسكراون لطلب الخوارج، الذين كـــانوا مضوا إلى كرمان، ولما وصل عهد عبد الله بن طاهر، استخلف نـــصر الـــسيارى على سجستان.

مقدم نصر السيارى إلى سجستان

أرسل نصر ابنه سيار بن نصر إلى بست، وخرج عليه رجل فى بست اســـمه محمد بن واصل ، واجتمع حوله أناس كانوا قد تفرقوا، وكان السيار قد أساء إلـــى أهل بست، ثم خرج للحرب مع محمد بن واصل، وتحـــاربوا، ووقعـــت الهزيمـــة للسيار، وأسره محمد بن واصل، ولما بلغ الخبر إلى نصر السيار أن ابنه قد أســـر، وكان الحال هكذا، أرسل محمد بن سيف الطارابى إلى هنلك وأرسل رســـالة إلـــى محمد بن واصل مع أبى يعقوب الراسبي، ولما اقترب أبو يعقـــوب منـــه، خلـــص السيار، وعاد بنفسه مع أبى يعقوب على سجستان إلى نصر بن منصور الـــسيار، ولما قدم أكرمه، ورعى جانبه وخلع عليه، وأعاده، وفى تلك الأثناء وصلت رسالة إلى إلياس بن أسد يخبره فيها بأن يرسل فوجا من الخيالة إلى بست للمحافظة على الحدود من الخوارج، فأرسل إلياس إلى هناك ابن أخيه أحمد بن عميرة بن أسد مع مجموعة من الفرسان الأقوياء، ونزل فى محلة سينك ، ولما مضى أحمد بن عميرة ابن أسد لبست، أحسن إلى الناس، فاستراحوا به، وخلص عبد الله بن طاهر إبراهيم ابن الحسنين من قلعة هرى فى تلك الأثناء، وخلع عليه وولاه على هراة، ثم كتب

عبد الله بن طاهر رسالة استدعى فيها إلياس بن أسد من سجستان فرجع من هناك يوم الجمعة لعشرة أيام بقيت من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائتين، وأرسل عبد الله بن طاهر رسالة إلى إبراهيم بن الحضين القوسى قائلاً له: أن امضِ إلى سجستان خليفة عليها، واستخلف على هراة من تريد.

مقدم إبراهيم الحضين إلى سجستان

ودخلها عاملاً عليها، يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الثانى سنة خمس وعشرين ومائتين وجعل أخيه على هراة، ولما قدم سجستان، أرسل ابنه إسحاق بن إبراهيم واليًا على بست، ومكث مدة، فاشتكى الناس منه فاستدعاه، وأرسل إلى هناك ابنًا آخر، ولما عاد إسحاق مكث مدة، فطلبه الناس وأحسن إليهم كثيرًا فى هذه المرة إحسانًا زائدًا عن الحد، ومكث هناك، وسعد به الناس إلى أن توفى هناك يوم الإثنين لسبعة أيام مضت من المحرم سنة ست وعشرين ومائتين، وثارت بست بوفاته، وتوفى المعتصم بالله ليلة الخميس لعشرة أيام مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان عمره سبعًا وأربعين سنة وثلاثة عشر يومًا، وخلافته ثمانية أعوام وثمانية أشهر، وتولى بعد ذلك الواثق بالله الخلافة .

تولى الواثق بالله الخلافة فى سنة سبع وعشرين ومائتين

وكانت كنيته أبا جعفر، واسمه هارون بن محمد، وهو ابن المعتصم، وكان عمره ستة وعشرين عامًا وشهرين وثمانية أيام، وفى اليوم الذى تولى فيه

الخلافة، جرى على عادة أبيه من الحديث فى الدين والميل إلى المعتزلة، وقال: إن القرآن مخلوق ونعوذ بالله من الكفر، ولكن لم يستجب له أحد، وأسند خراسان إلى عبد الله بن طاهر، وكان إبراهيم بن الحضين بن محمد بن بشير بن سعيد القوسى رجلاً من العرب حسن الهيأة إلا أنه كان مسالمًا، ولم يحارب الخوارج قط، وكان مجاملاً لكل شخص، حتى قوى الخوارج فى عصره، واشتد البرد على الناس فى سنة سبع وعشرين ومائتين فى سجستان، لدرجة أن جفت الأشجار والكروم والثمار وماتت، ووقع وباء شديد وكان إبراهيم بن الحضين واليًا على سجستان، حتى توفى عبد الله بن طاهر فى نيسابور يوم السبت لعشرة أيام مضت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائتين، وكان إبراهيم القوسى فى البصرة، وقدم سجستان لأول مرة، واتصل بأهل طاهر بن الحسين، وأسندوا إليه ولاية هراة، ثم أرسلوه إلى سجستان ثانية، واشترى فيها ضياعًا وأقام قصر غى حور بندان، وشيدوا باب المعدل نسبة إلى معدل القوسى وأخيه[1]، وجلس فى دار الإمارة، حتى جعل ابنه خليفة له فى دار الإمارة، وأجلسه فيما يقولون له الآن(ارج) وكان رجلاً مسالمًا، ولم يكن متعصبًا، وسلك سياسة واحدة تجاه الخوارج وأهل السنة وبنى تميم وبنى بكر وسلك طريق السلامة وبنى بكر، وسلك طريق السلامة، ثم توفى عبد الله ابن طاهر، فتولى ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان وسجستان، ولما وصل الواثق بالله خبر وفاته، أرسل عهد خراسان وسجستان إلى طاهر بن عبد الله، فقام بالعمل، وأسند سجستان إلى إبراهيم بن الحضين، وأجلس ابنه بدار الإمارة، وقدم بنفسه إلى جور بندان، ولما توفى ابنه إسحاق فى بست، أرسل أحمد ابنه عليًا هناك، فخرج عليه رجل فى بست من ناحية بولان يقولون له سان بن النضير ابن مالك، الفرسان الشجعان لمحاربته، وكان سليمان من إجلاء العرب، وتحاربوا

(١) هو معدل بن الحضين القوسى أخو إبراهيم بن الحضين القوسى، ومحمد بن الحضين القوسى الذى كان عاملاً على سجستان من ناحية طلحة بن طاهر عام ٢٠٨هـ، والمراد أنهم شيدوا بوابة للمدينة سموها بوابة المعدل.

حربًا عنيفة، وقتل خلق كثير، ومضى غسان منهزمًا، ثم أسروه، وأرسلوا رأيه إلى سجستان، ثم أخذوا رأسه ودفنوه، ثم ظهر رجل آخر من بست، وأرسل يحيى بن عمرو إلى هناك، الذى كان من أجلاء العرب فمضى إلى هناك، وشمل الناس برعايته، وارتاحوا به، ثم عزله إبراهيم، وأرسل ابنه أحمد إلى هناك ثانية، وكان سليمان بن بشير الحنفى فى بست، وكان أحمد خليفة، ومضى إلى هناك، وأخرج خاقان البخارى إلى سواد بست، والأموال جميعها، وكان سليمان رئيسًا وعظيمًا، وخرج من بين أهل بست، وحاربوا حروبًا كثيرة، وقدم أحمد بن إبراهيم القوسى سجستان منهزمًا، واستولى بشار على المدينة، وتولى الإمارة، ولكنه جار على الناس، ثم خرج صالح بن النصر[1]، أخوغان بن النصر بن مالك فى بست، واجتمع له خلق كثير من سجستان وبست، وعاونه يعقوب بن الليث[2] وعيار سجستان، وحاربوا بشار بن سليمان، وقتلوه، وصفت بست وسوادها لصالح ابن النصر، وتوفى الواثق بالله يوم الأربعاء لستة عشر يومًا، وبايعوا أخاه فى اليوم نفسه، واسمه وكنيته أبو الفضل جعفر بن محمد هارون الرشيد، وكان لقبه المتوكل على الله بن المعتصم .

تولى المتوكل على الله الخلافة

وسلك المتوكل طريق سنة النبى صلى الله عليه وسلم، واستبعد المدعين، فأحبه الناس، وأمر أن يذكروا فى الخطب، أن كل من قال بخلق القرآن فهو كافر،

---

(١) يرد أحيانًا هذا الاسم فى كتب التاريخ (نضر) وأحيانا (نصر).

(٢) هذه أول مرة يذكر فيها يعقوب بن الليث الصفارى ويظهر على مسرح الأحداث وتأتى له أن أسس بعد ذلك الدولة الصفارية.

ثم أطلق سراح أحمد بن حنبل.وقال له قولاً حسناً، وسماه أهل السنة مطرى الإسلام، ثم أخذ البيعة من الناس لأبنائه الثلاثة، محمد المنتصر، وأبى عبد الله المعز، وأبى إسحاق المؤيد، وأمر أن يخطب بأسمائهم فى خطبه كلها وكل بلد فى أول المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين، وعظم أمر صالح بن نصر فى بست بالسلاح والجيش والأموال والرجال، وكانت كل قوة جيشه تتمثل فى يعقوب بن الليث وعيارى سجستان، وكان هذا بداية أمر يعقوب، وبايع أهل بست صالح بن نصر فى المحرم سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وجبى الخراج، وكان يعطى الجيش أرزاقهم، ثم أخرج الجيش وأرسله إلى كش[1] وكان هذا أول جيش يرسله، ذلك لأن محمد بن عبيد بن وهب وأولاد حيان بن خريم تمردوا هناك، وهزموهم، وتعقبوهم، وقبضوا عليهم، واستولوا على الخيول والسلاح، وحملوها إلى صالح، وأطلقوا سراح أبناء حيان بن محبس محمد بن عبيد، الذى توفى فى حبسه، ولما عاد أبناء حيان عن طريق كشي، أرسل إليهم من يقتلهم، ثم خرج عليه عمار الخارجى فى ناحية كشى مع جماعة من الخوارج، فأرسل صالح بن نضر، كثير بن رقاد، ويعقوب بن الليث، وردهم بن نضر وهم من جملة السجزيين لمحاربة عمار، وولى عمار أمامهم منهزمًا، ثم أرسل إبراهيم بن الحضين ابنه محمد لمحاربة صالح بن النصر إلى بست من سجستان فى منتصف شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين، ومضى محمد إلى هناك، وتحاربوا فى أرض داور، ومضى صالح منهزمًا، وتفرق أتباعه،وقدم إبراهيم بن خالد صاحب شرطة صالح ودخل فى أمان مع محمد بن إبراهيم القوسى مع جماعة كبيرة، ومضى صالح فى طريق كش مع قليل من الناس،وبقى هناك مدة، حتى اجتمع إليه جماعة من المنهزمين، ثم مضى إلى بست حتى وصل ماهياباد، ووصل الخبر بست، فخرج محمد بن إبراهيم مع مجموعة،

---

(١) كس وكش: مدينة تقع فى بلاد ما وراء النهر، وواحدة من كور سجستان، يقول الإصطخرى بين كس وسجستان ثلاثون فرسخًا، وتقع على حافة طريق كرمان (من تعليقات بهار).

وتحاربوا حربًا صعبة، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير، وفى النهاية دخل محمد ابن إبراهيم القوسى بست، وحاصر القلعة وتركه صالح محاصرا القلعة، ومضى بنفسه، ولم يعلم أحد إلى أين مضى، إلا أنه قدم سجستان عن طريق الصحراء، ونزل فى دراكار[1]، وهناك تحاربوا حربًا صعبة، لدرجة أن خلقًا كثيرًا من الفريقين قُتل، وهذا كله يوم الأربعاء لعشرة أيام بقيت من ذى الحجة سنة تسع وثلاثين ومائتين، وعاد إبراهيم القوسي، ونزل فى دار الإمارة، ودخل صالح المدينة فى الليل، وكان معه يعقوب بن الليث وأخواه عمرو وعلي[2]، ودهم بن نضر وحامد بن عمرو الذى كانوا يقولون له سرنابك، وكان معهم عيارى سجستان، ونزلوا فى قصر عبد الله بن القاسم، وفى الصباح خرج صالح، واجتمع معه شيعته الذين كانوا فى سجستان، واجتمع هناك خلق كثير، وجمع إبراهيم القوسى المشايخ والفقهاء، وارتدى جيشه السلاح من مشاة وفرسان، وأرسل إلى صالح كلا من إبراهيم بن بشر بن فرقد، وشارك بن النضير وعثمان بن عفان يسألونه إلى متى ستظل متمردًا، فمضوا وألقوا السلام وسألوا، ثم قال صالح: جئت إلى هنا كى أحارب الخوارج، وأنا اليوم، وغدًا أمضى، وليس بينى وبين إبراهيم القوسى حرب، وعاد المشايخ على هذا الكلام، وركب صالح مع جيشه وأتباعه، ومضى إلى پاركين عن طريق سر لشكر، وكانت پاركين جافة، وما إن دخل پاركين[3]، كان جيش إبراهيم القوسى نزل على باب در طعام فى الأرض كثيرة المياه مجهزًا للحرب،وعندما رأى جيش صالح، دخل المدينة، وأغلق أبوابها، وكان عظيمهم عبيد الكشي، ولما رأى صالح هذا، مضى إلى المدينة فى الحال، نزل

---

(١) اسم لبوابة من بوابات مدينة زرنج.

(٢) يقول الإصطخرى: كانوا أربعة إخوة يعقوب وعمرو وطاهر وعلى أولاد الليث، وأن طاهر قتل فى الحرب التى وقعت فى بوابة بست (المسالك والممالك، ص٢٤٥).

(٣) پاركين: منطقة كثيرة المياه أو تأتى بمعنى خندق المدينة (من تعليقات بهار).

حامد سربانك والعيارين، وصعدوا إلى سطح قصر حيك بن مالك، وهو الآن خان، وخرجوا من باب قصره، وفتحوا باب المدينة، وقتلوا هناك عدة رجـــال، ودخـــل أتباع صالح المدينة، وقتلوا كثيرًا من رجال إبراهيم القوسى فى ساعة واحدة، ولم يكن لإبراهيم أى خبر عن هذا، ولما علم، ركب فى الحال وخرج من باب فـــارس، ومضى إلى باب غنجره منهزمًا، وأخلى المدينة، ودخل صالح دار الإمارة، ونـــزل وتناول صالح وأتباعه من ذلك الطعام الذى كانوا يعدونه لإبراهيم القوسي، وكـــان هذا فى يوم الخميس لتسعة أيام بقيت من ذى الحجة سنة تسع وثلاثـــين ومـــائتين، ومضى إبراهيم القوسى بالقرب من جيش عمار الخارجى ونـــزل هنـــاك، وكـــان متعاهدًا معه، وأرسل صالح جيشًا إلى حور بندان ليستولى على خـــزائن إبـــراهيم ويحطموا السجون، ولما وقع هذا، اجتمع أهل المدينة وعامتهم، وأرادوا أن يقـــاتلوه هو وجيشه، فعاد صالح خائفا، ولم يدخل قصر إبراهيم القوسي، ونـــزل فـــى دار الإمارة، وأراد أن يهرب من المدينة لما رآه من أهلها، وقال لجماعة مـــن رفاقـــه: ينبغى أن تمضى عند عثمان بن عفان، ليروا ماذا يقول: فركب ومـــضى صـــوب عثمان، وقال عثمان له : ما كان ينبغى صنع هذا، فقال صـــالح جئـــت أطلـــب دم أخى، فقد قتله الخوراج، وقد علمت أنك تساعد فى هذا الأمـــر، فـــسكت عثمـــان، وخرج صالح من هناك، وأمر بأن يغيروا على قصر بهلول بن معن الـــذى كـــان صاحب شرطة[1] إبراهيم القوسي، وفى هذا اليوم، عرض صالح جيـــشه، وكـــانوا أربعة آلاف رجل من المشاة والفرسان، وعاد إبراهيم بن الحضين ومعـــه عمـــار الخارجى ليعاونه، ووصل الخبر إلى صالح، فأرسل يعقوب بن الليث إلى درآكار،

(١) صاحب الشرطة: تعنى رئيس النظامية والشرطى والشرط واحد، وهم طائفة من خيـــار أعيـــان الـــولاة ورؤساء الضابطة ورجالها، قال الأصمعي: سمى الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامـــة يعرفـــون بهـــا الواحد وقال أبو عبيد: سمو شرطًا لأنهم أعدوا (من تعليقات بهار).

وسربانك إلى درمينا، وعقيل بن الأشعث إلى دركركوى بالأعلام السود[1]، وكـان علم الخوارج أبيض، ولما رأى الناس عوامهم وخواصهم هـذا العلـم الأبـيض، ساعدوا صالحًا ضد الخوارج، وقاتلوا قتالاً عنيفًا، وقتل خلق كثير مـن الفـريقين، وفى النهاية عاد عماد حماد (حمزة الخارجي) وإبراهيم بـن الحـضين القوسـى منهزمين، وقوى أمر صالح، وأرسل إبراهيم رسالة إلى طاهر بـن عبـد الله فـى خراسان، وطلب منه جيشًا، وأرسل طاهر الجيش ولما كان الحـال هكـذا، أغـار صالح على مقر إبراهيم القوسي، وقصر حمدان بن يحيى الذى كانوا يقولـون لـه (كلوك) واستولى على ما لهما، والتف الخوارج حول المدينة، ولم يدعوا الفرصـة لأحد أن يدخل أو يخرج منها، فهجم يعقوب بن الليث على الخوارج، وقتـل خلقًـا كثيرًا، وكان يعقوب يحارب ليل نهار، وأرسل إبراهيم القوسى ابنه إلى جمازة فـى بست أن أرسل لى جيشًا وجمع محمد بن إبراهيم القوسى مـن هنـاك مـن داور وجهزهم بالسلاح وأرسلهم، ولما قدموا سجستان كان رئيسهم من يسمونه خـواص قدم عند صالح ومعه ثلاث مائة رجل ولما عاد رئيسهم عاد الآخرون إلى بست ثم أرسل عثمان بن عفان بجيش مجهز إليه وهجم على بست، وضـل الطريـق فـى الليل، ولما بزغ الصباح، اقترب من المدينة فوصل الخبر إلى محمد بـن إبـراهيم القوسى فى بست قائلاً له: انهض واقدم، فقدم محمد فجأة بجيش مجهز إليه وهجـم على بست، وضل الطريق فى الليل، ولما بزغ الصباح، اقترب من المدينة، فوصل الخبر إلى المدينة فخرج يعقوب بن الليث وحامد سرباوك إلى بوابة نكران لمحاربة محمد بن إبراهيم القوسي، وكان صالح وخواصه فى كمين بمينو جنف، وتحـاربوا حربًا عنيفة، وقتل خلق كثير من كلا الفريقين، وفى النهاية مضى محمد بن إبراهيم القوسى منهزمًا إلى هيسون عند أبيه، وفى اليوم التالى أمر صالح أن يغيروا علـى قصر محمد بن إبراهيم القوسى وخواصه، ثم قال ليعقـوب وسـرباوك وعيـارى

---

(١) كان العلم الأسود هوعلم الدولة العباسية.

سجستان: نحن نحارب والمدينة هناك، ونحن ننصر الدين، وكان أصل صالح من سجستان، إلا أنه تربى ونشأ فى بست، فقالوا: من يكون هذا الذى نهب من خزانة سجتسان ألف ألف درهم، والآن سوف يغير من جديد على بست وأى خطر له، إنه بلا حمية، وإذا ما سلب الأموال على هذه الناحية، واختلفوا، وركب كل من كان سجزيًا وعسكروا فى باب غنجرة ونزلوا فيها، وكان من كانوا من بست كانوا مع صالح هذا، علم أنه لا يستطيع أن يمضى إلى بست ليلاً، فحمل متاعه، وكتب رسالة إلى مالك بن مردودية الذى كان خليفته هناك قائلاً: أريد أن أقدم، ولكن الأمر كان كذلك، فقدم مهاجمًا مع خمسمائة فارس، ولما اقترب من المدينة، خرج صالح، وهجم بعده يعقوب بن الليث، وتحاربوا حربًا صعبة، وقتلوا مالكًا، واستولوا على خزائنه وأمتعته كلها، وقتلوا رؤساء جيشه جميعًا، وأخذوا السلاح والمتاع، ومضى صالح إلى بست منهزمًا مع فئة قليلة، ثم مضى يعقوب مهاجمًا خلف صالح بن النضر والتقيا فى نوقان، وهناك اجتمع الناس حول صالح، وحاربوا حربًا صعبة، وقتل فى تلك المعركة طاهر بن الليث – أخو يعقوب – فى يوم الجمعة لثلاثة أيام بقيت من جمادى الآخر سنة أربع وأربعين ومائتين، وقبره الآن فى كرمه، ومضى صالح منهزمًا، واختفى ولم يجدوه فى أى مكان، وعاد جيش سجستان، وبايعوا درهم بن النصر، وكان جيش سجستان فى هذه الواقعة التى كانت فى آخر جمادى الآخر سنة أربع وأربعين ومائتين، وصار يعقوب بن الليث وسربانك أميرين لجيشهما وكانوا يحاربون الخوارج باستمرار ومن يخالفونه، وعين درهم بن النضر حفص بن إسماعيل بن الفضل أميرًا للشرطة، وتوفى محمد بن إبراهيم بن الحسنين القوسى فى هيسون، وجاءوا بجنازته على أعناق الناس إلى القصبة ليومين بقين من جمادى الأولى سنة أربعين ومائتين فى ولاية درهم بن النضر، ولما رأى درهم شجاعة وبسالة يعقوب بن الليث وهيبته فى قلوب الناس، خاف واستقر (وأقام) فى القصر، وادعى أنه مريض فركب يعقوب إليه،

ولما رأى هـذا أغار على تلك الجهة، وقتل خلقًا كثيرًا، وهرب البـاقون، وأسـر درهم بن النضر، وأخـرجه من منزله، وحبسـه، وبايع أهل سجسـتان يعقـوب ابن الليث يوم السبت لخمسة أيام بقيت من شهر المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين.

أخبار ملك الدنيا صاحب القرآن أبى يوسف يعقوب ابن الليث ونسبه وذكر ما كان له من عظمة(١)

أما نسبه فهو: يعقوب بن الليث بن المعدل بن حاتم بن ما هان بن كيخـسرو ابن أردشير بن قباد بن خسروا برويز بن هرمزد بن خسروان، نوسزوان بن قبـاد ابن فيروز بن يزد جـرد بن بهرام جـور بن يزدجرد بن شـابور ذى الأكتـاف ابن هرمز بن نرسى بن بهرام بن هرمز البطل بن شابور بن أردشـير بن بابـك ابن ساسان بن بهمن الملك بن سفنديار الشديد بن يستاسف الملك بن لهراسب ـــ عم كيخسرو بن سـياوش ـــ بن لهراسب بن أهو بن كبوحى بن كيقباد بن كى فـشين ابن كى ابيكه بن كى منـوش بن نوذر بن منـوش بن ضـوشرود بن منوشجهر ابن نروسنج بن ايرج بن افريدون بن أبتيان بن أبتيان بن جمشد الملك بن يوبخهان ابن الحمر، بن أوشنهج بن فرواك بن سيامك بن ميثى بن كيومرث. وكانـت هـذه أول بيعة بويع فيها يعقوب بالإمارة، وقدم حامد بن عمر سر بانك مع كل لبيعتـه، وعين يعقوب حفصًا بن إسماعيل أميرًا للشرطة ومكث مدة ثم حارب الخوارج فى كـل

---

(١) كتب أمام هذا العنوان هذان البيتان فى حاشية المتن الأصلى للكتاب، وقد كتبا بخط بين الثلث والنسخ، وتحتهما هذا التاريخ، والبيتان هما:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه   سيزورنى فاستعبرت أجفانى
هجم السرور علىَّ حتى أنه   من فرط شدة فرحتى أبكانى

٨ محرم ٨٦٤ هـ

يوم، حتى هرب درهم بن النضر من سجن يعقوب، ومضى إلى سربانك في كلاشير التى كان بها قصر سربانك، فاتحدا معًا وأرادا أن يأخذا المدينة من يعقوب، فركب يعقوب ومضى إلى هناك، وكان معه محمد بن رامش، وكان أول شخص قدموا عليه سربانك مستلاً سيفه، فخرج محمد بن رامش معه وقتل سربانك، وهزم جيشه، واستولى يعقوب على كل شيء من سلاح سربانك وخيوله وماله وأسره، وعاد إلى دار الإمارة منتصرًا، واستقام له أمر سجستان، ثم استدعى الناس جميعًا، وأحسن إليهم، وأطلق سراح الأسرى، وخلع عليهم، وأقسم لهم، وعاهدهم، وتألفت قلوبهم جميعًا معه، وقسم الأرزاق على الجيش، وأرسل إلى عمار الخارجى رسولاً، وقال إن كل هذا العمل الذى أنجزتموه كان بسبب أن حمزة بن عبد الله كان رجلاً لم يقصد المدينة قط، ولم يؤذ أهل سجستان، ولكنه كان قد خرج على أصحاب السلطان لأنهم كانوا ظالمين، وكان أهل سجستان في أمن وسلام وكانت لهم ولاية الغرباء وكانوا فى سلام بسبب خلافه، وبعد ذلك فى عصر أبى إسحاق وأبى عوف كانت غزواتهم فى دار الكفر، أما الآن فقد تغير الحال، أما إذا أردت أن تكون بسلامة، أبعد عن فكرك فكرة أمير المؤمنين، وقم على جيشك واتحد معنا، فقد نهضنا ولنا اعتقاد حسن، وإننا لم نعط سجستان إلى أحد، وإذا ما نصرنا الله تعالى فسوف نوسع فى ولاية سجستان ما نستطيع، وإن كان هذا لا يعجبك فلا تؤذ أحدًا فى سجستان، وامض على تلك السنة التى كان يمضى عليها الخوارج، فرد عمار على الرسالة قائلاً: أمهلنا حتى نتشاور، ولكننا لا نؤذيك ولا نؤذى أتباعك، وأدى يعقوب الخراج وأسند الولايات، وأقام الديوان، وقتل المتوكل على الله ابنه محمد بن جعفر المنتصر بالله، ودامت خلافة المتوكل خمسة عشر سنة إلا شهرين، وبايعوا المنتصر فى يوم الخميس نفسه السابع من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

تولى المنتصر بالله الخلافة

وبايعه أخواه المعتز والمؤيد، واستقامت الخلافة للمنتصر، ولم يقع فى خلافته حدث وتوفى المنتصر بالله بن المتوكل على الله فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، ودامت خلافته ستة أشهر، وجعل ابنه أحمد بن محمد بن جعفر ولى عهده قبل وفاته، وتسمى بالمستعين بالله، وتولى فى تاريخ وفاة أبيه نفسه.

تولى المستعين بالله الخلافة

ولى المستعين بالله طاهر بن عبد الله على خراسان، ولما قوى أمر يعقوب فى سيستان جعل عمر خليفة عليها (على سيستان) وعزيز بن عبد الله أميرًا للشرطة، ومضى بنفسه وكان أمر صالح قد قوى فى بست فذهب لمحاربته فى جمادى الآخر سنة مائتين وثمان وأربعين، وقد دارت حروب كثيرة بينهما، ثم هرب صالح بن النصر ليلاً، وترك بست ليعقوب، وجاء إلى سيستان بجيش عن طريق الصحراء، ولم يكن لأحد خبر عن ذلك حتى دخل در (آكار) ليلاً فى رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وعلم الناس أن يعقوب عاد من بست ومنذ أن عرف عمرو الأمر بأن الناس متفرقون وكان الوقت ليلاً ولم يحدث أكثر من أنه استولى على بيت القلعة فى مدينة كوشة. التف صالح حول البيت وأخرج عمر من القلعة وأسر عزيز بن عبد الله وداود أخاه، وكان يعقوب قد جاء فى إثره فى اليوم التالى، وقد فعل هذا فى يوم آخر، ثم نزل الجيش واستولى صالح على قلعة مينوخند وحفر ما حوله، وجاء يعقوب للحرب يوم السبت لخمسة أيام خلت من شهر شعبان سنة

مائتين وثمان وأربعين، ومضى صالح منهزمًا واستولى يعقــوب علــى الأمــوال والسلاح وخيول الجيش كلها وخلص عمروعزيز وداود من الأســر فكــل واحــد أعطى كل أسير شيئًا وتركه وشكر الله على هذا النصر وعثوره على أخيــه حيّــا، ومنح الفقراء خمسين ألف درهم، ولما أخذ يعقوب فى الكبر، ويسر الله له الفتــوح كانت لأزهر صداقة مع الخوارج.

قصة أزهر

أزهر بن يحيى بن زهــير بن فرقــد بن سليمان بن ماهــان بن كيخــسـر ابن أردشير بن قباد بن خسروا بروندر الملك.

بعث أزهر الرسائل إلى عظماء الخوارج يلاطفهم ويرغبهم بــالقول الحــسن حتى جاء ألف رجل منهم دفعة واحدة، وأعطى يعقوب لرؤسائهم الخلــع وتحــدث معهم حديثًا حسنًا قائلاً كل من هو قائد فيكم جعلته أميرًا وكل من هو فارس جعلته قائدًا، وكل من هو مترجل منكم جعلته فارسًا، وكل من أرى فيه فضلاً زدت له من قدرة فارتاح له الناس وبقى مدة فى سجستان، وبعد ذلك توفى أبو الطب طاهر بــن عبد الله بنيسابور يوم الإثنين لثمانية أيام باقية من شهر رجب سنة ثمان وأربعــين ومائتين، وقد أعطى المستعين بالله خراسان لمحمد بن طاهر بن عبــد الله وأرســل إليه العهد وقد كثر مجىء الخوارج إلى يعقوب، ثم جعل يعقوب عزيز بن عبــد الله خليفة له فى سجستان وأغار مع ألفى فارس على بست فعلم صالح فهرب ومــضى إلى زنبيل (عند زنبيل) واستولى يعقوب على متاعه وعاد إلى سيستان يوم الــسبت لستة أيام مضت فى شهر رمضان سنة تسع وأربعين ومــائتين، وهــاجم أســدويه الخارجى فى در طعام، فعلم يعقوب الخبر فخرج وحارب وقتــل أســديه وشــنقه،

وعلقه على الأعواد فسلك طريقًا آخر للهجوم، وتوجه إلى بست، وكان عزيز بن عبد الله خليفة على سجستان يوم الخميس لأسبوع انقضى من شهر ذى الحجة سنة تسع وأربعين ومائتين، ودخل بست مع ألفى فارس وتولى فى ميركان، وخرج صالح مع جيش عظيم وأراد الفرار، ومضى بالقرب من رخد، ولحق به يعقوب وتحاربا على نحو لم يره أحد من قبل، وقدم زنبيل العون لصالح بجيش عظيم وفيلة كثيرة، وعندما تم أمر يعقوب، اختار خمسين فارسًا من جيشه، وخرج معهم، وقام بحملة، وأسقط زنبيل وقتله، وهزم الجيش كله، وأغمد يعقوب ورفاقه السيوف فيهم حتى قتلوا ستة آلاف رجل، وأسروا ثلاثين ألف رجل كما استولوا على أربعة آلاف جواد أصيل غير الجمال والبغال والحمير والخيول المسرجة والخوازن والدراهم والدنانير والفيلة، وأسروا خيرك الذى كان غلامًا وحاجبًا لصالح بن النضر، وكان أتباع صالح قد اتفقوا مع يعقوب، وانهزم صالح مع خمسة فرسان ودخل أخو زنبيل فى أمان يعقوب، وقدم كل ذوى قرباه بعرش زنبيل الفضى وخزائنه وأسلحته الكثيرة، وكل ما وصل إلى أيديهم من أموال، وأرسلت رؤوس القتلى إلى سجستان على ظهر سفينة، وكانت حمولة السفينة مائتى وقليلاً، وأرسل شاهين مع جماعة من الفرسان فى إثر صالح حتى وجدوه فى بول على حدود والشان[1] وقيدوه، وجاءوا به إلى يعقوب، ثم مضى به يعقوب مع الأسرى كلهم إلى سجستان، كما جئ بأحرمى أخى زنبيل وذوى قرباه الذين لجأوا إليه، وجاء بهم جميعًا، وترك هناك الفيلة وقال:

" لا يلزمنى فيل فإنهم ليسوا ملوكًا   وليسوا منسوبين إلى الملك

(١) والشتان: جاءت فى الصفحات التالية لهذه الصفحة والشتان وتعد ضمن ولاية بست وفى تاريخ البيهقى ذكر اسم شبيه بهذين الاسمين أولهما باشان وهى موضع بين هراة والغور والأخرى والستان وهى تابعة لمكران (من تعليقات بهار).

فإن الله تعالى ذكر أبرهة بالفيل، ثم أرسل صالح بن عم زنبيل إلى رخد، ومات صالح بن النضر فى سجن يعقوب بعد سبعة عشر يومًا، وأحضروه إلى سجستان يوم السبت لسبعة عشر يومًا خلت من شهر المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين.

خروج يعقوب لمحاربة عمار الخارجي

وكتب رسالة قبل الخروج لمحاربة عمار إلى خلف بن الليث بن فرقد بن سليمان بن ماهان الذى كان قد عينه أميرًا على بست، ولما تم حديث صالح عاد واستخلف خلفًا على مدينة سجستان، ومضى يعقوب، وكان عمار فى فيشك، ونزل مع جيشه، ووصل يعقوب إلى مدينة بتو فى الصباح، وكان شاهين له دليلاً ومرشدًا إلى طريق بتو، وعندما وصل بجيش منظم لم يكن جيش عمار منظمًا، ولم يستطيعوا أن يهزموه، أما الباقون فقتلوا، وقتل عمار فى المعركة يوم السبت لليلتين باقيتين من شهر جمادى الآخر سنة إحدى وخمسين ومائتين وجاءوا برأس عمار إلى المدينة، ورفعوه على جدار درطعام ونكسوا جسده فى دراكار، وانكسرت قلوب الخوارج جميعهم، ومضوا إلى جبال سفرار، وقد دبت الفتنة فى وادى هندقانان، وفى هذا الوقت وقعت فتنة فى بغداد بين المعتز والمستعين حتى خلع المستعين نفسه، وبايعوا المعتز وكان اسمه زبير بن جعفر فى سنة إحدى وخمسين ومائتين، عندما كانت غرة المحرم سنة اثنى وخمسين ومائتين، ودخل الخاص والعام فى بيعة المعتز وخرج ثانية إلى سجستان ونواحى فراة وجوبيه، وتوجه يعقوب إلى محاربته وأسره ثم قتله وعلق رأسه على القصبة فى يوم الجمعة سنة اثنتين وخمسين ومائتين، ومكث يعقوب مدة فى سجستان، وجاء الخبر بأن صالحًا رفع راية العصيان فى رخد، ومضى يعقوب لمحاربة صالح يوم الإثنين لليلتين

باقيتين من ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجعل عزيز بن عبد الله خليفة على سجستان.

خروج يعقوب لمحاربة صالح بن حجر

كان صالح بقلعة كوهز [1] ولم يكن لديه علم بذلك حتى استولى يعقوب على ما حول القلعة ثم قاتلوا قتالاً عنيفًا لمدة أيام ولما أيقن صالح أنه سوف يستولى على القلعة قتل نفسه، وألقوا به خارج القلعة وسلموا القلعة طالبين الأمان، وأحضروا صالحًا إلى بست، وهناك دفنوه وأقبروه (دفنه) قلعة معتمدة (موثوق بها) وعاد إلى سجستان لأربعة أيام بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وبعد أن أوجد الأمان فى هذه الناحية وولى لاقام فى والشان وزمين داور وزمين بست وبقى مدة فى سجستان، وقصد هراة يوم السبت لأحد عشر يومًا مضت فى شعبان سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

خروج يعقوب إلى [2] هراة واستيلاؤه عليها

كان حسين بن عبد الله بن طاهر أميرًا على هراة خلفًا لمحمد بن طاهر، واستخلف يعقوب داود بن عبد الله على سجستان، ومضى وتوجه إلى هراة،

---

(١) كوهز: قلعة من قلاع غزنين على طريقة بست وهى قلعة استولى عليها أمراء محمد بن محمود بناء على رغبة الأمير مسعود بن محمود وفتحوا بابها ولا يوجد ذكر لهذه الأسماء فى كتب المسالك.

(٢) هراة، هرى، هراه: هذه الكلمات الثلاث اسم مدينة من مدن خراسان المشهورة والمنسوب إليها يسمى هروى وهراتى وهربوى

وحاصر حسين الهدوى، ونزل يعقوب هناك وتحاربا لمدة طويلة، ثم استولى على القلعة فى النهاية، وأسر حسينا، وكان إبراهيم بن إلياس بن أسد قائد جيش خراسان، وجاء لمحاربة يعقوب، ونزل فى بوشنك ووصل الخبر إلى يعقوب فترك على بن الليث أخاه والأسرى والمتاع فى هراة، ومضى بنفسه حتى يصل إلى بوشنك، وآمن أهل هراة ليستحوذ على قلوبهم ومضى إلى بوشنك وحارب إبراهيم ابن إلياس، وقتل جندًا كثيرًا من جيشه، إلا أنهم هزموهم ثانية وانهزم إبراهيم وتوجه ناحية محمد بن طاهر، ومضى إبراهيم نحو محمد بن طاهر منهزمًا وقال " إنه لن يحارب هذا الرجل مطلقاً فإن له جيشًا مخيفًا لا يهاب القتل مطلقًا وهم يحاربون ولا يبالون ولا عمل لهم سوى الضرب بالسيف، وكأنما ولدتهم أمهاتهم للحرب، واتحد معه الخوارج جميعًا ليأتمروا بأمره فالصواب أن يستميلهم حتى يندفع شره وشر هؤلاء الخوارج وهو رجل صارم له سمات الملوك وفيه طبيعة الغزو، ولما سمع محمد هذا أرسل المرسل والرسائل والهدايا ومنشور سجستان، وأرسل إلى عثمان رسالة فأمر بالخطبة والصلاة له وخطب عثمان ثلاث جمع ووصل يعقوب، وقتل بعض الخوارج الذين تبقوا، وأخذ أموالهم فقال الشعراء فيه شعرًا بالعربية.

قد أكرم الله أهل المصر والبـــلد   بملك يعقوب ذى الأفضال والعدد

قد آمن الناس نخـــوته وغرته   ستر من الله فى الأبصار والبلد

ولما أنشد هذا الشعر لم يكن عالمًا فلم يفهمه، وكان محمد حاضـــرًا، وكـــان كاتب رسائله، وكان يعرف الأدب جيدًا وفى ذلك الوقت لم تكن الرسائل بالفارسية.

وكان يقول شعراً بالفارسية، وكان هذا أول شعر قيل فى العجم، ولم يقل أحد قبله منذ أن كان الفرس يقولون شعرًا علـــى القيثـــارة (العـــود) علـــى الطريقـــة الخسروانية، ولما زال العجم من الوجود وجاء العرب كان الشعر عندهم بالعربية وعرف الشعر العربى عندهم جميعًا، ولم يظهر أحد فى العجم كانت له عظمة قبل يعقوب حتى يقولوا فيه شعرًا إلا حمزة بن عبد الله الخارجى، وكان عالمًا يعـــرف العربية وقال شعرًا بالعربية، وكان معظم جيشه من العرب، وكانوا عربًا، وعنـــدما

قتل يعقوب زنبيل وعمار الخارجى، واستولى على هراة وأسلموه سجستان وكرمان وفارس قال محمد بن وصيف[1] هذا الشعر.

أيها الأمير يا من يكون أمراء العالم خواصهم وعوامهم

لك عبيـــــداً وخادماً ومولى وخادم كلب وغلماناً

فى اللوح خط أزلى يقـــــول أعطـــوه المـــلك

ليوســـــــف يعقــــوب بن الليث الهمام

جـــــاء بلنام وزنبــــــيل أكله نمر فى القـــام

وتمزق جيـــش زنبيـــل وذهب العربية هباء

وأنت أيهــــــا الأمـــــير قرأت آية الملك بالتعبير

إذ قد تحقـــق لنا النـــصر بفئة قليلة من الجيش

طلبــــــك عمر عمـــــار ثم برئ منـــــك

إن ســـيفك كان واســـطة بين الوحش والمستأنس

وقد ملكت عمره كاملاً فعش أنت مثـــل نوح

فجسمه على بوابة آكار ورأسه على بوابة طعام

وهذا الشعر كثير ولكننا ذكرنا منه قليلاً وكان بسام من هؤلاء الخوارج ومن الذين جاءوا ليعقوب طالبين الصلح ولما رأى قرص رصيف للشعر جعل يقول من الشعر أشعارًا وكان أديبًا وهو يذكر حديث عمار فى شعره:

كل من لم يكن بالقلــب متهمًـــا   فقد أجـــاب دعوتـــك بنعـــم

---

(١) محمد بن وصيف أول شاعر قرض الشعر باللغة الفارسية بناء على كتب التواريخ والأدب الفارسـية، وكان كاتبًا لرسائل يعقوب بن الليث الصفاري

إن العمر أصبح بريئًا بهذا من عمار لأنه جاء بالخـــــلاف حتى لا جرم

رأى البلاء علــى جســده وروحـــه وتألــــم جسمـــه فى العـــالـم

إن الله جعل كلـــه حرمـــًا للعــرب وجعـــل لـــك العهد فى العـــجـم

وكل من بقوا هم كل من دخل هذا الحرم وقـــد فنى من لم يدخل هذا الحرم

ومحمد بن مخلد كان سجزيًا كذلك، وكان رجلاً فاضلاً وشاعرًا يقول الشعر بالفارسية وقال هذا الشعر:

لم تلد سواك حواء ولم ينجب آدم سواك

لك طبيعة الأسود وأنت عالى الهمة

أنـــت معجـــز النبـــى المكـــى

بالعمـــل والطبـــع واللحــم

ويفخر عمار فى يـــوم كبيـــر

قائلاً أنا الذى أصبحت يعقـــوب

وبعد هذا جعل كل إنسان ينتهج يقول الشعر، وكان هؤلاء الأوائل ولم يكن أحد قد ذكر شعرًا باللغة الفارسية إلا أبو نواس فإنه قد أورد كلامًا فارسيًا رقيقًا فى شعره.

خروج يعقوب إلى كرمان وفارس

عدنا إلى الحديث عن ذهاب يعقوب إلى فارس وكرمانن وجعل عزيـز عبـد الله خليفة يوم السبت لثمـانية أيام بقين من شهر ذى الحجـة سـنة أربـع وخمـسين ومائتين، وفى اليوم نفسه مضى إلى كرمان وعندما وصل إلى " بم " كان إسماعيل ابن موسى موئلاً للخوارج جميعهم الذين جاءوا من العرب، وتحاربا مـع يعقـوب وأسره يعقوب، وقتل أتباعه كلهم فى الحرب وأسر من لم يقتل، ومن هناك مـضى إلى كرمان وكان على بن الحسين بن قريش عاملاً على كرمان، فأرسل طوق بـن المفلس ليحارب يعقوب ولما توجه الجيشان دارت بينهما حـرب ضـروس وفـى المعركة ألقى أزهر وهقًا فى وسط طوق وجذب أزهر طوقًـا بأنـشوطته وأسـره وهزموا جيشه، ثم طلبوا الأمان فأعطاهم الأمان وعندما سمع على بن الحسين ذلك توجه إلى شيراز وجمع على بن الحسين الجيوش قدر المـستطاع واسـتمال إلـى جانبه الكفجين [1] وتقدم إلى يعقوب بالقرب من شـيراز ودارت رحـى الحـرب الضروس .

وانهزم جيش على كما أسر على بن الحسين بن قريش، وظل فى الأسر فـى جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان على حفيدًا لقريش بـن شـبل، ولذلك سموه قريش وحصل يعقوب على أموال طائلة فى الحربين لم يكـن لهمـا عدد ولا حصر [2] وأرسل من هناك الهدايا الكثيرة إلى المعتز من خيـول فارهـة

---

(١) الكفج وكوفج وكوج: كانوا طائفة مرادفة لكلمة (بلوج) كما يقول ناصر خسرو ولم يكـن لهـم رسـول ليؤمنوا به ولم يصدر عنهم إلا الشر (من تعليقات بهار)

(٢) يذكر الطبرى حرب كرمان وشيراز ليعقوب بن الليث الصفارى من قول شخص كان بنفسه فـى تلـك المعركة وقد مات منذ ذلك التاريخ ونظرًا لأهمية هذا الموضوع فإننا نترجم له فى هذا الكتـاب (مـن تعليقات بهار) .

وصقور صيد والكؤوس الراقية ومسك وكافور، وما ينبغى للملوك، ومن هناك عاد إلى سجستان ودخل سجستان يوم الخميس لخمسة أيام بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل المعتز بالله فى الشهر نفسه.

تربع المهتدى بالله على العرش

ومن بعده أفضت الخلافة للمهتدى بالله وهو محمد بن هارون الذى ولى محمد بن عبد الله على خراسان، ولما دخل يعقوب على هذه الشاكلة من العظمة والثراء بلاد فارس جاءوا بعلى بن الحسين بن قريش وطوق بن المفلس وهما أسيران مع لوازم السفر وزاده، وكانت خمسة آلاف جمل وألف من البغال غير الحمير والرمكات والخيول العربية والأموال الأخرى، فسعد الناس واستراح يعقوب فى سجستان وقتل أبو محمد عثمان بن عفان فى غرة شوال سنة خمس وخمسين ومائتين، وكان رجلاً عظيمًا فى الفقه والعلم فى سجستان، وحبس ابن زنبيل فى الوقت نفسه وما فى قلعة بست، وتمكن من الهروب فهرب وجمع جيشًا عظيماً ومضى إلى رخد، واستولى عليها وبلغ يعقوب الخبر، فأسند سجستان إلى حمدان بن خليفة وذلك فى يوم الخميس لخمسة أيام بقيت من ذى الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين.

خروج يعقوب إلى رخد لمحاربة زنبيل

ولما وصل بالقرب من رخد، هرب ابن زنبيل، ومضى إلى كابل، وجدَّ يعقوب فى طلبه، ولما وصل إلى حاساب تساقطت الثلوج وقطعت الطريق، فعاد

إلى سجستان، وقتل فى الطريق كثيرًا من الخلج [1] والترك وأحضر دوابهم، وجاء بكثير من العبيد وكان السبكرى أحد هؤلاء العبيد، وقدم حسين بن عبد الله بن طاهر عند يعقوب، ومضى معه فى هذا الهجوم، وعاد يعقوب إلى سجستان فى يوم الجمعة لأربعة عشر يومًا مضت من شهر شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وبقى فيها عدة أيام، وتوجه إلى هراة وأعطاها إلى حسين بن عبد الله بن طاهر، ومكث هناك ثلاثة عشر يوماً، ورجع وعاد إلى سجستان، وقضى مدة ثم توجه إلى كرمان يوم الخميس لخمسة أيام بقيت من شهر المحرم سنة تسع وخمسين ومائتين، وقتل المهدى بالله فى بغداد فى رجب سنة سبع وخمسين ومائتين فجلس المعتمد على الله على عرش الخلافة.

تولى المعتمد على الله الخلافة

اسمه أحمد بن جعفر، وفى رجب سنة ست وخمسين ومائتين أسند إلى المعتمد محمد بن عبد الله بن طاهر خراسان ومنحه عهد سجستان كذلك ومضى يعقوب إلى كرمان كما أسلفنا، واستخلف حمدان بن عبد الله المرزبان، وأعطى قيادة الجيش لفضل بن يوسف والصلاة والخطبة لإبراهيم بن داود البمى وبيت المال لإسماعيل بن إبراهيم، وعندما وصل يعقوب كرمان قدم محمد بن واصل إلى يعقوب بجيشه لاستقباله مقرًا بالطاعة والولاء والهدايا حاملاً إليه الأموال الكثيرة، فأعطاه يعقوب فارس، وأرسل إلى المعتمد رسولاً يحمل الهدايا وخمسين تحفة

(١) الخلج والتركمان على حد قول المؤرخين يعدون من بقايا الهياطلة الذين استولوا على طخارستان فى عهد الساسانيين وانهزموا على أيديهم وفى اللغة البهلوية كلمة (هلك وخلج) تقرآن على هذا النحو ومعناهما القوم الأشداء الضالون (من تعليقات بهار)

ذهبية وفضية أحضرها من كابل وأرسلها إلى المعتمد ليرسلها إلى مكة ليضعوها فى حرم مكة فى طريق الناس رغم أنف الكفار، ودخل فارس يوم الأربعاء لأربعة أيام مضت من المحرم ثمان وخمسين ومائتين، وعندما وصلت الهدايا والتحف إلى المعتمد سر بها كثيرًا، وأرسل أخاه أبا محمد الموفق الذى كان اسمه طلحة، وكان ولى عهد المعتمد، وأرسل إلى يعقوب رسولاً، وأرسل إسماعيل بن إسحاق القاضى وأبا سعيد الأنصارى بالمنشور والعهد والولاء إلى ولاية بلخ وتخارستان وفارس وكرمان وسجستان والسند فسر يعقوب بذلك، ورعى جانبهم وأعطاهم الخلع والهدايا الجميلة، وعادوا مسرورين وعاد بنفسه إلى سجستان، ومكث مدة ثم خرج ناحية كابل قاصدًا ابن زنبيل يوم السبت لخمسة أيام بقين فى ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وعندما وصل زابلستان صعد ابن زنبيل قلعة ناى لامان واستولى عليها [1] ووقف يعقوب هناك، وتحاربا حتى أنزله منها وقيده وتوجه إلى بلخ عن طريق باميان، وكانت بلخ لداود بن العباس، وعندما سمع خبر يعقوب هرب وحاصروا أهل بلخ وقهندز، ودخل يعقوب واستولى عليها للوهلة الأولى، وقتل الكثير، ثم أغاروا وجعل محمد بن بشير خليفة على بلخ، ومن هناك اتجه إلى هراة، وكان عبد الله بن محمد بن صالح بهراة فهرب من أمام يعقوب وتوجه إلى نيسابور. ودخل يعقوب هراة ومكث بها وأحسن إلى الناس وقال: " أصبح أهل هراة شيعة ليعقوب فتعلقت به قلوبهم ".[2]

---

(١) يقول الكرديزى فى تاريخه فى هذا الموضوع: إنه مضى إلى بلخ واستولى على باميان سنة ٢٥٦ هـ وخرب نوشاد وبلخ كما خرب كل ما أقامه داود بن العباس بن هاشم من أبنية ...

(٢) ذكره الكرديزى (عبد الرحمن) وقال: لقد حوصر عبد الرحمن فى كروخ ولما انهزم قدم فروض الطاعة والأمان مع أتباعه مثل المهدى بن محسن ومحمد بن نولة وغيرهما وقد ذكره الطبرى عبد الرحمن أيضًا: عندما دخل رسل يعقوب بغداد كانوا قد أحضروا على قناة فيه رقعة فيها رأس عدو الله عبد الرحمن الخارجى الذى قتله يعقوب بن الليث .

خروج عبد الرحيم للإمارة

وعبد الرحيم الخارجي الذى كان قد ثار من جبل كروع وأطلق على نفسه أمير المؤمنين ولقبه المتوكل على الله وجمع حوله عشرة آلاف رجل من الخوارج وجبال هراة وسفزارو نواحى خراسان وأخذوا يغيرون على غيرهم وعجز قادة جيش خراسان وعظماؤها عن رده، فقصده يعقوب فدخل فى الجبل فتساقطت عليه ثلوج غزيرة، وحاربه يعقوب بين الثلوج ولم يعد إليه مطلقًا رغم الأمطار والصعوبات ليلجأ إلى يعقوب، ودخل فى طاعته وقد أعطاه يعقوب الأمان وبعد أن قدم إليه مطيعًا أعطاه العهد والميثاق وأسند إليه أعمال سفزار والصحارى والأكراد (١) واستقر فى هراة، ولم يمض عام حتى قتل الخوارج عبد الرحيم، وولوا إبراهيم ابن أخضر، وجاء إبراهيم بالهدايا الكثيرة والخيول والأسلحة الجيدة عند يعقوب وقد وكل إليه هذا الأمر بالطاعة ولاطفه (ورعى جانبه) وقال له كلامًا حسنًا ثم قال له أنت وأتباعك ينبغى أن تكون قلوبكم قوية فإن معظم جيشى وعظمائى من الخوارج وأنت بينهم فلا تكن غريبًا عنهم وإذا لم ينجز هذا العمل الذى أعطيتك إياه فأرسل إلىّ كثيرًا من رجالك حتى أجدهم يومًا ما، واجعلهم على الديوان، وأعطهم كل ما يريدون من هذا العمل، ولكن هذه الجبال والصحارى والثغور يجب أن تصونها من الأعداء فنحن إنما ننشر الولاية بالذات ولا نستطيع أن نبقى هنا طوال العام، ولى رجل خير وهو أنت على الخصوص من بلدى نفسها، ومعظم رجالك من بسكر ولا يمكننى بأى حال أن أنالهم بأذى فعاد إبراهيم بقلب منشرح ومضى إلى أتباعه، ورجع مسرعًا بالجيش كله وخلع يعقوب على الأتباع والعظماء وأمر

---

(١) كردان جمع كرد وهى الصحارى التى تقضى فيها هذه الطوائف الصيف والشتاء ولكن فى هذا العهد يوجد للأكراد فى خراسان مساكن للعيش (من تعليقات بهار)

العارض أن يكتب أسماءهم فى ديوان العرض جعل أجورهم على قـدر مـراتبهم ووجدهم مقسمين إلى عشرينات، وجعل إبراهيم قائدًا عليهم وأطلق علـيهم جـيش الشراة، وعاد يعقوب إلى سجستان لثلاثة عشر يومًا بقين من جمادى الأولى سـنة تسع وخمسين ومائتين، وتساقطت فى هذه السنة الثلوج الكثيرة حتى جفى النخيـل، ثم بقى يعقوب معه فى سجستان، وبعدها قصد خراسان، وجعل حفص بن زونـك خليفة على سجستان يوم السبت لأحد عشر يومًا بقين من شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين، وسلك طريق نيسابة، وقال هكذا إنى ماض فى طلب عبـد الله بن محمـد ابن صالح [1] وكان عبد الله بن محمد فى نيسابور عند محمد بن طاهر، وعنـدما جـاء يعقوب إلى بوابة نيسابور، أرسل رسولاً إلى محمد بن طاهر، نحن لن ندخل معـه فى حرب وإذا ما حاربناه كانت له الغلبة علينا ويلحق الضرر بأرواحنا، ولما رأى عبد الله بن محمد بن صالح هذا نهض وتوجه إلى دمغان، وكان يعقوب قـد نـزل عند بوابة نيسابور، وأرسل محمد بن طاهر جميع الوزراء والحجاب إلى يعقـوب وتبعهم فى اليوم التالى، وذهب لمقابلة يعقوب، وعندما نزل وأراد الرجـوع أمـر يعقوب عزيز بن عبد الله [2] قائلاً: أحبس هؤلاء جميعًا، فحبسهم عزيز وقيَّدهم وهم محمد بن طاهر وخواصه.

---

(١) عبد الله هنا ذكر فى الصفحات السابقة وكان فى هراة وهرب من أمام يعقوب ولكـن المـؤرخين زادوا فى شرح سبب فراره يقول الطبرى: " إن عبد الله السجزى كان يتنافس الرئاسة بسجستان هو ويعقوب فتخلص منه عبد الله ولحق بمحمد بن طاهر فى نيسابور فلما مضى يعقـوب إليهـا هـرب عبـد الله (الطبرى جـ٣ . ص ١٨٨٣) ويقول ابن الأثير فى أحداث سنة ٢٥٩ هـ: فارق عبـد الله الـسجزى يعقوب فى هذا العام وحاصر نيسابور وبها محمد بن طاهر قبل أن يملكها يعقوب بن الليث فوجه محمد ابن طاهر إليه الرسل والفقهاء فاختلفوا بينهما ثم ولاه الطبسين وقهستان (الكامـل جـ ٧ . ص ٨٨ ويبدو أن سبب هروب عبد الله أمام يعقوب ساقط من هذه النسخة .

(٢) ذكره الطبرى عزيز بن السرى

سبب حبس محمد بن طاهر وانقراض الأسرة الطاهرية على يد يعقوب بن الليث

وكان سبب حبسهم واعتقالهم واتجاه يعقوب إليهم أنه فى يوم من الأيام التى حارب فيها زنبيل، مضى إلى بست وقتله، وذات يوم مضى هو وكاتبه إلى ضواحى بست متنكرين، ودخلا قصرًا، وكان هذا القصر لصالح بن النضر، وبعد وفاة صالح بوقت قصير، كان قد هرب، فنظر الكاتب ورأى أنه كان قد كتب على جدار المنزل بيتين وقرأهما فهز رأسه فسأله يعقوب ما هذا فقال: وترجمهما له وكان هذان البيتان المكتوبان هما:

صاح الزمان بآل برمك صيحة   خروا لصيحته على الأذقان

وبآل طاهر سوف يسمع صيحة   غضبًا يحل بهم من الرحمن

ثم قص الكاتب قصة البرامكة على يعقوب من أولها إلى آخرها، وروى سبب محنتهم وقتلهم وتقويض منازلهم، وقال إن معنى البيت الثانى من حديث الطاهريين فقال يعقوب: لا معجزة لنا أكثر من هذا حيث أتى بنا إلى هذا الخراب حتى نقرأ هذين البيتين ونعلمهما، إنه وحى الأنبياء، وهو أننى سأكون السبب فى القضاء على الطاهريين وتخليص المسلمين من جورهم، وأمره أن يكتب هذين البيتين ويحتفظ بهما حتى يطلبهما، فكتب الكاتب هذا الشعر على رقعة وحفظها، وفى اليوم الذى قيِّد فيه محمد بن طاهر نادى الكاتب قائلاً: أحضر البيتين اللذين استودعتك إياهما فى ذلك اليوم بمدينة بست فأحضر البيتين له قائلاً: ألم أقل إننى لست ذلك الشخص، ثم قال للكاتب: اذهب بهذين البيتين وأعرضهما على محمد بن طاهر وقل ما الذى يلزمك وحرمك حتى تذهبا إلى سجستان وتعيش هناك، واكتب

ما يستطيب له كله حتى أرسله معك، وأنا أستحسن كل ما يأمر به الله تعالى، فلما عرضوا هذين البيتين على محمد بن طاهر بكى وقال: لا مرد لقضاء الله، الآن أمر الله الحق ونحن عباده وفى قبضته فنسخ منها نسخة، وأرسلها إلى يعقوب، فأمر يعقوب أن يضاعف كل درهم، وأمر أن يعطوا له وأهله وهؤلاء الأشخاص كل ما يرتضونهم، وأرسله إلى سجستان وسجنه فى السجن الكبير، وحبسه فى مسجد الجمعة، وقبر محمد فى هذا السجن إذا مات هناك بعد عدة سنوات [1]، وأمر يعقوب أن يدفن فى الحجرة التى مات فيها، لأنه مات فى اليوم الذى حبس فيه، واستقر يعقوب فى نيسابور، ثم قالوا للحاجب: اذهب وناد حتى يتجمع هنا عظماء نيسابور وعلماؤها ورؤساؤها غدًا لأعرض عليهم عهد أمير المؤمنين، فأمر الحاجب بأن ينادى فى الفجر أن يتجمع عظماء نيسابور، وجاءوا إلى البسط وأمر يعقوب الغلمان بأن يكونوا مدججين بجميع الأسلحة ويتأهبوا ويحمل كل منهم درعًا وسيفًا وعمودًا فضيًا وذهبيًا من ذلك السلاح الذى من خزانة محمد بن طاهر فى نيسابور وجلس على شاكلة الملوك واصطف الغلمان صفين أمامه وأمر الناس فدخلوا ووقفوا أمامه وأمرهم بالجلوس ثم قال للحاجب إننى بعهد أمير المؤمنين حتى أقرأه عليهم فدخل الحاجب وفى يده سيف يمانى ملفوف فى عمامة مصرية، فأخرج السيف من العمامة، ووضعه أمام يعقوب، فأخذ يعقوب السيف وشهره فخر القوم صعقًا وقالوا: لعله يريد أن يزهق أرواحنا، فقال يعقوب: لم أحضر السيف من أجل أن أقتل به أحدًا، أما أنتم فقد شكوتم أن يعقوب ليس له عهد أمير

---

(١) تختلف هذه الرواية عن الروايات التى وردت فى كتب التواريخ الأخرى حيث يقول الطبرى وابن الأثير أنه بعد انهزام يعقوب عند دير العاقول انطلق محمد بن طاهر الذى كان معتقلاً فى جيش يعقوب ومضى إلى بغداد وصار موضع رعاية الخليفة وأيد بن خلكان هذه الرواية ولكن اليعقوبى فى كتاب البلدان ذكر الخبر مخالفًا للطبرى وابن الأثير ويشبه رواية هذا الكتاب بعض الشئ ولكن رواية الطبرى تعد أصح الروايات .

المؤمنين، وودت أن تعرفوا أننى أملكه، فثابوا إلى رشدهم، ثم قال يعقوب: ألم يكن وضع هذا السيف لأمير المؤمنين فى بغداد؟ قالوا: نعم، قال: وقد جعلنى هذا السيف فى هذا المكان فعهدى وعهد أمير المؤمنين واحد، ثم أمر بتقييد هؤلاء الناس كلهم الذين كانوا من زمرة الطاهريين، وأرسل ذلك كله إلى جبل (سپهبد) وقال للآخرين أردت أن أقيم العدل فى خلق الله تبارك وتعالى والأخذ على يد أهل الفسق والفساد، ولو لم أكن هكذا لما وفقنى الله تعالى إلى هذا النصر حتى الآن، فلا شأن لكم بهذه الأعمال، وعودوا إلى سبيلكم، وكان يعقوب فى نيسابور حتى جاء الخبر بأن عبد الله بن محمد بن صالح نزل دامغان متّجهًا إلى جرجان، واتحد معه حسن ابن يزيد فحشدا الجنود لحربك فجمع يعقوب الجيش واتجه إلى جرجان .

خروج يعقوب إلى جرجان
وابن صالح وحسن بن زيد

عندما وصل يعقوب بالقرب من جرجان اتجه عدواه إلى طبرستان، فذهب يعقوب فى أثرهم للهجوم عليهم وزود جيشه بالعتاد وقال: من الفضل أن تلحقوا بى ومضى هو ولحق بعدوية فى سارى، فلما التقيا معه هزمهما دون أدنى عراك، ودخل حسن بن زيد فى جبل ديلمان، ومضى عبد الله بن صالح إلى البحر فقبض عليه مرزبان فى طبرستان وقيده واصطحبه إلى يعقوب، وعندما رأى مرزبان عزيز بن عبد الله مع فوج من جيش يعقوب استودعهم عبد الله وعاد إذ لا يجب أن يتحد الديالمة مع حسن بن زيد فيقاتلوننى واستلم منه عزيز بن عبد الله وأحضره إلى يعقوب مقيدًا .

وعندما أحضر عبد الله أمامه كان قد تفوه فى حق يعقوب فـأمر بـأن يـضربوا عنقه[1]، ثم رجع من هناك صوب نيسابور واستقر فيها.

قتل عبد الله وصعاليك خراسان

ولما استقر يعقوب فى نيسابور اجتمع صعاليك خراسان، وقد رأوا أن هـذا الرجل سيكون له شأن عظيم ودولة عظيمة، وهو رجل شجاع ولن يغلبـه غالـب، ومن الصواب أن نذهب إليه ونعيش تحت إمرته، وقـدم علـى يعقـوب سـركب الكبير[2] يتقدمهم إبراهيم بن مسلم وإبراهيم بن إلياس بن أسد وأبو بلال الخـارجى وإبراهيم بن أبى حفص وأحمد بن عبد الله الخجـستانى [3] ورفـاقهم وجماعـاتهم فأكرمهم وخلع عليهم من نعمه واصطحبهم إلى سجستان، وأمر أن يحضروا رأس عبد الرحيم الذى كان قد قتله الخوارج، فأمسكوا بها وأحضروها، وبعد ذلك أرسل يعقوب الرسل والرسائل إلى المعتمد أمير المؤمنين والموفق أخيه وولـى عهـده، وكانت كنيته أبا أحمد وذكر فى رسائله القبض على محمد بن طاهر وأرسـل رأس عبد الرحيم فلم يرق لأمير المؤمنين القبض على محمد بن طاهر، وأنكـره ولكنـه

(١) يقول الطبرى فى أحداث سنة ٢٦٠ هـ مضى عبد الله من طبرستان إلى الرى وطلب مخبأ من صلاب عامله ومضى يعقوب إلى الرى وكتب إلى صلاب قائلاً أرسل عبد الله إلىّ وإلا حاربتك

(٢) ذكر الطبرى وغيره هذا الشخص وهذه الطائفة باسم بني شركب ويقول ابن الأثير: كان بنـو شـركب ثلاثة أخوة إبراهيم وأبو حفص وأبو طلحة أبناء أبى مسلم وكان إبراهيم أكبرهم .

(٣) أحمد بن عبد الله الخجستانى كان سائس حمير ولكنه وصل من هذه الحرفة إلى الامارة وخجـستان فـى جبال هراة وهى من توابع بادغيس (نظام العروض السمرقندى، جيهار مقاله . ترجمة د: عبد الوهاب عزام وزميله ص ٩٣ (القاهرة ١٩٤٩) .

قبّل رأس عبد الرحيم، وأمر أن يطوفوا بها فى بغداد ونادى مناد هذه رأس من كان يدعى الخلافة وتله يعقوب بن الليث وأرسل رأسه إلينا.

ورد أمير المؤمنين على الرسائل بكلام لطيف لأنه لم تكن له حيلة أكثر من ذلك، وقد عظمت شوكة يعقوب ورأى من الصواب أن يستميله إليه، ولما عادت الرسل أراد يعقوب الذهاب إلى فارس يوم السبت لاثنى عشر يومًا بقين من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين، واستخلف أزهر بن يحى على سجستان، وكان مع يعقوب فى هذا السفر على بن الحسين بن قريش وأحمد بن العباس بن هاشم ومحمد ابن طاهر، وعندما وصل يعقوب إصطخر جاء إليه الخليفة محمد بن واصل وسلمه القلعة وخزانة محمد بن واصل وماله، وكان محمد بن واصل فى الأهواز، فاستولى يعقوب على هذه الأموال والأسلحة كلها وقوى بها الجيش وخلع عليه وأعطاه أفضاله ولا طفه وأحسن إليه بالقول والفعل وكان محمد بن زيدوى خليفة ليعقوب على قهستان، ثم عزله يعقوب عنها فغضب وقصد كرمان ومن هناك مضى إلى محمد بن واصل وأظهر له خلافه مع يعقوب وشجع محمد على محاربة يعقوب وهيأ الأمر للحرب .

حديث محمد بن واصل مع يعقوب ومحمد زيدويه

ولما اقترب يعقوب قال محمد زيدويه لمحمد بن واصل: لا أرى من الصواب محاربته الآن، فلقد اشتد عوده وتغيرت الأحوال من بعدى، ولم يأمره محمد، ثم انفصل محمد بن زيدويه عنه واستولى على نواحى فارس وقراها، وهناك استقر مع جيشه وأخذ من الناس المال، ثم جاء محمد بن واصل ليحارب يعقوب، ووصل إلى بنوبند جان " وأرسل من هناك رسولاً وهو بشير بن أحمد إلى يعقوب فأمر

يعقوب جيشه أن يختبئوا فى الأماكن التى لم يروها، ولما جاء الرسول إلى يعقوب لم ير أحدًا مطلقًا سوى غلمان صغار، فأكرم يعقوب الرسول وقال له كلامًا طيبًا وأعطاه العطايا وقال: إننى مضيت من هنا إلى سجستان ولم أحضر جيشًا وجئت بعدد من الغلمان معى حتى يوقن محمد أننى جئت أنشد الصداقة حتى يتحد معى وهو أعظم رجل فى إيران وخراسان، وما أصنعه كله إنما هو بأمر منه، ويعلم أن أحمد بن عبد الله الخجستانى كل معى ثم فارقنى فلابد أن يعطينى جيشًا حتى الحق بالخجستانى فإنه فسد على خراسان كلها وما قمت به كله صار هباءً منثورًا فرجع الرسول مسرورًا، وأخبر محمد بن واصل بما رأى وقال إن هاجمته ستقتلعه من الدنيا فى لحظة واحدة حتى لا يقول أحمد إن جيش يعقوب بن الليث قد تنحى عنه وكان معه غلمان صغار غير محنكين فركب محمد وقصد يعقوب وخرج يعقوب أمامه ووصلوا إلى بيضا ونشبت بينهما حرب ضروس ولم يكن يعلم محمد أن هناك عشرة آلاف فارس يتبعون يعقوب وكان مع محمد بن واصل ثلاثون ألف فارس ومع يعقوب خمسة عشر ألف فارس ورأى محمد بن واصل أن عشرة آلاف رجل من رجاله قتلوه فى مكان واحد وانهزم محمد بن واصل ومضى ولحق به عند زمبير كان [1] من خلف ظهره ومضى فى أثره، حتى دخل الجبل ثم أسره مع عشرة آلاف رجل كانوا فى ذلك المكان وسط الجبل وصعد الجبال الأخرى، ونزل يعقوب فى رامهرمز، وأرسل المعتمد إسماعيل بن إسحاق القاضى إلى يعقوب رسولاً فى سنة اثنتين وستين ومائتين، وقدم عبد الله بن الواثق على يعقوب ورحب به وفى العام نفسه مات وهو ضمن جيش يعقوب، وأسند المعتمد ولاية ما وراء النهر فى العام نفسه إلى نصر بن أحمد بن أسد بن سامان السامانى، وكان أبو

---

(١) رم بيزنجان وردت فى الطبرى بعد أحداث سنة ٢٦١ هـ بعد معركة هزيمة محمد بن واصل على حدود مدينة البيضا فى فارس ويطابق الطبرى تاريخ سجستان، فى هذه الحادثة يقول الطبرى وفى هذه السنة أوقع أصحاب يعقوب بأهل زم موسى بن مهران الكردى لما كان مما لا تهم لمحمد بن واصل فقتلوه وانهزم من مهران .

محمد الموفق ولى عهد المعتمد، وطلب إلى تجار بغـداد أن يجمعـوا لـه تجـار خراسان وحجاجها، واستقبلهم وذكر لهم رسالة أمير المؤمنين، وجاء فيها أن أميـر المؤمنين أرسل إسماعيل بن إسحاق القاضى إلى يعقوب بن الليث مع عهده ولـواء خراسان وطبرستان وجرجان وفارس وكرمان والسند والهند وشرط مدينـة الـسلم وخلع عليه الخلع، وقدم إسماعيل القاضى على يعقوب بناء علـى قـول الموفـق للناس، وكان يعقوب فى رمهرمز، وأكرم إسماعيل وخلع عليـه ورده مـسرورًا، وجاء محمد بن زيديه من فارس إلى خراسان، واتجه من هنـاك إلـى قهـستان، واجتمع مع الفارين حول محمد بن واصل، ومضى محمد بن واصل إلى نسا ومن هناك مضى إلى سيراف [١] وأرسل يعقوب عمر بن عبد الله مع ألفى فـارس فـى أثره ومضى فى أثره عزيز بن عبد الله واستولى على متاعه وهزمه وتعقبه وركب محمد بن واصل السفن واستقر فيها ومضى فى البحر، ولم يكن للسفن شـراع ولا محركات لأنها كانت سفينة صيد، وكان طول الليل يتجول فى السفينة حتـى بلـغ شاطئ سيراف عند الفجر، وكان ثمة أحد العظماء يقول له الأكراد الراشدى خـرج واعتقل محمد بن واصل ومن معه وهجم الفارس نحو عزيز بن عبد الله وأدركـه وأرسل عزيز غانم السبكرى الذى كان قائدًا للخوارج ليحضر محمد مكبلاً، وجـاء به عزيز مقيدًا على بغل عند يعقوب حاسر الرأس وذلك فى المحرم من عام ثلاثة وستين ومائتين [٢]، ورغب على بن الحسين بن قريش فى الاستئذان لكـى يـرى محمد بن واصل على تلك الحال فأذن له حتى رآه، وأمر بحبس محمد بن واصل، ثم أرسل شخصًا إلى محمد بن واصل قائلاً أمره حتى يفتحوا بـاب قلعتـك، قـال الأمر لأخى وكانت له قلعة على قمة الجبل الذى استولى عليه وما كان ذلـك فـى

---

(١) سيراف: مدينة عامرة على خليج أرس وكانت ميناء الهند وتعد من توابع أعمال أردشير خوره .

(٢) يقول الطبرى فى أحداث سنة ١٦٣ هـ كل عزيز بن السرى من أصحاب يعقوب وأسـر محمـد بـن واصل ويعرف من أحداث تاريخ سجستان أن عزيز هذا من صعاليك خراسان الـذين انـضموا إلـى يعقوب .

الأماكن، ثم مضى خلف بن الليث إلى أسفل القلعة وصاحوا، وارتفع نظره إلى قمة هذه القلعة ونظر وقال: يا محمد بن واصل افتح باب القلعة، وألقى الحارس سيفًا وبعض الحطب من هناك وصاح قائلاً: اقتلوا محمد بهذا السيف وأحرقوه بهذا الحطب فأنا لن أفتح باب القلعة، فأحضره خلف بن الليث وسلمه يعقوب إلى يد أشرف بن يوسف فعلقه من رجل واحدة حتى قال: لدى علامة أقولها حتى يفتحوا باب القلعة، ومضوا حتى أرسلوا غلامًا بهذه الإمارة وفتحوا باب القلعة، ولبثوا ثلاثين يومًا فى كل يوم منها يحملون الدراهم والدنانير والبسط والديباج والسلاح القيم والأوانى الذهبية والفضية على خمسمائة بغل وخمسمائة جمل فى كل يوم من الصباح حتى المساء سوى ما تبقى من بسط صوفية لم تمسها يد إنسان (١)، ثم مضى يعقوب من هناك وحمل هذه الأموال كلها إلى يوساج حتى (٢) وصل "شيراز"، وخلع عمرو أخاه عنها غاضبًا وقبض على محمد أخيه وسلك طريق سجستان، واستاء يعقوب من هذا، وأرسل يعقوب محمد بن واصل إلى القلعة مقيدًا وحبسه هناك، وخرج إلى طريق الأهواز، وكان أبو معاذ بلال بن الأزهر فى المقدمة، ونزل فى جندى سابور سنة أربع وسبعين ومائتين، وأرسل على المقدمة جيشًا، وجاء أحمد المولد والد سرانى وسعيد بن رجا الحصارى وصالح بن الوصيف إليها جميعًا، ثم قال له جاسوى ربما قد وصل إلى معسكر الجيش وجاءوا جميعًا بمكر. فأمر بهم جميعًا أن يقتلوا وهو لم يكن هناك، وأرسلت الرسل من التركستان والهند والسند والصين وبلاد الصين وزنك والروم والشام واليمن، وكانوا جميعًا يهدفون من وراء الرسائل والهدايا إلى الدخول فى طاعته، واستقر وأقام هناك حتى وصلوا جميعًا، ووهبهم الألقاب والخلع، ثم عادوا ودانت الدنيا كلها

---

(١) ذكر الطبرى اسم قلعة محمد بن واصل (حزمه) ويقول: فبعث إلى حزمة بن واصل وأخذ ما كان فيها (الطبرى جـ٣) وذكرها الإصطخرى (سعيد أباد) .

(٢) ذكره مؤلف هذا الكتاب بعد أربع صفحات من هذه الصفحة (بوساج) وهو من عمال الخليفة وكان من أصفياء يعقوب بن الليث .

له وأطلقوا عليه ملك الدنيا، وبلغ أحمد الموفق الخبر عن كيفية هذه الحالة وتعلقت به قلوب رجال العالم لكونه كان رجلاً عدلاً وأينما ولى وجهه لم يغلبه أحد، وكتب الرسائل ليعقوب أن يتفضل بالحضور ليزورنا وطالما أنت حارس الدنيا فإن الدنيا كلها تابعة لك ونحن نصدع بما تأمر به وأنت تعلم أننا اكتفينا بالخطبة ونحن من أهل بيت المصطفى (ﷺ) وأنت تعمل على تقوية دينه وقد غزوت ديار الكفر فى الهند وسرانديبها حتى أقصى بحر المحيط ودخلت الصين والماحين، واتجهت إلى التركستان والروم، وخرجت من التركستان وأثر سيفك واضح على كفار الدنيا فى كل مكان، وأصبح حقك واجبًا على الإسلام كله، ونحن أصدرنا الأمر كى تقرأ الخطبة باسمك فى الحرمين، ومثل هذه الآثار خير لك فى الدنيا، ولم يكن لأحد فى الإسلام بعد أبى بكر وعمر آثار العدل والخير، ولم يكن هناك عدل كما فى عصرك والآن نحن والمسلمون جمعيهم أعوان لك حتى تدين الدنيا كلها على يديك بدين واحد هو الدين الإسلامى الحنيف(١)، ومضى يعقوب وخرج المعتمد على الله من بغداد مع جيش، وعندما نزلت الجيوش يوم الخميس لأسبوع مضى من شوال سنة خمس وستين ومائتين (٢) خرجت مجموعة من جيش المعتمد ودارت بينهم حرب ضروس، وكان إبراهيم بن سيما على راية المعتمد على تلك الجماعة، حيث إنه هو الخليفة فعلموا أن ذلك مكر، ثم حمل عليهم يعقوب وقتل من جيش بغداد خلقًا كثيرًا، وانهزموا وولوا الماء ظهورهم، وفاضت المياه وأبعدوا الماء عن جيش يعقوب إلى أن بلغه فمضى يعقوب من هناك أمام المياه، وفى هذا اليوم قتل من

---

(١) لم يذكر فى أى تاريخ من التواريخ معنى لهذه الرسالة التى أرسلها الموفق إلى يعقوب ولكن كبار المؤرخين أقروا أنه منذ أن ظهر يعقوب فى فارس والمراسلات بينه والموفق ولى عهد المعتمد لم تنقطع يقول ابن خلكان منذ أن خرج يعقوب من الأهواز قاصدًا واسط ساء ظن موالى بنى العباس جميعهم بالخليفة الموفق وقالوا لعل الطرفين تحالفا .

(٢) ذكر الطبرى أن هذه الحرب حدثت يوم الأحد لليلتين خلتا من شهر رجب وذكر ابن خلكان أنها وقعت يوم الأحد لسبعة أيام خلت من رجب .

جيوش يعقوب بن إسماعيل ومحمد بن كثير وهم من العظماء، وعاد يعقوب من هناك إلى جندى سابور، واتجه إلى غزو الروم لأنه كان يخرج كل عام لغزو بلاد الكفر، وعندما يعود من هناك كان يفتح ولاية للإسلام وجاهد ألا يجب قتل أهل التهليل مطلقًا، وكان هكذا حتى وصل عمرو بن الليث إلى جندى سابور، وسعد مع يعقوب بالرسالة التى أرسلها فى أثره فسر يعقوب بمقدم عمرو.

وفاة يعقوب بن الليث فى جندى سابور

ثم مرض يعقوب هناك، وكان مرضه شديدًا، وعندما تم له أمر الدنيا كلها لحق النقصان بالتمام، وعندما مرض قام عمرو بنفسه على خدمته أثناء مرضه حتى مات فى يوم الإثنين لعشرة أيام بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين، وبلغ نعيه سجستان يوم الأحد لاثنى عشرة يومًا باقية من شوال سنة خمس وستين[1] ومائتين، ودامت مدة إمارته سبع عشرة سنة وتسعة شهور، وكان له عمال فى خراسان وسجستان وكابل والسند والهند وفارس وكرمان، وخطبوا له فى البحرين سبع سنوات، ودان الناس فى مختلف الأماكن وامتثلوا لأمره، وكانت بلاد الكفر ترسل إليه فى كل عام الهدايا، وكانوا يسمونه ملك الدنيا لمدة طويلة من الزمان وإذا أحصيت مناقبه كلها لكانت قصصًا كثيرة ولطال هذا الكتاب أما حروبه مع عظماء الإسلام فقد ذكر منها قدر وسيرته الطيبة وعدله معروف ومعروف ماذا صنع لأهل الدنيا فى عصره .

(١) ذكر الطبرى وابن الأثير: أنهم كتبوا بعد حرب دير العاقول وقبل موت يعقوب الوقائع التى حدثت فى الأهواز وفارس ليعقوب ومنها وقوع محمد بن واصل فى الأسر واتفقوا على أن وفاة يعقوب حدثت فى شوال سنة ٢٦٥ هـ .

تولى عمرو بن الليث الإمارة

فى شوال سنة خمس وستين ومائتين

عندما مات يعقوب كان عمرو وعلى أخوه حاضرين، وكان على أعظم منزلة وأنفذ أمر على الجيش ولهذا قدم عمرو سجستان غاضبًا ووصلها أول مرة حديثًا وجرى حديث بين الأخوين والجيش دام لمدة يومين اثنين وفى اليوم الثالث كانت شاهين [1] فى بيتو كوثر وقال لعمرو: يقول أخوك إنه خلع الخاتم من أصبع عمرو وقبل عمرو الأمر وأرضى الجيش وندم على ذلك التباطؤ ثم بايع الجيش كله عمرو، وكتب عمرو رسالة إلى المعتمد بالسمع والطاعة، وعندما قدم رسول المعتمد على عمرو، وجدد العهد على العمل فى الحرمين وبغداد وفارس وكرمان وأصفهان والجبال وجرجان وطبرستان وسجستان والهند والسند وما وراء النهر، وقال نحن أعطيناك هذا الإسلام والكفر كله على أن ترسل لنا كل سنة عشرين حملاً كل حمل ألف ألف درهم، وكان الرسول أحمد بن أبى الأصبع، وقبل عمرو هذه الأعمال كلها من الرسول، وجعل عبد الله بن عبد الله بن طاهر خليفة له على بغداد [2] وخلع عليه، وأرسله هناك فى صفر سنة ست وستين ومائتين، وأعطى ولاية الحرمين لنجع بن حاخ، وحاخ وقدم فارس ثم أرسل عمرو أعمدة ذهبية ومالاً عديدًا إلى المعتمد واتهم أخا المعتمد المعتمد بالجنون وسجنه وجلس على عرش الخلافة فى أول سنة سبع وستين ومائتين، وتوفى المعتمد فى آخر سنة ست وستين ومائتين فى سجنه.

---

(١) شاهين واحد من قواد يعقوب بن الليث القدامى وكان من بتو وهى تابعة لرستاق نيشك .

(٢) كان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى بلاط الخليفة وهو أخو محمد بن طاهر الخزاعى يقول الطبرى: على الشرطة ببغداد وسامراء (الطبرى جـ٣ ص ١٩٣٦) .

تلقى أمر وفاة المعتمد فى سجنه

سنة ست وستين ومائتين

وأسند أبو أحمد الموفق هذا العمل إلى عمرو، وكان علوى ناجم [(١)] قد خرج من البصرة ومنع جيش الموفق علويًا من دخول الأهواز وأغلقوا الطرق، وأرسل عمرو إلى الموفق مالاً كثيرًا، وأقام العدل والصلاح ونشرهما بين الناس فى فارس، وكان يهب الجيش الأشياء ويعطيهم الخلع، وندم على بن الليث لأنه قال شيئًا فى حق عمرو، وسمعه عمرو وقيد عليًا، وأعطى عمرًا ولاية فارس لمحمد بن الليث ابن روح، وقدم سجستان بنفسه وأخيرًا طلب من محمد بن الليث وأحمد بن عبد العزيز أن يرسلا المال إلى الموفق وجعل صاعد بن مخلد محصلاً لتلك الأموال ثم استأذن أبا ساج فى أن يذهب إلى بغداد فأذن له حتى وصل إلى جندى سابور، ومات هناك وسمع بذلك عمرو وتولى ابنه محمد بن أبى الساج على مكة ودخل عمرو سجستان يوم الأحد لثلاثة أيام باقية من رجب سنة ست وستين ومائتين، وجلس فى المأتم وواساه الناس، وأطلق سراح على بن الليث وأعطاه مالاً كثيراً وجعله مسرورًا سعيدًا وأثناء ذلك كان كل ما هو عظيم كان بفضل يعقوب وعندما مات يعقوب عقدوا العزم على العصيان، وطلبوا إلى عمرو أن يكونوا ملوكًا للطوائف، ثم استخلف عمرو بن محمد بن الحسين الدرهمى أخا على الحسين الدرهمى خليفة على سجستان، وكان صهرًا لعمرو لأنه كان زوجًا لفاطمة ابنة عمرو، وكتب عمرو رسالة إلى أمير المؤمنين الموفق وطلب مشورته فى خراج سجستان الذى بلغ ألف درهم ونظر الموفق فى شأن الألف ألف درهم، ومضى عمرو إلى خراسان يوم السبت لثمانية أيام باقية من شهر رمضان سنة ست وستين

---

(١) علوى ناجم هذا كان صاحب الزنج المعروف واسمه على بن محمد بن عبد الرحيم (من تعليقات بهار).

فى عدة وعتاد وشاكلة عظيمة من الثياب والسلاح والخيل والخزائن، وكان علــى يمينه محمد بن عمــرو ابنه وعلى يساره أخــوه على بن الليث، وأعطــى محمــد ابن الحسن الدرهمى مالاً كثيرًا فى ذلك اليوم، وعندما وصل على نيسابور أعلن أحمــد ابن عبد الله الخجستانى العصيان وحاصر نيسابور، ونزل عمرو على باب المدينة، وأرسل على بن الليث أخا عمرو إلى السجستانى شخصياً فى الخفــاء قــائلاً: أنــا صديقك وخالف أخاه، وعندما تحاربوا وكان الأمر على هذا الحال، ولم يعلم عمرو انهزم يوم الخميس لستة أيام مضت من ذى الحجة سنة ســت وســتين ومــائتين، وأغار السجستانى بجيشه كله على معسكر عمرو وعتاده ووقع فى أيــديهم مــال كثير، ودخل عمرو هراة وسجن أخاه على بن الليث، ووصل السجــستانى متعقبًــا عمرو حتى هراة وحاصر هراة، وعلم السجستانى أنه لا يمكن الاستيلاء على هراة من قبضة عمرو فسلك طريق سجستان وقتل خلقًا كثيرًا دون سبب فى فراة وقــدم باب سجستان ليومين بقيا من ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين وكان محمــــد ابن الحسين الدرهمى عاملاً عليها فحاصر المدينة، وكان دليل عمرو فى سجــستان عبد الله بن محمد بن ميكال، وكان شريكه شارانم بن مسرور ففتحا بيــت المــال ووهبا للجيش النعم والخلع والصلات الكثيرة،وحافظوا على أهل المدينة واســتمروا فى العراك، وأرسل عمرو من هراة رجالاً وأموالاً، ولم يكن للخجستانى علم بذلك قط ولما علم الخجستانى أنه لا يستطيع فتح المدينة أعطى الأمر بتخريــب الــبلاد والإغارة عليها وأن يخرب الربض[1] فى كل مكان ما استطاع لذلك ســبيلاً، ثــم تدخل العوام فى الأمر وفى كل مكان وجدوا أتباعه قتلوهم، ثم بلــغ الخبــر إلــى الخجستانى أن فضل بن يوسف قصد نيسابور كى يأخذ أمه من هنــاك ويــستولى على خزائنه، فمضى من هناك عن طريق قهستان يوم السبت لعشرة أيام بقين مــن

---

(١) الربض: هى الأماكن التى بنيت فى أطراف المدينة والقلعة وحدائق الفلاحــين وطــواحينهم وبيــوتهم وأحياناً يجعلونها سورًا كبيرًا حول هذه المدن ويسمون هذا كله الربض.

ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين، وأثناء ذلك جاء أبو طلحة [1] منصور بن مسلم ومحمد بن زيدويه عند عمرو فى هراء فخلع عليهم وأكرمهم، وأعطى لهما مالاً كثيرًا وعندما سمع الأصرم بن سيف هذا الخبر جاء أيضًا إلى عمرو ووجد الخلعة والرعاية والإكرام ثم جعل عمرو أبا حلمه منصور بن مسلم قائدًا على جيش خراسان وعاد من هراة إلى سجستان يوم السبت منتصف ذى القعدة سنة سبع وستين ومائتين ودخل المدينة ثم علم بأن خليفته على فارس لم يرسل الأموال التى كانت تحت تصرف عمرو ولهذا خالفه كما وصلت أحمد بن عبد العزيز رسالة صاعد بن مخلد الوزير القائم بأمر الأموال وفيما يتعلق بهذا الموضوع كتب عمرو رسالة إلى صاعد وذكر له حديث الخجستانى، وفى هذا العام كان محمد ابن طولون قائد الجيش وأمير مصر جاء إلى مكة وكانت العادة أن يرفعوا علم عمرو على مكة أيام الحج بجانب المنبر، وعندما علم خبر تقصير محمد بن الليث أرسل فى حديث المال قال عمرو لقد اعترى الحديث عن جاهى بمكانه الملل وقصد فارس وبلغه الخبر كما دخل الخوف قلبه إذ إنهم طلبوا علم مصر حتى يرفع على اليمين المنبر أيام الحج ولم يرفعه خليفة عمرو فى مكة، وفى النهاية طال الحديث ودارت رحى الحرب ونصر أهل مكة خليفة عمرو، ورفعوا علم عمرو على يمين المنبر جريًا على العادة، ثم استخلف عمرو ابنه محمد بن عمرو على سجستان، ومضى إلى فارس لست أيام مضت من المحرم سنة ثمان وستين ومائتين، ومضى أبو طلحة خليفة عمرو على " خراسان " إلى سرخس، وجاء الخجستانى إليه محاربًا قتالاً شديدًا، وعاد أبو طلحة إلى سجستان منهزمًا، ولكن عاونه محمد ابن الحسين الدرهمى بالمال والرجال، وأخبر عمرًا فرد عليه عمرو برسالة، ثم ذهب إلى خراسان، وأرسل له العهد من جديد، ورجع أبو طلحة من خراسان إلا أنه كان

(١) أبو طلحة هذا من بنى شركب ويعتبر الأخ الأصغر وهو فى الصباحة والملاحة بلا نظير وأريقت من أجله الدماء وبعد أن قتل الخجستانى أخاه عاد الجيش وأصبح عظيماً فى خراسان وأسر الخجستانى وله مع الخجستانى وقائع كثيرة (من تعليقات بهار) .

مستاء وغير طريقه، ومضى إلى جربان، ولما جاء خبر قتل الخجستانى إلى جرجان أرسل محمد بن عمرو بن الليث خليفته فضل بن يوسف إلى هراة، ودخل هراة فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ومائتين، وعندما سمع عمرو الخبر أرسل رسالة إلى أهل هراة بطلب الطاعة والولاء لفضل، وأرسل رسالة إلى فضل يطلب السعى والاجتهاد، ولما علم رافع أن فضل استقر فى هراة أرسل محمد بن المهندى لحربه، ولما جاء محمد بن المهندى إلى هراة، أراد أهلها قتل الفضل، فعاد فضل إلى سجستان، وعاد رافع إلى مرو ليحارب أبا طلحة، وتحاربا هناك مدة من الزمن، وفى النهاية مضى أبو طلحة منهزمًا ومضى إلى تخارستان وجاء رافع إلى هراة ومكث بها مدة، ثم قال إن عمرو بعيد عن سجستان ويجب أن أمضى إليها لأستولى عليها وليكن ما يكون، ومضى حتى فراة، وأنكر عظماء جيشه مكانه وعاد من هناك وأخذ معه قدرًا من العلف وعاد إلى هراة، وفى تلك الأثناء رزق محمد بولد وأسماه طاهرًا وذلك يوم السبت لثلاثة عشر يومًا بقين من شعبان سنة تسع وستين ومائتين، وتم ختان طاهر فى سنة تسع وستين ومائتين، ولما وجد طاهر أراد محمد بن عمرو زيارة أبيه فى فارس ليبشره بولده بنفسه، وأراد أن يجعل محمد بن الحسن خليفة على سجستان ومضى إلى فارس يوم السبت لثلاثة أيام مضت من المحرم سنة ست وسبعين ومائتين، وأرسل عمرو بن الليث نصر ابن أحمد بجيش أثناء الشتاء لحرب أحمد بن الليث الكردى، ومضى وحاربه وأسره واستولى على أمواله وخزائنه كلها، وجاء بها إلى عمرو وأرسل عتيق بن محمد إلى رامهرمز لمحاربة محمد بن عبد الله الكردى [1] وحاربه وأسره وأحضر ما كان لديه كله من خيول ومتاع عند عمرو، وكان مع كل قائد من هذين القائدين

(١) ذكره ابن الأثير محمد بن عبيد الله وكذلك الطبرى .

عشرون ألف فارس رفعوا راية العصيان وكان الاثنان من أبطال يعقوب [١]، وعندما قتل هذان الرجلان استقام أمر فارس واستقر، ثم أرسل الموفق العهد والمنشور واللواء من جديد لعمرو على ديار الإسلام وديار الكفر كلها، وأمر أن يكون الجميع تحت أمره وكل ما يفتح من بلاد الهند والترك والروم يكون تابعًا له أيضًا، ووصلت رسالة أحمد بن أبى الأصبع يقول فيها: لقد استقام الآن أمر فارس والعراقيين والعرب والشام واليمن ويجب العودة إلى خراسان، ويجب إرسال الغزاة إلى دار الكفر حتى تفتح، ثم استخلف عمرو نصر بن أحمد على فارس وكرمان، وجاء إلى سجستان، وبلغه خبر رفع من هراة، وأمر نصر بن أحمد بأن يرسل أربعة آلاف درهم للموفق وأن يحضرها معه محمد بن الليث، ودخل سجستان يوم الخميس لعشرة أيام مضت من جمادى الآخر سنة سبعين ومائتين، ومكث بها عدة أيام، ومضى يوم الإثنين ليومين مضيا من شعبان سنة سبعين ومائتين إلى خراسان، وطلب جميع قادة خراسان الدخول تحت إمرته، واستخلف محمد بن عمرو وابنه على سجستان، ومضى إلى هراة، وحاصر رافع فى هراة، فتحارب عمرو معه، وفى النهاية مضى مهزومًا فى شوال سنة سبعين ومائتين، ثم أرسل عمرو بلال بن الأزهر إلى نيسابور برسالة فعاد عظماء نيسابور إلى بلال، وأعلنوا الطاعة لعمرو كما أعلنها محمد بن ياسين ومحمد بن إسحاق بن خزيمة "وعقيل بن عمرو" و "المهدى بن محسن" خليفة الرافع على بيشاور، عندما علم بهزيمة " رافع " جعل الخطبة باسم عمرو، ومضى رافع من هراة إلى مروروذ وكتب الرسائل إلى عمرو معلنًا فيها أنه عاد إلى طاعته وندم على ما وقع منه وطلب منه العفو، ومضى أبو طلحة من تخارستان ليأتى إلى عمرو، ولما رأى رافع فى الطريق انضم إليه وقصدا عمرو معًا، واستقرا فى مرو، أبو طلحة داخل

---

(١) إن هذين الشخصين لم يكونا من رجال يعقوب بل كانا من الأمراء وأبناء العظماء، وكان كل واحد منهم يعتبر نفسه أميرًا على الآخر، وكانوا من سادة زموم، وقد ذكر الإصطخرى شجرة نسبهم ضمن تقريره على إقليم فارس (من تعليقات بهار) .

المدينة ورافع على أبوابها، ولما مضت عدة أيام أغار بيت أبو طلحة على رافع ليلاً وقتل معظم جيش رافع ونجا رافع بنفسه وأراد الذهاب إلى نيسابور، واستقر أبو طلحة فى مرو، وكان عمر يكتب إلى أبى طلحة الرسائل الطيبة ويمنيه بأطيب الأمانى ولكنه لم ينصع لأمر عمرو. وكان بلال بن الأزهر وفضل بن يوسف ضمن أفراد الجيش فى نيسابور، وأرسل عمرو قائلاً يجب أن تتبعونى إلى مرو وهجم على مرو بنفسه بناء على مشورة أبى طلحة وخرج أبو طلحة بجيش جرار، وقاتل قتالاً عنيفًا ولكنه هزم بعد أن قتل من رجاله ما يقرب من سبعين ألف رجل، وسلك أبو طلحة الصحراء مع من بقى من جيشه وتفرق جيش عمرو وأسر كثيرًا، وجن الليل فرجع، وغادر فضل بن يوسف وبلال بن الآزهر نيسابور بناء على أمر عمرو، وجاءت رافع الفرصة سانحة فدخل نيسابور، وعلم عمر بذلك فقدم من مرو إلى نيسابور، وخرج رافع معلنًا الحرب ومع أول هجوم لجيش عمرو مضى مهزومًا فى أول يوم من شوال سنة إحدى وسبعين ومائتين، ومكث عمرو مدة فى نيسابور، ثم عاد إلى سجستان ودخلها يوم الخميس لثمانية أيام بقت من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين ومائتين، وقتل علوى ناجم بالبصرة فى صفر سنة سبعين ومائتين، وكان قد ادعى أربعة عشر عامًا وأربعة عشر يومًا دعوة النبى صلى الله عليه وسلم، وكان قد قتل على يديه فى حروب هذه الدعوى خمسمائة ألف رجل من أهل التهليل، واجتمع حوله جيش كثيف وفى سنة إحدى وسبعين ومائتين بدأ صاعد ابن مخلد وهو فى أعتاب الخليفة فى ذم عمرو بن الليث، وكان أحمد بن عبد العزيز قائدًا لجيش يعقوب مولاه وعلى كرمان وفارس وأعطاه العهد والمنشور، ولما علم نصر بن أحمد بذلك من فارس قدم إلى كرمان وعلم عمرو فأرسل عمرو من حسن الدرهمى على رأس جيش لمساعدة نصر بن أحمد لكى يحاربوا أحمد بن عبد العزيز وعندما وصل على بن حسن الدرهمى هناك كانت الحرب دائرة، وانهزم نصر ابن أحمد، وباشر أحمد بن عبد العزيز العمل بجدية، وأغار بكر بن عبد العزيز أخوه على قلعة فارس وضربها، واقتلع أبوابها وأرسلها إلى أصفهان،

ومضى مصعد بن مخلد بنفسه خلف أحمد بن عبد العزيز وقدم على بـلاد فـارس واستقر فى شيراز، ومضى أحمد بن عبد العزيز إلى سباهان، وجاء أبو طلحة عند عمرو فى سجستان فى أمان، ولما رأى عمرو الأمر كذلك استخلف أبا طلحة على خراسان من قبل ابنه محمد بن عمرو وسلمه خراسان كلها إلا "هراة " و " بوشنك " اللتين قد أعطاهما إلى مهدى بن محسن ومضى بنفسه تجاه فارس، وأرسل محمـد ابن عمرو ابنه على مقدمة الجيش وذلك فى أول يوم من المحرم سنة اثنتين وسـبعين ومائتين، ولما سمع صاعد بن مخلد خبر عمرو، أرسل " ترك " عباس " مع ثمانين ألف فارس لمحاربة عمرو، ومضى خلف بن الليث عنه وهو غاضب متجهًا إلـى بلاط الخليفة وأكرمه الخليفة وجعله قائدًا على ألفى فارس، ولما اجتمعت الجيـوش كان محمد بن عمرو على المقدمة، وكان عمرو على المؤخرة، فتحركـت عاطفـة العربى لدى خلف بن الليث ولم يشأ أن تلحق الهزيمة بجيش عمرو وابنـه وأهـل سجستان، وقال لقائد الجيش قولاً لينًا ومنى عمرو بأطيب الأمانى ومنحـه بعـض الأشياء لكى يتحدا معًا، ثم أغار على ترك بن العباس نفسه وذلك الجيش الذى كان تابعًا لأمير المؤمنين، وقضى على الجيوش جميعها، واستولى على أمواله وخزائنه وجياده ومصانع أسلحته ومضى صوب " صاعد بن مخلد " تاركًا ترك بن العبـاس مهزومًا، ولما أتم خلف هذا العمل قدم إلى محمد بن عمرو مع ألفى فارس وألـف رجل سجزى، ولما قام بهذا العمل فى غيبة عمرو [١]، ووقعت له الهزيمة وقـدم " سيرجان " واستولى المعتضد على فارس، وفى أثناء ذلك كان رافع بخراسان وكان

---

(١) يوجد بياض فى المتن ويبدو أن شيئًا سقط من هذا الموضع من أصل النسخة، ولكن لم يشاهد هذا الخبر فى كتب التاريخ . يقول ابن الأثير فى أحداث سنة ٢٤١هـ: فى العاشر من ربيـع الأول كـان ابـن عسكر الخليفة أحمد بن عبد العزيز فى ذلك الوقت، ووقعت حرب بينه وجـيش عمـرو بـن الليـث، واستمرت الحرب من الصباح حتى الظهر، وانهزم جيش عمرو الذى كان يتكون من خمسة عشر ألف فارس ومترجل، وجرح من كانوا فى مقدمة الجيش وقتل مائة رجل من البارزين فى جيشه، وأسـر ثلاثة آلاف رجل من جنود عمرو (ابن الأثير – الكامل، جـ٧، ص١٢٩) .

أبو طلحة خليفة محمد بن عمرو بن الليث فقصد رافعًا ولما اشتد على رافع مضى إلى ما وراء النهر، وطلب العون من نصر بن أحمد فأرسل نصر أخاه إسماعيل ابن أحمد مع أربعة آلاف فارس لمساعدته، ولما التحم الجيشان سلك أبو طلحة طريق سجستان ووصل إلى هراة، وخرج مهدى بن محسن لمحاربته وحاربه أبو طلحة ولكنه عامله بالحسنى وأطلق سراحه - ومضى إلى سجستان بنفسه، وخرج " عبد الله بن محمد بن ميكال " و " شاران بن سرور " لاستقبال أبى طلحة، وجاءوا به إلى داخل المدينة وخلعوا عليه وأحسنوا إليه وأرسلوا إلى عمرو رسالة فرد عليها، وطلب أبو طلحة ومضى أبو طلحة إلى هناك ووصل إلى عمرو فى سرجان، ودب الخلاف بين المعتضد وصاعد فى فارس وطلب الموفق المعتضد من فارس، ثم اتجه عمرو إلى شيراز فهرب صاعد متجهًا إلى العراق .

استيلاء عمرو على فارس للمرة الثانية

استولى عمرو على فارس وأرسل الموفق رسالة إلى عمرو يقول فيها ينبغى أن ترسل إلىَّ مالاً مقبولاً وأرسل ابنك فأرسل عمرو الجيش إلى برمان [1] وأرسل محمد بن عمرو على المقدمة وأبا طلحة فى إثره وأرسلوا الجيوش بعد فرج، ولما وصل الخبر الموفق خرج بنفسه مع مائة وخمسين ألف فارس، ولما علم محمد ابن عمرو بذلك رجع - ورجع أبو طلحة مع جيش عظيم. ومضى نحو الموفق، وعندما عاد أبو طلحة وجيشه قدم عمرو إلى كرمان وجاء الموفق فى إثره ومضى عمرو إلى صحراء " كرمان " وعندما وصل " براشدى " [2] مرض محمد بن عمرو

---

(١) برجان: كانت موضعًا من خور اردهير فى فارس وحاضرتها شيراز.

(٢) براشدا وراشان: مكان بين كرمان من وسجستان ملح التربة وفيه بشرماء، وبينهما وبين زرنج ثلاثة وعشرون فرسخًا .

ومات هناك يوم الجمعة لأحــد عشر يومًا بقين من جمادى الأولى سنة أربع وستين ومائتين، وكان يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث قد ولد فى هذا الشهر نفسه أيضًا ليلة الأربعاء لاثنى عشر يومًا مضت من جمادى الأولى سنة أربع وسبعين ومائتين، ودخل عمرو سجستان يوم الإثنين لليلتين مضتا من جمادى الآخر سنة أربع وسبعين ومائتين، وأخذ الموفق فى كتابه الرسائل الرقيقة إلى عمرو للصلح، وكان قلب الموفق قد انشغل بحديث الشام ومصر لأنه علم أنه عندما يعلن عمرو العصيان سيعلنون عصيانهم أيضًا، ثم أرسل أحمد بن أبى الأصبغ برسالة من كرمان إلى سجستان حتى يقــاطعه المسلمون جميعهم، ودخل أحمــد ابن أبى الأصبغ سجستان يوم الجمعة لسبعة أيام مضوا من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وقد أكرمه عمرو كثيرًا وأنعم عليه وأقطعه كرمان وفارس وخراسان بعشرة آلاف درهم، وكانت سجستان خاصة به، وقد أحضــر الخلعة واللواء والعهد وأعطاه إياها وقرأ العهد على الناس وأعطى عمرو أحمد بن الأصبغ خمسمائة ألف درهم وأعاده بالحسنى، وأعطى لعمرو ضعف ألف ألف درهم من تلك الأموال التى كانت للناس فى جيش الموفق – وأرسل عمرو السبكرى (١) إلى بغداد بالهدايا النفيسة للموفق، ومضى معه أحمد بن أبى الأصبغ إلى ذلك المكان، ووصل السبكرى بغداد فى ذى القعدة سنة خمس وسبعين ومائتين، وأصدر الموفق أمرًا فى بغداد أن يكتب اسم عمرو على الأعلام والرايات والسهام والتروس وعلى أبواب البيوت والدكاكين كلها، وأرسل عمرو بلال بن الأزهر إلى فارس لخليفته، وأرسل عبد الغفار بن جليس لجمع مال الخراج من هناك ومكث بسجستان مدة، وأحسن بلال أداء هذا العمل حتى قصد عمرو فارس ثانية واستخلف أحمد بن شهفور بن موسى على سجستان فى أمور الحرب والصلاة والخراج والوكالة

---

(١) السبكرى: كان عبدًا ليعقوب بن الليث الصفار، وهو من أسرى الخلع، وهو يشبه طغرل الكافر بنعمــة آل سبكتكين الذى أسقط أسرة مولاه، وسوف يذكر الكتاب السبكرى فى الصفحات القادمة .

وجعل شهفور أفراد مرد مساعدًا له فى الوكالة والخزانة، وعزل محمد بن عبد الله ابن ميكال وشادان بن مسرور عن الوكالة، وهذا الذهاب كان فى شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين ومائتين.

هروب على بن الليث من قلعة بم

وعندما وصل عمرو فارس كان على بن الليث سجينًا محبوسًا فى قلعة بم واختلق حيلة خلص بها نفسه فى شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائتين ومن هناك جمع جماعة أتى بها إلى سجستان مهــاجمًا فخرج أحمد بن شهفور وأزهر ابن يحيى بجبيس لحربه، ولما رأى الأمر كذلك لم يدخل معهما فى حرب وسلك طريق خراسان، ومضى إلى رافع بن هرثمة مخالفًا لعمرو، وعندما وصل الخبر إلى الموفق أمر أن يمحو اسم عمرو من الأعلام فى بغداد فى شوال سنة ست وسبعين ومائتين، ولم يكن لعمرو علم بذلك وأرسل الهدايا إلى الموفق وكان الموفق فى أصفهان، وجاء لطلب أحمد بن عبد العزيز، وأرسل موسى المفلحى إلى فارس على رأس جيش جرار ولما علم عمرو قدم إلى كرمان، ومضى منضور بن نصر الطبرى على رأس جيش كثيف من سجستان إلى عمرو ثم مضى إلى فارس وعندما وصل إلى إصطخر، وهاجموا جيش موسى المفلحى، ودارت رحى الحرب وقتل عمرو كثيرًا منهم وأسر ومضى موسى مهزومًا، وكان ذلك فى يوم الأحد لأربعة عشر يومًا بقت من ذى الحجة سنة ست وسبعين ومائتين، وتعقبه عمرو حتى وصل إلى البيضاء وأسر أربعة آلاف رجل من جماعة المفلحين، وأرسل الأسرى جميعهم إلى سجستان وأدخلوهم سجستان وأرسلوهم جميعًا إلى القلاع فوجًا بعد فوج وسموهم المفلحين، ودخل عمرو شيراز منتصرًا فى غرة المحرم سنة

سبع وسبعين ومائتين، وبايعوا أبا العباس المعتضد بالله ولى عهد الموفق، وأبلغ عمرو بأنهم أسقطوا اسمه من الأعلام فأسقط هو الآخر اسم الموفق من الخطبة فطلب أحمد بن عبد العزيز إذنًا من الموفق بالذهاب لحرب عمرو فأذن له وجاء كامل العدد والعدة وعندما تقابل الجيشـــان، ورأى كل منهما الآخر رجع أحمـــد ابن عبد العزيز منهزمًا دون أدنى عراك فتعقبه عمرو حتى البيضا وأسر العديد منهم واستولى على ما لديهم من متاع وسلع وسلاح، ثم أرسل " بلال بن أزهر " إلى فارس ومضى هو إلى " الأهواز " وأرسل "منصور بن نصر الطبرى " إلى "تستر" ودخل وصيف الخادم فى أمان عمرو مع جيش عظيم وقسم عمرو الجيش فى الأهواز وكان وزير بغداد فى هذا الوقت إسماعيل بن بلبل وكان الموفى غائبًا حيث كان قد مضى إلى الجزيرة، ثم كتب إسماعيل إلى عمرو رسائل طيبة وعاهده بالعهود الكثيرة قائلاً: إن هذا كله لك لا خلاف فى الإسلام كله ولكن يجب حفظ حق أولى الأمر وأسرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من أجل الدين يجب أن تعود الأهواز على الشاكلة التى ذكرناها فعاد عمرو، وعندما جاء الموفق إلى بغداد وعلم بما صنعه عمرو مع أحمد بن عبد العزيز وأنه قدم الأهواز وأخذ مالها وانصرف قصد أن يمضى بنفسه إلى شيراز، وكان قد عقد العزم على هذا إلا أن مرضًا شديدًا أصابه وتوفى يوم الخميس ثمانية أيام مضت من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين.

" وفاة الموفق وقبول المعتضد بالله الخلافة "

وتولى أبو العباس المعتضد بالله بن أبى أحمد الموفق بالله الخلافة، وفى اليوم الذى مات فيه أبوه كان المعتضد سجينًا، ولما تولى الخلافة كان أول عمل له

إصداره الأمر بقتل إسماعيل بن بلال الذى كان وزيرًا لأن أباه أسر بتدبيره، ونصب عبد الله بن سليمان بن وهب وزيرًا، ثم أرسل ابن إسحاق القاضى رسولاً إلى عمرو وتم الصلح بينهما، وحقق رغبات عمرو كلها، وأمر أن يكتب اسمه فى الأماكن جميعها التى كان فيها وخطبوا له فى الحرمين، وأرسل له حملاً جديدًا وخلعًا وهدايا كثيرة واللواء لولاية "فارس وكرمان وخراسان " و" زابلستان وسجستان " و " كابل " وشرطة بغداد، وأصدر أوامره بأنه ينبغى أن يمضى إلى حرب رافع بن هرثمة فقبل عمرو وعاد من فارس فى سنة تسع وسبعين ومائتين، وجعل محمد بن شهفور بن موسى خليفة على فارس، وتوفى خلف بن الليث ابن فرقد بن سليمان بن ماهان يوم الاثنين لإحدى عشر يومًا بقيت من ذى الحجة سنة تسع وسبعين ومائتين.

وجاء عيسى النوشرى بلواء عمرو على هذه الولايات وأنعم عمرو عليه وأعطاه مائة ألف درهم، ودخل عمرو سجستان فى يوم النوروز، وكان ذلك يوم الخميس لثمانية أيام بقيت من المحرم سنة ثمان وسبعين ومائتين، وفى ذلك اليوم أسند منصب الوزارة إلى أحمد بن أبى ربيعة، وخلع عليه الخلع ومكث مدة فى سجستان، ومضى إلى خراسان يوم الإثنين غرة ربيع الأول سنة مائتين وثمانين، وجعل أحمد بن محمد بن الليث خليفة له على سجستان، وعندما وصل إلى هراة، هرب عامل هراة الذى كان تابعًا لرافع وكان رافع بالرى [1]، ولما سمع بقدوم عمرو مضى إلى " جرجان " ليدبر أموره هناك ليحارب، وأرسل عمرو بلال ابن الأزهر إلى قسهنان ليحارب محمد بن رويدى، وصعد محمد بن زويدى الجبل فأغار بلال على قهستان جميعها ثم مضى بنفسه إلى هناك، ثم دخل محمد

(١) يعلم من السطور التالية أن رافعًا كان فى جرجان وليس كرمان ولا يعقل أن يكون رافع فى الرى وسمع خبر مقدم عمرو إلى خراسان وأنه سوف يذهب إلى كرمان ليحاصره فى أرض الأعداء .

ابن زويدى فى أمان عمرو فأمنه وأنعم عليه ومضى من هناك إلى نيسابور وأرسل منصور بن محمـــد بن نصـــر الطبرى إلى مرد وأصـــدر أمرًا بأن تعقب على ابن الحسين المروردى (١) أينما وجد إلا أن منصور بن نصر بن محمد داهن فى هذا الأمر فغضب عمرو عليه من هذا النحو، ووجد فى الرسالة أن منصور أراد ألا يأتمر بأمرنا فأرسل عمرو شخصًا لكى يأتى به فهرب ومضى إلى رافع فقوى به رافع ومضى من جرجان إلى نيسابور .

هزيمة رافع بن هرثمة أمام عمرو بن الليث وكان على مقدمة جيش رافع أخوه محمد بن هرثمة.

انهزام رافع بن هرثمة أمام عمرو بن الليث

وكان على مقدمة رافع أخوه محمد بن هرثمة وأبو منصور بن مخليس ومنصور بن نصر والليث بن على، ومعدل بن على وأولاد على بن الليث، ثم التقى الجيشان وقاتلا قتالاً شديدًا ومضى رافع إلى جرجان منهزمًا، ومضى عمرو فى إثره حتى يسفراين (٢). وأسر الليث معدل بن على الليث وأحضرهما إلى نيسابور وتلطف معهما وخلع عليهما (من نعمه) وقال لهما قولاً حسنًا، ثم قال

---

(١) كان على بن الحسين فى ذلك الوقت أمير مرو وكان رجلاً عظيمًا وطلب فى هذا السفر المدد من الأمير أحمد أمير كوزكانان ولكنه لم يجد شيئًا إلى أن لجأ إلى الأمير إسماعيل أمير بخارى الذى أكرمه إكرامًا عظيمًا ومضى من هناك إلى قرب وقتل أخيرًا بيد ابنه (تاريخ بخارى نقلاً عن تعليقات بهار) .

(٢) بسرافين تخفيف الكلمة (به إسفراين) وتقع الآن بالقرب من بجنورد وسبزوار وبين نيسابور وهاتان الولايتان منطقة جبلية .

عمرو امضيا إلى أبيكما فقالا: لا بل نحن عبدان ونظل هنا ويأتى إلينا أبونا، وجعل بلال بن الأزهر أميرًا على نيسابور، وأرسل محمد بن شهفور إلى مروالرود لطلب على بن الحسينى فهرب على ومضى إلى بلغ، واجتمع مع ابن فريغون [1] هناك حتى أن أبا داود الذى كان عاملاً على بلخ طلب من عمرو لهما الأمان فأعطاهما عمرو الأمان، ولما قصد عمرو مروة جاء رافع إلى نسا وأرسل عمرو إلى قادة خراسان جملاً (جمازة) ورسالة قائلاً: امضوا فى طلب رافع، ولما علم رافع مضى إلى صحراء سرخس عمرو مهاجمًا فخرج نحو طوسى ومضى من هناك إلى نيسابور ودخل القلعة وقدم عمرو على نيسابور، وكان ذلك كله فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، ثم رفع رافع الرايات البيضاء وألقى السوداء وخطب لمحمد بن زيد وكان فى طبرستان، وترك خطبة المعتمد وحاصر عمرو (الحمل) من كل ناحية وأرسل رافع جيشًا للهجوم لعله يستولى على الحمل، وأرسل عمرو أحمد بن سمى وعلى شروين مع القادة، واحتشد الجيشان وتحاربا فهجم رافع بمساعدة جماعته فسمع ومضى أيضًا للهجوم بمساعدة جيشه، وأرسل محمد بن بشر أمامه إلى باب الزاد فوصل كلاهما ومضى إلى ماء منصور بنى نصر الطبرى وكان هذا يوم السبت لخمسة أيام باقية من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين وأمر أن يحفروا خندقًا حول نيسابور ولكنه خرج من الخندق، ومضى رافع إلى سيزوار وتحاربوا هناك، وقتل خلق كثير، وانهزم رافع هزيمة قبيحة (ساحقة) وجاء منصور بن مخلس لاجئًا إلى عمرو، ومضى عمرو بعد رافع حتى وصل إلى مراد، ثم عاد من هناك وأسر خمسة آلاف رجل ولجأ خمسة آلاف آخرون إلى عمرو، فرعى جانبهم وأحسن إليهم وأرسل على بن شروين وأحمد ابن سمى بجيش عظيم على أثر رافع، ودخل رافع فى صحراء خوارزم برجال

---

(١) ابن فريغون هو أبو الحرث أحمد بن محمد الفريغونى صاحب كوزكانان ، الذى طلب سبكتكسين منه يد ابنته، وزوج ابنته لابنه أبى نصر، وذكر العتبى فى تاريخه هذه الأسرة ومدحهم بالعظمة والكرامة، كما مدحهم بديع الزمان الهمذانى

قلت عدتهم، ولما خرج من هناك حاول غلمانه قتله وحاربهم، وفى النهاية حملوا المتاع والسلع ومضوا إلى تركستان، وجـــاء رافع خوارزم وحده، وبقى ودخل فى رباط حتى يتوب ويبقى وعرف أهل خوارزم وقتلوه فى هذا الرباط فى شوال سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتله محمد بن عمرو الخوارزمى الذى كان عامل عمرو على خوارزم، وكان عمرو فى نيسابور، واستقر أمر خراسان بقتل رافع ويقول محمد بن الوصيف هذا الشعر فى حديثه:

أيهـــــا القـــــلب مـــــن طـــــــــــبران

فإنهـــــا تظهر الفيروز من صدف المرجان

ورافـــــع إذا مـــــا خــــســــــــف

فمن فعـــــل أبى حفص ملك الجيـــــــوش

ثم أرسل عمرو على بن الحسن [1] إلى جرجان ومحمد بن شهفور إلى مرو، وجاء محمد بن عمرو الخوارزمى إلى نيسابور عند عمرو، بعد قتل رافع، وأعطاه عمرو الخلع، وأرسله إلى خوارزم، وكان قد جاء عراق بن منصور مـــن ناحيـــة إسماعيل بن أحمد إلى خوارزم، وكتب رسالة إلى على بن شروين، ومـــضى مـــع محمد بن عمرو إلى خوارزم، ومضوا بجيش إلى هناك ونزلوا فى الجانب الشرقى ناحية بخارى، وكان الحر شديدًا، ولم يستطيعوا أن يمضوا إلى (الصحراء) فبقـــوا هناك حتى تحسن الجو، وعبروا جيحوث ليلة الجمعة آخر ربيع الآخر سنة خمـــس وثمانين ومائتين، وخرج إسماعيل بن أحمد من بخارى وقـــال: عـــودوا لا يبغـــى

---

(١) يقول أبو جعفر الترشخى فى تاريخ بخارى: إن على بن الحسين لم يتقرب من عمرو، ولجأ إلى الأمير إسماعيل فى بخارا، ويقول أيضًا: إن أبا داود أمير بلغ والأمير أحمد فريغون أمضيا إلى عمرو وقـــدما ولاءهما، وليس معروفًا هل قدم على بن الحسين إلى عمرو أم لا (من تعليقات بهار) .

الحرب، فعادوا وجاء الخبر إلى عمرو فأرسل محمد بن بشر [١] بجيش كبير لمساعدتهم وينبغى أن يحاربوا إسماعيل بن أحمد ثم اجتمعوا وقصدوا إسماعيل، وكان إسماعيل رجلاً غازيًا كما كان جيشه كله من الغزاة، وكانوا يصلون ويدعون ويقرأون القرآن ليل نهار فقصدهم أيضًا، واشتعلت حرب صعبة وقتل محمد ابن بشر وبقى على بن شروين ومجموعة كبيرة من الأسر وكان هذا فى آخر شوال سنة خمس وثمانين ومائتين، ولما وصل الخبر إلى عمرو وكبر عليه هذا وصارت الدولة متأخرة ولهذا السبب ينبغى القتل فوجد العار من هذا وأخذته الحمية فكتب رسالة إلى المعتضد يطلب فيها ولاية ما وراء النهر وقال: لو يعطينى هذا العمل ورضى بهذا فأبعد علوى عن طبرستان، وإن لم يرض فأنا مضطر أن أبعد إسماعيل بن أحمد، وكتب هذا الموضوع إلى عبد الله بن سليمان، ولما قرأ عبد الله هذه الرسالة وكان صديقًا لعمر وقال: أى حاجة لهذا العظيم بذلك وأنا أعلم أن هذا لا يرضى أمير المؤمنين وذكر هذا ثانية فى مجلس المعتضد وعرض الرسالة فأحنى أمير المؤمنين رأسه، ودام على ذلك مدة ثم رفع رأسه فقال: أجب على رسالة عمرو كما طلب وأنا أعلم أن هلاكه فى هذا، وكتب إلى إسماعيل بن أحمد نحن لم نكف يدك عن هذا العمل والسلام، فأجاب عبدالله بن سليمان على رسالة عمرو فإن أمير المؤمنين وافق على ما طلبته ولكن لم يحسن فيه، وأرسل العهد واللواء، ولما وصلت الرسالة إلى عمرو جمع الجيش ليمضى إلى حرب إسماعيل، وأرسل على الحسين درهم فى المقدمة، وكان هو فى جرجان، وأرسل محمد ابن حمدان إلى ابن عبد الله وكان هو والى زابلستان ولما كان هذا جاء الخبر أن ناسد الهندى وآلمان الهندى أصبح كل منهما ملكًا وقدما إلى غزنين، وكان برد عالى عامل عمرو على عزنين حيث هزموه فيها فحزن من هذا ومضى حتى

---

(٢) يذكره ابن الأثير (محمد بن بشير) ويذكره ابن خلكان (محمد بن بشر) ويذكره الكرديزى (محمد بن بشر) .

وصل إلى بلخ، وكلف إسماعيل بن أحمد مناديًا ينادى فى ما وراء النهرين عمرًا فقدم ليستولى عليها ويقتل الناس ويسلب الأموال ويستعبد النساء والأولاد، ولما كان الأمر كذلك فيما وراء النهر [١] فكل من كان من شجعان ما وراء النهر نهضوا معه ليحاربوا عمرًا، وقالوا لنقتل ونحن شجعان خير من أن نأسر، وكان عمرو فى بلغ، ومضى إسماعيل إلى باب بلغ وحاربوا حروبًا كثيرة ثم أرسل إسماعيل مجموعة من القادة وخوفهم من الله تعالى فنحن قوم غزاة ولا مال لنا، وهذا الرجل يطلب الدنيا دائمًا أما نحن فالآخرة ماذا تطلب منا، فقاتلوا قتالاً عنيفًا حتى آخر يوم، وهبت ريح الصاعقة حتى أصبح النهار ليلاً وهزموا جيش عمرو، وكان عمرو يحارب حتى [٢] أسر يوم الثلاثاء ليوم باق من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين.

---

(١) وفيما يتعلق بهذا الأمر أن يكون مع إسماعيل رجال أكفاء، حيث إن أبا جعفر المزشخى الذى ألف كتاب تاريخ بخارى باسم الأمير نوح بن مصر يقول، عندما علم إسماعيل بالخبر علم أن عمرًا يستعد للحرب فحشد جيشه وزوده بالزاد، واتجه إليهم من كل ناحية، وأعطى للأكفاء مغيرهم الزاد، وهذا ما اشتد على القوم، وكانوا يقولون: بهذا الجيش سيحاربون عمرو، ولما علم عمرو بهذا الخبر سعد به .
ويقول بعض من المؤرخين: إنه كان مع إسماعيل عشرة آلاف فارس وكان ركاب خيولهم من الخشب وذلك لشدة فقرهم .

(٢) فيما يتعلق بأسر عمرو بن الليث توجد روايتان أحدهما ضعيفة والأخرى ذكرت فى بعض من كتب التاريخ حيث تقول هذه الرواية : إن عمرًا اصطفاف الخيل وألقى بنفسه فى صف إسماعيل وأسر وحبس فى الخيمة إلى آخر هذه القصة وهذه الرواية لم تشاهد فى الكتب الأمهات فقد ذكر الطبرى وابن الأثير أن حاصر إسماعيل عمرو على باب بلخ لأنه قدم مع جماعة كثيرة العدد، واستولى على الطرق، وندم عمرو على مقدمه وطلب الصلح مع إسماعيل ولكنه لم يقبل وحارب وتقهقر جيش عمرو .
(ابن الأثير - الكامل - جـ٧ - ص١٦٥) .

بقاء عمرو بن الليث فى بلغ بيد إسماعيل بن أحمد

ووفاة نصر بن أحمد

وفى هذا العام توفى نصر بن أحمد بن أسد بن سلمان سيد لسلمان فى سمرقند ليلة الجمعة لاثنى عشر يومًا مضت من شوال سنة سبع وثمانين ومائتين، وبعد أن بقى عمرو أسيرًا مضى طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو مع القادة والجيش إلى خراسان منهزمين، واجتمع عمال خراسان كلهم وجاءوا إلى هراة ومن هنا مضوا إلى سجستان، وجاء محمد بن شهفور إلى بست عن طريق كرمان، وبقى هناك طويلاً، وجاء بلال بن الأزهر من فارس إلى كرمان ثم اجتمع جيش عمرو كله، وبايعوا طاهرًا وأعطى طاهر الوزارة لأحمد بن شهفور، وجعل حكم المملكة فى يده، وفى هذا اليوم الذى بايعوا فيه طاهر كان فى خزانة أرك مبالغ متفرقة تبلغ ستة وثلاثين حملاً ألف ألف درهم غير الدنانير والجواهر، وكانت الخزائن ممتلئة، وكان فى قلعة سبيهبد القلاع الأخرى كلها كنوز وخزائن، أما الثياب والسلاح والخيول فلا يستطيع أحد حصرها كما كان فيها الضياع والعقارات والخيول العظيمة وعشرة آلاف غلام فى القصر غير من هو فى الخارج، وجاء طاهر يوم الثلاثاء لثلاثة عشرة يومًا بقين من جمادى الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين إلى سجستان وكتب أحمد بن شهفور رسالة إلى المعتضـــد وإلى عبد الله ابن سليمان وأخبرهما أن عمرو بقى أسيرًا وأن الجيش بايع طاهرًا، واستولى السيكرى على طاهر وعلى الجيش وأخذ كل شىء وما كان له أن يجعل أحمد بن شهفور وزيرًا حيث إن الرسالة التى كان يكتبها يخفيها، وكان على بن الليث مختفيًا فى سجستان وكان السبكرى متحذًا (صفيًا) له على سره (مطلع على سره) ثم حمل

القادة عنده ورفع الخلاف بين الجيش، قال واحد يجب أن يكون "طاهر" وقال الآخر كلا يجب أن يكون " عليٌّ " لأنه كان هو نفسه وصيًا على يعقوب.

وصول رسالة عمرو

ثم وصلت رسالة عمرو من سمرقند على يد يوسف بن يعقوب النقيب يقول فيها إن شغلى (أمرى) يستقيم بعشرين حملاً كل حمل ألف ألف درهم حتى يطلقوا سراحى، وأن يرسل هذا المال إلى أمير المؤمنين، وكان قد أنزل إسماعيل عمرو فى مقر نصر بن أحمد فى سمرقند، ولما وصلت الرسالة هنا لم يستحسنوا (يعجبهم) إطلاق سراح عمرو، ومرت الأيام حتى وصلت رسالة عمرو إلى طريق آخر، فإن ما كانوا قد قالوه وهو عشرون، والآن أصبحت عشرة .

ينبغى أن يرسلوا هذا كله وليس هذا خطرًا، ولما وصلت هذه الرسالة القادة قالوا لطاهر ويعقوب ابنى محمد بن عمرو : اعلما ما الذى مضى وسط هذا إن عمرًا يحمل هذا كله الآن فى قلبه.

ولم نحارب فى هذا اليوم حتى احتفل فإنه وحده الذى حارب ونحن لم نحارب وسلبوا ما كان معه . جئنا من هناك وما مضى منا فى خراسان فى كل مدينة، وإجلاسك هنا لأنك طاهر ومبايعتك والعطية التى أعطيتها من خزينتنا والحوادث الكثيرة وقعت منا ليست صلاحنا وصلاحك على آية حال حتى يكون له الخلاص عندما يخرج فلن تبقى ولا نحن، وإذا كنت ترضى بكل هذا فنحن لا نستطيع أن نعمل ما نريد أن نعمل، ولما كانت الحال هكذا جعل يعقوب أخاه خليفة على سجستان، وكان مشغولاً باللهو والمتعة ليل نهار وأخذ عم السبكرى، وأصبح الحل والعقد كله فى يده، وقصد السبكرى قتل أبناء شهفور أحمد ومحمد كليهما

وقدم (فضل) عبد الله بن محمد بن ميكال [1] ليشغل الوزارة، وكان سبب هذا أن أحمد بن شهفور كان وزيرًا من جهة طاهر، وكان قد جلس محمد بن شهفور في بست، وكان أحمد يكتب له قائلاً: ينبغي أن تأتي إلى هنا حتى أقوم بمنصب الوزارة وأن تكون القائد الجديد، وأجاب محمد عليه قائلاً: ليس من الحكمة أن نجتمع معًا في هذا الوقت في مكان واحد والصواب أن أبقى في بست وأنت في سجستان حتى نعلم ما يظهر فوضع هذه الدولة على حافة الهاوية، وفي النهاية لم يمض أحمد وجعل طاهرًا على ذلك المكان حتى كتب رسائل مؤكدة إلى محمد شهفور حتى جاء إلى سجستان مكرهًا، وقد رعى طاهر جانبه وأحسن إليه كثيرًا وقال: وعرض عليه منصب قيادة الجيش ولم يقبله حتى يروا تدبيرًا حتى أرسلوا السبكري إلى رخد وأن يبعدوه عن العتبة (القصر) وكتبوا له عهدًا برخمد وكابل وأرض الهند وخلعوا عليه ولكنه لم يمض، وكان يتعلل كل يوم بعلة، وعرض أحمد بن شهفور في أثناء الحديث عنقه بالجيش وفي العطية وسبب هلاكه هذا كله، وفي النهاية دبر الجيش ثم قالوا: ما دام محمد بن حمدان بن عبد الله حاضرًا لا يمكن قتله، وأعطوا لمحمد بن حمدان أرض داور وبست، وكتبوا العهد، ثم جمع محمد بن حمدان بن عبد الله جيشًا وركب وجاء إلى العتبة (القصر) فخلع طاهر عليهم وأقسم ألا يعتذروا، وفي اليوم التالي صعد طاهر على سطح القصر، واجتمع الجيش في الميدان على باب القصر اليعقوبي وجاءوا ببدر من الدراهم ونثروها من على سطح القصر على الجيش وجمعوها وبهذا المعنى أرادوا إذا ما أسقط أحمد ابن شهفور اسمكم من الديوان فلن تخافوا فإننا نعطيكم الدراهم فأخذوا الدراهم وعادوا وفي اليوم التالي جاء حمد بن حمدان ليلتقي وسلم وعاد ومضى وأمسك الخادم دكاي يده وحمله (أوصله) إلى حجرته قائلاً له اسمع رسالة الأمير قبل الذهاب حتى تعمل هذا العمل، ولما دخل الحجرة دخل الرجال وقتلوه، وكان أحمد

---

(١) هو أبو الفضل الميكالي توفي سنة ٤٣٦هـ وكان شاعرًا وأديبًا مشهورًا في خراسان، ويتصل نسب الميكاليين ببهرام كور (من تطبيقات بهار)

ومحمود ولدا شهفور عند طاهر، ولم يكن لهم عن ذلك خبر، ولما عرف الجيش أن محمد حمدان قتل وقفوا منتظرين له، ولما خرج الاثنان (كلاهما) نهض الجيش وجردوا سيوفهم، واستلوا الخاتم من يده وقبضوا ونهبوا قصورهما، وأرسلوهم إلى القلعة مقيدين، وكان هذا كله تدبير السبكرى، واستخرج عليهما سيما الحيانى، وقتل سيما محمد بن شهفور فى طريق المطالبة بعد أن أخذ أمواله كلها، فقويت وزارة عبد الله بن محمد بن ميكال، واستقر الأمر كله للسبكرى ووصلت إلى الجيش الخلع والصلات ثم أرسل طاهر ويعقوب حفص بن عمر الفراة إلى عمرو ليعتذروا عن عدم إرسال مال أحمد ومحمد ابنى شهفور واستيلاء محمد بن حمدان على هذه المملكة وظهر منهم الفساد فى الولاية والخزانة حتى أنه لا يمكن القول فنحن بذلنا الجهد حتى رفعنا باسهم، والآن تجتهد على أثر ما طلبه لنرسله ثم أرسل محمد ابن وصيف السجزى شعرًا وهذه الأبيات من هذا الشعر، ولما قرأ عمرو هذه الأبيات يئس وصرف قلبه عن هذه الدنيا، وهذه الأبيات هى:

إن اجتهادى سبب العطاء

إن كان هذا فعل القضاء فى عيب لها

الأزلية والأبدية من صفات الله

والعبد العاجز المسكين من هنا

إن أول مخلوق له الزوال

فعمل الدنيا الأول والآخر واحد

اقرأ قول الله فاستقم

واعتقدوا على ذلك أن تستقيم على هذا

وقال له حفص وأوقفه (وأخبره) على جالية الحال وأعاد له ما حدث كله، ولما مضت عدة أوقات (وبعد مدة) وصلت رسالة المعتضد إلى إسماعيل بن أحمد أن أرسل عمرًا، وما كان له إلاّ أن ينفذ الأمر وإرسال عمرو وقال لعمرو: لا ينبغي أن تعتقل على يدنا، وإذا ما اعتقلت لا ينبغي أن أرسلت إلى هنا، ولا أريد أن يكون زوال دولتك على يدى. والآن أنا أحفظ أمره وأرسلك على طريق سجستان مع ثلاثين فارسًا، واجتهد حتى يأتى شخص ويأخذك حتى يكون لى عذر وحتى لا يكون ضرر، ثم أرسله على يد أسناس الخادم وبقى ثلاثين يومًا فى بنه [1]، ولم يقل أى شخص مطلقًا فى خراسان وسجستان أن عمرو هنا وفى النهاية قال أسناس الخادم: أيها الأمير لا يطلبك أحد فى هذه الدنيا قال: أيها الأستاذ حينما كنت على رأس الملوك وأنا الآن على رأس الأطفال فأنا الآن مثل الأطفال الذين تخلصوا من يد الأستاذ، فالذين يريدون أن يبقوا هنا، ثم حمله إلى بغداد، وكان قد أرسل إلى المعتضد من ضمن الهدايا التى أرسلها إليه جملاً ذا سنامين وهو فى حجم الفيل الضخم، وحملوا عمرًا على هذا الجمل إلى بغداد، ولما رأى عبد الله ابن المعتز عمرًا على هذا الجمل، وكان قد عرف أن هذا الجمل أرسله عمرو قال: هذه الأبيات:

فحسبك بالصغار عزًا ومتعة ... يروم ويغدو فى الجيوش أميرا

حباهم بأجمال ولم يدر أنه ... على جمل منها يقاد أسيرا [2]

ثم حمله (أحضره) المعتضد إلى حضرته، وأمل آمالاً طيبة، ورعى جانبه وقصد أن يطلق سراحه وقال: إن هذا الرجل عظيم فى الإسلام ولم يفتح أحد مثله

---

(١) بنه من مدن سجستان الصغيرة وهى تقع على حدود قهستان، وهى اليوم قصب بها مكتب تلغراف وقريبة من بنداان .

(٢) يقول ابن خلكان فى مجلده الثانى ضمن أحوال الليث إن هذه القطعة تنسب إلى أبى على حسين ابن محمد بن فهيم المحدث، ويقول المسعودى فى هذا الأمر فى مروج الذهب ص٢٤٦ إنها تنسب إلى حسن بن محمد بن مهر وأضاف المسعودى هذا البيت:

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه ... يكون عسيرًا مرة ويسيرا

فتوحًا فى دار الكفر وخراسان وسجستان كلاهما ثغر وقد احتفظ بهما ثم قال: احتفظوا به حتى نرى ومرض بمجرد أن شاهد عمرًا وكان بدر الكبير سيئ العلاقة مع عمرو فقال المعتضد: يجب قتله لأنه يطمع فى ملك الدنيا بأسرها ولا ينبغى أن يكون فى الدنيا أحد يستطيع أن يدعى أنه أعظم منك فأمر بتدبير من بدر حتى يقتلوا عمرًا فى الخفاء، ولما قتل عمرو ندم وأمر حتى يقتلوا بدرًا وقد مات أيضًا أبو العباس المعتضد بالله يوم الأربعاء لخمسة أيام مضت من جمادى الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين.

نهاية الأمير عمرو بن الليث [1] ونهاية المعتضد بالله
والآن نذكر بعضًا من سيرة يعقوب وعمرو

أول توكله يعنى ذكرنا يعقوب، فإنه فى أى عمل كبير لم يدبر أمرًا مع أحد إلا قال: فى النهاية توكلت على الله تعالى ما الذى سوف يفعله ومن باب التعبد كان

---

(١) تضاربت الآراء فى مقتل عمرو بن الليث فقال البعض: إن المعتضد فى مرض موته بعد أن انقطع عن النطق طلب صافى الخرمى الذى كان من خواصه ووضع إحدى يديه على عينيه ووضع يده الأخرى على عنقه ففهم صافى أنه يجب قطع عنق الرجل الأعور ولما كان عمرو أعور لم ينفذ صافى الأمر لأنه كان يعلم أن المعتضد سيموت فى اللحظة ولما قدم الخليفة المكتفى بغداد سأل الوزير قاسم بن عبد الله عن حال عمرو فقال الوزير: إنه حى فسر المكتفى بذلك وكان عمرو قد أرسل إليه كثيرًا من الهدايا وأراد أن يحسن إلى عمرو وهذا ما لم يعجب الوزير وبناء على ذلك أرسل شخصًا فى الحال وقتلوا عمرًا فى السجن ويقولون إنه فى وقت موت الخليفة نسوه فمات جوعًا فى السجن أو أنهم جعلوا هذا وسيلة لقتله أما ما ذكر فى تاريخ سجستان عن خبر بدر الكبير ربما كان لا أصل له وهو شبيه بتدبير الوزير قاسم بن عبد الله لأن بدر المذكور قتل بلا ذنب بسبب رسائله وفصل هذا الخبر ابن الأثير فى كتابه الكامل وليس بعيدًا أن رواية هذا الكتاب كتبت فى سجستان ونسب قتل عمرو لبدر وقتل بعد من قبل الخليفة جزاء قتله لعمرو لأن مثل هذه الدسائس كان معمولاً بها بين الدول ومعمولاً بها اليوم كذلك فإنهم يصيبون هدفين بسهم واحد (من تعليقات بهار)

يزيد فى الصلاة مائة وسبعين ركعة فى اليوم والليلة من الفرض والسنة ومن باب الصدقة، كان يتصدق فى كل يوم بألف دينار، ومن باب الكرم والمروءة أنه لم يعط أقل من ألف دينار ومائة دينار وعشرة آلاف وعشرين ألف وخمسين ألف ومائة ألف، وأعطى دراهم كثيرة وأعطى خمسمائة ألف دينار لعبد الله بن زياد عندما جاء عنده.

ومن باب المنع أنه لم ينظر إلى أحـد ممتنعًا عن مشاهدته، لا ناحية مرأة ولا ناحية غلام، وذات ليلة رأى غلامًا من غلمانه فى نور القمر فتغلبت عليه الشهوة، فقال: ما الأمر فأنا أتوب وأعتق الغلمان، ولكنه فكر بعد ذلك أن هذا كله من نعمة الله، ولا ينبغى، وقال بصوت عالٍ: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم حتى استيقظ الغلمان كلهم ، وكان قد عاد وفى الصباح كان الجميع مخزنين فى القصر، ولم يعلم أحد ماذا كان (ما الخبر) فأمر أن يحملوا السبكرى إلى النخاس [1] قال الخادم للسبكرى : يجب الذهاب إلى النخاس بأمر الملك قال: الأمر له ولكن ينبغى إعلان ذنبى (جريمتى) فمضى الخادم وقال: ما أعظم جرمه فأنا فى هذا لست حكيمًا ولا حمية التى وهبها الله لى حتى ألاحظ مثل هذا، حتى أقع فى يد شخص من الذين يسوقهم الله ولا يخافون علىّ، فقالوا ليعقوب، فقال أطلقوه، ولكن أبقوا شعره وطرته [2] واجعلوه رئيس خدم القصر، ولا أريد أن يأتى إلىّ ففعلوا، ولم يأت إليه إلى ذلك اليوم الذى مات فيه أمير فارس قال: لعله لهذا الشغل قالوا: البكرى فإنه رجل عاقل فكتبوا العهد وأعطوا الخلع قال: السبكرى إن العبد يمضى ولا يعلم ما الحال وقد ابيضت لحيته وطلب إذنا باللقاء وقابله ورعى جانبه وأعاده.

---

(١) النخاس الكثير النخس بياع الرقيق بياع الدواب بالنخاسة بيع الرقيق والذا وأبا (المنجد) .

(٢) هذه القصة قصة السلطان محمود مع غلامه إياز التى ذكرها نظامى العريض العروض فى جهار مقامه .

ولكن كان فى العدل فكان يجلس يعقوب فى كوشك (القصر) الخضراء [١] منفردًا (وحيدًا) حتى إن كان كل من له حاجة كان يمضى إلى الخضراء وكان يقول كلامه بلا حجاب (وكان يتحدث بلا حجاب) ويقضيها له فى الحال كما تقضى الشريعة (بمقتضى الشريعة).

أما فى العناية فكان يبحث الأمور، وكان جالسًا ذات يوم فى الخضراء فرأى رجلاً جالسًا على رأس الطريق سينك من بعيد واضعاً رأسه على ركبتيه، ففكر فى أن هذا الرجل محزون وفى الحال أرسل الحاجب قائلاً: لم أحضر هذا الرجل لى فأحضره فقال له: حدثنى عن حالك فقال: ينبغى أن يخلوا الطريق للملك فأمر الناس أن يمضوا فقال: أيها الملك إن حالى أصعب من أن أقوله لك (أى حالى أصعب حتى أستطيع أن أقوله لك) إن قائدًا من قواد الملك ينزل كل ليلة وكل ليلتين عند بنت لى من الثقب بلا رغبة منى، ومن البنت ويفعل ما لا يليق مع البنت فما كان لى طاقة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لم لم تقل لى امض إلى البيت، وحينما يأتى تعال إلى هنا فى مكان الخضراء، ويأتى معك رجل معه سيف وترس وينتقم لك (ينصفك) كما أمر الله تعالى لغير الحافظين، فمضى الرجل ولم يأت هذه الليلة، وجاء فى ليلة أخرى وكان هناك الرجل ومعه السيف والترس ومضى معه ودخلا القصر، وقال له إن عبد الله حفظ على باب فارس، وكان هذا القائد فى قصر هذا الرجل، وضرب به جعبة السيف فانشطرت شطرين وقال: اشعلوا المصباح ولما أشعلوا المصباح قال أعطنى ماء فشرب الماء قال: أحضر لى خبزًا وأكل، فنظر الأب وكان يعقوب بنفسه ثم قال هذا الرجل بالله العظيم مادمت أنا وأنت قلنا هذا الكلام فقد شربت ماء، وأكلت خبزًا وكنت قد نذرت لله تعالى أنى لن آكل حتى

---

(١) الخضراء مكان مثل الميدان الأخضر كان الملك يقف على ربوة تشرف على هذا الميدان والعوام يصطفون ليعرضوا مظالمهم عليه .

يخلو قلبى من هذا الأمر قال الرجل: والآن ماذا أصنع لهذا فقال: اقبض عليه فقبض على الرجل وأخرجه فقال: احملوه حتى نلقيه فى البالوعة قال: عودوا الآن وأمر فى الصباح أن ينادى مناد أمضوا إلى البالوعة (حافة البالوعة) لكى تروا غير الحافظين وانظروا إلى هذا الرجل.

أما عن دهائه فكان فى ذلك الوقت قد أرسل رجلاً كاتبًا قائلاً له : امض من نيسابور إلى سجستان وتعرف على أحوال سجستان، وأقدم علىَّ وقل ما عرفت، فجاء الرجل إلى سجستان، وعرف بأحوالها كلها وكتب بها نسخًا ورجع ولما توجه إليه قال: كنت فى المظالم قال : كنت قال: هل اشتكى أحد من أمير الماء قال: لا، قال: (الحمد لله) قال: هل مررت بنهر عمار قال: مررت، قال: هل كان هناك أطفال قال: لا، قال: الحمد لله قال: هل كنت عند منارة كهن قال: كنت، قال: هل كان هناك قرويون، قال: لا، قال: الحمد لله ثم طلق الرجل أن يبدأ الكلام (الحديث) ويعرض النسخ، قال يعقوب : عرفت ولا يجب أكثر من هذا فقام الرجل ومضى عند شاهين فى بتو [١] وقص القصة، قال شاهين : حتى نصل، ومضيا عند الأمير قال: إذا جاء هذا الرجل جاء بالأخبار فينبغى أن يقول، قال: إنه قال كل شىء وسمعت أن أمر سجستان يرتبط بثلاثة أمور العمارة والألفة والمعاملة ووصلت إلى هذه الثلاثة وسألت أمير الماء عن العمارة (وسألت أمير الماء فى الحديث عن العمارة) وفى المظالم لم يشتك أحد من أمير الماء قال: لا قال: عرفت فلا تأخير فى الحديث عن تأخير العمارة وابتدأ أمر هذه السوق شىء واحد وإذا ما وقع التعصب بين الفريقين واصل وسألت قال: لم يكن قال: علمت فإن الألفة على ما كان (فى المكان) ولا وجود للتعصب والثالث هو معاملة العمال والرعية وإذا

---

(١) بتواسم مكان فى سجستان وشاهين هذا كان منها وهو أحد أمراء يعقوب بن الليث وقد سبق أن ذكرنا اسمه

وقع على الرعية ظلم يدبرون أمرهم فى منارة كهن (القديمـــة) وهنـــا يجتمعـــون ويتظلمون وعندما لم يجدوا عدلاً (أو إنصافًا) يأتون إلى هنا ويـــدبرون الهـــروب، ولما لم يكونوا هناك علمت أنه لا ظلم للرعية، فعن أكثر من هذا أسأل والآخر فقد قسموا التقويم ثلاثين لكل يوم عمل وأعط لكل غلام ثلاثين عصًا وسهمًا وجعبتـــين فى أول كل يوم من الشهر، وأعطه فى يدى وضعه فى المساء فى الجعبة الأخرى وقل كم سهمًا أخذت فى كل يوم وكم تبقى ويخرج الغـــلام كل يوم ســـهمًا وكـــان يسلمه (يعطيه) يده فقال: كم لدىَّ من السهام فقال: يعقوب أعطيت ســـهمًا مـــستقيمًا فيجب أولاً تسويته وذكرت عمل هذا اليوم وما كان ممكنًا أتممته من هـــذا البـــاب حتى حفظت بذلك تقويم اليوم والشهر والسنة وكثيرًا ما قلـــت إنهـــم بنـــود دولـــة العباسيين على الغدر والمكر ألا ترى أنه مع أبى مسلمة أبـــى مـــسلم والبرامكـــة وفضل سهل مع كل الخير الذى كان فى تلك الدولة ماذا صنعت ولا ينبغى لأحد أن يثق فيهم وقد مضيت للتجسس الغالب مع الحرس فى الأسفار وأنه لم يجرد ســـيفه مطلقاً مع أحد من أهل التهليل ولم يقصده وقبل أن تبـــدأ الحـــرب أوردت حججًـــا كثيرة، واستشهدت بالله تعالى ولم تحارب دار الكفر حتى تعرض عليهم الإســـلام، ولما اعتنق شخص الإسلام لم تأخذ ماله ولا أولاده وإذا ما أصبح بعد ذلك مـــسلمًا خلعت عليهورددت عليه ماله وأولاده كما أنه فى ولايتك كل من كان له أقل مـــن خمسمائة درهم لم تأخذ منه خراجًا وتصدقت عليه (١) .

حديث سير عمرو بن الليث وعمله وكيفيته

أما عمرو عندما توفى جهد أن يحفظوا أكثر ما يكون من عاداته ورســـومه، وأقام رباطًا وخمسمائة مسجدًا للجمعة وشيد المنـــارات غيـــر الجـــسور وأقيـــسة

---

(١) يمكن أن نقول منصفين إن ما ذكره المؤرخون من فضائل يعقوب وعمرو بن الليث أقل القليل .

المسافات فى الصحارى، وتمت على يديه أعمال خير كثيرة وقصد أشياء لم يحققها، وكانت له همة عالية بحيث إن أتاه رجل بمجموعة ثياب مزركشة وزنها عشرون منًا (حجراً) فأمر حتى يسألوه عن مصروفات فقال: ألف دينار فأعطاه عشرين ألف دينار، ثم أمر أن يحضروا هذا الديباج قال: إذا أعطيت غلامًا فإن الآخرين يبقون بلا نصيب وهذا واحد لا أكثر ثم أمر حتى يمزق على عدد الغلمان وأعطى كلاً منهم قطعة، ولم يؤذ عمرو ضعيفاً قط وقال: لا ينبغى أن يكون الدهن فى لبن العصفور أنه يوجد (يتحصل) فى بطن الثور (البقرة) وقال: يمكن إمساك الطائر بالطائر ويمكن جمع الدرهم إلى الدرهم ويمكن استمالة الرجال إلى الرجال وقال: إذا كان الحمار العجوز لا يحمل الحمل فليمض فى الطريق .

نسبة أزهر بن يحيى وحكايته (١)

أما حديث أزهر فمنقول من بدء نسبة أزهر بن يحيى بن زهير بن فرقد ابن سليمان بن ماهان وسليمان، وكانوا لحاتم أخيه، وكان حاتم جد يعقوب وعمرو وعلى وسليم جد خلف بن الليث وذلك أزهر بن يحيى، وكان أزهر بطلاً وشجاعًا وكاملاً وعاقلاً وحكيمًا، وكان أديبًا كاتبًا وفتحت على يديه كثير من البلاد، وجعل نفسه جاهلاً وكان يصنع أشياء يضحك عليها الناس وكان متواضعًا إلى حد بعيد ومن حكاياته ما كان نادرًا وهو أن الناس قاموا ذات يوم فى قصر يعقوب وكان يضع أصبعه فى حلقة الباب وشدد إصبعه وتورم وبقى ولما لم يرد أن يشاهدوه جاءوا بحداد حتى أخرج إصبعه منها ومضى وفى اليوم الثانى جلس هناك ووضع

---

(١) أزهر هذا مشهور بأزهر الحمار يقول عنه عنصر المعالى فى قابوسنامه (كان لعمرو بن الليث قائدًا وكانوا يقولون له أزهر الحمار (من تعليقات بهار)

إصبعه فى الحلقة قالوا له لماذا قال: نظرت هل أصبحت واسعة وذكر الــدقيقى[1] هذا الشعر:

بقيت قدمى فى الماء الحار مثل الحلقة فى إصبع أزهر

وفى يوم آخر جاء يعقوب لصلاة الجمعة وأمامه أزهر يخدمه، وسلم قــروى على أزهر وقدماه بلا سروال ولباس القروى خلقة رقبته، وكان من أقربائه وســأله عن الأحاديث ثم قال يصعب عليك الجرى واجلس خلفى حتى يكون ذلك أسهل لك، فركب القروى ورأى يعقوب الطريق، ومضى أزهر هكذا للصلاة، ولما عادوا قال: أيها الأمير إن كلك فضل ولكن هذا الحسد ليس موجودًا فيك فأنا فى موكبك يمكــن أن أرى مائة ألف فارس وعشرة آلاف غلام لم تستطع أن ترانــى بالزينــة حتــى تطوى الطريق فضحك يعقوب كثيرًا مع أن عادته عدم الضحك (لم يكن يضحك)

وفى يوم آخر حين عاد من الصيد رأى عجوزًا وقد حملت شيئًا تحت إبطهــا قال: أيتها العجوز ماذا معك قالت معى أكل (طعــام نكانــك وبزنــد)[2] قــال: أحضريه فوضعت أمامه، وكان له جواد وأكل وأركب العجوز على الجنيبة وحملها إلى المنزل وقال: قص علىَّ قصتك قالت: لى واحد فى السجن ومتهم بالقتل (بالدم) وسيقتصون منه غدًا، وبعد ذلك فإن أزهر جعل (صنع) من الشىء الحر طبقًا جيدًا وأرسله إلى السجن مع العجوز وقال: سأطلق سراح ابنك غدًا إن شاء الله، وكــان الغد يوم النظر فى المظالم، فمضى هناك أمام الأمير عمرو قال: هذا الرجل كــان زانيًا، قال عمرو: وإن هذا عمل الخصوم فاستدعى الخصمين (الخصوم) فافتــدى (اشترى) أزهر هذا الرجل بمبلغ اثنى عشر ألف درهم وقال: لقد أكلت من طعــام العجوز فأعط عمرًا الفضــة (النقود) من الخزانة وحرر (وأطلق) الرجــل وخلــع

---

(١) الدقيقى هو أبو منصور بن أحمد البلخى من شعراء القرن الرابع الهجرى العظام توفى سنة ٣٦٥ هــ.

(٢) نكانك نوع من الأطعمة والبزند نوع من البرغست وهو عشب صحراوى يضعونه فى المرق .

عليه وسموه مولى أزهر، وأصبح بعد ذلك معرفًا، وأصبح أحد العظماء فى حديث العمار، وكان رئيس وكلاء أزهر، واتفق أنه دعى عمرًا مع الجيش كله ليتناولوا طعام (يزند) وقدم إليه أمير الماء الرائحة فى الطعام (وقدم إليه الأمير الماء فى الطعام) وكان ذلك لمدة وفى حرب زنبيل ضرب خرطوم الفيل بالسيف، وكان قد حمل على جيش يعقوب وكان سببًا للهزيمة هو هذا، وجاء رسول أمير المؤمنين إلى سجستان فنزله فى قصر أزهر، وسأل يعقوب رسول أزهر عن التبجيل (الاحترام) فقال: أنت أمير من قال: أنا حارس (سائق) الخيل فغضب الرسول من هذا، ولما دعوه إلى المائدة (الطعام) رأى الرسول أزهر جالسًا مع يعقوب على المائدة فقال الرسول: إنى كنت غاضبًا منذ مدة والآن بقيت متعجبًا قال: يعقوب لماذا: قال إنه أنزلنى بقصر السائس والآن أرى سائسك على المائدة فعرف يعقوب أن هذا ليس كلام أزهر ولم يقل شيئًا مطلقًا حتى رفعوا المائدة فأمرهم أن يأتوا بالثيران وأنزلوها فى القصر للمعركة، ولما قربوا رؤوسهم بإحكام قال لأزهر : انهض وافتح للثيران فنهض أزهر وأمسك بقرن ثور بيد وباليد الأخرى قرنًا آخر وأبعد كلاً منهما عن الآخر ثم قال اضرب فدفع ثور بعيدًا حتى وقع على جنبه فسحب (استل) السيف وضرب ثورًا آخر بالسيف فشطره شطرين، فتعجب الرسول (فبقى الرسول متعجبا) ثم قال يعقوب : إذا كان رجل الخيل (سائس الخيل) الذى تشاهده له حرمة عظيمة فلابد أن أجلسه على المائدة فإن مثل هذا الرجل ينفع وقد أنزلته فى قصرك وكان مبجلاً (وكان له تبجيل) إلا أنه ابن عمى وليس سائس الخيل ولكن من عادته أن يقول أشياء منافية (مخالفة) للحكمة (للعقل) ويقول متكلفًا (ويتحدث متكلفا) وأنا أعلم أنه عاقل وهو مستغن عن هذا الحديث فسر بذلك الرسول وخدم الأمير يعقوب وشكره، ولكن قصصه كثيرة فى الحروب والأوقات، ولكن فإن شرطنا فى أول الكتاب كان الاختصار حتى لا يمل القارئ إن شاء الله تعالى.

وعدنا ثانية إلى الحديث عن الأمير أبى الحسن

طاهر محمد عمرو بن الليث وحديث أخيه يعقوب

ففى يوم الجمعة لعشرة أيام مضت من المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين أسقطوا خطبة عمرو من المنابر جميعها ثم جعلوا الخطبة لطاهر ويعقوب فى هذا اليوم، وبايعوا أبا محمد المكتفى بالله من ذلك اليوم الذى مات فيه المعتضد (١) فعزم طاهر الرحيل إلى فارس وأرسل أحمد بن محمد بن الليث فى المقدمة مع عشرة آلاف فارس، ثم أرسل محمد بن عمرو الخوارزمى مع ثلاثين ألف فارس على ميكال على أنه وزيره، وجعل يعقوب بن محمد أخاه خليفة على سجستان، ولما وصل إلى كرمان وقعت معركة بين بلال بن الأزهر وبين الليث بن على، وعقد القادة الصلح بينهما ولم يتقبل بلال عظمة السبكرى وقيادته للجيش، وكان يخفى عن الجيش أنه كان قائدًا له، وكان بشير عاملاً (خليفة) من جهة أمير المؤمنين وعيسى بن الموثرى، ولما سمع طاهر الخبر مضى من هنا، ودخل طاهر بالجيش شيراز وجلس وقسَّم الأموال، وجعل النصف لفارس مال السبكرى وأخذ جيشه والنصف الآخر أخذه بلال بن الأزهر وجيشه وأرسل طاهر الليث بن على على المقدمة إلى برجان (٢)، وأراد أن يمضى على أثره، وكان يعطى الجيش اقتطاعات وهبات كثيرة وسر الجيش كله بهذه الإقطاعات والعطايا، إلا عبد الله ابن محمد بن ميكال وفورجة بن الحسن فإنهما أرادا عملاً واستخرج ثم وصلت رسالة

---

(١) يقول ابن الأثير: كانت وفاة المعتضد وجلوس المكتفى سنة ٢٨٩ هـ وفى العام نفسه توفى عمرو ابن الليث (ابن الأثير: الكامل جـ٧، ص ١٦٩)

(٢) برجان: كانت مكانًا فى ولاية أردشير خوره وكانت مركزًا وقصبة شيراز وقد ذكرها الإصطخرى (فرجان) ويوجد على حدود الروم مكان بهذا الاسم ولكن برجان هذه هى فرجان وقد ذكرت فى هذا الكتاب كثيرًا .

عبد الله بن محمد بن سليمان إلى طاهر على يد أبى النجم بدر الصغير، والرسالة هى أن أمير المؤمنين يريد أن تكون فارس له، فالصيد والخزانة وهذه الولايات كلها سلمت لك (يعنى كانت فى يدك) وهذا لا يوجب عليك أن تبخل عليه بهذا المال، ولما وصلت الرسالة ونزل بدر على باب شيراز، وجاء قوم ومضوا وفى النهاية قال بدر قولاً حسنًا بهذه الجملة التى قلتها وأقول إذا ما كان يهمك فارس أما أنت فاحفظ (فاحتفظ) بهذا الأمر حتى لا يقع خلاف فإنك توليت حديثًا، وفى النهاية اقتنع طاهر بكرمان ومكران وسجستان وخراسان وبدر بمعرفته أمر فارس (وبعد أن وجد بدر حديث فارس) عاد بالصلح فى شوال سنة تسع وثمانين ومائتين، وعندما وصل إلى سيرجان ترك هناك بلال بن الأزهر، ومضى إلى جيررفت وهناك سجن منصور بن جردين الذى كان عامل عمرو على كرمان وطالبه وأخذ منه مالاً كثيرًا ووصلت رسالة بدر بأمر فارس (بخصوص فارس) وأنا أضع الأمور فى نصابها، وأرسل طاهر فورجه بن الحسن إلى سجستان وبست مطالباتٍ بأموالها التى كانت بين على بن المعتضد وأبى محمد المكتفى ولم يكن بدر هذا طيبًا، ولما مضى بدر من فارس مضى طاهر إلى فارس بطريق آخر، وأرسل رسولاً إلى المكتفى وطلب فارس فأعطاها له المكتفي، وأرسل العهد ثم أرسل طاهر الليث بن على إلى برجان، وأرسل العمال فى مكان فى نواحى فارس، وشغل نفسه باللهو والصيد، وكانت الأمور كلها فى يد السبكرى وعبد الله بن محمد ميكال، وكان عبد الله يفعل هذا كله بأمر السبكرى، وقد أبدى بلال بن الأزهر مخالفته للسبكرى، فأمر طاهر بلال أن يمضى إلى سجستان فأخذ بلال ماله وأهله وغلمانه وجيشه وكل ما كان خاصاً به، وسلك طريق سجستان، ولما وصل إلى إصطخر فارس، أرسل طاهر يوسف بن يعقوب من خلفه حتى يحبسه هناك وأخذ ماله وحبسه فى قلعة محمد ابن واصل وجعل عبد الغفار بن حلبس حارسًا له (حاميًا له) وقتل بلال هناك (وهناك قتل بلال)، وأرسل طاهر فتح بن مقبل بالهدايا والمال الكثير إلى المكتفى، وعاد

طاهر وقدم سجستان مساء الأحد غرة رجب سنة إحدى وتسعين ومائتين، ولم يسمع لأحد مطلقاً بمقابلته (برؤيته)، وشغل نفسه باللهو والشراب ليل نهار وما استقبل المشايخ ولا الجيش، وكان يحب البغال والحمام، وكان يجمعها طوال اليوم، وكان يشاهدها، وأرسل شخصًا ليستدعى محمد بن خلف بن الليث، وجعله رئيسًا على القادة كلهم ، وكان يحبه وما كان يعقوب يصبر ساعة عن محمد بن خلف وزوج بنت أخيه محمد بن عمرو من محمد بن خلف، والحق أنه كان رجلاً تام العقل وكاملاً وهذا ما لم يعجب السبكرى، ووقع التعصب فى سجستان فى هذا الوقت بين الفريقين وقتل خلق كثير، وسموا فريقًا صدقى والآخر سمكى.

أول تعصب (خلاف) بين سمك وصدق

وكان سبب هذا أن أكثر ميل يعقوب كان إلى أصحاب الرأى وميل طاهر إلى أهل الحديث، أما سبب ذلك الاسم الذى وقع على الفريقين فكان بسبب أن مجنونًا ولد له ولد فى حال جنونه فقال أصحاب الرأى: إن هذا ولد زنا، وقال أبو يعقوب لأن عقد النكاح كان صحيحًا قبل جنونه، ولما صحح المسألة قال طاهر: صدق أبو يعقوب وكذب الحايكون، وبهذا أراد أن الذى لا يعرف شيئًا ويتكلم فيه فإنه يكون حائكًا، وأصل هذا التعصب وقع فى سجستان بين العرب؛ بين تميم وبكر، فطلبت جماعة هواء تميم، وطلبت جماعة أخرى هواء بكرى، وأصبح لتميم اسم صدقى وبكرى اسم لسمك حتى استصوب فورجة بن الحسن هذا فى النهاية.

ومضى طاهر إلى بست يوم الأحد لثمانية أيام بقين من ذى الحجة سنة إحدى وتسعين ومائتين، وجعل يعقوب خليفة على سجستان، ولم يجد أحد خلافًا بين

الأخوين فى الملك، ولم يخف فى المدينة أحد من الرعية، وكان ينبغى أن تقع فـــى هذه المملكة أحداث سيئة وكانا شابين[1]، وكانا يصرفان هـــذا كلـــه فـــى الأبنيـــة والبساتين واللهو والرغبات بحيث جاء شاعر عند يعقـــوب وأنـــشد (وقـــال) هـــذه الأبيات وأعطاه أربعة آلاف درهم وله على كل بيت من هذه الأبيات ألف درهم:

أتيت أبـــا يوســـــــف المرتجى

فأصبحـــــت من جـــــود الغنى

وكنت أمرا خايفـــا[2] فى الزمـــــان

فأصبحـــــت فى الأمن لمـــا أتى

وصيرنى ضيـــاء فى ضياء ونـــور

وقد كنت من قبله فى الـــــدجى

هو المـــلك الســـــيد المجـــتبى

به كل نـــــور الدنيـــــا بدا

فبدأت الأموال تنقص وضعفت الأعمال، وكثرت المؤن ووصلت الدولة إلـــى النهاية، ولم يأخذ طاهر فى هذا الوقت شيئًا من أحد، ولم يطلب من الرعيـــة مـــالاً فقال: لماذا أظلم الناس حتى استخدم كل ما هو موجود وليكن ما يكـــون وتمـــضى (تمر) الدنيا، أما التبذير فى النفقات والإسراف فى العطايا فكان يضع كثيـــرًا مـــن الحملان والطيور على المائدة والحلوى وأشياء كثيرة بحيث أن أحدًا من الحـــشم لا يستطيع الأكل، لدرجة أن الصبية كانوا يحملون المطبخ إلى الـــسوق ويطرحونـــه للبيع فكل شيء كانوا يشترونه بدينار، كانوا يبيعونه بدرهم فى السوق، وكان هذا غبنًا

---

(١) سقط سطر من المتن فى هذا الموضع مما أدى إلى عدم ترابط الجملة بما بعدها .

(٢) هكذا فى النص .

حتى نفذت هذه الأموال والكنوز كلها على جملة هذا، وكان له كثير مـــن البغـــال وكان يسقيها الماء المثلج، وكان الناس العقلاء كلهم يبتعدون عنه، وكانوا يـــسلمون عليه مرة فى الشهر والحمقى كانوا يجتهدون بملء بطونهم بالطعـــام ليـــل نهـــار، ومكث مدة فى بست على هذا، ثم عاد إلى سجستان ودام على هذا مدة، ثم توجـــه إلى بست يوم الثلاثاء لعشرة أيام بقين من شهر ربيع الأول سنة اثنتـــين وتـــسعين ومائتين، ودخل بست بعد مضى أخوى يعقوب إلى بست فى غرة ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأخلوا سجستان وانقطع الدخل من جهة السبكرى فما كان يرسل شيئًا قط من فارس وكرمان، ثم رجع طاهر ويعقوب إلى سجـــستان وقـــصد طاهر فارس يوم السبت من منتصف ربيع الآخر سنة اثنـــين وتـــسعين ومـــائتين واستخلف يعقوب على سجستان فمكث يعقوب مدة ثم قصد رخد يوم السبت لثمانية أيام بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائتين وجعل محمد بن خلـــف ابن الليث خليفة على سجستان وكان محمد رجل عمل عاقلاً وكان حزينًـــا علـــى الدوام من كل ما رأى، ولما أصبح الأمر فى يده أكرم الفريقين وقال: قولاً حـــسنًا ولا ينبغى التعصب فقد وقعت بنا محنة بعد فقد يعقـــوب وعمـــرو وهكـــذا الحـــال والخلافات التى ترونها فلا ينبغى أن يكون التعصب لكما يجب أن تتألفا فـــإذا مـــا كانت هذه الولايات كلها لكم فلن تبقى واحدة فى يدكم ولا يقع هذا فى يـــد الغـــراء والسفلى، وقبل الناس كلامه وانصرفوا على الخلاف وظهرت الألفة والمودة بـــين الناس، وعاد يعقوب من رخد، ودخل المدينة يوم الخميس لتسعة أيـــام بقـــين مـــن جمادى الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وكان مولود الأمير أبى جعفر أحمد بن محمـــد ابن خلف يوم الإثنين لأربعة أيام بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وفى الوقت الذى ولدت فيه أمه قالت إنه كان مفتوح اليد (الكف) وقالت امرأتان من أهل بيته: كل ما بقى فإنه يهبه للريح ويأكل ويعطى، ولكن لما وصل طاهر بالجيش لم يعجب مجيئه فراس السبكرى، وخشى أن يعزله من هناك، ثم أرسل السبكرى أحمد ابن محمد بن الليث لاستقباله وقال: أنت الآن قدمت ويطمع فيك الأوليـــاء وقـــادة

الجيش وكذلك أمير المؤمنين فى بغداد وهنا لا وجود لمال كثير حتى يكفـــى هـــذه الأعمال، وكان قد قال ينبغى بذل الجهد حتى يعود وحتى أنا أرسل المال والحمـــل ثم جاء أحمد عند طاهر، وقال هذا الكلام وعرف طاهر أنه يقول هذا على ســـبيل النصيحة والشفقة، ثم قبل هذا الكلام وكان له بذلك المنة وعاد سجـــستان، ودخلهـــا يوم الخميس لاثنى عشر يومًا مضين من شهر رمـــضان ســـنة اثنتـــين وثمـــانين ومائتين، واستولى على أموالها لينفقها فى غير وجهها (على متعتـــه) فـــى اللعـــب والبهجة ولم يهتم بالملك مع أن عقلاء الجيش كانوا خائفين من عاقبة هذا الأمـــر، وعرفوا أن المملكة لا تدوم طويلاً مع اللعب بالحمام والصقور وشرب الخمر ليـــل نهار والأخذ من الخزانة وعدم الوضع فيها، وكل شخص كان يعرف سره، وكـــان يقول بعضهم لبعض مثل إياس بن عبد الله الذى كان عظيم العرب وكـــان رجـــل عملاً حكيمًا عاقلاً، وكان قد خدم عمرو ويعقوب والمعتمد وكان موضع ثقة عندهم فطلب الإذن ومضى وقال: لقد أخذنا ملكنا بالسيف وأنت تريد أن تنال الملك باللهو، ولا يمكن أن يكون الملك بالهزل وينبغى أن يكون الملك بالعدل والسياسة والكـــلام والسوط والسيف، ولكنه لم يسمع هذا الكلام (لم ينتصح) وأذنوا له ومـــضى إلـــى كرمان، وكان قد جعل أحمد بن محمد بن سليمان وأحمد بن إسماعيل القـــرنين [1] وكيلاً له، ولم يبق فى الخزانة مال من الذهب والفضة فقد استخدمه (أخـــذه) كلـــه، وأعطى وبسطوا يدهم فى بيع الأوانى وصنعوا (وضربوا) مـــن الـــذهب والفـــضة الدرهم والدينار، واستخدموها فى الطعام وإقامة الأبنية وشراء البغـــال والخيـــول، وهذا كله لم يكن موجودًا وأعطى (وأمر) طاهر عشرين أمرًا، وأقاموا تسع قبـــاب وزرعوا البساتين حول هذه القباب والميادين وقد (نفد) المال فى هذا كما أقاموا فى بست خضراء على باب الديوان فى طرف الميدان وأنفق فيها مالاً، وأقـــام قـــصرًا (جوسقًا) آخر فى بست على حافة نهر هيرمند بالقرب من الجسر (الكوبرى)، وفى

---

(١) قرنين كانت قرية تابعة لكفر سند التابعة لمدينة زرنج على طريق بست وقد ظهر أولاد الليث الـــصفار من هذه القرية .

سجستان أقام قصر أبى الحسنى وقد أقام هذه القصوركلها بالمال (بالــدرهم)، ولــم يطلب من أحد المساعدة (ينضم إليه) وكذلك فى النفقات التى لــم تكــن لازمــة والعطايا التى كان يعطيها بلا مناسبة وأعطى ما لم يجب أن يعطى ولم يعــط مــا يلزم إعطاؤه وفى سنة أربع وتسعين ومائتين أرسل يابس الخادم إلى بــست وقــدم لطاهر الشغل، وأرسل السبكرى الليث بن على إلى مكران، وأعطاه ذلــك العمــل وأرسل إليه الرجال والسلاح، ولما مضى إلى هناك أعطاه عيسى بن معدان مــال ثلاث سنوات، وأعاده وأعطاه الأموال والهدايا الكثيرة، وقال إن هذا مكان ضــيق ووجود الجيش هنا يسبب القحط وإنما أعطى المال وينبغى أن يعود الليــث وجــاء (وقدم) جيرفت) وبقائى هنا قد أخذت مكانه، ثم قدم السبكرى جيرفت وقــال: لــم يكن شيئًا ولا ينبغى أن نترك مكران فى يده ولا ينبغى أن نعود بلا مال وأعطــى جيرفت لأحمد بن محمد بن الليث، وقال الليث بن على ينبغى أن يكــون لمكــران طريق آخر، ثم مضى الليث مع السبكرى إلى فارس وترك هناك ابنًا له، ثــم قــدم جيرفت، وكان قد مكث بها حتى ذى الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين، ومن هنــا مضى إلى بم وكان معه (أخذ معه) كل من منصور بن حزدين وفور، وأخذ مالهــا وقتل منصورًا ومضى إلى سيرجان وقتل عبد الله بن بحر وأخذ ماله، وجاء الخبر إلى السبكرى فأرسل الجيش لمحاربة الليث على، ولم يساعدوا جيشه وحارب وحده وهرب فورجة فى يوم الحرب ومضى عند السبكرى وقدم الليث خوخ [1] وأرســل طاهر إليه المال واستقام (أصلح) حاله وأكثر مــن الــشكوى عنــد طــاهر مــن السبكرى، وبعد ذلك لم يكن لأى شخص مطلقًا خبر حتى جاء الليث على إلى ابنــه مع قليل من الرجال، إلا أنه كان يملك مالاً كثيرًا فى المحرم سنة خمس وتــسعين ومائتين.

---

(١) خوخ وخان خوخ جزء من كرمان، وخوخ اسم محلة من المحلات التى كانت متصلة بزرنج.

تولى أبى جعفر المقتدر بالله

الخلافة ستة وتسعين ومائتين

ولما مات أبو محمد المكتفى بالله بمدينة السلم فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين، وتولى المقتدر وكان أخا المكتفى بالله وأرسل المقتدر عهد العمل إلى طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على هذه الأعمال وأعطى طاهرًا خلعه لمن جاء بالعهد وأرسل مالاً كثيرًا إلى المقتدر.

وكان فى بست، ووصل الخبر طاهرًا أن الليث بن على جاء إلا أنه خرج فى الحال إلى سجستان ومعه على بن الحسن الدرهمى وأحمد بن سمى وساقه (طرده) القادة الآخرون حتى نزل فى قوقة (والقادة الآخرون طردهم جميعاً حتى نزلوا فى قوقة)، وكان مع الليث بن على مائة وخمسون رجلاً وقال: إن معى جيشًا كبيرًا وكانت الرسائل متصلة بينهم على الدوام وقال الليث أتيت لخدمتك على الدوام وأرسل المال فى السر إلى قادة طاهر ولم يكن لطاهر خبر قط حتى مضى من نية ونزل فى سجستان يوم الاثنين لثمانية أيام بقين من صفر سنة ست وتسعين ومائتين.

مجىء الليث بن على إلى سجستان ودخوله المدينة

وجاء مباشرة إلى ميدان قصر (جوسق) يعقوب، وكان يعقوب فى القصر، ولم يسمحوا لرجال يعقوب بدخول القصر، ومن على السطح ألقوا (ضربوا) الحجارة على رؤوس إصطبل الليث، فتحطمت رأسه، وعاد الليث وهو محطم

الرأس من باب المدينة الذى أقاموه حديثًا، ومضى إلى فارس ومضى إلى مسجد الجمعة ونزل هناك وأمر بفتح أبواب المدينة المحصنة، وقد تعب هو وأعوانه تعبًا شديدًا، وكان قد قدم من نيه ليلاً وفى اليوم التالى حتى موعد صلاة العصر وقد ساعده أهل المدينة ومالوا إليه (طلبوا هواه) وقد عرف طاهر خبره فوصل على أثره واستولى على ما حول المدينة، وأرسل يعقوب أخاه إلى در طعام وأحمد بن سمى إلى باب فارس ومازن بن محمد إلى بابكركوى وعلى بن حسن الدرهمى إلى باب نيشك وحفروا على رأس كل كورة [1] خندقًا، وأقاموا جدارًا على حافة كل خندق ووضع على بن الليث المنجنيقات على السور، وحارب وأرسل طاهر رسالة إلى السبكرى أن أرسل لى مددًا، وأرسل السبكرى عبد الله بن محمد القتال وقدم فورجة بن الحسن سجستان مع جيش وحاربوا (وقامت الحرب)، وكان لطاهر فى كل يوم خمسة آلاف درهم نفقات خاصة إلى مكان يوزعه على الجيش وعلى أبواب المدينة وكان يضرب (يوزع) الدرهم والدينار من الأوانى التى كانت فى الخزائن وكان يوزع على أبواب المدينة الدرهم والدينار والأوانى التى كانت فى (الخزائن) وأرسل السبكرى مالاً قليلاً إليه ولم يكن له دخل من جهة أخرى فاتفقت (اتحدت) قلوب الناس لأنه كان يملك (عنده) الدرهم والدينار والجواهر الكثيرة، وأعطى الناس واتحد أهل الربض مع أهل المدينة، وفى الحقيقة لم يبق أحد من الجيش ومن الرعية متعلقًا بطاهر لأنه لم يهتم (يلتفت) إلى الليث ماعدا محمد ابن خلف بن الليث وأحمد بن سمى، ثم علم طاهر بهذه الأحاديث، وقد أشار على علىّ بن الحسن الدرهمى أن يصطلح مع الليث وعلى هذا تركه يمضى إلى بست ونعطيه عمل رخد بست، وقد وافق على هذا الأمر كل من قتال وعلى بن الحسن الدرهمى والليث على وقد بالغوا (كبروا) فى حديث الليث عند طاهر فسر بهذا، ولما عرف قتال مضى هو والقادة ليلاً وما كان لطاهر علم بهذا، وفى اليوم التالى بقى طاهر مع قليل من الجيش واستدعى على بن الحسن الدرهمى، وأرسله إلى الليث بناء على الخطة التى دبروها وأجابه الليث، وفى اليوم الآخر حفروا الخنادق وفتحت أبواب المدينة يوم الجمعة لستة أيام بقين من جمادى الآخر سنة ست

---

(١) كورة: لها عدة معان والمراد بها هنا الروابى والأكام من التراب أو المكان الذى انقطع عنه الماء .

وتسعين ومائتين، ثم أمر طاهر القادة جميعًا أن يمضوا لمقابلة على للسلام ولكن الليث لم يسمح لأى شخص قط من المدينة ومن الجيش أن يمضى إلى طاهر، وكان قد مضى معدل بن على من سجستان لجمع الجيش والرجال، وكان قد أرسل طاهر فضل بن العنبر ليطلبه (فى طلبه)، وجاء به أسيرًا واعتقله وتصالحوا (أبرموا) الصلح فى هذا اليوم وفتحوا باب المدينة وأخرجه طاهر وخلع عليه وحمله (أركبه) وأرسله إلى أخيه حتى اجتمعوا جميعًا فى المدينة، وأرسل طاهر الحجاب ليمضيا إلى بست، كما كان قد كلف على حسن بهذا الأمر وقد اعتذر الليث متعللاً بأنه ليس آمنًا على نفسه، كى يخرج، ثم عرف طاهر أن الناس جميعًا اتحدوا معه ومعظم رجال الجيش، فعزم أن يمضى من سجستان وحمل ماله وعياله فقال: أخو يعقوب لا ينبغى المضي، ولما كان يوم الأربعاء لأحد عشر يومًا بقين من جمادى الآخر سنة ستة وتسعين ومائتين، فقد آوى (أجلس) يعقوب بن الحسن الدرهمى وقال: كلامًا جافيًا (قبيحًا) ثم قصد الحرب مع الليث بن على وفى النهاية وجد طاهر ويعقوب الخذلان حتى خرجا من المدينة إلى باب طعام وأحرقوا محلة باب طعام وسوقه ومضوا إلى كركوى ومن هناك مضوا إلى بنة ليمضوا عند السبكرى.

خروج طاهر ويعقوب ابنى محمد عمرو بن الليث
من سجستان دفعة واحدة

ولما مضى، أخرج الليث من المدينة وأغار على بيوتهم ومعه الغوغاء فى مكان واحد، وقد سموه فى ذلك اليوم شير لبادة لأنه كان يرتدى لبادة [1] حمراء

(١) اللبادة : ما يلبس للمطر يقول الطبرى: كان محمد بن كثير فى حرب دير العاقول، وقد قتل وهو فى ركاب يعقوب كان معروفًا بلباره (من تعليقات بهار) .

وجاء الجيش وقادة طاهر جميعًا عند الليث وكان قائدهم (رائدهم) على بن حسن الدرهمى واستقام عمل سجستان إلى الليث واستولى على خزائن طاهر وقرر لذوى قرباه (لحرمه) أجرًا ولم يترك أحدًا يدخل فى قصر الحرم (الحريم) وأقام (وجلس) فى قصر يوم الخميس ليومين بقيا من جمادى الآخر سنة ست وتسعين ومائتين.

تولى الليث بن عليّ على الإمارة

وهو الذى يسمى شير لبادة

وخطبوا له يوم الجمعة فى سجستان وفراة وكش وبست، وخطب له محمد ابن زهير شهمود، فقد كان هناك عاملاً من قبل طاهر، وعاد فورجة بن الحسين بمال كثير وجواهر وفيرة من عند طاهر، وكتب رسالة وأرسل جمازه إلى طاهر واستحلفه بالله فى عدة أماكن ألا يمضى إلى السبكرى ولا أن يعتمد عليه لأنه ليس وافيًا لك، ودبر أمره فيما يتعلق بأمير المؤمنين وضمنه على أن يسجنك ويرسلك إليه، ومضى بنفسه وتوجه إلى رخد كما عاد أحمد بن سمى، وتوجه إلى أرض داور، ثم تبين لطاهر ويعقوب أن هذا الكلام صحيح حتى دبروا لمحاربة السبكرى، وكان معهم مجموعة من القادة، ومضى طاهر لحرب السبكرى وجبى الليث ابن عليّ الأموال هنا فى سجستان، وأرسل العمال فى كل جهة، وعرف السبكرى الخبر أيضًا فأرسل جيشًا يوم السبت لأحد عشر يومًا مضت من شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين، فوصلت الجيوش، وكان السبكرى قد أرسل أموالاً كثيرة ورسائل فى الخفاء إلى قادة طاهر، وكان قد قال إن هؤلاء أبنائى وليس أحد أجدر منهم قط بالعبودية وأن يكون لهم عبد منى أما هؤلاء فلن يكون لهم الملك وليست لهم همة هذا فقد جمع يعقوب الخزائن والمال وبذرها عمر (أنفقها عمر)، والآن

بقيت الروح لنا ولهم، ونحن نبقى وهم لا يبقون، وأنتم ترون أنهم جعلوا سجستان بيتًا له ولأهله وأولاده عند خادم لهم ومضوا، والآن هم فى شكوه وأنـا أرى مـن الصواب أننا نجعلهم (نقيمهم) فى مكان ونضع السيف على العنـق ونحـن نملـك خبزهم وخبزنا (رزقهم ورزقنا) حتى لا تزيد حمـاقتهم علينـا وإذا أخـذهم أحـد واحتقرهم (يحتقرهم) فهذا ضعف علينا (لنا) ولما رأى الجيش ضـعفهم ووصـلهم دينار البيعة صمتوا حتى سجنوهم، وأرسل السبكرى كليهما إلى بغـداد، ثـم جـاء الخبر إلى سجستان فحزن الناس جميعهم خاصهم وعامهم وتأسفوا كما بكى الليـث ابن على بكاء مريرًا، وقال لا دفع لقضاء الله تعالى ويعلم الله تعالى أنى برئ مـن ذنبهم هذا، وأنهم لم يعتمـدوا علىَّ وقد عرضت نفسى ولم يقبلوا ثم ذكر محمـد ابن وصيف السجزى هذه الأبيات.

كانت ممـلكة وأصبحـت مترامية الأطـراف

وقد أصبح عمرو رأسًا (رئيسًا) على هذه الممـلكة

من حدود الهـند إلى حـدود الصين والترك

ومن حد بلاد الزنج إلى حدود الروم ومملكة العرش

وأصبح الرأس ذنبًا (ذيلاً) وانتهـت المملكة

وأصبـح الذهـب من النحـس نحـاسًا

واآسـفاه لقـد خسـفت دولة يعقوب

وبقيـت العقـوبـة على حواس أعقـابهم

مضـى عمـرو وعمـر وتبقى منهما

مذهـب الثعـلب للجـيل والأحفـاد

واحزنـــاه فقد جـــــاء ومضـــــى الســــــرور

وقـــــد امتـــــلأ قلـــبــى من ذلك بالرعـــب

إن كل مــــا صـــــنعاه ســــوف نشـــاهده

فـــلا جــــدوى من الاحـــتراس من القضـــاء

إن كل النـــــاس أصبـــــحوا نســــناسًــا

والنـــســــنـــاس أصــــبح نـــــاسًا

يــــدور الفـــــلك كالطـــــاحـــــونة

فلا شك فى أن هـــذا الأســـاس كانت تصنعه الطــاحونة

المــــلك لا ينـــتـــســــب إلى الهــــزل

وإن النـــــور لا يقتبــــس من الظـــــلام

فينبغى ليعقـــــوب الجـــــهد والجــــــد

حتــــــى يخرج إيـــــاس عن الجــــــادة

ولما انتقل الخبر إلى زابلستان وقع هناك الاضطراب فقد قالوا: نحــن علــى عهد طاهر ولا نطيع مخالفيه، ثم أرسل الليث على معدل أخاه إلى هنـــاك ليطلــب غالب أخ السبكرى ثم قام بحلية وقبض عليه وسجنه، وأرســله إلــى الليــث فــى سجستان، ومن هناك قدم إلى غزنين وقتل سخجك وأخذ مالــه، واجتمــع جــيش سخجك ولم يجدوا معدل فى غزنين حتى جـــاء الخبر إلى الليث بن على فأرســل ابن الحسن وفورجة بن الحسن وأحمد بن سمى بجيش عظيم لمواجهة الأمر هناك، ولما مضوا وأتموا هذا العمل بالصلح رجع معدل وعلى بن الحسن الدرهمى إلــى

سجستان فی شهر ربیع الأول سنة سبع وثمانين ومائتين، وكثرت الأمــوال علــى الليث بن على من بست ورخد وكابل، وكان الليث يعطى المرتبات والعطايا والتف الجيش حوله وأعلن العصيان (الخلاف) على السبكرى وقال: وأمر أن يذكر علــى المنابر سوء فعل السبكرى وعدم وفائه لأبناء سارته، وأظهر حجته للعام والخاص فيما يتعلق بسبب حربه له، وكان ابن الليث فى يد السبكرى كما كان يريد أن يطلق سراحه وجمع الجيش وقصد فارس.

ذهاب شير لبادة لحرب السبكرى فى فارس

ومضى يوم الأربعاء فى منتصف جمادى الآخر سنة سبع وتسعين ومـــائتين مع سبعة آلاف فارس، واستخلف أخاه محمد بن على على سجستان، ولما وصـــل إلى بم، وكان جيش عبد الله بن محمد القتال يقترب منه ومضى عبد الله بنفسه إلى السبكرى، وكان واليًا على بم من جهة السبكرى، ومكث الليث بن على أحد عــشر يومًا فى بم ومنها مضى إلى خناب، وجاء السبكرى بجيشه (بمعسكره) إلى برنــدة ومضى الليث من خناب [1] إلى برندة وواجه كل منهما الآخر فى يوم السبت لسبعة أيام مضت من شعبان، وتحاربوا فى يوم الإثنين، وكانت الحرب غاية فـــى الــشدة ومضى السبكرى منهزمًا والليث على مضى إلى إصطخر يوم الأحد لثلاثة عــشر يومًا مضوا من رمضان وكان ابن الليث هناك محبوسًا فى قلعة محمد بن واصـــل، وأرسل الحاكم ابنه إلى الليث ومضى الليث من هناك إلى شيراز لخمسة أيام بقــين من شهر رمضان وهيأ (جهز) جيشه بالقرب من (طاحونة) محمد بن الليث وأقام

(١) خناب ضبطها الإصطخرى خناب ويقول: بين خناب وسيرجان ثلاث مراحل وبين خناب وبـم أربـع مراحل وهذه المراحل بسيطة فى الغالب .

الديوان، وجبى الأموال والخراج، وأرسل معدل أخاه إلى نوبندجان [1] وكان وزير المقتدر فى ذلك الوقت على بن محمد الفرات، وأرسل الليث رسالة إلى الوزير قائلاً لم أحضر لطلب الولاية وجئت طالبًا السبكرى ورد الوزير على الرسالة قائلاً: إن السبكرى عبدك ولكن لا ينبغى تخريب ولاية السلطان حتى تأتى لطلب عبدك، ومضى الليث من شيراز يوم السبت لستة أيام مضت من شوال، واستخلف محمد ابن زهير هناك ومن هناك مضى إلى برجان يوم الخميس لخمسة أيام بقين من شوال وكان مؤنس الخادم هناك بجيش للمقتدر وقد اتحد به السبكرى، وكان بدر الصغير مع الجيش، وكانت رسالة المقتدر وصلت بدر أن امض إلى شيراز، ووصل الخبر الليث بن على فأرسل أحمد بن سمن بمدد إلى محمد بن زهير فى شيراز ودامت (اتصلت) الرسائل بين الليث ومونس، وجاء بدر إلى إصطخر وخرج محمد بن زهير لمحاربة ابن زهير ، وقامت الحرب، وانهزم محمد ابن الزهير ليوم باق من ذى الحجة والسلام.

ثم صالح عبد الله بن إبراهيم المسمعى الليث بن على ومونس على أن يعود الليث بن على إلى فارس، ولم يستحسن هذا السبكرى، وقال أنا أحارب بنفسى ولا أطلب العون منكم ووقع الصلح، ولما سمع الليث خبر محمد بن زهير عاد من طريق ضيّق وعر بين الجبال، وتعب الجيش كثير فى هذا الطريق، وجاء فى إثرهم عبد الله بن محمد القتال بجيش قليل وكثيرًا من الأبواق والطبول، وهرب كثير من أتباع الليث بن على من أصوات هذه الطبول والأبواق وقالوا: لعله جيش كبير، وجاء مؤنس من طريق مستقيم والسبكرى على مقدمته حتى تواجه الجيشان يوم الأحد من غرة المحرم سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقامت حرب عنيفة، وقتل خلق كثير من الجيش، وانهزم أتباع الليث بن على، ولكنه لم يهزم وحارب وقتل

---

(١) نوبندجان كانت مركز كورة شابور وتتبعها كازرون .

كثـيرًا من المبارزين حتى لم يبـق في يده سـلاح وأسـر [1] وقبض على عليّ ابن حمويه وعلى عدة من جيشه، وأغاروا على ماله وأتباعه، ومضى معدل أخـوه مع فوج من الجيش إلى نيسابور، ومضى أحمد بن سمن إلى الـسبكرى، وحملـوا الليث بن على إلى بغداد، وبقى محبوسًا هناك، وعاد السبكرى إلى شـيراز ومعـه معظم جيش الليث بن على، ومضى معدل من نيثابور إلى كرمان وأخذ مالاً مـن كرمان، ولما جاء خبر اعتقال الليث بن على إلى سجستان استدعى أهلها محمـد ابن الليث، وقال قولاً حسنًا وقال: لقد وقع القضاء والآن ماذا ترون الصواب وكان أبو على محمد بن الليث رجلاً كافيًا وسخيًا ووفيًا كما كانوا يقولون: إن فيه جـود حاتم ووفاء سموءل بن عاد وشجاع كعمرو بن معـدى كرب وكان فيه مـن كـل فضل وأدب.

تولية أبى على محمد بن على الليث إمارة سجستان فى يوم الأحد غرة المحرم سنة ثمان وتسعين ومائتين

فاتفق الناس عليه وبايعوه وأخذ خزائن أخيه، وكان يعطـى الأرزاق للجنـد وكان يعطى الهبات وأخذ إصبطل الخيل والمركبات وما كان كله واسـتقرت لـه الأمور كما يقول الشاعر:

---

(١) يقول ابن الأثير إن هذه الموقعة كانت عام سنة ٢٩٧ هـ حيث أغار السبكرى ومؤنس علـى أرجـان وأراد الليث أن يخرج لمحاربتهما وجاء الخبر أن الحسين بن حمدان قدم من قم لمواجهته فدخل بيـضا فارس ومضى الليث فى طلبه من طريق صعب وقد نفقت معظم دوابه والتقى فجأة بجيش مؤنس وأسر الليث فى هذه الحرب (ابن الأثير جـ٨، ص ١٨) .

ألا إن الأمـــير أبا عـــــلى علا فعلا إلى أعلى الســماء
هو الملك الذى يحيى المـعالى بإفناء العــداة وبالسخاء
لقد برع الأنام بجـــود كف كما فــاق الـتبرية بالبــهاء

ثم أغار معدل على كرمان كلها، واستولى على المال، ومضى إلى سجستان بمال بلا حد ومضى عند أخيه ورعى جانبه، ثم خاف أن يطمع فى الولاية فسجنه معدل وأرسله إلى أرك، ووكل به حارسًا وأرسل إليه كل يوم ما يلزمه، وأرسل إليه ندماءه والمطرين والجوارى والغلمان، وقال قل ما شئت وأنا أفعل هذا حتى لا تقوم الفتنة فالأمن لا ينبغى أن نبقى فقد ظهر خلاف وخطبوا لمحمد بن على ابن الليث فى سجستان وبست وكابل وغزنين، وبعد أن حملوا الليث بن على إلى بغداد وتعدون السبكرى من جملة عبيد المقتدر كتب المقتدر رسالة إلى أحمد ابن إسماعيل ابن أحمد صاحب بلاد ما وراء النهر وخراسان (١) وأرسل له عهد سجستان وأمره أن يرسل جيشًا إلى سجستان، وأرسل أحمد بن إسماعيل حسين ابن على بن الحسين المروردى إلى هناك قائدًا للجيش.

وأرسل ابن أخته معه بجماعة من الجيش، ولم يكن لمحمد بن على بن الليث تجربة فى هذه الأعمال وكان الجيش مجهزًا مع حسين، وجمع محمد بن على ابن الليث جيشًا عظيمًا من الفرسان والمشاة والقرويين، ولم يكن موجودًا فى القصبة حتى جاء إلى باب المدينة، ومضى واستقبله فى طريقه، وهناك بدأت الحرب واستخلف أحمد بن محمد بن عمرو الذى كانوا يسمونه (الجد) على المدينة وكان هذا يوم السبت لأحد عشر يوماً بقين من جمادى الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين، وهناك حاربوا حروبًا كثيرة فى كل يوم حتى يوم الخميس لثلاثة أيام مضت من

(١) يشير المؤلف إلى بداية ظهور الدولة السامانية على مسرح الأحداث

شهر رجب، وقتل خلق كثير من الفريقين كل يوم، ولما كان يوم الخميس وأطلق أعوان حسين بن على جميعهم السهام معًا ولم يحاربوا بسلاح آخر وأطلقوا سهامًا صعبة كالمطر وتمادوا فى الرمى بالسهام وأغاروا بحملات شديدة وانهزمت هذه الأفواج من الخلق، ولما رأى الجيش الهزيمة مضى هاربًا حتى قتل من هذه الشرائم حوالى ثلاثة آلاف رجل، ودخل محمد بن على المدينة يوم الجمعة، ودبر مع الناس فيما يجب أن يعمل، واتفقوا فى النهاية على أنه يجب إطلاق سراح الأخ حتى تقوى به يدك فأطلق سراح الأخ، وقال له كثيرًا من القول والفعل الحسن، فقال له أخوه ينبغى لك أن تحتفظ بالقصبة حتى أحافظ على المدينة فقال الأخ : هذا جميل فنزل حتى يحافظ على القصبة وفى الحال فزع أخوه معدل بن على الطبل واستولى على أبواب المدينة وأظهر الخلاف على أخيه ولما كان الحال هكذا علم محمد أنه لا يمكن محاربة عدوين فى وقت واحد ومضى اليوم السابع من الشهر ومضى إلى بست عن طريق كش.

فرار محمد بن على منهزمًا أمام جيش أمير خراسان

ولما مضى إلى بست ظلم الناس وأغار عليهم وقتلهم، وعذب الناس وأخذ أموالهم بألوان العذاب، وقبل ذهاب محمد بن على إلى بست، وكان قد خرج رجل من بست كانوا يقولون له إبراهيم بن يوسف العريف، وخرج يوم الجمعة وكحل عينيه، وكان يرتدى ثوبًا سيئًا، وصاح والتف حوله مجموعة من الأطفال والغوغاء وسلم الدواوين والخزائن والغلات، واجتمع حوله قوم كثير، وصعد المنبر وخطب لأحمد بن إسماعيل، وعمل عملاً لم يكن أحد فعله من قبل، ومضى وكبر شأنه ووقعت فى يده خيول كثيرة، وكان يركب كل يوم مع أطفال كثيرين أحرار لا عمل

لهم ولم يحاربوا قط، وبعد أن سمع فتح بن مقبل خبره قدم من أرداور للهجوم، وخرج إبراهيم لحربه، وهناك حاربوا حربًا عنيفة، وقتل خلق كثير وهزموا أتباع إبراهيم وجلس وسط الصحراء، وكلما بحثوا عنه لم يجدوه، ومضى أتباعه، ومنذ ذلك اليوم لم يذكر أحد مطلقًا خبر إبراهيم ولا يعلم أحد أين مضى، ودخل فتح بست، ولما جاء محمد على إلى بست اتحد معه فتح فى الإغارة وسلب المال، ومضى الناس إلى الربط وإلا ما كانت المباركة وكانوا يدعون لعلهم يجدون فرجًا من جورهم حتى نهضوا ذات يوم فى الصباح ولم يكن لأحد قط وفى الصباح ارتفعت أصوات الطبول من ناحية حاربان [١] وكان أحمد بن اسماعيل موجودًا حيث كان قد مضى من هراة ليأتى إلى سجستان، وسمع خبر بست فى فراة حيث ماذا يفعل بشأن ما يفعله محمد بن على هناك فطوى الطريق، ونظر الناس ورأوا القلانس السود فسعد الناس حينئذ أن جيش خراسان كان عادلاً، ولما وصل الخبر إلى محمد بن على فأمر فى الحال أن يرفعوا جسر بست وكان الماء كثيرًا وسلك طريق الفرار مع الجيش الذى كان معه وترك أهل بولان أحمد واسماعيل وجيشه ودخل بست.

(دخول أحمد بن اسماعيل بست وحبس محمد بن على الليث) وبعد دخول أحمد بن اسماعيل أرسل حسين بن مت [٢] مع فوج من الفرسان لطلب محمد بن على ووصلوا إليه فى رخد وقبضوا عليه وحبسوه وأحضروه إلى بست، ونزل أحمد بن إسماعيل على ضفة نهر هيرمند وأقام العدل والسيرة الحسنة بين المسلمين وأعاد اليهم المال كله والأملاك، وأعطى حاتم بن عبد الله الشاسى ولاية بست وكان حاتم هذا رجلاً مسلمًا عادلاً وجدد سيرة المصطفى (ﷺ) بين الناس وهناك

---

(١) يقول الإصطخرى : بين بست وهراة مكان باسم خاستان وجامان .

(٢) يذكره ابن الأثير على أنه محمد بن حسين بن مت .

أعطى أحمد بن إسماعيل أربعة رواتب للجيش وأراد بذلك أن يكثر المال فى بست حتى يستطيع الناس أن يشتروا كل شيء بالمال حتى القش والحطب، ثم أمر بإعادة السلع كلها التى أخذها محمد بن على من الناس إلى أصحابها، وكل ما تعرف عليه الناس أخذوه وأعادوه، ومكث فى بست خمسة وثمانين يومًا، ولم يروا شيئًا قط فى جيشه إلا أداء صلاة الليل والصيام والاجتماع وأذان الصلاة وقراءة القرآن، وتحصن هناك فى سجستان معدل بن على، ونزل حسين بن على مع الجيش فى حاسباد على باب كركوى يوم السبت لاثنى عشر يومًا من رجب سنة ثمان وتسعين ومائتين، ووضع معدل المنجنيقات، وبدأت الحرب، وأول ما بدأت على أهل المدينة، وأطلقت يد العيارين فى الرعية، ثم دخل حسين بن على إلى ربض فى باب آكار، وكان سيمجور مولى اسماعيل بن أحمد فى جوسق يعقوب يوم الخميس ليومين مضيا من شعبان، وكان باب فارس مفتوحًا ومضى الناس إلى المدينة ونزلوا بها وحملوا ما يحتاجونه كله إلى الحصن حتى يوم الثلاثاء لثلاثة أيام بقين من شعبان نزل حسين بن على أيضًا على هذا الباب، ووصل الخبر أن أحمد ابن إسماعيل مضى إلى بست وقبض على محمد بن على، ولما سمع معدل هذا ضاق قلبه (استاء) وعرض الصلح وأدخل كثير من أحمد بن شهفور ومشايخ المدينة فى الأمر وبعده عقدوا الصلح وأقسموا فيما بينهم وعزل معدل من المدينة عند حسين ابن على يوم الخميس لليلة مضت من ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين، وسار سيمجور إلى المدينة، واقتلعوا أبوابها وثقبوا الأسوار، وأحرقوا خشب هذه المنجنيقات، وكان قبل هذا بشهرين أعطى أحمد بن إسماعيل عهد سجستان إلى سيمجور وانقضى أمر سجستان.

زوال ولاية سجستان عن آل يعقوب وعمرو
والخطبة (للسامانيين)

وفى يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين، وبعد تولى سيمجور الإمارة مضى أحمد بن إسماعيل من بست، ولم يـأت إلـى سجـستان، وأرسل رسالة إلى حسين بن على المروروذى قائلاً لمعد (ارجع) وأحـضر معـك معدل بن على إلى هراة، وحمل أحمد بن إسماعيل محمد بن على معه مـن بـست إلى هراة، ثم أرسل أحمد بن إسماعيل معدل بن على مـن هـراة إلـى بخـارى، وأعطى رجاله الرواتب وأمر له بصفة خاصة كل شهر بثلاثة آلاف درهم، حتـى فعل هذا إلى أن جاءت رسالة أمير المؤمنين المقتدر إلى أحمد بـن إسـماعيل أن أرسل محمد بن على إلىَّ، ثم أرسل محمـد بن على إلى بغـداد، ثم أعطى أحمـد ابن إسماعيل عمل سجستان إلى أبى صالح منصور بن إسحاق بن عمه [1]، وجـاء أبو صالح يوم الخميس لاثنى عشر يومًا مضت من ربيع الأول سنة تسع وتـسعين ومائتين.

حديث السبكرى

أما حديث السبكرى، فقد جاءت رسالة على بن محمـد بـن الفـرات إلـى السبكرى الذى كان قد دعاه (استدعاه) إلى مدينة السـلام وكـان عيـال ومتـاع

---

(١) هو أبو صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد السامانى وأبوه إسحاق الذى أخذ لنفسه البيعـة فـى أوائل إمارة نصر بن أحمد فى سمرقند وثار أبو صالح فى نيسابور واستولى على بعض مدن خراسان.

السبكرى رهائن عند محمد بن جعفر العبرتانى وجاءت رسالة إلى بدر [1] من على ابن الفرات محتواها كن فى شيراز مع الجيش، ولم يعجب السبكرى ذهابه إلى المقتدر فكتب رسالة وجعل الخطبة وعمل فارس وكرمان وسجستان، وأرسل مالاً كثيرًا، وأعطى محمد بن العبرتانى مائتى آلف دينار حتى يعتنى بعمل السبكرى فى كتابة الرسائل، وضمن للمقتدر أن يدفع كل سنة ثلاثة عشر حمل ألف ألف درهم من هذه المنطقة، ثم جاء بالعهد والمنشور، وكان للسبكرى وعياله يد فى هذا، وكان هذا كله بتدبير من عبد الله بن محمد بن ميكال، ثم مات عبد الله بن محمد بن ميكال فى برجان وعين السبكرى إسماعيل بن إبراهيم البمى وزيرًا وعامله بالمدارة .... وعبد الله بن محمد بن ميكال، وكانت مدة وجاء طلب المال من السبكرى وعلم السبكرى أنه لا يمكن تحصيل هذا المال، فظلم الناس وصادر أموالهم حتى جمع عشرة آلاف ألف درهم، ولما كان هذا فقد جاء جيش المقتدر عند باب شيراز لحرب السبكرى، ومضى السبكرى منهزمًا من شيراز يوم السبت لأربعة أيام بقين من ذى الحجة سنة تسع وثمانين ومائتين.

انهزام السبكرى

وجاء السبكرى إلى سيرجان (كرمان)، ومن هناك جاء إلى بم وجاء الجيش على أثره وحذر السبكرى محدقًا حول بم، وأبرم الصلح كى يعود الجيش، وقالوا

---

(١) لم يذكر ابن الأثير بدر هذا ولكنه يقول: لما علم ابن الفرات أن مؤنس كان له ميل فى السراء إلى السبكرى أرسل وصيف الكاتب وجماعة من القواد بالاتفاق مع محمد للقبض على السبكرى فى فارس وكتب إلى مؤنس رسالة أن الليث الذى كان أسيرًا أحضره إلى بغداد معك وحارب محمد السبكرى وفى إحدى الحروب التى وقعت على باب بم كرمان لحقت الهزيمة بالسبكرى (ابن الأثير ج ٨ ص ١٩)

يجب أن نمضى إلى العتبة، ثم وقعت الحرب يوم الجمعة لأربعة أيام مضت من ذى الحجة، ومضى السبكرى منهزمًا، وأسروا عبد الله بن محمد القتال ومحمد بن خلف ابن الليث وجماعة عظيمة من القادة، وجاء السبكرى عن طريق جهرة إلى سفه، وجاء من هناك إلى أنه ومنها إلى طبس ولم يكن مهلة (مساعدة) حتى يأتى إلى سجستان بسبب ما صنعه مع طاهر ويعقوب ابنى محمد بن عمرو بن الليث، وعرف أن أهل سجستان خصوم له، ومضى من هناك إلى هراة، وكتب رسالة إلى أحمد بن إسماعيل حتى يكون على عبده فى خراسان، وأمر أن امض إلى مرو [1] وأقم هناك ومضى إلى هناك، ووصلت رسالة المقتدر إلى أحمد بن إسماعيل أن أرسل إلى السبكرى وقيده وأرسله إلى بغداد فى جمادى الآخر سنة تسع وتسعين ومائتين، أما حديث أبى صالح منصور بن إسحق فحينما قدم إلى سجستان قال للناس كلامًا حسنًا كثيرًا ووعدهم وعودًا طيبة ولكنه لم يف بها ولم يستقر فى مكان الجيش (مع الجيش) فى حلفاباد [2] ودخل المدينة وأقام فى المنازل ولم يكن مال سجستان فى العهد القديم أكثر من ألف ألف درهم ولكنه أراد الزيادة.

خلاف (ثورة) الناس على منصور بن إسحاق

ثم قال أهل سجستان نحن لا نحتمل الاستخفاف بأى وجه، ولم يبق مطلقًا أحد من آل يعقوب وعمرو إلا أبو حفص عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو ابن الليث، وكان طفلاً لم يزل فى العاشرة، واتفقوا على أن يولوه عليهم وأن نعمل

(١) يقول ابن الأثير إنه قدم سجستان بجيش مرهق ضعيف وقد عرفه جند أمير خراسان وأسروه وكتبوا رسالة للمقتدر فجاءهم الرد بوجوب إرساله إلى بغداد (ابن الأثير جـ٨، ص ٢٠)

(٢) كانت محلة خارج ربض سجستان ومعسكرًا للجيش

أمامه وأن نسقط جيش خراسان هذا، ومحمد بن هرمز المولى الذى قالوا عنه إنـــه مولى سند لى، وكان من موالى محمد بن عمرو، وكان رجلاً صبورًا فى المظـــالم وقال أنا لا أمضى إلى سجستان فإنهم يطلبون مالاً كثيرًا ويجب أن يكون الجـــيش فى موضعه فللناس نساء وبنات فلا يجب أن يدخل أنـــاس الغوغـــاء إلـــى منـــزل الأحرار وقصورهم وكان لمنصور بن إسحاق ابن أخ شاب عصبى قال: نحن لـــم نحضر القصور والجماعات من خراسان ولا نحصل منهم مالاً قليلاً وهى رواتبنـــا (أجورنا) قال مولى: السند لى أقول لك ... وقام (نهض) ومضى وقال: منـــصور ابن إسحاق لهذا الشاب لا يجب أن نقول هذا وليس هذا الرجيل أوعدنا أيضًا فبحثوا عنه ولم يجدوه، وكان قد مضى ثم توجه السند لى عند العيارين ودبر معهم أمـــرًا ومضى إلى بيش زره [١] وكان من صلب زهير وكلما مضى إلى مدينة كان يجمع عشرًا وعشرين رجلاً وخمسمائة رجل من بيشزرة وجاء إلى باب كركـــوى ليلـــة السبت لثلاثة عشر يومًا بقين من جمادى الأول سنة تسع وتسعين ومـــائتين وكـــان هناك جماعة من أتباع منصور بن إسحاق، فتحارب معهم وقتـــل مـــنهم جماعـــة ودخل الآخرون إلى المدينة منهزمين ووقع (وحدث) ضجيج فى المدينة واجتمـــع أهل خوج وكل من رأى جنديًا فى منزل أو محلة وسوق كانوا يقتلونه حتى وصلوا إلى باب السجن وكســـروا بابه وأخـــرجوا السجناء واتحـــدوا معهم وكان محمـــد ابن عباس الكولكى رجلاً شجاعًا فجاء واتحد الفريقان علـــى إفنـــاء هـــذا الجـــيش وصعدوا على سقف إصطبل يعقوب وقتل وأسر من جيشه خلق كثير.

---

(١) زره بحيرة فى سجستان وبيش زره كانت ناحية فى شرق هذه البحيرة ويسمونها الآن (بيش آب)

استيلاء المولى السند لى على سجستان وقتل جيش خراسان
والقبض على منصور بن إسحاق

خرج منصور بن إسحاق منهزمًا من المدينة وأسروا ابن أخيه ذلك الشاب فى محلة النساء حيث كان سجينًا هناك، وقد نحاه السند لى وفى اليوم التالى أعطاه إلى سائس الخيل حتى لا يمحوه من أجل هذا الكلام الذى قاله، ونزل منصور ابن إسحاق فى كدة محمد بن الليث، وأراد فى اليوم التالى أن يحارب حيث علم أنه جاء إلى خوج أند وقد قبض عليه فى المحلة وأسروه وأغاروا على ماله كله ومتاعه وخيوله ونزل محمد مولى السند لى فى جوسق يعقوب ولما انتهى هذا العمل أراد أن يجعل الخطبة له فى الإمارة وذكر (ترك) حديث أبى حفص ولم يستحسن الناس وانفصل عنه محمد بن عباس الكولكى وخرج مع جماعة من العيارين ومضى إلى فراة، وكان المولى السند لى يسلب ويصادر أموال الناس، وأرسل أبو النصر حمدان الجوينى [1] مع جماعة من الجيش والترك الذين كانوا مع منصور بن إسحاق إلى فراة الحرب محمد بن عباس ولم يحارب وقال: الأمر لأخى ونهض وجاء معهم ولما اقتربوا من المدينة قتل أبو نصر حمدان الجوينى على غير المتوقع (بلا سابقة) وانهزم أتباع أبى نصر، وجاء إلى باب المدينة واجتمع معه خلق كثير وخرج المولى لحربه وقاتلوا قتالاً عنيفًا، وقتل خلق كثير، وفى النهاية مضى المولى منهزمًا ونزل على ضفة هيرمند، ونزل الكولكى فى جوسق يعقوب، واجتمع المولى حوله، وأخرجوا أبا حفص وجعلوه أميرًا وخطبوا

---

(١) جوين : تسمى أحيانًا (كوين) قرية من قرى سجستان على طريق هراة على بعد ثلاث مراحل من زرنج وعلى بعد مرحلة من بست وهى غير جوين الحالية وهى من أعمال سبزوارا وتحسب من توابع جنورد .

له يوم الجمعة لاثنى عشر يومًا مضت من شهر رمـضان سـنة تـسع وتـسعين ومائتين.

الخطبة للأمير أبى حفص عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث

وطلب أبو حفص منصور بن إسحاق الذى كان قد هرب فى تلـك الفتـرة، وكان متواريًا فى قصر مجوسى بالقرب من المصلى فوجده وأحضره وأحسن إليه كثيرًا، وخلع عليه، وكان يلازمه ليل نهار، وكان أبو حفص ينام فى قصر النـساء فى الليل، وكان الكولكى فى قصر يعقوب، فجمع المولى الناس ثانية من العيـارين والقرويين والمدينة، وقرع الطبل فى الليل، وكان الكولكى ثملاً وما كان يعى مطلقًا وأيقظوه فى النهاية وركب، وكان هذا ليلة الجمعة لأربعة عشر يومـاً بقـين مـن شوال، وحاربوا، وفى النهاية انهزم المولى، ومضى الحفار على أثره ووصل إلـى محلة النساء، ودخل فى محلة رخ، وألقت امرأة من على السطح هونًا ثقله ثلاثـين منًا على رأسه، وسقط من على الجواد (وسقط جواده) ووصل الحفار وأخذ رأسـه وصلبها، وعظم شأن الكولكى، وكان معجبًا بنفسه، وكان يقول آخذ هذا بسيفى، ثم أخفى وجهه عن أبى حفص يوم السبت لعشرة أيام بقين من شوال، فركب الكولكى مع الموالى، ومضى إليه، وطلب العذر كثيرًا، وأحضر مواليه كلهم إلـى جوسـق يعقوب، ثم اختلف الكولكى مع الموالى، واجتمع الموالى ليقتلوا الكولكى، ولما رأى الكولكى الأمر كذلك حمل أبو حفص إلى الخضراء وأجلسه ووقف أمامه إلـى أن رأى الموالى والعوام فى خدمته فانصرفوا عنه، وأرسل الكولكى إسحاق إلى أرك، وعاد من هناك، فخرج الموالى على الكولكى وهكذا فعلوا، وفـى النهايـة هـرب الكولكى واختفى، وجعل شخصًا بينهم (وفعل شخص بينهم) وآمنـه أبـو حفـص

وخرج، ولما وصل خبر منصور بن إسحاق إلى أحمد بن إسماعيل إلى أين مضى (وعرف ما حدث له) وهو الآن محبوس أرسل حسين بن على المــرورودى مــع القادة وجيش كثير إلى سجستان.

مجيء حسين بن على المرورودى إلى سجستان بطريق آخر

وجاء معه أحمد دراز إلى سجستان لعشرة أيام بقين من ذى الحجة، وفى هذه السنة نزل بباب مدينة حلفاباد، وحاربوا حروبًا كثيرة، ولم يدخلوا المدينة ثم مضى من هنا إلى نيشك، ونزل هناك، وأرسل شخصًا إلى المدينة للعظمــاء والرؤســاء، وكان يأمل آمالاً حسنة، فركب ذات يوم وأعطى الجيش مالاً، وأحيه (ومال) أهــل الربض، وحاربوا فى هذا اليوم حربًا عنيفة، ومضى الكوركى وأبو حفــص إلــى المدينة، ودخل حسين الربض وجامل (وداعب) الناس وقال لهم كلامًا كثيرًا حــسنًا (وقال قولاً حسنًا) ووصل أبو بكر المظفر وسيمجور بجيش لمساعدة حــسين بــن على، ووقعت حروب كثيرة بينهم، وفى النهاية تصالحوا وأمنهم حسين بــن علــى جميعًا، وتصالحوا ليلة الاثنين الرابع من شــوال سنة ثلاثمائة، وجاءوا بمنــصور ابن إسحاق من أرك، وجاء الكولكى وزنكالود والعيارون الآخرون جمــيعهم عنــد حسين بن على، وقال لهم جميعًا قولاً حسنًا وخلع عليهم وأرسلهم إلــى القلعــة إلا منصور بن إسحاق، ومضى منصــور بن إسحاق يوم الاثنين لثمانية أيام بقيت من شوال إلى خراســان وقال: نجوت اليــوم من جهــنم ووصــلت (جئت) الجنــة فلا ينبغى أن تكون سجستان لى أكثر من هذا. وخرج أبو حفص مع مواليــه إلــى حسين بن على وأحسن حسين إليهم ووعدهم وعودًا حسنة وكتب رسالة إلى أحمــد ابن إسماعيل فى حــديثه فأجــاب على الرســالة أن احضــر ومعــك الرفــاق،

واترك الولاية والمدينة إلى سيمجور، ولكن لم يستحسن حسين هذا لأنه أراد عمله واضطرب العيارون جميعًا، وكان سيمجور يحسن العمل، وكان يقول: وقد طيب قلوب الناس، وفى النهاية قيد حسين بن على على الكولكى، وحمل أبا حفص معه بلا قيد ومعه العيارون والآخرون ومضى إلى هراة يوم الخميس لأربعة عشر يومًا مضت من ذى الحجة سنة ثلاثمائة، ولما وصل إلى هراة، وأرسل أبا حفص والعيارين إلى أحمد بن إسماعيل إلا زنكالور الذى احتفظ به ثم قتله فى ربيع الأول سنة ثلاثمائة وواحد، وأرسل أحمد بن إسماعيل أبا حفص إلى سمرقند، وأمر بقتل العيارين، وجاء أبو منصور الجهانى من بست إلى سجستان فى أول ربيع الأول سنة ثلاثمائة وواحد، وأرسل أهل سجستان رسولاً إلى أحمد بن إسماعيل، ولما وصل الرسل إلى حدود بخارى قتلوا لأحمد بن إسماعيل غلامين من غلمانه على ضفة نهر هيرمند بتدبير أبى بكر الكاتب وكان هذا فى جمادى الآخر لثمانية أيام بقيت من سنة ثلاثمائة وواحد.

قتل أحمد بن إسماعيل أمير خراسان
وتولية أبى نصر بن أحمد الإمارة

وبايع الجيش والناس أبا نصر بن أحمد، وكان عمره تسع سنوات وكان يتولى عبد الله الجيهانى [1] العمل، وأعادوا الرسل، ولما وصل خبر أحمد

(١) هو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى يقول الترشخى فى تاريخ بخارى : كان نصر بن أحمد يبلغ من العمر ثمانى سنوات وكان وزيرها أبا عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وقال ابن الأثير هذا أيضًا .

ابن إسماعيل ومقتله إلى سيمجور، أظهر الجلد والشجاعة فى الحفاظ على المدينة، ووقع بين الجيش هناك خلافات، ومضى أبو بكر بن المظفر إلى هراة عند حسين ابن على ومضى معه معظم القادة، وهكذا كانوا يمضون الواحد تلو الآخر حتى بقى سيمجور وحيدًا مع خواصه، ولم يكن له خبر حتى بيت عليه العيارون، ولم يستطع أن يخرج من المدينة هاربًا لثمانية أيام مضت من رمضان سنة ثلاثمائة وواحد، ومضى بطريق قهستان.

هروب سيمجور من سجستان

ومضى الناس عند أحمد بن محمد بن عمرو الذى كان معروفًا وقالوا: ينبغى الحفاظ على المدينة وكان أبو اليزيد خالد بن محمد بن يحيى عامل خراج[1] كرمان كتب رسالة إلى المقتدر فى أمر سجستان وأن يفعل هذا من باب تحريك محمد بن حمدان (وكان له التحريك فى هذا الشأن وجعل محمدًا سجينًا)، ثم جاء رد المقتدر وجاء عهد سجستان عند فضل بن حميد، فأرسل محمد بن حمدان لخلافته على سجستان، وكان معه سمرة بن الربيع فى هذا الوقت، وطلب نساجًا من نواحى أوق اسمه مليخ، واجتمعت معه مجموعة من الغوغاء، وجاء إلى باب المدينة، وقال يجب أن تكون المدينة لى، وفى يوم الأربعاء خطبوا له بالإمارة، وقال أحدهم له: أيها الأمير جرت العادة والرسم أن تكون الخطبة فى يوم الجمعة قال: ليكن فإنه لا يكون لى العمر حتى يوم الجمعة كما لم يكن فخرج أحمد والعيارون فى ذلك اليوم الذى خطبوا فيه له وقتلوه، وخرجوا فى اليوم الآخر لاستقبال محمد بن حمدان

(١) بندار : من وظائف عمال الخراج ويعلم من هذا اللفظ الفارسى أن هذا اللقب كان معرفًا ومعمولاً به من قبل الإسلام وقد استعمله العرب أيضًا (من تعليقات بهار) .

برندة وسمرة بن الربيع، وجاءوا بهم إلى المدينة بالإجلال والتعظيم فى غــرة ذى القعدة سنة ثلاثمائة وواحد.

مجيء فضل بن حميد مع أمير سجستان

ودخل فضل بن حميد فأقام أهل المدينة الزينات وكان معه خالد بن محمــد، وأنزلوا خالدًا فى قصر أبى الحسين وفضل بن حميد فى قصر أبى يوســف، ولمــا مضت عدة أيام أرسل محمد بن حمدان برندة إلى زهير وقتله العيــارون هنــاك، واضطربت المدينة كما أن فضل وخالد قصد كلاهما الذهاب، ولمــا دخــل الليــل وقعت الحرب بين الفريقين، وأظهر محمد بن حمدويه العــصيان فــى خواشــى[1] وطالت يده على مال السلطان، وهم فضل بن حميد وقتله هنــاك وتفــرق أتباعــه وأسروا معظمهم وأحضروهم إلى المدينة وهدأت المدينة، ثم قبض على العيــارين وسجنهم وأرسلهم إلى كرمان، وجمع (أخذ) منهم الخراج فى أول ســنة ثلاثمائــة واثنتين، وأرسل بدر إليه مددًا من فارس، وأمر أن يمضى إلى بست، وكــان أبــو منصور الجيهانى [2] فى بست، واستولى أبو منصور على عمل بست من يد أحمد ابن إسماعيل، وجاء بعضهم إلى سجستان، ولما قتلوه أجلسوا نــصر بــن أحمــد ومضى أبو منصور إلى بست، وكتب خالد بن محمد رسالة إلى الجيهانى أن اترك بــست

---

(١) خواشى: مدينة فى سجستان ويسميها أهلها (طاس) وهذه المدينة تقع على يمنة من يمضى من طريــق زرنج إلى بست وبينها وسجستان منزل واحد وبها أشجار النخيل والمياه والقنوات ويبدو غير خــواص بلوجستان الحالية (من تعليقات بهار) .

(٢) ذكره ابن الأثير عبيد الله بن أحمد الجيهانى ومن المحتمل أن يكون أبو منصور كنية له ويبدو أنه أخــو محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر بن أحمد.

وامض واذهب، ولم يمض بأمره (ولم يمتثل لأمره)، فمضى فضل بن حميد لحربه فى بست يوم الثلاثاء لثمانية أيام مضت من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة واثنتين، ولما وصل إلى نوزاد خرج أبو منصور الجيهانى لمقابلته وتحاربوا هناك حربًا عنيفة ووقعت الهزيمة للجيهانى، ومضى مع جماعة إلى سعد بن طالقانى فى زابلستان، ودخل فضل بن حميد يوم الخميس لستة أيام بقين من جمادى الأول سنة ثلاثمائة واثنتين، ومكث هناك مدة، ومن هناك قدم إلى سجستان، واستخلف فتح بن بارجوح هناك، ولما وصل الجيهانى عند سعد قصد كلاهما بست، ولما وصلا إلى روزان [1] هجم عليهم فتح وقتل خلق كثير، وفى النهاية مضى فتح منهزمًا، ودخل الجيهانى وسعد إلى بست، وجاء فتح إلى سجستان، ومرض فضل بن حميد مرضًا شديداً، وكتب رسالة إلى بدر فى فارس، قائلاً له: ارسل لى شخصًا بدلاً منى (مكانى) وذكر علته وماله، وأرسل بدر محمد بن طفريل بجيش كبير يوم الثلاثاء لخمسة أيام بقين من ذى القعدة سنة ثلاثمائة واثنتين، ودخل سجستان، ومضى إلى أرض داور، وتحارب معه كل من الجيهانى والطلقانى على بعد فرسخ واحد من أرض داور، ومضى الجيهانى منهزمًا، وبقى الطلقانى أسيرًا لليلتين مضيتا من المحرم سنة ثلاثمائة وثلاثة، وأرسله سعد فى هودج إلى سجستان، ومضى خالد ابن محمد بن يحيى إلى زابلستان مع محمد بن طغريل، وحقق الصلاح فى هذه الأعمال كلها وعاد إلى سجستان ودخلها لستة أيام بقيت من جمادى الأول سنة ثلاثمائة وثلاثة، وخلص سعد الطالقانى وأحسن إليه كثيرًا، ومات محمد بن طغريل فى الشهر نفسه بسبب مرض صعب كان يعاوده فى زمنه.

---

(١) روزان: مدينة صغيرة وهى أصغر من قرنين القريبة من فيروز قند من الناحية اليمنى عندما يمضى الإنسان من بست إلى رخد .

عصيان خالد بن محمد بن يحيى

وأرسل حسين بن على المروردى وأبا إسحاق الزيدوى إلى سقرار مع جماعة من الجيش قائلاً لهما: احتفظا بالفرصة فقد نستطيع أن نستولى على سجستان، ولما عاد خالد من بست سمع خبر إسحاق الزيدوى، وكتب إليه رسائل رقيقة ووعده وعودًا كثيرة، وأجاب أبو إسحاق على رسالته وأحسن إليه خالد كثيرًا، وأعطاه الخلع والصلة، وأرسل معه جيشًا إلى قهستان لمحاربة سيمجور الذى هرب من قهستان، واستولى أبو إسحاق الزيدوى على قهستان، وأقام هناك ولما جاءت سنة ثلاثمائة وأربع، أرسل بدر زيدًا بن إبراهيم من فارس إلى سجستان مع مال الخراج، ولما وصل الخبر إلى خالد جمع الناس وقال للناس: نحن لا نريد شخصًا قط سواك، واعتزم خالد فى نفسه أن يعلن العصيان على بدر، وخرج إلى فراة، وفى الوقت نفسه أحضر سيمجور جيشًا إلى قهستان، وحارب إسحاق الزيدوى، وجاء أبو إسحاق منهزمًا إلى فراة عند خالد، وكان فتح فى بست، ولم يمتثل لأمر خالد الذى مضى من فراة إلى بست، وكان معه أبو إسحاق الزيدوى فى مكان واحد، وقبضوا على فتح بعد أن تحاربوا معه وجاءوا به إلى سجستان، وكان هذا فى جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وأربع، ومضى أبو إسحاق الزيدوى إلى هراة، وكان يوم الجمعة لأحد عشر يومًا مضت من شوال سنة ثلاثمائة وأربع، وارتدى خالد لباس الكتاب ولبس لباس الجند وأسقط اسم بدر من الخطبة وخطب لنفسه وقصد كرمان يوم الثلاثاء لليلة باقية من شعبان سنة ثلاثمائة وأربع، حتى وصل إلى بم [1] ومن هناك مضى إلى دار أبجرد، وجاء جيش بدر عنده، وتحاربوا

---

(١) لقد ذكر ابن الأثير هذه الموقعة فى اختصار شديد وذكرها عقب موقعة فضل بن حميد الجيهانى سنة ٣٠١ هـ .

حربًا عنيفة، ومضى جيش خالد منهزمًا وأسروا خالد وقتلوه ولجأ جيشه إلى بــدر، وكان كثير بن أحمد شهفور فى جيش خالد، ولما كان حال خالد هكذا جاء من هناك مباشرة إلى سجستان يوم السبت لثمانية أيام بقين من ذى القعدة سنة ثلاثمائة وأربع مع مجموعة من الجيش وبسط (أظهر) كثير بين الناس وعاملهم بالحسنى، وكــان يحسن إلى الناس، وكتب رسائل إلى بست ورخد وأرض داور، ودخلوا جميعًا فــى طاعته، وأرسل كثير أبا سهل بن حمدان إلى فرستاد، ولما مضى إلى هناك أعلــن العصيان على كثير بن حمدان الذى أرسل محمد بن القاسم صهره مع جيش حتــى قبضوا عليه، وجاءوا به إلى سجستان وأمر كثير أن يقتلوه ويمثلوا به، ثم جاء أبــو إسحاق الزيدوى مع جماعة من العيارين وقصدوا كثيرًا فى صفر ســنة ثلاثمائــة وخمس، وأرسل كثير محمد بن القاسم مع جيش لمقابلة أبى إسحاق وتحاربوا، وفى النهاية وقعت الهزيمة لأبى إسحاق وأسروا أخاه زكريا الزيدوى ومضى أبو إسحاق إلى خراسان، وأحضروا معظم رفاقه أسرى، وكانت هذه الحرب فى ربيع الآخــر سنة ثلاثمائة وخمس، ثم أرسل المقتدر عباس بن شفيق رسولاً إلى كثير بن أحمــد أنه ينبغى أن يسلم هذا العمل إلى بدر، فاجتمع الناس وقالوا: لا نريد أحدًا إلا كثيــر ابن أحمد فأرسل بدر زيد بن إبراهيم مع جيش كثير إلى سجستان، ولما اقتربوا من المدينة خرج أتباع كثير والعيارون لحربه، وتحاربوا، وانهزم جيش بدر وأســروا زيد بن إبراهيم، وكان هذا يوم الأربعاء لعشر أيام بقيت من رجب ســنة ثلاثمائــة وخمس، وجاء عباس بن شفيق من سجستان بطريق آخر برســالة ابــن الفــرات ومحتواها أن يرسل بدر زيد بن إبراهيم ويخلصه، وخلص كثير بن أحمــــد زيــد وخلع عليه وأعطاه جوادًا وبغلين وخمسة جمال وألف دينار وعشرة ثياب وأرسله، وأعطى عباس بن شفيق ستمائة ألف درهم إلى ابن الفرات، ولما كان يوم الــسبت لليلتين باقيتين من شوال سنة ثلاثمائة وستة، وخرج كثير بن أحمد متنزهًــا ناحيــة كركوى فى هودج، وكان معه القادة وغلامه تكين فى الهودج فعاد رفاقه، وقطعوا

عرف البغل، وتقدموا لقتل طرابيل وأحمد بن قدام، وقتلوا كثيرًا فى وقت صلاة العصر، وضربوا كثيرًا بن أحمد مع يعقوب وكان كوركتر[1] قد حكم بأن يقتلوه فى اليوم نفسه.

وسارع مع يعقوب فكانت صلاة العصر فى قصر كوركتر الذى لم يقتل فقال الكثير: مازال يوم بقى على قتل كثير، ولما كان هذا جاء الخبر بأنهم قتلوا كثيرًا، ودخل أحمد بن قدام المدينة ونزل فى جوسق يعقوب يوم الأحد لليلة باقية من شوال سنة ثلاثمائة وست، وتركوا عمال كثير فى أعمالهم، وأرسل جماعة إلى بست، ومن كثرة الماء لم يستطيعوا الوصول إلى بست فمضى بنفسه إلى بست واستخلف أحمد بن بهمن على سجستان، ثم أظهر جماعة من سجستان الميل إلى محمد بن قاسم الذى كان صهرًا لكثير بن أحمد، وكان محمد بن قاسم عامل كثير على زابلستان [2] فأحضر جيشًا وتحارب مع أحمد بن قدام على باب بست، ومضى محمد بن قاسم منهزمًا، ومضى إلى سجستان، فأرسل أحمد بن قدام جيشًا على أثره فهرب محمد بن قاسم ومضى إلى زابلستان، وأعطى أحمد بن قدام بست إلى مطهر بن طاهر، ثم أرسل محمد بن حمدون الإسفسلارى مع جماعة من الجنسين لمعاونته فى بست، وكان فى سجستان بنفسه حتى جاء الخبر أن محمد ابن حمدون شق عصا الطاعة فقصد بست، وجاء فى أثر الخبر أن خشك وطغان استوليا على بست، وأرسل أحمد بن قدام جيشًا لطلب محمد بن قاسم فوجدوه وقبضوا عليه فى قرية وقتلوه على باب طعام (در طعام)، ثم سجن أحمد بن قدام

---

(١) كوكتر: اسم أحد العيارين الكبار أو اسم أحد رؤساء الجند والغوغاء فى سجستان لأن هذا يؤخذ من اسمه ويؤيد عمله ويبدو أن أبا يعقوب من فقهاء سجستان بدليل كلامه مع كوكتر

(٢) زابلستان: اسم مملكة ينمروز وكانت تتكون من سجستان وزمين داور وطوران وقندهار حتى كابل ولكن مراده فى هذا الموضع زابلستان وهى ناحية قصبتها مدينة غزنين ثم عمرت وأصبحت من بعد عاصمة السلاطين الغزنويين ولذلك سموا محمود الغزنوى الزابلستانى (من تعليقات بهار).

أحمد بن تركه وأرسله إلى جبل كوهز وأمر أن يقتلوه هناك فى جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وتسعة، وجاء أحمد بن قدام إلى سجستان وأرسل جيشًا لطلب طغان ووصلوا إلى طغان فى أرض داور وتحاربوا حربًا صعبة وفى النهاية أسروا طغان وجاءوا به إلى سجستان على جمل، ووضعوا على ظهر الجمل كرسيًا ليجلس عليه، وكان هذا يوم السبت لأحد عشر يومًا مضت من شهر رمضان سنة ثلاثمائة وتسع، وأمر أن يقتلوه، ولما قتل طغان كانت الدنيا كلها تطلب عبد الله بن أحمد الذى كان متوارياً حتى ليلة الثلاثاء لثلاثة عشر يومًا مضت من جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وعشر، ولم يكن لأحد خبر حتى جاء إلى ضفة باركين على باب فارس الجديد صوت طبل ضعيف فخرج أحمد بن قدام من جوسق يعقوب مع جيش ونظر، وكان عبد الله بن أحمد مع جماعة من الغوغاء، فبدأوا الحرب، ولما سمع خبر الحرب فى المدينة علم الناس وساعد عامة المدينة عبد الله بن أحمد، ومضى أحمد بن قدام مع قليل من الناس منهزمًا ومضوا من ضفة المستقع إلى بست، ودخل عبد الله بن أحمد قصر يعقوب، واستولى على ذخائر أحمد بن قدام كلها، ومؤنه وسلاحه وجاء كل السجزيين الذين كانوا مع أحمد بن قدام إلى عبد الله ابن أحمد، ومضى الهنود مع أحمد بن قدام إلى بست، وأرسلوا طلحة بن سوار مع طليعة إلى دهك، ثم قيد عبد الله بن أحمد فى سجستان ابنى طربيل الهندى الذى كان قائد الهنود فى جيش يعقوب، ووصلت رسالة طرابيل إلى عبد الله بن أحمد محتواها أعطنى الأمان حتى أحضر، فأمنه عبد الله وأرسل الخلع وقبل مجيئه، وجاء طرابيل إلى سجستان، وكان أحمد بن قدام فى رخد، ولما جاء طرابيل قوى عبد الله بن أحمد فجمع الجيش وقصد أحمد بن قدام واستخلف عزيزًا ابنه على سجستان، ومضى فى غرة رمضان سنة ثلاثمائة وعشر بجيش قوى، وأراد أن يمضى بطريق الصحراء، فجاء الخبر أن أحمد طرح آبار صحراء

انكژد [1] وأفسد ماءها فمضى بطريق آخر حتى وصل إلى نوقان، وخرج أحمد بن قدام إلى نوقان وخرج أحمد بن قدام لحربه وتحاربوا حربًا صعبة، وفى النهاية مضى أحمد بن قدام منهزمًا والجيش من بعده ووصلوا إليه فوقف الجواد وترجل فوصلوا إليه وقبضوا عليه يوم السبت لأربعة أيام من شهر رمضان سنة ثلاثمائة وعشر، ثم أحضروا أحمد بن قدام إلى سجستان، وفى يوم الأحد من العيد أخذ عبد الله بن أحمد أقوال قائد الجيش سيمجور مطهر بن طاهر أن يأخذ من أهل بست ألف ألف درهم، ومضى عبد الله بن أحمد بنفسه إلى رخد، ومن هناك إلى بست، وكان هذا يوم الأحد لتسعة أيام بقين من المحرم سنة ثلاثمائة وإحدى عشر وخرج عامة سجستان على عزيز بن عبد الله وأظهروا شعار الأمير أبى جعفر ابن أحمد بن محمد بن خلف بن الليث.

تولية الأمير أبى جعفر أميرًا على سجستان ليلة الأربعاء لثلاثة عشر يومًا من المحرم سنة ثلاثمائة وإحدى عشر

ثم أخرجوه وأجلسوه، وكان قليل المال إلا أنه كانت له حكمة الشيوخ وحصل علمًا كثيرًا، فأظهر البسط (الفروض) والعظمة (واستولى العيارون على المدينة) وبسطوا أيديهم بالسفارة لاثنى عشر يومًا بقيت من المحرم، ولما وصل خبر اختفائه عن الناس عند عزيز بن عبد الله مضى منهزمًا وعاد، ولما جاء إلى باب المدينة، صاح العيارون بالأمير أبى جعفر وقالوا: لن يكون أحد قائدًا علينا إلا هو، ولما رأى عزيز هذا عاد ونزل فى رباط ربيع، ووصل خبر الأمير أبى جعفر

---

(١) انكژد: انكژان اسم للصمغ يقول ابن خلف التبريزى: هو الصمغ مطلقًا وهو صمغ كريه الرائحة يسمى بالعربية حلتين ويسمونه انكژد لهذا السبب وهو صمغ شجرة تسمى انگدان واصل انگدان ژد فى اللغة الفارسية بمعنى الصمغ (ابن خلف التبريزى : برهان قاطع، ص ٥٣).

إلى عبد الله بن أحمد، فلم ينم ولم يسترح حتى مضى إلى سجستان يوم السبت لأحد عشر يومًا بقين من صفر سنة ثلاثمائة وأحد عشر، ولما رأى أمر المدينة متغيـرًا وأن قلوب الناس والعيارين تنفر منه، ولم يمض أحد عنده ورأى كلام الأمير أبـى جعفر له أثر فى قلوب الناس وأن شعاره أصبح معلومًا فبقى متحيرًا وخـرج مـن المدينة، ونادى العيارون على أبى جعفر وجلس الأمير أبو جعفر فى البيت وأرسل إلى كل مكان الجواسيس والرسل والرسائل، وكتب فى السر إلى ميهم بن رونـك، وكان عامل رخد من ناحية عبد الله بن أحمد محتواها يجب أن تطيب خواطر القادة وموالينا الموجودين فى هذه الديار وأن تهنئهم نيابة عنى وذلـك بمـنحهم الخلـع الفاخرة والرعاية والأعمال العظيمة كما كتب إلى حكك بن نوح قائلاً له تعال إلـى رخد وبقدر ما تستطيع اجمع الناس وخذ منهم البيعة، وكان رفاقه قد أجابوا، ولمـا سمع فيهم خبر الأمير أبى جعفر خلع عبد الله بن أحمد، وجعل الخطبة للأمير أبـى جعفر، وجاء حمك إلى رخد بناء على أمره، وأرسل عبد الله بن أحمد محمد بن محمـد ابن أبى تميم خليفة على بست، ولم يتركه (يسمح) له الناس، وأظهروا شعار الأمير أبى جعفر وخطبوا له، ولما وصل خبر خطبة بست عند ميهم فى رخد إلى بـست، وأخذ فى بست بيعة الأمير أبى جعفر، وقال للناس: إنه تسلم هذا العمل منـذ مـدة طويلة وهو يصلحه فى الخفاء، فبقى عبد الله بن أحمد فى حدود سجستان، ولم يعلم ماذا يصنع وأين يمضى، ولم يبق له ثقة فى أحد قط فى العالم لأن النـاس جميعًـا كانوا ميالين للأمير أبى جعفر، ثم أرسل الأمير أبـو جعفـر رسـالة إلـى مـيهم محتواها: انهض واقدم إلى سجستان مع القادة والحشم الذين تجمعوا مـن الأوليـاء حتى يأتى عهد جديد، ومضى ميهم من بست مع جيش مجهز فداه بالمال والـروح قائلين: نحن وجدنا العظمة بذكرى ملكنا، وتخلصنا من خدمة الأغـراب والعبيـد، ولما وصل ميهم بهذا الجيش قرب سجستان لم يكن لعبد الله بن أحمد خبـر، ولمـا وصل خبر العيارين إلى عبد الله بن أحمد عاد حتى سمع صوت الطبل والأبـواق، ووصل ميهم مع الجيش، ولم يكن لميهم خبر عنه ولا كان له خبر عن ميهم، وقامت الحرب بينهم، وتحاربوا حرباً صعبة، وانتصر رفاق ميهم، وكانت الدولـة جديـدة

والوقت (العصر) سعيد، ومضى عبد الله بن أحمد منهزمًا، وفى الحال جاء الخبر إلى الأمير أبى جعفر، وظهر وجلس فى قصر يعقوب الملكى، وفى الحال أرسل يمان بن حذيف على أثر عبد الله بن أحمد، ووصل يمان إلى بندان [1] عند عبد الله وأسره هناك، وجاء به إلى المدينة ليلة الإثنين لثلاثة عشر يومًا مضت من رجب سنة ثلاثمائة وإحدى عشر.

أسر عبد الله بن أحمد على يد يمان بن حذيف

وبايعوا الأمير أبا جعفر البيعة العامة ثانية واستقر له الأمر، واجتمع الجيش من الموالى والقادة وأحرار سجستان [2] وكانوا جميعًا قلبًا واحدًا، وظهر الاضطراب بينهم، ثم خرج ميهم بين رونك وحسين ومحمد ولدى بلال بن الأزهر ومضوا إلى خراسان بأمر الأمير أبى جعفر، ولما وصلوا فرادى اختلف ميهم وطرابيل ومضيا إلى بست، ومضى الأمير أبو جعفر لحرب ميهم فى بست، واستخلف محمد بن ميهم على سجستان، وحارب ميهم ومضى منهزمًا، ثم جاء أبو الفضل محمد بن إسحاق العربى إلى سجستان بخلافة الأمير أبى جعفر فى شوال، وعاد الأمير من بست فى ذى الحجة، فجاء الخبرأن أبا الفضل بن حارث وأبا الفضل بن حصين بايعا عزيز بن عبد الله فى بست فى رجب سنة ثلاثمائة وثلاثة عشر، فخرج الأمير إلى بست لحرب عزيز فى شهر رمضان، ولما وصل بالقرب من بست جاء عزيز إلى حدود سجستان عن طريق كش فى آخر رمضان، ونزل

---

(١) بندان : قصبة بالقرب من نه تقع شمال سجستان وهى اليوم معروفة وتسمى نه وبنداب وبها مكتب تلغراف (من تعليقات بهار)

(٢) كان الجيش منقسمًا عدة أقسام قسم العبيد الذين يسمونهم الموالى وقسم للقادة وهم العبيد العتقاء ورؤساء الغوغاء والفرسان المشهورون وقسم للأحرار.

على باب مينا وحاربه أبو الفضل محمد بن إسحاق العربي، ومضى عزيز وجاءوا إلى أبى الفضل، فهرب ومضى إلى خراسان فى شوال، وعاد الأمير أبو جعفر من بست إلى سجستان فى ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وأربعة عشر، ثم مضى إلى بست ورخد فى ذى الحجة سنة ثلاثمائة وخمس عشرة، وعاد فى رجب سنة ثلاثمائة وستة عشر، وفى هذا الوقت كانت خلافة سجستان لأبى الفضل ودخل المدينة فى ذى الحجة وأرسل محمد بن موسى فى جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وسبعة عشر وفى شعبان أرسل الرزدانى الذى كان اسمه محمد بن يعقوب إلى كرمان مع جيش، ومضى إلى كرمان وأعطوه ألف ألف درهم، وعاد فى ذى القعدة، وفى العام نفسه عزل أحمد بن محمد بن الليث من القضاء، وجعل أبو الحسن الأنصارى قاضيًا، وعزل أبو سعيد المشروطى من الخطبة وعين أبا الحسن الماصلى خطيبًا، ثم أرسل محمد بن يعقوب الرزدانى إلى بست فى رمضان، وأحرقوا السوق الجديد فى ربيع الأول، ثم مضى الأمير أبو جعفر بنفسه لحرب حمك بن نوح فى شعبان سنة ثلاثمائة وتسعة عشر، وتصالحوا هناك، وعاد وفى جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وعشرين، أرسل أبو أحمد الحسين بن بلال بن الأزهر أبا يزيد النبكى، ومضى أبو يزيد منهزمًا، وفى هذا الشهر عزل الأنصارى من القضاء وعين خليل بن أحمد فى جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة وعشرين، ثم جاء الخبر أن بايزيد بنكى وبازكريا زيدوى وقراتكين [(١)] وأتباعهم خرجوا إلى بست عن طريق نوزاد ليقبضوا على أحمد بن يعقوب الرزدانى وهرب الرزدانى من هناك فى شهر رمضان ثم عاد وخرج الأمير أبو جعفر ليمضى إلى هناك ليحارب الترك فى بست وبقى شهرين

---

(١) يذكر ابن الأثير فى هذا الصدد أن أبا إسحاق إبراهيم وإخوته قد هربوا من قهندر وجيا من حبس نصر ابن أحمد بن إسماعيل السامانى، واتصل بهم قراتكين من بلخ، وتقهقر إلى بست منهزمًا أمام جند نصر ابن أحمد ثم طلب الأمان ولحق بأخيه، وتوفى قراتكين فى بست ونقلوا نعشه إلى سيجاب ودفنوه فى الرباط الذى بناه هناك (ابن الأثير، جـ٨، ص٦٥).

على باب المدينة خرج فى رمضان ودخل المدينة فى ذى الحجة وكتب فى هذا الوقت رسالة إلى أبى حفص عمرو بن يعقوب، وكان أبو حفص [1] متنكرًا فى بغداد حتى يعود ودخل المدينة فى المحرم سنة ثلثمائة وإحدى وعشرين وعظمه الأمير أبو جعفر وأجله وأكرمه وخلع عليه وعرضوا عليه الأعمال، وأعلن بايزيد بنكى وبازكريا زيدوى وقراتكين الثلاثة كلهم الطاعة ودخلوا فى أمره ولما عاد الرزدانى من هناك غضب عليه وحبسه، وبقى فى الحبس سنوات، ثم هرب من السجن، وكانت الأعمال تسير على يد أبناء طاهر الأصرم أبى الخير وأبى هض وأبى القسم، ولما جاء الأمير أبو حفص عرضوا عليه الأعمال فقال لى عملان فى سجستان ثم إن الصدر الذى تملكه لست مشتريًا له والآن مضى مائة ولا أريده وكان لى مجلس الرئاسة وأسلمته للرياح ولم يكن لى كفايته التى كنت تملكها فأعلم أنك أحق منى بذلك فأنت جعلتنى أميرًا للمدينة والآن أعطيت كندمك فذهب مائة وكنت أميرًا آخر للماء، وأعطيت فلانًا لمحمد بن عبد الرحمن حتى ذهب صفاؤه (ماؤه) والآن لم يبق لى عمل ولا أريد ولن أعمل، وفى النهاية قالت السيدة والدة الأمير أبى جعفر لا ينبغى لك عمل وفى النهاية جعله صاحب المظالم وكان فى كل يوم مظالم للجيش وجلست فى مجلس المظالم وتدبر الأعمال (الأمور)، وكان الأمير أبو جعفر رجلاً يقظًا سخيًا عالمًا وأهل فضل وكان له نصيب من كل علم، وكان مشغولاً ليل نهار بشرب الخمر وإعطاء الهدايا والعطايا واستراح الناس (أهل الدنيا) فى عصره، ولم يكن عظيم فى مثل شجاعته فى هذه العصور، وكان يقسم الساعات والأوقات فمنها وقت الصلاة وقراءة القرآن ووقت للنشاط (للسرور)

---

(١) أبو حفص هذا هو عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث الصفارى، تولى إمارة سجستان فى رمضان سنة ٢٩٩هـ، ثم أسره السامانيون فأرسلوه إلى بغداد، ويقول ابن الأثير: إن الخليفة المقتدر فى هذا العام أطلق سراح طاهر ويعقوب ولدى محمد بن عمرو بن الليث وخلع عليهما، ومن المعلوم أن أبا حفص المذكور وجد الخلاص فى هذا الوقت وتنكر فى بغداد (من تعليقات بهار).

ووقت للطعام ووقت للنظر فى أمور الملك ووقت للراحة والخلوة، وقد عظم ذكره فى العالم عند عظماء الدنيا.

حديث ماكان [1] مع الأمير أبى جعفر

أعلم أنه أرسل إلى ماكان رسولاً ووجد أبو الحسن الخارجي الرسول وسط زره فى القلعة قال أبو الحسن: أين تمضى؟ قال إنه يرسلنى دائمًا إلى كان رسولاً فمزع أبو الحسين وقال:

أنا أجعل لحيتك فالاً لى يا رسول فإن ما كان ينتف لحيتك كلها من أصلها

ومضى الرسول إلى ماكان وداعبه ما كان وأحسن إليه، وفى النهاية شرب ذات ليلة وثمل فأمر بحلق لحيته، وندم بعد ذلك عندما أفاق، وأعطى الرسول الخلع وأغدق عليه المال واعتذر وانتظر حتى نبت شعر لحيته وأعاده إلى قضاء الحاجات واعتذر إليه فقال الرسول: أيها الأمير لم يكن هذا ثم ألا إن هذا كان فألاً صنعوه فى سجستان، ومن صنع الفأل أتم العمل، ولما عاد الرسول إلى سجستان، كان الجاسوسى قد عرف أبو جعفر فسأل الرسول فأعاد (فقص) القصة، فنادى أبو الحسين الخارى لكنه أنكر ذلك، فحشد الأمير ألف فارس ولم يقل أين مضى، وأركب خمسمائة ناقة وخمسمائة رجل مترجلين.

وسلك طريق صحراء كرمان وقال الناس: لعله سيمضى إلى الكفجان[2]، ولم يكن لأحد خبر حتى بيتهم فى الرى، وقبض على ماكان وأحضره إلى سجستان

(١) ماكان: ماكان بن كاكى من أعيان الديالمة .

(٢) السبكى اسم طائفة يعيشون فى بلوجستان التى يسميها العرب القفص ويقال لها بالفارسية كوج .

وأخذ خزينته وماله، وأحضر ألف حصان عربى وخمسمائة جمل، وأخذ منه هناك ألف ألف درهم، ثم أحسن إليه وأطلق سراحه وضيفه ولكنه تغير (غضب) عليه فى سكره، وأمر بحلق لحيته ثم طلب المعاذير الكثيرة وأحسن إليه حتى نبتت لحيتـه، وفى ذلك الوقت خلع عليه وأعاده.

حديث نصر بن أحمد مع الأمير أبى جعفر

قالوا هذا الخبر فى مجلس أمير خراسان، فتعجـب مـن همتـه ومروءتـه وشجاعته، وكان ما كان يعادى أمير خراسان، وشرب الخمر ذات يوم وقال: نحن نمتلك النعم كلها ولكن ينبغى أن أشاهد الأمير أبا جعفر، والآن ينبغـى أن نـذكره (لنشرب على ذكراه)، وكان عظماء خراسان جميعهم قد حضروا، فـشرب علـى ذكراه وشرب كذلك أعيان خراسان جميعهم ، ولما وصل إليه الشراب المغلى خـتم على الجام السيكى [١] ختم على جامه وأرسل عشر قطع مـن اليـاقوت الأحمـر وعشرة تخوت من الثياب، وعشرة غلمان وعشر جوار تركيات وعليهن مرتـديات الحلى والحلل والخيول والأحزمة، أرسلها جميعًا إليه فى سجستان، وكان الرودكى قد قال فى هذا شعرًا وأرسله، ومنذ ذلك اليوم جرى الـشعر علـى لـسان أميـر خراسان، ولو لم يكن الأمير قانعًا برأى الأمير أبى جعفر، ولم يكن له هذا التـدبير والرأى والحكمة لاستولى على الدنيا كلها وهذا هو الشعر:

ينبـــــغى أن نقتـــــل أم الخـــــمر قربانـــا

لأنهـــا أخـــذت ولدهـــا وســـــجنته

---

(١) السيكى كلمة مركبة من (سه يكى) بمعنى الشراب المغلى ويتجزأ ثلثاه ويبقى الثلث .

وأخـــذ جـــاهل ابنهـــا منهـــا

مادامـــت لا تضر بـــه ولا تسحب منه الروح

وإذا لم يكن بعـد الطـــفل حـــلالاً

عـــن لـــبن الأم وثديـــهـــا

ومـــادام لم يرضع ســـبعة أشـــهر تمـاماً

فأحضر شهردى بثمـــانية إلى أصل شـــهرابان

وبذلك يجـــوز من طريق الدين والشـــريعـــة

جعل الطفل فى ســـجن ضيـــق وذبـــح الأم

وإذا ما وضعـــت ابنهـــا فى الســـجن

فإنه يبقى حـــائراً ســـبعة أيام بليـــاليهم

وإذا عاد إلى رشـــده ورأى الحـــال

فإنه يفيض وينوح من القـــلب المحـــترق

فتارة يصـــبح أعـــلاه أســـفله غمًا

وأنا آخر يصبح أسفله أعلاه مثل الذى يغـلى به الهم

ذهـــب على نـــار فكيـف تريد أن تصفيه

فإنه يغـــلى ولكن من الغم يغـــلى شديدًا

وتعمل على البعـــير الهـــائج الثمـــل

فإنه يخرج الزبد غضـــبًا ويطرد الســـلطان

يأخذ الرجل الحارس كل زيدها

حتى يمحو عنها كدرتها وتصبح صافية

وفى النهاية حين يستريح ولا يتعارك

يحكم إغلاق بابها الحارس

وحينما تستقر تمامًا وتصفو

فإنها تتخذ لها خدًا أحمر ومرجان

وكثير منها أحمر العقيق اليمانى

وكثير منها مثل عقيق بدخشان (١)

فإذا ما شممت رائحتها ظننتها وردة حمراء

أعطتك الرائحة والمسك والعنبر البابانى (٢)

فإنها توضع فى الجرة

حتى وقت الربيع ومنتصف نيسان

وفى ذلك الوقت فتحت الجرة فى منتصف الليل

فإنك ترى عين الشمس مشرقة

وإذا نظرت داخل البللور فكان

الجوهر الأحمر فى يد موسى بن عمران

---

(١) اسم مدينة مشهورة بمعادن الياقوت .

(٢) بابان: اسم حى من أحياء مرو .

يصبح الرجـــــلان الشــــــجاعــــــان قـــويين

إنما قوامنــــــــه ومــــــن وجهـــــــة الروضة الصفراء

وإذا شــــــرب منهــــــا أحـــــــد وهـــو مبتـــــهج

فـــــإنــــــه لا يعـــرف الألـــــم ولا الحـــــزن

ويطـــــردهم عشر ســـــنين بعيدًا عنك إلى طنجــــــة (١)

ويأتـــــى لــــك ســـرور جـــــديد من الرى وعمان

وبهــــــذه الخـــــمر العتيـــــقة يطــــول العـــمر

وكأنمــــا أبليـــــت أكـــــثر من خمســـين لبـــاسًـا

أن يـــنـــتـــظـــــــــم المجـــلـــس المـــلـــكى

من ورد وياســـــمين ومختـــــلف الألــــــــوان

وفرشـــــــــت بســـــــط الفـــــردوس فى كل جانب

فى روعـــــــة إعــــــــداد لم يهيــــأها إنســــان

من لبـــــــاس ذهـــــبى وبســــــط لامعـــــــة

وطرق واســـــعة ورياحـــــين وأســــرة كثــــيرة

وفى صـــــف جلـــــس الأمـــــراء والبـــلـــعمى

وفى صـــــف جلـــــس الشـــيوخ والدهقان وصالح

---

(١) طنجة: مدينة من مدن مراكش (المغرب) ولكن مراده أنه أرسل الحزن القديم إلـى أبعـد بـلاد الـدنيا والسرور فى الرى وعمان وكليهما لم يكن قريبًا من بخارى .

وبتـــــوا خســــــروا مقـدمـــــة الـعـــرش

ملـــــك ملـــوك العـــــالم أمـــير خـــراســـان

وانتـــــظم الـــتـــــرك بـــالآلاف فـــى صـــــــف

وكل واحـــــــد كالبـــــــدر فى ليلــــة الرابــع عشر

وعلى رأس كل منـــــــهم تـــــاج من الـــــــــورد

وجهـــــــــه كالــــــورد وخصــــــالهم كالريحان

وســـــــــاقى الخـــــــمر فاتنة من الفـــاتنات

طفـــــــلة خـــــــاتون الترك وطفـــــلة الخـــاقان

وعنـــــــدما تـــدور بالنبيـــــــذ مســـــــرورة

يســــــــــعد ملــــك العــــــــالم فرحًا ضاحكًا

من كف تركيـــــــة ســـــــمراء العـــين وطلعها كالحور

وقامتهــــــــا مثــــــل السرو وخصــــل كالصـــولجان

يأخذ من تلـــــك الخـــــمر ذات الرائحـــــة العـطرة

كأســـًــــا عليهــــــا محـــــيا ملك ســـجســـتان

فيشرب الشـــــــراب ويقـــــول كذلك لأوليـــــائه

ليـــــأخـــــــذ كلٍّ كأس الخـــــمر مـبـتـهـجـًـا

وأبـــــو جعــــفر أحمـــــد بن محمد هو الســـــعادة

عظـــــيم الأحـــــــرار ومفــــــــخرة إيـــران

ذلك ملـــك العـــــدل وشـــــمس الزمـــان

والعـــــدل بـــه حى ونـــور الدنيـــا

ذلك الـــذى لم يكن لـــه نظـــير فى ذرية آدم

ولا وجـــــود له الآن إن لم تقـــل كـــذبًا

إنه الحجـــة الوحيـــدة لله وظـــله

وقد اســـتوجبـــت آية الفرقـــان طاعته

إن الخلق جميـــعًا من التراب والماء والنار والهواء

وهذا المـــلك من جـــوهر الســـاســـان

وجـــد به المـــلك المظـــلم النـــور

وقد صـــارت الدنيـــا الخربة به جنـــات عدن

إذا كنت من الفصـــحاء فقـــل كل منـــافقة

وإذا كنـــت كاتبـــًا فأنشـــد كل مدائحـــه

وإذا كنت حكـــيمًا وتبحـــث عن طريق الحكـــمة

فاقتـــد بســـيرته واعـــرف مذهبـــه

إن مـــا تـــراه قلـــة بالحكـــمـــة

أنه ســـقراط وأفـــلاطـــون ويونـــان

وإذا كنت فقيـــهًا وتأخـــذ بالشـــرع

فإنه لك شـــافعى وأبو حنيفـــة وســـفيان

وإذا أجـــــرى العــــلم والحكـــــمة على لسانه

فاســـــــتمع إلى عــلـــم وحكمـــــة لقمـــان

يزيد الحــــــكمة والعــــــقل لرجـــــل الأدب

ويزيد رجـــــل الحـــــكمة الأدب والايمــــــان

وإذا أردت أن تشـــــاهد المـــــــــــــلك

فهــــــا هو ذا رضـــــوان الظـــــاهر

انظـــــــر جيـــــــدًا فى تلك اللطافة وهذا الوجه

حتى تجــــــــد البرهــــــــان على ما قلت

إن طهـــــــــر أخـــــــــلاقه ونســـبه

أنــــــه ذو نيــــــــة حسنة وله مكارم الأخلاق

وإذا وصــــــل كلامـــــــه ســـــمعك مــرة

فلـــى ولك يصــــــبح نحس زحــــل هو الســـعد

وإذا رأيته وهو جـــــالس فى صــــــدر المجـــــلس

قلت فى جزم إن ســـــليمان أصبـــــح حيـــًا

إنه ســـــام الفروســـــية ما أضـــاءت الكـــــواكب

والفرس لا يـــــرى فــارسًا مثـــــله فى المـــــيدان

وكذلك فى يوم المـــــعركة والحمـــــية والكريهــــــة

إذا رأيتـــــه بين المـــــغــــــفر والــــــدرع

ويبـــــدو الفـــــيل الثـــــائر أمـــــامك حقيرًا

مهمـــــا كان هــــــذا الفيل ثائرًا ومزمجرًا (مغرغرًا)

وإذا مـــــا رآه أســـــفنديار فى المــــــــعركة

لفـــرت الدنيـــــا من أمام أســــــنانه مرتعـــدة

وفى وقـــــت الحــــلم فإن جســــــمه جبـل

وهو جبــــــل ســـــيامست الـــــذى لم يره أحد يهتز

وإذا كان العـــــــدو متينًا أمـــــام أســــــــنانه

أصـــبح مثـــــل الشــــــمعة أمام النار الحارقة

وإذا جــــــاءه كـــــــوكب المريخ فى المــــعركة

فإنـــــه يصــــــير زاده وعبــــــــــــده

وحينمـــــا يمســــــك كأس الخـــــــمر

فإنه ســـــحابة الربيع لا تمـــــــطر المطر مثله

إن ســـــحابة الربيع لا تمـــــطر إلا مطرًا كدرًا

إنه على الدوام له ديباج على العرش والذهب فى الهيمات (الخرج)

من كثرة ما يهـــــب بكـــــفيه من عطــــــاء

بتدومقيــــــة وحـــــــديث الطـــــوفان حقـــيرة

لا جــــــرم من قصـــــــة جـــــــودة وسخائه

لقـــــد أخـــــذ المـــــديح أجرًا والصامت بالمجان

فإن الشـــاعر يمضى إليــــه فقـــــيرًا خالى اليد

ويرجـــــع من عنده محمــــــلاً بالذهب الكثير والحـمول

للعـــــفيح منــــــه الرعـــايـــة والـــبر

ولرجــــــل الأدب وظيفـــــــة فى الديـــوان

وفى وقــــــت العـــــدل على خـــــلق

لا وجــــود فى الدنيا لنبيل ومســـــــلم يشبهه

يجـــــــد الضعيف والقوى والإنصاف عنده على السواء

ولا تـــــرى عنـــــــــــده دورًا ولا عدوان

وانبســــــطت نعمـــــته فى الدنيـــا بأسرها

ولا تـــــرى أحـــدًا عـــاريـــًا مـــن نعـــمـــته

لقـــد انتـظـمـــت الـدنيـا ووجدت الراحة والسعادة به

وإذا مرضــــــت الـدنـيـا وجـــدت منـــه الدواء

وعلى عفـــــو هــــــذا المـــــلك المبارك

فإن كل صـــــحراء بالنســــبة لـــــه حلقة ضيقة

إنه يقـــبل العـــــذر ويعـفـــو عـن الـذنـــب

إنه لا يمـــــتلئ بالغـضب ويســـعى فى العفو والغفران

ملـــــك ســجســـتان هــــذا هـــو المـظفر

دولتــــه كالفـهـــد وعـــــدوه غـــزال نائح

لقد عاش به عمرو بن الليث

مع حشمة وزمانهم

يا ردوكى على نور مدح الخلق كلهم

قل فى مدحه وخذ توقيع الدولة

وإذا بذلت الجهد فقل

فاملأ فهمك بالمبرد

وإذا كان لك فئتان من الملائكة يتبعونه

ولو كان لك جور وجن وشياطين

فأنت لا تعرف فضله فأحضر الخير

وما قلته أنت لا يمكن أن يقال

هذا هو المدح الذى هو على قدر طاقتى

فإنه لفظ جيد وسهل المعنى (معناه سهل)

أنا لا أعرف شيئًا إلا ما أنت جدير به

ولو كنت فى الشعر مثل جرير والطائى وحسان

أنه مدح أمير والمدح منه للدنيا

زينة ونورة ونزهة وسعادة

إنى أشكو مر الشكوى من أن عجزى ظاهر

وإن كنت صريع الغوانى وسحبان (١) أبو الفصاحة

(١) سحبان: هو سحبان بن زمر بن أياس الوائلى من باهلة خطيب يضرب به المثل فى البيان يقال أخطب من سحبان اشتهر فى الجاهلية وعاش زمنًا في الإسلام وكان إذا خطب يسيل عرقًا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ عاش فى دمشق وله شعر قليل (الرزكلى الأعلام، جـ١، ص ٣٥٨ ، القاهرة ١٩٢٨ م) .

عرج الزمـــــــان على ابنــــــــه المـــــــدح

وان كان قادرًا متســــــــلطًا على مـــــــدح الملوك

لقــــــد ظهـــــر للمــــــدح الخــــــــلق كلهم حد

وليــــــس لمـــــدحه حـــــــد لا نهــــــايــــة

لا عجـــــب أن الرودكى فى مثـــــل هذا المـــــوضع

يبـــــقى فى حـــــيرة ولا يتحـــــدث بشــــــــفتيه

وإلا فقـــــد شـــــجعنى أبــــــو عمـــــــر

والـــــــوزير المــــــخـــــتــــار عـــدنـــان

كيـــــــف يكــــــون لى القـــــــدرة على مدح الأمير

الذى خـــلــــق الله من قـــــدمـــــه الـــدنـــيــــا

وإن كنــــــت ضعيـــــــفًا ولا نــــــديم لــــــى

ولــــم يكـــــن من أمير المشـــــرق أمـــــــر

يجــــــرى مثــــــل الرســـــول الحـــــــاذق

ويمضــــــى على خــــــدمتـــــه بالنـــــــواجز

إن مــــــدح الرســــــول يقـــــدم عـــــذرى

حتى يعـــــلم الأمـــــير الفصـــــيح حقيقـــــــة الأمـــر

إن عـــــذر عبـــــدك هـــــــو العجز والشيخوخة

وهو الذى بجســـــــمه لا يـــــــأتى ضـــــــيف

أطـــــال الله على الـــــــــــدوام دولـــــــة أميرى

ولتـــــــكن دولة أعـــــــدائه على الـــــدوام فى نقصان

لقـــــــــد رفـــــــــع رأســـــــــه إلى الـــــذروة

ومعـــــــــانيـــــــه اختـــــــفوا تحـــــــت السمكة

إن طلعــــــــته أكثر إشـــــــــراقًا من طلعـــــــة الشمس

ولتكــــــن نعمـــــــــته أكثر دوامًـــــا من نعمة وكرم (١)

وذكرنا هذا الشعر كله بحيث إن كل من يقرأه كأنه رأى الأمير أبـــا جعفـــر، وكان هذا كله على ما قاله وقرأ الرودكى هذا الشعر فى مجلـــس أميـــر خراســـان وسادتها، ولم ينكر أى شخص قط مما جاء فى هذا الشعر إلا بيتًا واحدًا جرى على ألسنتهم، وهذا البيت كل ما يقال فيه من مدح لا يوفيه حقه فإن الرجل حينما جـــاء بهذا الشعر هناك أرسل عشرة آلاف دينار إلى الرودكى، وأعطـــى ســـاقى أميـــر خراسان الذى كان قد جاء بهذا التذكار الخلع وإعادة، ولا أطيل القصة فى حديثـــه حتى لا يطول الكتاب فينبغى لذكر فضائله بين عظماء سجستان أن تمس الحاجـــة فيه إلى مجلدين، ولا ينبغى قوله ولكن من هذا سوف يذكر فصل عن كل عظيم من هؤلاء العظماء على سبيل الاختصار، وذكر صايغ (٢) البلخى فى رباعياتـــه هـــذه القصة، قصة ماكان والأمير الشهيد ونذكرها هكذا:

---

(١) كذلك والمشهور (شهلات) وقد وردت هذه القصة فى ديوان قطران وهى مزيج من شـــعر الرودكـــى وعدة شعراء آخرين من شعراء القرن الرابع والخامس الهجريين وقد طبعت عدة قصائد وقطـــع مـــن هذا الديوان مع غيرها فى طهران باسم الرودكى وهذه القصيدة ضمن تلك القصائد ولم يبعد أى شىء فى تحديد هذه القصيدة التى كتبها الرودكى (من تعليقات بهار) .

(٢) صانع أو صايغ البلخى لم نعلم عنه أى شىء .

ليكن خـــوان حزنـــك خـــربًا

وليكن خـــوان طربك عامرًا على الدوام

ولتكن صلتـــك على الـــدوام مع الأخيار

ولتكن أنت الأمير الشهيد وليكن عدوك ماكان

وقال شعراء العرب فيه شعرًا كثيرًا ولكن شرطنا فى هذا الكتاب فهو الشعر الفارسى إلا فى الموضع الذى يفخر فيه ولم يوجد فيه شعر فارسى. ثم حبس الأميـر أبو جعفر أبناء طاهر الأصرم وأرسل محمد بن حمدوت أبو العباس عميـر إلـى بسكر، ثم مضى محمد بن حمدون إلى خراسان فى خدمة أميرها، وعين الأمير جعفرًا أبا الفتح قائدًا للجيش، وكانت الأعمال تسير على يد أبى الفتح، وأبح عظيمًا، وكان رجلاً جلدًا وذا حكمة، طلب أبو الحسين طاهر بن محمد بن أبـى تمـيم [1] إذنًـا ليمضى إلى خراسان وهناك أنجزت على يديه أعمال كثيرة، وخدم أمير خراسـان خدمات، وكانت هناك أسباب لعودته لهذا المكان سنذكرها إن شـاء الله، وأعطـى أشياء كثيرة، واشتهر اسمه بالشجاعة فى خراسان، وكان فى قصر أمير خراسان، وهناك وجد الخلع والقبول وصار معروفًا وعاد من هناك بعظمته إلـى سجـستان، واستقبله الأمير أبو جعفر، وجاء به إلى المدينة بمرتبة عالية، ومكث هنـاك سـتة أشهر، وكان فى مجلسه ليل نهار، وخلع عليه وأحسن إليه، ثم أعطاه بست ومضى إلى هناك، وكان هناك كثير من أهل العلم، وكان طاهرًا محبًا للعلم وانشغل به ليل نهار، وكان يستدعى إليه العلماء والفقهاء فى بست ليل نهار، وكـانوا يتنـاظرون أمامه، وكان يبدى رأيًا فى هذا، ووقع بين أهل أوق خلاف شكل وزاتورف سـنة

---

(١) فى نسب هذا الشخص واسمه اختـلافات فى صفحات هـذا الكتاب نفسها، ففـى الـصفحات التاليـة يذكره أبو الحسن بن طاهر بن على التميمى وأحيانًا أبو الحسين طاهر بن محمد بـن تمـيم، وأحيانًا طاهر أبو على وقد ذكره العتبى وابن الأثير طاهر بن الحسين (من تعليقات بهار).

إحدى وأربعين، ومضى أبو الفتح إلى هناك وزجرهم على هذا، ووقع الخلاف ثانية لأبى الفتح بسبب عصيان تازى مندرك، وخرج من المدينة ومضى إلى كركوى ومنها إلى قوقة، وأرسل أطلمير أبو جعفر الرندوانى والجيش فى طلبه وعاد أبو الفتح وجاء إلى جروادكن وهناك اجتمع حول الغوغاء الناس الغوغائيون، ثم بايعوا هناك أبا العباس بن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، وقالوا هذا ملك نيمروز أليق من الأمير أبى جعفر لأنه ملك بن ملك والأمير أبو جعفر ملك من ناحية أمه، واتحد أهل بسكر فى هذه البيعة، وكان أبو الفتح قائدًا لجيشه، وجمع الجيش وقصدوا القصبة وجاءوا إلى باب المدينة، ووقعت الحرب بين الجيش، ووصل أتراك [1] بست لمساعدة الأمير أبى جعفر ولم يكن لأبى الفتح طاقة بهم، ومضى منهزمًا، وأغار معظمهم من خلف على جروا دكن وبيش زره، وأرسل الأمير أبو جعفر الرزدانى إلى أوق على أثرهم ولم يجدهم وأقام بها، وخرج أهل أوق عن طاعته، واجتمعوا فى برونج، وتحاربوا وانهزموا، وقتلوا فى هذا اليوم ستة عشر رجلاً من قادتهم، ثم أرسل الأمير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم إلى أوق، واستراح الناس معه، ثم جاء سليمان بن عوف برسالة من خراسان إلى الأمير أبى جعفر بأمانه معه ثلاثة آلاف رجل وأعطاه ناحية أوق (قتل الأمير الشهيد أبى جعفر رحمه الله).

ثم كان غلام الرزدانى وكان الخير يغمره من قبل الأمير أبى جعفر، ودبروا تدبيرًا عبد الله بن محمد بن اسماعيل مع أبى العباس بن طاهر بن عمرو ومع إبراهيم ابن سرخ وجماعة من خواص خدامه وقتلوه فى مجلس الشراب فى الجوسق الخلفي، وأغاروا على بيت المال، وكان قتله ليلة الثلاثاء لليلتين من ربيع الأول سنة

---

(١) إن أتراك بست من أتباع القراتكين وعبيد السامانيين وهم فى أول الأمر كانوا قد خالفوا نصر بن أحمد سنة ٣١٨ واتفقوا مع إخوته وقدم من لخ إلى بست وبقى هناك إلى أن مات وحملوا نعشه إلى أسيجاب (الكامل جـ٨ ، ص ٦٦) وبعد ذلك وجد بايتوز الترتى المشهود وصار رئيسًا عليهم ولذلك يسمون بالأتراك البيتوزيين وقد سقط على يد سبكتكين (من تعليقات بهار) .

ثلاثمائة واثنتين وخمسين، وذهب الأمير خلف فى هذه الليلة إلى دوشاب، وأطلق هناك الخيول لترعى الكلأ، وكلما بحثوا عنه لم يجدوه، ولما وصل خبر أبيه مضى من هناك مسرعًا إلى بست عند مكحول الذى كان واليًا عليها وأحسن إليه وتحمس وقال: أنا أثأر لدم أبيك بعون الله تعالى وأجلسك فى دار الملك، وأنزله فى موضع عظيم وأرسل إليه الهدايا (النزل)، ومضى فى أثره جماعة من غلمان أبيه وتوطد له الأمر وفى اليوم التالى لقتل الأمير أبى جعفر نصبوا أبا حفص محمد بن عمرو أميرًا فى قلعة أرك، فجمع مكحول جيشًا واختار ألف فارس وأرسلهم مع الأمير خلف إلى سجستان، ولم يكن لأحد فى سجستان خبر حتى نزل الأمير خلف فى هارون، ولما سمع أبو حفص خبره انهزم فى خراسان فى الحال، ولما مضى خمسون يومًا على مقتل الأمير أبى جعفر دخل الأمير خلف المدينة وتولى الإمارة وخطبوا له يوم الأحد لخمسة أيام مضت من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة واثنين وخمسين، وخلع على أبى يوسف وأبى سعيد المدركى وعينهما قائدين للجيش، وأحضروا تابوت أبى الفتح من نيسابور فى المدينة يوم الخميس لستة أيام مضت من رجب بالتاريخ نفسه، وقدم الأمير أبو الحسن بن أبى طاهر بن أبى على التميمى من بست إلى فراة، وكانت هذه الناحية خاصة به هناك اجتمع إليه خلق ومضى إلى باب المدينة فخرج الأمير خلفه لاستقباله، واختلى كل منهما بالآخر وقال الأمير خلف أنت شريكى فى هذه المملكة وأنزله فى قصر يعقوب.

مجىء الأمير طاهر أبى على فى مدينة سجستان

وكانت أم طاهر أبو على عايشة بنت محمد بن أبى الحسين بن على بن الليث ودخل يوم الإثنين غرة ذى الحجة فى السنة نفسها، ولما مضت ستة أشهر

قامت الفتنة فى المدينة، وكانوا فى هذه الشهور الستة يخطب القاضى خليل ابن أحمد على المنبر بقوله اللهم أصلح الأمير بن أبى أحمد وأبى الحسين، ثم جاء نكرنوسك مع قومه فى الليل إلى باب قصر يعقوب.

وخرج الأمير طاهر أبو على من الجوسق منهزمًا، ونزل فى محلة الجوسق حتى اجتمع الناس حوله وحاربوا سمك وصدق وأحرقوا السوق فى نهاية اليوم التالى، ثم قال الأمير خلف أريد أن أمضى للحج فقد نذرت نذرًا فى الليلة التى أصابتنى المحنة فيها ولكنى قلت (أردت) أن تستقيم هذه الأمور وأستودع سجستان كلها عند الأمير طاهر أبى على، وأمر أن كل شيء يقع فى يده به من هؤلاء السفاحين، ومضى بنفسه إلى بيت الله الحرام فى غرة جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وثلاثة وخمسين، وقبض الأمير طاهر أبو على على أبى يوسف محمد بن يعقوب المدركى يوم الإثنين لاثنى عشر يومًا مضت من شهر الله المبارك سنة ثلاثمائة وستة وخمسين، ثم أمر أن يقتلوه ليلة النوروز لأربعة يوم مضت من ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وسبعة وخمسين، وكان الأمير طاهر أبو على رجلاً عالمًا حازمًا وسخيًا وعادلاً وحسن الخصال، واستراحت به سجستان ومن كثرة عدله وإنصافه الذى شمل الخاص والعام والجيش فى عهده، وكان يأخذ الخراج درهمًا وكانت للأمير أبى جعفر هذه العادة، وكان مشغولاً طوال الليل والنهار بالشراب وكان طاهرًا يسير على عادته وسيرته وقبض على قاتليه جميعًا وقتلهم وكان على تلك الحال وإذا ما ذكرت سيرته ومروءته وعيارتيه فإن القصة تطول ولكنى أذكر حكاية فى عصر الأمير أبى جعفر مضى طاهر أبو على ومحمد بن حمدون مع الحشم إلى خراسان فى بلاط (قصر) أميرها، وكان طاهر من العمرويين، وكان محمد بن حمدون حفيد المرزبان فى زمن جاهلية سجستان [1]، وكان هؤلاء من سلالة

---

(١) يقصد بجاهلية سجستان أى عصرها قبل الإسلام .

رستم دستان، ولما مضوا إلى قصر أمير خراسان وكانوا يمضون كل يوم وكانـا فارسين تامين (عظيمين)، فكانوا يضعون كل واحد منهم على ألف فارس وكـانوا يلعبون الكرة ذات يوم في بخارى على أرض رملة، وركب اثنا عشر ألف فـارس في ذلك اليوم من عظماء حشم أمير خراسان، ووقف طاهر ومحمد بن حمدون بن عبد الله كلاهما يراقبانهم، وأمر أمير خراسان حاجبًا.

فمضى الحاجب وقال: هؤلاء خدموا ووضعوا للخيول حوافر ولعبوا الكـرة وسلبوا (أخذوا) اثنتى عشرة كرة، وكان قاسد عربيًا في قصر أمير خراسـان، فـصاح وقال بالفارسية عمر الله بلدًا أنجب وربى هؤلاء، قال محمد بن حمدون: نحن أحقر فرسان هذه البلاد، وليست لنا الجسارة أن نمضى أمام هذا الملك ومدخل الميـدان، فسر أمير خراسان من هذا وأحسن إليهما وخلع عليهما وأعطاهما مالاً لا حد لـه، وعفى طاهر في ذلك اليوم عن رتيك الخادم، وكان لفتيك هذا مائتا غلام من الترك دون الأشياء الأخرى، وعم أمر طاهر هناك حتى أرسله أمير خراسان قائدًا للجيش لمحاربة ما كان [1]، وكان تحت إمرته أميرك الطوسى [2] وعبـد الله الفراغـانى، ومضوا هناك وحاربوا ومضى ما كان منهزمًا وأغاروا علـى جرجـان ومـضى الأمير طاهر إلى ميدان ما كان ونصب خيمة، ولم يترك أحد أن يغير على قصره، ولكن قل ماله ألف جواد عار وألف بغل مسرج في إصـطبله، وأعطـى الأجـور للغلمان ونساء القصر بأكثر مما كان يعطى ما كان، ومضى ماكان إلى طبرسـتان

---

(١) ما صرح به في التواريخ الأخرى أن أمير خراسان نصر بن أحمد السامانى لم يحارب ماكان مـرتين الأولى سنة ٣١٠ هـ بقيادة محمد وسيمجور والمرة الأخرى سنة ٣٢٨ هـ بقيادة أحمـد بـن محمـد الجنانى ولا يوجد ذكر في أى كتاب لطاهر أبى على ويمكن أن تكون حرب أخرى قد قامـت خـلاف هاتين الحربين بين جيش خراسان وماكان وأنها حذفت من التواريخ (من تعليقات بهار) .

(٢) أميرك الطوسى : هو اسم ولقب لشخص رغب الفردوسى في نظم الشاهنامة ومات في حبس سـبكتكين مع أبى على سيمجور .

ومنها مضى إلى تركستان، وجمع الفرسان وبيتهم واستولى على جرجان، ولم يكن لجيش طاهر خبر وأميرك الطوسى وعبد الله فرغانى وفتيك خادم وأبـــو الحـــسن الكاشانى الذى كان حاجب الحجاب والجيش الآخر الذى كان أعطاه أمير خراسان، واستولوا على جيش طاهرومتاعه، ومضوا وحارب طاهر ووقف مع عدة فرسان، ووضع طاهر وأتباعه فى أقفاص حديد عند ماكان، وبقى محبوسًا عند ماكان، ولـــم يكن لماكان خبر أن طاهر فى الحبس، وظل ماكان يتأسف طول اليوم قائلاً: ليتنى طاهر حتى أخدمه وليتنى خدمته مقابل إحسانه، وإلى ذلك اليوم الـــذى دخـــل فيـــه الخادم هذا السجن رأى طاهر فعرفه فمضى إلى ما كان جاريًا قائلاً: إن طاهر فى سجنك فمضى ماكان إلى السجن بنفسه وقبل طاهر الأرض وخلصه، وطلب العذر منه لعدم معرفته، وجاء به إلى مكانه وأجلسه عليه ووقف بنفسه لخدمته وبذل جهدًا كثيرًا حتى جلس، وأرسل لطاهر مائة غلام ومائة جارية وعـــشرين ألـــف دينـــار ومائة ألف درهم، وهيأ جوسقًا من أجله وأرسل له خيولاً وحمرًا فارهة، كما ينبغى للملوك، وكان يضيفه ليل نهار لمدة شهر، ثم أرسل إليه وزيره قائلاً: إذا شئت فكن أميرًا مادمت أنا القائد وإلا فأنت القائد حتى أقول إن لك منصب أمير الأمراء فـــى الأعمال كلها قال طاهر: إنه يقول كلامًا حسنًا أما إذا فعل هذا من أجلى فأنـــا فـــى المقابل فعلت هذا مع حرمه وأسبابه حتى يكون هذا مكافأة على ذلك، وفعلت هـــذا بسبب أن أجدادى استولوا على الدنيا كلها ففى كل مكان يصلون فيه إلـــى قـــصر الأحرار كانوا يصنعون هذا، وتلك عادة احتفظت بها عن أجـــدادى ولا يجـــب أن يجعلنى قائدًا ولا أميرًا، فأنا عدوه وقل لخادم أمير خراسان: لا تعتمد على من لـــم تربيه خاصة العدو فأنا تربيت على نعمة أمير خراسان وأنـــا مـــن سجـــستان وإذا وجدتك فى حرب أرسلتك إلى القصر ولكن لم أهتم قط، ثم قال ما كان: الأمر لـــك قال: ائذن لى حتى أمضى وارتاح شهرًا فاتخذ ماكان طريقًا جديدًا، وأرســـل مـــالاً كثيرًا وقبله كله، ثم أرسل رسالة محتواها يلزم لى رجل ليدبر هذا المال، فأرســـل

ماكان رجلاً فاستودع كل ذلك المال عنده وركب فى اليوم التالى، وقال لهذا الوكيل: لقد أخفيت شيئًا فى هذه الصحارى فأمضى لأحضره، ففكر فى هذه الأعمال لأنى سأبقى يومًا أو يومين، فمضى ومعه الحبنية وأخذ تابعًا وبغلاً وقدرًا من الطعام، وسلك طريق خراسان، ولم يكن لأحد خبر، ولما وصل بخارى بعد مرحلة كتب رسالة إلى أمير خراسان وأخبره وفى اليوم التالى ركب أمير خراسان مع جيش ومضى بنفسه فرسخًا ليستقبله ووقف على ربوة حتى مضى العظماء والقادة لاستقباله ورأى، ثم جاء الخادم وأبو الحسن الكاشانى مع خمسمائة غلام مسلحين تسليحًا تامًا، ومضوا ليستقبلوه وقال أمير خراسان إن ما فعله الوكيل وأبو الحسن الكاشانى وفتيك الخادم للأمير طاهر وهم الذين يأخذون الرواتب وحافظوا على الجيش واشتروا الغلمان والخيل والحمير، وما كان لأحد إلى يومنا هذا فى خراسان تجمل مثل ما كان لطاهر بن أبى على، وكل ما صنعه هذا الرجل لم يستحسنه من كلامه وعمل ولم يقبل شيئًا من ماكان، وكان السلطان محمود ابن سبكتكين يروى هذه القصة عن الأمير طاهر أبى على فى مجلسه، وكان يقول ينبغى لى أن أراه حيًا، ثم أعطاه أمير خراسان خلعًا جميلة، ومن هناك أرسل رسالة إلى الأمير أبى جعفر حتى أعطاه فراة، وكان هناك حتى وقعت هذه الأحداث، فوجد أمير سجستان فمضى سعيدًا وأحسن إلى الناس، وبقيت له السمعة الطيبة على الدوام، ولما استقام له أمر سجستان سحب جيشه فى سنة ثلاثمائة وسبع وخمسين، ومضى إلى بست، ومضى الترك منهزمين من بست، وتركوا بست خالية، ودخل الأمير طاهر بست بلا حرب ولا قتل، وخطبوا له، ومكث هناك مدة، ولم يكن له خبر حتى هجم بايتوز [1] وكانوا غافلين، وقتلوا جماعة من المشاة

(١) بايتوز: كان اسمًا للأتراك الذين كانوا فى بست ووقع بينه وبين من يسمى طغان التركى نزاع واستولى طغان على بست والتجأ طغان إلى الأمير سبكتكين أن استولى على بست بالعنف والمكابرة وهجم سبكتكين على بايتوز فى بست وأسند إلى طاغية الحكم (تاريخ العتبى) وكان أبو الفتح على بن محمد =

السجزيين، وعاد طاهر إلى سجستان، وحبس كل عظمائه بارس ديلم قائد الجـيش وأبو الحسن الكاشانى حاجب الحجاب وناصر بن منصـور رئيس الجيش ومحمـد ابن عزيز وأحمد بن عزيز وأحمد بن إبراهيم ومحمد بن صالح السعيارى، وكـان هـذا فى سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين، وقال لهم لم يقاونى فى الحرب، ولما كـان هـذا عاد الأمير خلف من الحج ومضى عند منصور بن نـوح أميـر خراسـان فـى بخارى[1] وأعطاه أمير خراسان الخلع والجيش وجاء إلى سجستان، ولمـا سـمع الأمير طاهر الخبر وما أبرم من عهود وما أقسم من إيمان فخـرج مـن المدينـة ومضى إلى سقرار [2] ونزل الأمير يوم الأحد لأحد عشر يومًا مضت من رجـب سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين، فى عمارة (قلعة) محمد بن الليث وفى اليوم التـالى دخل المدينة وخطبوا له وجلس فى دار الملك، ولما رجع الأمير طاهر أبـو علـى مستعدًا إلى تكران، وتحاربوا، ومضى الأمير خلف منهزمًا إلى بست، ومكث هناك حتى يوم الجمعة لليلتين من شعبان سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين، ومـات الأميـر طاهر أبو على، وتولى الإمارة الأمير حسين وكانت كنية الحسين أبا أحمد الحسين ابن طاهر وكانت وفاة الأمير طاهر ليلة الأحد لعشرة أيام بقين من ذى القعدة سـنة ثلاثمائة وتسعة وخمسين، وكان الأمير فراة ولم يعلنوا موت طاهر حتى لا يهجـم جمازة (أحد)، وجاء حسين، ولما علم الأمير خلف أن طاهر توفى وتـولى حـسين

= البستى كاتب وشاعر بانيوز هذا ولحق بخدمة سبكتكين فى هذه الحرب وكان أيضًا فى الخدمة فـى عصر محمود بن سبكتكين وفى النهاية توفى فى التركستان وقد ذكره ابن الأثير (بـأى تـور) مـن تعليقات بهار) .

(١) تقول جميع التواريخ : عندما عاد الأمير خلف من الحج ولم يفسحوا له الطريق إلى سجستان لجأ إلـى خدمة أبى صالح منصور بن نوح الساماني وعاد إلى سجستان بعد أن نال العون منه .

(٢) يقول ابن الأثير : لم يسمح خلف لطاهر بأن يسلك طريقه لسجستان وتلقى من بخار المدد ولمـا أحـس طاهر بهذا أخلاها بلا حرب ومضى إلى سفزار وقد نقل ابن الأثير هذه الأخبار من تاريخ العتبى الذى ذكر هذه الموقعة فى سنة ٣٥٤ هـ (ابن الأثير جـ٨ ص ١٨٥ نقلاً عن بهار) .

جمع الجيش وجاء حتى وصل إلى هستن، فخرج حسين مع الجيش، وتحاربوا هناك حربًا صعبة، وكان النصر للأمير خلف.

عودة الأمير خلف والاستيلاء على سجستان

ووجد النصر العظيم، وفى اليوم نفسه قتل بارس الدايملى وأحمد أبو الفتح وأبو أحمد أبو الأظهر وعظماء جيش حسين كلهم، ودخل الأمير خلف يوم الخميس لثلاثة أيام مضت من جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وستين، وقبض على أنصار طاهر وحسين جميعًا وقتلهم، وأخذ مالهم وأغار على باب فارس وخربه، وأحضر محمد بن غالب من أوق عظماءها كلهم وأرسلهم إلى ريك، واستولى على أموالهم، وهكذا فعل بحيث لم يبق أى حسينى فى سجستان حتى مضوا إلى خراسان، وكان لهم الغربة أو القتل وجعل مقره فى داشن [1]، واستقامت الأمور ولم يكن لأحد خبر حتى جاء الأمير حسين من كهه [2] إلى ضفة هيرمند، وجاء ماء السيل وعبر الجيش فوق الماء (فخاض الجيش فى الماء) يوم الجمعة لستة أيام من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين.

انهزام الأمير خلف

ومضى الأمير خلف منهزمًا إلى جوين، ودخل حسين المدينة وتوجه إلى مسجد الجمعة وصلى وخطبوا له فى ذلك اليوم، ولما انقضت سبعة أيام جمع

---

(١) داشن : كانت محلة خارج مدينة زرنج ويبدو أنها كانت من محلات الريعن .

(٢) كه مخفف كوه، ويوجد فى سجستان مكان يسمى قوهة ومعربها كهه، وربما كان المقصود به كوهة نفسها.

الحسين الجيش، وخرج ومضى إلى زره ونزل فى رامهر آباد، وكان لحسين جيش كثيف وأربعة فيلة، ولما سمع الأمير خلف خبر حسين وكان مع الأمير خَلف وفرسان ومشاة ما يقرب من ثلاثة آلاف فمضى إلى باب المدينة، ولكن أهل المدينة لم يسمحوا له بدخولها ومضى الأمير خلف إلى داشن ونزل بها، وراء حسين ومضى إلى القلعة وقفلوا أبوابها، واشتعلت الفتنة بين سمك وصدق، ودمر عبد الله ابن الصابونى أبواب القلعة، وكان هذا لخمسة أيام بقيت من شعبان سنة ثلاثمائة وإحدى وستين، ثم وصلت رسالة أمير خراسان إلى الأمير خلف من نوح بن منصور أن أتراك حسين بن طاهر وعبد الله الصابونى حتى ينزلا الحصن وليأتيا إلىَّ حتى أسمع كلاً منهما وقد سمعت.كلامك حتى أرى لمن تجب سجستان، فمضى الأمير خلف للأمر وتركهما ينزلان من القلعة يوم الجمعة لعشرة أيام مضت من ربيع الأول سنة ثلاثمائة واثنين وستين، ومضيا إلى بخارى، واستقبلهما أمير خراسان بأموال عظيمة واستقر هناك عبد الله الصابونى، وأعطى حسين لطاهر الجيش ولما سمع أمير خراسان مضى الأمير خلف إلى جوين خرج لاستقباله، وتحاربوا هناك حربًا صعبة حتى المساء، وقتل من الفريقين خلق كثير يوم الجمعة الرابع من المحرم سنة ثلاثمائة وتسعة وستين (١)، عاد الأمير خلف إلى المدينة، ومضى إلى القلعة ونزل الأمير حسين على باب فارس، وكان معه جيش خراسان وكان للأمير خلف باب طعام والمدينة، واستولوا يوم الثلاثاء الثامن من صفر على القلعة، واستخدم المنجنيقات والرجال ثلاث سنوات فى هذا العمل.

---

(١) جاء فى معظم التواريخ أن حسين بن طاهر ظل مدة فى بخارى وفى عهد نوح بن منصور جمع جيشًا ومضى لحرب خلف وعلى حد قول صاحب تاريخ العتبى أن غزو السامانيين لسجستان إنما كان حماية لحسين بن طاهر ومقاومة الأمير خلف التى دامت سبعة أعوام مما أضعف السامانيين وجعل الآخرين يطمعون فى هذه الدولة وخصوصًا أمراء الترك (من تعليقات بهار) .

استيلاء الأمير خلف على القلعة وبدء الحرب مع جيش خراسان

وكل من كان فى خراسان من الأمراء، والقادة وفى بلاد ما وراء النهر جاءوا جميعًا هناك بأمر أمير خراسان، وفى كل يوم يأتى جيش جديد، وكان الأمير خلف كل يوم وليلة يهجم ويقتل، وكان يأتى خمسون فارس من فرسانه من ناحية جيش خراسان يغيرون ويقتلون ويمضون إلى ناحية أخرى، ولما كان حسين يغير كانوا يمضون إلى الحصن حتى هلك عظماء خراسان جميعهم فى هذا المكان، وعجزوا عن الأمير خلف، وكان حسين بن طارة يضحك ويبتهج بشجاعة جيش خلف حتى جاء الأمير أبو الحسن بن محمد بن إبراهيم بن سيجمور للتفتيش، وكانت رسائل أمير خراسان عند الأمير خلف، ولما جاء الأمير أبو الحسن وأعطى رسائل أمير خراسان نزل الأمير خلف من القلعة ومضى إلى قلعة طارق يوم الخميس التاسع من شعبان سنة ثلاثمائة واثنتين وسبعين، ثم أرسل أبو الحسن سيمجور رسالة فى الخفاء إلى الأمير خلف محتواها أن أمير خراسان عجز فى حديثك وقد هلك عظماء وأمراء خراسان جميعهم على يدك، وأرسلنى الآن حيث علم مما بيننا من صداقة ولا تفعل شيئًا حتى أعود، وتسلم رسالة حسين وأراد الجيش، وإذا ما علمت أن الأمير حسين مضى مع الأمير خلف إلى قلعة طاف، ونزل أبو الحسن فى جوسق زيد، وجعلوا الرسل بينهم حتى عقدوا عهدًا مع الأمير خلف أن تكون له طاق وضياعها، ولحسين المدينة والنواحى الأخرى، ودر طعام وخراجها عليك وتصالحوا على هذا، ودخل حسين القلعة وأنس، وأتم الأمير أبو الحسن الأعمال فى شعبان ورمضان وشوال وذى القعدة حتى السابع عشر من ذى الحجة ، وبقى هناك ثم أخذ رسائل المشايخ وحسين، وجاء قائد الجيش إلى هنا، وأخذ المدينة والقلعة وأودعها عندى وانتهى عملى ومضيت، وجاء الأمير خلف بجيش ونزل فى دانش لسبعة أيام بقين من ذى الحجة سنة ثلاثمائة واثنتين

وسبعين، وبدأ الحرب فى كل يوم، وكان حسين على باب فارس والمدينة ثم استولى الأمير خلف فى آخر المحرم سنة ثلاث على باب فارس، ودخل حسين وأهل باب فارس فى القلعة، وكان معه خلق كثير، ولم يترك الأمير خلف وجيشه أى علف فى القلعة إلا قلعة كانت خالية من شىء وبسط كانوا بسطوها فى قلعة أرك ولم يترك على الإطلاق أى شىء عمدًا، وعلم أن حسين سيأتى للقعلة، ولازم الأمير خلف الربط[1] على حافة البركة حتى لا يستطيع أحد أن يأتى الطعام إلى القلعة، وربط الجيش حولها حتى أصبح ثمن حمل الحمار من القمح هناك بمائتين وأربعين دينارًا ومات معظم الناس من الجوع، وطلب حسين المدد من سبكتكين وكان يقبل من كل شيء وجاء سبكتكين حتى خان[2] لمساعدة حسين، فأرسل الأمير خلف شخصًا وأعطاه الدنانير الكثيرة وقال: إن حسين زنديق وهواه مع القرامطة، وكان سبكتكين رجل لمعزير (عزيز) فعاد ومضى إلى بست، وجاء ابن بايتوز والأمير أبو القاسم وأبو منصور بن كومال وزيره من عند سبكتكين مع ألف فارس عند خلف الذى أحسن معاملتهم وأحسن إليهم، واستمد بهم قوة كبيرة فعرف حسين وقال: أهل المدينة لا طاقة لنا بهم واصطلحوا، وجاء الأمير خلف فى المقابر على باب نيشك وحسين فى مسجد باب نيشك، وكان الرسل يمضون ويأتون، وكانوا يكتبون المحاضر ويقسمون الأقسام ويأخذون العهود حتى تم (انتهوا) وكان هذا يوم الخميس الثامن عشر من رجب ثلاثمائة وثلاث وسبعين.

---

(١) الربط : بمعنى الربط وتقييد الدواب والمربط محل ربط الشيء، ويسمون المرابطة على حدود بلاط الخصم والمرابطة ويسمون الجيش الذى يلازم ثغور العدو ورابطة وإن هذه الربط مصدرًا بمعنى الملازمة والحراسة (من تعليات بهار) .

(٢) خان : لا وجود لمكان بهذا الاسم فى حدود سجستان وغزنة، ولكن فى هذه الحدود نقاط باسم خاش وخابا ساروخاست،ويوجد مكان أرخ على طريق ترمات باسم كرماخان، كما توجد ربط كثيرة فى الطريق، وكانوا يسمون الرباط (الخان) وهذا الخان ما زال حروفًا حتى هذا الوقت (من تعليقات بهار) .

تصالح الأمير خلف مع الأمير حسن والنزول من القلعة

ونزل الأمير حسين من القلعة، وخرج الأمير خلف من المقابر فعانقه وبكى بكاءً مريرًا ، وتلا الأمير خلف هذه الآية (من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى)[٢] ثم قال شكرًا لله تعالى على أنى كنت حيًا حتى رأيت هذا الوفاق، وقد بقيت لى من أسرتك العظيمة وقوى ظهرى بك والآن ما رأيك فى الولاية وقد حسن هذا العمل الآن، ما هو موجود كله لم تقتصر فيه، وبما أن الاتفاق تم الآن، فلنعتبر (نصمم على أن ولايات العالم كلها ميراث لنا، ولكن يوجد غرباء، والآن وقد صفت القلوب وبفضل الله تعالى حسن هذا الأمر وأن أثر النصر والفتح لهذا العالم إنما ببركاته وأجلسه وركب ومضى مع الجيشين والغلمان فى جمع واحد العالم ، ومضى الأمراء اثنين اثنين متقابلين ونزلوا فى محلة فراة وكانت النزل[٣] جميلة، وأرسل الخلع الكثيرة وأحسن إلى غلمانه الواحد تلو الآخر، وأعطاهم الذهب والصلات والرواتب، وأرسل الشراب والمطربين وقال: إن الأمير حسين يحب الشراب، ولما مضت عشرة أيام أرسل رسالة محتواها اعلم أنك مستاء للحصار الضيق المضروب على القلعة، وعندما يأتى تمضى إلى باب طعام للتنزه والصيد والفرجة حتى ينشرح قلبك وقلب أطفالك قال: الأمير حسين هذا عين الصواب، فتجهزوا ومضوا وأقاموا فى كل منزل وليمة أفضل من الأخرى حتى وصل طاق وهناك أقام أحسن وليمة، وضيفه عشرين يومًا، وفى النهاية توفى الأمير حسين، وأقام له الأمير خلف مأتما وبكى كثيرًا، واستدعى غلمانه وقال: ماذا تريدون أن أصنع من أجلكم، والآن جرى القضاء ولا مرد لقضاء الله فقبلوا الأرض وقالوا : نحن ميراث سيدنا وعبيده، وإذا كنا نليق بالخدمة وإلا فبيعنا ثم

---

(١) أصل الآية (مِن بَعْدِ أن نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إخْوَتِى) [سورة يوسف آية ١٠٠] .

(٢) النزل : بضم النون وسكون الزاى، النزل ما هيئ للضيف (المنجد) .

أحسن إليهم جميعًا، وأعطاهم جميعًا البيت والضياع والنساء اللائقات واستقام أمر الأمير خلف فى ملك سجستان.

جلوس الأمير خلف أبى أحمد بن أحمد بن محمد بن خلف

وبعد أن قهر الأعداء، وحج وخدم أمير المؤمنين، وأحضروا اللواء والعهد المنشور، واستولى على القلاع وحارب كثيرًا وثار لدم أبيه وقام بالهجمات (وهجم كثيرًا) ومضت على ذلك سنوات حتى توطد له الأمر وهو خلف بن أبى جعفر (أحمد) بن أبى الليث (محمد) بن خلف بن الليث بن فرقد بن سليم بن ماهان[١] ، وكانت أم الأمير حسين عائشة بنت أبى يوسف بن محمد بن عمرو بن الليث، ولما استقامت الأمور للأمير خلف أمر أن يأخذوا الخراج درهمًا درهمًا، وبسط بساط العدل، وخلع ثوب الجيش وطاف وارتدى ثياب العلماء والفقهاء، وعقد مجالس العلماء فى طاف وطجستان وقرب العلماء إليه، وحقر السفهاء وعقد مجالس العلم وعرف العلم من كل نوع، وكان يقيم مجلس العلم والحديث والمناظرة كل ليلة، وجاء إليه علماء العالم مثل الخطيب بن هوشنج [٢] وبديع الزمان[٣] وفقهاء بغداد وعلماؤها والعراقيون، وفى هذا يقول بديع:

---

(١) ابن خلف بن الليث عم أزهر ووالد محمد المكنى بأبى الليث، ومحمد والد الأمير أحمد المكنى بأبى جعفر وهو والد خلف، وخلاف بن الليث المذكور حفيد سليم أو سليمان بن ماهان، وكان سليمان وحاتم أخوين، وكان حاتم جد يعقوب وعمرو وعلى أو سليمان جد خلف بن الليث وزاهر بن يحيى .

(٢) هو أحمد بن الحسن الخطيب، وكان خطيبًا لكراة التى كانت من توابع هوشنج وكان من الدهاقين والفضلاء وكاتب عظيم، وله شعر بالفارسية العربية .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن أبى يحيى بن سعيد الهمذانى المعروف ببديع الزمان كان يعتبر فى هراة وفى سنة ٣٩٨ هـ مات مسمومًا بها ، وقيل مات بالسكتة، وقلده الحريرى فى مقاماته .

قصدت السيد الملك المؤيد وخد المكرمات به مورد

بأرض تنبت الآمال فيها لأن سحابها خلف بن أحمد

ويقول كذلك :

اكفف بحق الله عن هذا الصلف بحياة من جمع المكارم والكلف

ملك الملوك بن الملوك عن السلف خلف بن أبى ليث خلف[1]

وإذا ما ذكرت قصة سياسته وعظمته وهمته ووزارته وكفايته فإن القصة تطول، وقد سماه عظماء العالم كلهم الأمير السيد الملك العالم العادل ولى الدولة لأنه لم يبلغ أحد فى المكارم مبلغه ولم يكرم أحد رجال العلم والدين مثل ما أكرمهم، ولم يقمع أحد رجال السفه والمخالفة وأهل الشر مثله، وكان الأمن مستتبًا فى صحرائه أكثر استتبابًا منه فى بساطه، ولم يكن لأبنائه فرصة أن يرفعوا أصواتهم على الخدم، وكان له العقاب والأمر، وكان له ألف جاسوس فى الدنيا كلها فكان كل من ذهب إلى التركستان والصين والهند والروم جاء ويخبره، وكان يقظًا وكان له ألف فارس يغيرون على بست وزابلستان وواحد ناحية فارس وكرمان وواحد ناحية هراة وفوشنج وقاين وأخذها (استولى عليها) وكان يعتقل قادتهم فى أرك حتى لا يجد أحد القدرة على التعدى على ولايته، ولما تدهورت الدولة وانتهى عصرها نقول الآن قصته وأولاده، توفى الأمير أبو نصر والأمير أبو الفضل كلاهما بلا سبب، واعتقل الأمير عمرو رهينة فى عصر منصور بن نوح فى بخارى بسبب الجيوش التى أحضرها، وقبوله المال، ولما مات منصور بن نوح

---

(١) مدحه كل من أبى الفتح البستى وأبى منصور الثعالبى، كما ذكره العتبى فى تاريخه وذكر أبياتًا لبديع الزمان فى مدحه، ولكن الأشعار التى وردت فى العتبى لم تكن هى هذه الأشعار (من تعليقات بهار).

تولى نوح بن منصور الولاية وكان صديقًا للأمير خلف، وأعطى الأمير عمرو خلعة هناك، وأرسله إلى سجستان، واستولى عل مدينة آيين بأمر من الأمير خلف.

عودة الأمير عمرو بن الأمير خلف من خراسان

دخل الأمير عمرو يوم الأربعاء الخامس من المحرم سنة ثلاثمائة وثمان وسبعين المدينة فى أحسن هيئة، وأنزلوه فى داشن، ومضى لخدمته عظماء المدينة والمشايخ الأجلاء وكل القضاة وهم ينثرون النقود، ثم أمر أن يغلقوا المسجد الجامع فى آيين حتى يوم الجمعة، ومضوا لاستقباله جميعًا فى وقت واحد، وأصدر الأمير عمرو إذنًا (طلبًا) حتى ينشغل بالحرب والضرب، ولما انقضت مدة، عصى أباه، مضى مكحول الحاجب وبعض غلمانه معًا إلى أبيه، ولما علم الأمير خلف الخبر أرسل الأمير أبا نصر مع جماعة من الفرسان إلى جوبن يوم الخميس الخامس من ذى الحجة سنة ثلاثمائة وثلاثة وثمانين وأسروه وحبسوه ومات فى حبسه يوم الإثنين التاسع عشر من المحرم سنة ثلاثمائة وأربعة وثمانين، وكان الأمير خلف يدبر أمره على حال واحد حتى (توفى) الأمير عمو وأبو نصر وأبو الفضل، وكانا يسميانه الأمير طاهر الأسد الضامر[1] وكان يشبه رستم الأسطورى، وتزين العالم كله منه، واستولى على طريقى بست وطريق قاين وكرمان، ومضى لحرب الأمير أبى على بمساعدة سبكتكين، ولما تحاربوا وانتصر، قصد الأمير طاهر غرجوك مع اثنى عشر ألفًا جاءوا من بعده إلى يودج، وعاد طاهر مع مائة فارس من غلمانه، وحارب وقتل غرجوك، وأحضر برأسه وسبعة أفيال من هذا الجيش وكثير

(١) أثير باريك: كان لقبًا لطاهر بن خلف ومعناها الأسد الضامر (النحيل) وكانوا يسمونه هكذا وذلك لشجاعته ورجولته.

من الخيول والسلاح والخزائن. وأصبح رجلاً مشهورًا فى الدنيا بشجاعته ومروءته وحكمته وسخائه، وسر الأمير خلف به وفرح بأبيه، حتى مضى الزمان وأصابه الحسد، ومضى الأمير خلف إلى جبل أسپهبد مع حرمه وخدامه، واتفق أن أمر السلطان محمود سبكتكين من هناك بجيش عظيم وكثير من الفيلة، وسمع أن الأمير خلف هنا مع حرمه والنساء فى الجبل، وكان جيش الأمير طاهر فى سجستان، ومضى السلطان محمود إلى سفح الجبل لثمانية عشر يومًا مضت من جمادى الآخر سنة ثلاثمائة وتسعين، ولم يكن مع الأمير خلف أحد إلا النساء وخدامه السود.

مجيء السلطان محمود بن سبكتكين رحمة الله إلى سفح جبل إسبهبد

ولم يكن له قياس، واستولى على الجبل بحيث إنه لم يستطع أى شخص إضاءة مصباح فى الليل لأنهم فى هذه الساعة ملأوا البيت بالسهام وهيأوا المنجنيقات، وفى النهاية قبل الأمير خلف الصلح وقبل مائة ألف درهم [1] وخطبوا للسلطان محمود، وكتبوا اسم محمود على وجه السكة، وعاد السلطان من هناك يوم السبت لأربعة أيام مضت من رجب سنة ثلاثمائة وتسعين، وتوقع الأمير خلف أن الأمير طاهر وجيش سجستان سيبيتون جيش السلطان، وكانوا ينتهزون منهم غفلة، ولما استعدوا (جهزوا) كان السلطان قد مضى، وخشى الأمير طاهر أباه فعصاه واستولى على فيله وجيش أبيه، ومضى إلى كرمان، ومضى هكذا إلى فارس ولم يقاومه أحد.

---

(١) ذكر العتبى فى تاريخه أن المال الذى اصطلحوا عليه كان مائة ألف دينار وذكره الكرديزى فى تاريخه ألف دينار أيضا .

ذهاب الأمير طاهر إلى كرمان فى شعبان سنة ثلاثمائة وتسعين، ولما سمع الأمير خلف فى الجبل هذا الخبر انكسر قلبه، وجاء فى شعبان إلى خورا نديز [١] وهؤلاء الذين قدموا لجيش السلطان محمود العلف عندما انتهت دولتهم أمر بإحراق غلالهم، وهم لا يستحسنون هذا وقضى الله أنه فى هذا العام كثر الترنجين (الصمغ) بحيث يأخذ كل رجل منه ألف مَن، حتى اغتنى الصغير والكبير منه، ومضى الأمير خلف إلى قلعة طاف وغضب على أهل سجستان ومشايخها والعيارين وخافوا منه ولم تكن الجرأة لأحد قط منهم على أن يمضى إليه إلا الفقيه أبو بكر النيهى [٢]، وكان الأمير خلف فى طاف وقضى شهر الصيام هناك، وقدم المدينة فى العيد ولم يجعل لأحد طريقًا إليه إلا الفقيه أبا بكر، وسرعان ما عاد ومضى إلى طاف ثم جاء إلى المدينة فى ذى الحجة، وسمح للمشايخ أن يقابلوه ويمثلوا فى حضرته فى محله درنيشكو، ومن هناك دخل المدينة عندما مرعيد الأضحى ومرت عدة أيام عاد الأمير طاهر من كرمان مع مجموعة قليلة وحالة سيئة [٣].

---

(١) خوارنديز: لم تذكر فى كتب الممالك ولكنها خورندير (وديز) بلهجة أهل خراسان وسجستان (دز) نفسها بمعنى القلعة ويقال شاهان دز.

(٢) نسبة إلى قرية (نيه) وهى من رساتيق سجستان وهى محلة من محلات سجستان الحالية.

(٣) يذكر هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى فى الجزء التاسع من تاريخه المعروف بتاريخ التاجى فى حوادث سنة ٣٩٠ هـ ذكر فى شرحه لحملة طاهر واستيلائه على كرمان عبارة على النحو التالى: فى هذه السنة ورد طاهر بن خلف المعروف بشير باريك كرمان منافرًا لخلف أبيه ثم تغلب عليها وملكها وانضم إليه كثير من عساكرها، وانتهى أمره إلى الهزيمة والعودة إلى سجستان، وبعد ذلك فإن حملة طاهر على كرمان وعاد بعدها إلى سجستان، وقتل بيد خلف ويقول وعاد طاهر من بم إلى سجستان، وأسر جماعة من أعاظم الديالمة من القادة والكتاب العظام، وعاد بهم مثل أبى موسى خواجة غيره، ويقول إن هؤلاء الشجعان عاونوه فى حربه ضد أبيه بشرط أن يعطيهم الحرية والعودة إلى كرمان، وقد أطلق سراحهم وسمح لهم بالعودة (من تعليقات بهار).

عودة الأمير طاهر من كرمان

وأرسل رسولاً إلى أبيه أن ما صنعته صنعته بسبب خوفى من ظنك، ومضى الآن ما مضى وأنا عبدك وأفديك بالروح ـ وقد رجعت ـ وهيأ لى مكان حتى أمضى إليه ولى نفقات أقنع بها، فسب الأمير خلف الرسول وقال له إنه ليس ابنى حتى أفعل معه شيئًا، ولما عاد الرسول بالرسالة، قصد الأمير طاهر المدينة، فسمع الأمير خلف الخبر وأخرج الجيش، وكان قائد جيش الأمير طاهر زينب، وكانوا يسمونه فى هذا الوقت القائد، وتواجه جيش الأمير طاهر وجيش الأمير خلف على ضفة هيرمند، وتحاربوا، وهزم الأمير طاهر جيش أبيه، وقد انخلعت قلوبهم رعبًا، عندما قدموا أمام الأمير خلف منهزمين ومتعبين وبعضهم قتلى، فعلم الأمير خلف أن المحنة نزلت به ويجب على الأب أن يفر أمام ابنه، ومضى مع خواصه إلى طاف، ودخل الأمير طاهر المدينة فى صباح يوم الثلاثاء وغرة المحرم سنة ثلثمائة وإحدى وتسعين، وكان أهل القصبة أغلقوا أبواب الحصن بأمر من الأمير خلف، ونزل الأمير طاهر فى القصر اليعقوبى، واستقر وأصبح جيشه أقوى وأغنى من جيش أبيه، ونزلوا هناك ومضى عيار وسجستان، ولما حل وقت صلاة الظهر فتحوا أبواب القلعة وصفت المدينة للأمير طاهر والقلاع فى كل مكان إلا طاف لأن الأب مستولٍ عليها.

دخول الأمير طاهر المدينة واستيلاؤه على الولاية

ولم يمض زمن طويل (طويل زمان) حتى جمع الأمير طاهر الجيش والقادة والعيارين وغوغاء المدينة، ومضوا إلى أسفل قلعة طاف، وخاضوا الحرب وأقاموا المنجنيقات من أسفل إلى أعلى فى جرأة وبسالة، ثم عاد الأمير طاهر من هناك بعد

مدة وجاء إلى المدينة وتوسط الرسل بينهم وتصالحوا، وأرسل الأمير خلف خواصه كلهم إليه ليخدموه، وانخدع الأمير طاهر حتى نهض مع مجموعة قليلة ليمضى إلى أبيه، وقال الأشخاص التى كانت لهم الجرأة لا ينبغى (وقال من كانت لهم الجرأة لا ينبغى) فإن الأمير خلف مكار (غدار)، وأدرك محنته ولا ينبغى أن يبقى ابنه، ومن الخطأ أن يمضى وتنقطع مادة هذه المملكة ودولة هذه المملكة ودولة هذه الأسرة بسبب حقده، فإن كل إنسان إذا ما انتهت دولته لابد أن يسلك طرقًا معوجة حتى تنتهى هذه الدولة والملك، ولم يلتفت الأمير طاهر ومضى مع جماعة قليلة ونزل أسفل القلعة وأرسل شخصًا لأبيه قائلاً: ها أنا قد قدمت وركب ومضى إلى باب القلعة، ولما رآه أبوه من بعيد نزل من هناك ومشى، وكان تتبوى مهتر وتتبوى كهتر (وكان تتبوى الأكبر وتتبوى الأصغر) الزنجيان من المبارزين، وكان الأمير خلف قد أخفاهما خلف باب القلعة وقال لهما: عندما أعانقه وأقول الحمد لله أخرجا وساعدانى حتى أدخله القلعة، ولما رأى الأمير طاهر أباه قادمًا ووقعت هيبة أبيه فى نفسه، نزل عن جواده وقبل الأرض وأقدم عليه بخفة وعانق أباه وقال: الحمد لله فقفز الزنجيان إلى الخارج وعاوناه لأنه لم يكن معه أى سلاح ولا غش فى قلبه، وأخذ العهود وأقسم الأيمان، وعاهد الأمير خلف كذلك، وأقسم أغلظ الأيمان، ولكنه أخلف (نكث العهد) عهده وحمله إلى القلعة وقيده، ومضى الجيش الذى كان معه إلى القصبة، ومات رحمة الله عليه فى هذا الحبس (السجن) يوم الإثنين لأربعة أيام مضت من جمادى الأول سنة ثلثمائة واثنين وتسعين، وكان انتهاء آل يعقوب وعمرو فى هذا اليوم، فما كان لأحد قط من بعدهم دولة والله تعالى يعلم كل ما يكون، وحاصر أهل سجستان وجيش طاهر والعيارون المدينة، وأظهروا شعار السلطان محمود لتخويف الأمير خلف، وهتفوا للسلطان محمود.

وكان أبو سعيد بن حسين قائدًا حمل طبلة إلى در طعام، وكان يقرعها هاتفًا للسلطان محمود وألقوا (وطرحوا) اسم آل عمرو من الخطبة، وخطبوا باسم السلطان منفردًا، وكتب طاهر زينب فى المدينة رسالة، وأرسل رسولاً إلى السلطان محمود قائلاً: إن الحال وقع هكذا، وخلصت لك المدينة، وكان السلطان حسن ابن عبد الله بن قارى المعروف بعبد الله ملوك أرسل رسولاً حتى يتعرف على حال المدينة والناس والعيارين وليخبره (وليخبره عن هذا) عن هذا بدقة (بصحة)، ولما جاء حسن بن عبد الله إلى هنا مضى الأمير طاهر بن زينب مسرعًا إلى السلطان، وعرفه صحة (جلية) الأمر، وليس لطاهر خلاف قط فى هذا الأمر إلا أن الدولة انتهت، إلا أنه اقتلع شجرة دولته بيده، ولما أيقن محمود أعطاه الخلع وأرسل معه الحاجب قبجى [1] الذى كانوا يسمونه غلاغوش مع ألف فارس، وجاء معه طاهر ابن زينب وأنزله فى زاوية داشن، وكان الأمير خلف جالسًا فى طاف متمكنًا، وكان كل هذا فى سنة ثلثمائة وتسعين، وكان يمضى راكبًا إلى در طعام مستكشفًا حركات الجيش السلطانى، وكان هذا كله على مقدمة الحبلين السلطانى أبو الليث أبو جعفر أبو سهل بن رزنجى ثم هجم الأمير خلف فى النهاية وقبض على أبى الليث وحمله إلى طاق وأمران يقتلوه.

وقبض على جماعة من جيش السلطان وقتلهم، ولما سمع السلطان خبر عدم استقامة أمره هناك (أن عمله لم يصبح مستقيمًا هناك) ومضى بنفسه مع جيش

---

(١) ذكره العتبى (قتحى) الحاجب ويقول: إنه أحد المحتشمين من قواد ناصر الدين سبكتكين وذكره ابن الأثير (قنبجى)، وقد ذكرت فى هذا الكتاب فى موضع آخر (قبجى) ومن المحتمل أن تكون (قابجى) وهو اللقب التركى للحاجب (من تعليقات بهار).

عظيم عن طريق كش، ونزل على باب قلعة طاف، وبدأ الأمير خلف الحرب، ومضى المشايخ وأهل المدينة جميعهم إلى محمود، وقصد فتح القلعة، واستولى على ريعن خارج القلعة، وقصد ربض ميان، وعلم الأمير خلف بعجزه، ومضى خواص سجستان وعوامهم إليه فتصالحوا، واستجاب له السلطان محمود قائلاً: انزل كما تريد وبقدر ما تريد ولا شأن لأحد قط بمالك وأهلك واختر لنفسك أى جهة تريد أن تمضى حتى أرسلك إليها، فإن أهل سجستان لا يسرون بك على أى وجه، وليس هذا شغلاً تكلفته، ولكن صنعته على نفسك فماذا نستطيع أن نفعل فى تلك الحالة التى وقعت، فنزل الأمير خلف بعد صلاة العشاء ليلة الأحد الثانى عشر من صفر سنة ثلثمائة وثلاثة وتسعين، وعليه الطيلسان فى هيئة العلماء والزهاد وركب حمارًا مصريًا وأمامه شموع موقدة.

هبوط الأمير خلف من قلعة طاق للصلح وذهابه من سجستان إلى خراسان

ودخل أمام السلطان محمود، ولما اقترب منه نهض محمود وعانقه وأجلسه بجانبه وسأله سؤالاً حسنًا واسترضاه وطيب خاطره وأمل آمالاً حسنة وسأله فى النهاية لما جاء الأمير إلى سجستان أصبح الحال على جملة هذا (هكذا) فأين تريد وأى مكان يختاره لنفسه قال الأمير خلف: لى صداقة مع ابن كاكوى[1] وإذا ما سمانى (تركنى) هنا فأنا أحب هذا أكثر وإلا ما استصوبه ورآه السلطان فأعاده إلى

---

(١) هو علاء الدين بن كاكويه من الأمراء الديالمة، وصاحب أصفهان، وكنيته أبو جعفر وأبوه دشمنزيار خال مجد الدولة، ويسمون الخال فى اللغة الفارسية الديلمية كاكو وكاكوى (من تعليقات بهار).

القلعة وقال: امض إلى القلعة عند عيالك، وأرسل فى اليوم التالى شخصا قائلاً: إن لى متاعًا وثقلاً ولابد من خيول تحمل حرمى وأمتعتى فأمر السلطان بإعطائه خمسين بغلاً وخمسين جملاً، وحمل ما أراد من الذهب والفضة والجواهر، ومضى ناحية خراسان، وأرسل حاجبًا معه حتى يخدمه، وكان يحمل معه العلف وكل ما ينبغى حتى يصل إلى مقصده إن شاء الله (١).

صفاء ملك سجستان

للسلطان العادل العالم يمين الدولة أبى القاسم محمود

ابن سبكتكين يوم الأحد فى صفر سنة ثلاثمائة وثلاثة وتسعين

ومضى محمود من هناك، وجاء إلى المدينة ونزل فى كركنك، وكان مقصوده أن يعطى المدينة وعمل سجستان إلى طاهر بن زينب، وكان قد سأل طاهرًا من فى سجستان يوثق فى قوله، وكان طاهر قد قال إنه الفقيه أبو بكر النيهى، ولما استقرت الأمور وطلب عهد طاهر أمر أن يعطى بأن العهد مكتوب بولاية سجستان، فاستدعى أبا بكر النيهى وقال: لقد أخذت من هؤلاء الأشخاص طاهر ابن زينب لأعطيه سجستان من ناحيتنا فإنهم يقولون: إنك لا تقول كلامًا فيه محاباة ولا رياء، قال: لا يليق طاهر بهذا الشغل، فاستدعى السلطان طاهراً وقال: لقد وكلنا

(١) سلك العتبى فى هذا الموضع سبيل الإغراق، وذلك نظرًا لعظمة يمين الدولة الذى كان ولى نعمته فيقول: وأقبل خلف بن أحمد على بذله الجايزه حتى أستأذن له على السلطان ففعل وأهوى إلى الأرض شيبته البيضاء، ولكن ابن الأثير يقول: إن كانت هذه الأقوال نقليا العتبى بقوله فى ذلك الجزء وقيل عنه إن خلف وقع فى التراب، ولم يذكر أنه مسح لحيته بالتراب كما لا يذكر العتبى خبر ابن كاكوى ويقول: إن خلف اختار الذهاب إلى حوزجانات، وإنهم أرسلوه إلى ذلك المكان .

إليك سجستان، ولكن أبا بكر بن ينهى يقول: إنك لست أهلاً لـــذلك فتجلــد طـــاهر وأظهر الحكمة، ولما كان قال هذا وهو المعتمد ولم يثر قوله أى خلاف وقال: إنـــه يقول الحق (إن ما يقوله حق) ثم سلم المدينة والولاية إلى قبجى إلى الحاجب وجعل الوكالة لأبى على شاد بناء على اختيار المشايخ، وأمر أن يخطبوا لقبجى وكان هذا كله فى صفر سنة ثلاثمائة وثلاثة وتسعين، وعاد السلطان محمود بطريـــق بـــست ومضى.

بداية تولى الترك على السجستانيين

ولما خطبوا باسم الترك على منبر الإسلام، كانت محنة سجستان فـــى هـــذا اليوم، ولكن لم ينل سجستان أى ضرر إلى ذلك الوقت، ومنذ عهد يعقوب وعمـــرو لم يكن فى العالم كله بلاد قط أكثر عمرانًا من سجستان، وسموا دار الدولة نيمروز حتى ذلك اليوم الذى أخرجوا منه الأمير خلف سجستان بسبب الثورة التـــى قامـــت عليه حتى رأوا ما رأوا ومازالوا يرونه، ويعلم الله تعالى أنه تنقضى عـــدة أزمنـــة وهكذا كان الشأن على هذا النحو حتى جمادى الآخر من السنة نفسها، وفـــى تلـــك الليلة التى لم يكن فيها خبر حتى ذلك اليوم الذى صاح فيه غوغاء المدينة وعيـــار خوج [١] واضطربت المدينة، فقد رجع هؤلاء القادة والعيارون الـــذين اســـتقدمهم السلطان محمود معه، وكان تركهم فى بست وغزنين، ومضى إلى الهند بحيث لـــم يعلم عنه خبر فظنوا أن محمود ربما مضى فاستولى عليهم الطمع والفساد، وكـــان أبو بكر بن عبد الله حفيد الأمير خلف من ناحية البنت وأبو الحسن الحاجـــب فقـــد

(١) خوج: اسم محلة أو ناحية فى زرعج متصلة بالمدينة، ويقولون عنها إن العيارين رفعوا صوتهم فيها.

أحضروا هؤلاء العيارين، وجمعوا الناس، ولم يوجد طبل فجاء بقدر كبيـر مـن النحاس وطرقوها وهتفوا لأبى بكر، واستولوا على المدينة، وقصدوا القبجي وركب القبجي والجنسين فى الليل وخرجا من المدينة منهزمين، ونزلا فى كركتك ومحلة ميار، ودخل الأمير أبو بكر فى قلعة أرك واستقر هناك، واجتمـع النـاس معـه، وخطبوا له في يوم الجمعة، وكان محمود قد أمر أن يثقبوا سـور المدينـة ثقوبًـا كثيرة، فعاد من سجستان حتى لا يكثر الفساد، فأمر أبو بكر بترميمها، وكان جيش السلطان فى كرنك، ومضى خلق كثير منهم وبإراداتهم ما يقرب من ألف فارس فى نواحى سجستان، وكان أكثر الهنود كفارًا فقتلوا معظمهم، واستولوا علـى الخيـول والأمتعة أمام بيش زرة، ولجأ بادار[1] أبو فضل وبادار مظفر ابنا أبى نصر أبـى العباس وإسحق بن عروة ومائة فارس منهم إلى الأمير أبى الحسن الكاشانى وكان معه ألفا رجل فى بيش زرة، ولم يكونوا عصاة للسلطان، ولكـن عـاونوا جيـشه وأرسل الأمير أبو بكر الرسائل والرسل إليه إلا أنه لم يقبل ولم يحضر، وقال: لقـد انتهت هذه الدولة ولا يمكن أن يدوم هذا العمل، وجاء غلمان الأمير خلـف ومائـة فارس إلى الأمير أحمد أبو الحسن الكاشنى، وكان أرسلان الزنجى نقيبًـا ، وأقـام القادة المعروفون وهو فى رندان [2] حتى اجتمع أولياء السلطان مـن فـراة وأوق وبيش زرة ثم قصد القصبة ومضى مع الجيش الـسلطانى واسـتقر فـى مكـان، وحارب أبو بكر أبا الحسن الحاجب قائداً لجيشه، ومضى المفتـرون إلـى الـسور وارتقى المفترون على السور، وكانوا يحاربون كل يوم، ولما وصل الخبـر إلـى غزنين، كان مع القبجى إلى سعيد بن حسين وأبا على بن أبى الحسن وكانا قائـدين عظيمين، ومضوا من هناك مع نوح من جيش محمـود، وعلمـوا بخبـر عـودة السلطان من الهند، ودخل جيش محمود من باب نواى فى هذا اليوم، وكـان القـوم

(١) ذكر فى موضع آخر (بادار بو جعفر) ويبدو أن (بادار) كان لقبًا للأعيان وأصحاب الضياع.

(٢) راندان: اسم مكان ومن المحتمل أن تكون تصحيفًا لكلمة (روذان) وقد كررت فى هذا الكتاب كثيرًا

كثيرًا من المشاة مع الأمير أحمد بن أبى الحسن بن كاشانى، وقتل كثير من عـوام سجستان، واستولى أبو الحسن بن أبى على مع القبجى فى اليوم نفسه علـى بـاب فارس وبا بكركوى وأبو سعيد بن حسين على باب طعام، وحاصـروا أبـا بكـر ورجاله فى القلعة والمدينة والقصبة وجيش السلطان والعيارين، ونزل الأمير أحمد أبى الحسن الكاشانى فى در فارس وأبو الحسن بن بو على والقبجى فى در كوكوى وأبوا سعيد بن حسين فى در طعام، وكانوا يقيمون الاستحكامات حول القلعة، وكان هذا كله آخر شعبان سنة ثلثمائة وثلاثة وتسعين، وكانوا يحاربون كـل يـوم فـى كور(١) القلعة حتى وصل السلطان محمود فى اليوم الثانى من عيـد الأضـحى (٢) بجيش كثيف ونزل فى جلفا باد، وركب فى اليوم التالى، وطاف حول ضفة باركين والقلعة كلها ونظر وبدأ فى تدبير الحرب والاستيلاء على الحـصن مـن البدايـة، ووضع المنجنيقات، واستولى على الأرض المجاورة ونصب على ضـفة بـاركين (البركة) وعلى كل جهة مقابلة لأرك منجنيق عروسـى وأطلقـوا المنجنيقـات، وهدموا جزءًا من خضر أبرارك فقال محمود جاء بفأل حسن والنصر لنـا، ولمـا مضت خمسة أيام على العيد كان يوم الجمعة ولم يصل أحد فى المـسجد الجـامع لسجستان لانكسار (الانفطار) قلوب أهل المدينة والقلعة، ولما كانت ليلـة الـسبت وفى وقت صلاة العشاء قالوا لأبى الحسن الكنهنزى حيث كان عيار صديقًا لأبـى سعيد فتح در طعام ونادى محمود ولم يكن لأبى بكر وجمعة خبر قط حتى صـعود الغلمان كلهم من قصر محمود إلى القلعة، وصعدوا على السور وقرعـوا الطبـل ونادوا محمود وجعلوا يغيرون ويحرقون وأحرقوا الأسواق والقـصور، وأغـاروا

---

(١) كور: بفتح الأول وكورة بالفتح والضم: هى الأرض الممتلئة بالمرتفعات والمنخفضات والمراد بها هنـا الاستحكامات حول القلعة.

(٢) يذكر ابن الأثير أن هذه الحرب وفتح هذه القلعة كان فى شهر ذى الحجة سنة ٣٩٣ هـ (ابـن الأثيـر جـ٩ ، ص ٦٠).

على مسجد الجمعة وأحرقوا درحلوا وقتلوا علوى الخباز فى مسجد الجمعة، وقتلوا النصارى فى الكنيسة، وقتلوا رجال المسلمين فى بيوتهم، ولم يقتلوا كثيرًا لأن غرضهم كان مجرد الإغارة لا القتل، ولما أصبح الصباح نادى منادٍ لا تكثروا من الإغارة وأمنوا الناس (أعطوا الناس الأمان) وانطفأ هذا اللهب، وكان أبو بكر وأبو الحسن الحاجب فى أرك، وفى اليوم التالى آمنهم على أرواحهم (روحهما) فنزلا وبقيا مدة يسيرة، ثم مضيا وأعطى الإمارة الخطبة مرة أخرى القبجى، وجعلوا محمد أبا حفص كلانة عاملاً وكان ذلك لستة أيام بقين من ذى الحجة سنة ثلثمائة وأربعة وتسعين.

عمل الأمير محمد أبى حفص بن كلانة

ولما حلت سنة ثلثمائة وخمس وتسعين، جاء الحاجب بهشتى، وخطبوا له حتى جمادى الأول سنة ثلاثمائة وستة وتسعين، ولكنهم طلبوه، واستقرت سجستان للكلانيين، وكان لمحمد بن أبى حفص أبناؤهم أبو حفص وأبو نصر وأبو أحمد وأبو القاسم، وكان كل منهم يمضى إلى الحضرة سنة ويبقى سنة ثم يمضى الآخر ويأتى غيره، وكانوا قومًا ظالمين، وضربوا سجستان، وقد شحت الغلال فى سنة أربعمائة، ووقع القحط، وأصبح ثمن حمل الحمار من القمح بمائتين وأربعين درهمًا، وتألم الناس حتى حل رمضان هذه السنة، وخطبوا لقائد الجيش وهو الأمير نصر بن سبككين رحمه الله، وعاد السعر إلى ما كان عليه وتحسنت الأحوال.

مقدم السيد أبو منصور بن خوافي ليكون عاملاً على سجستان

وفي شوال من هذه السنة جاء السيد عميد أبو منصور بن خواف[1] من جهة الأمير نصر وأخذ عمل المدينة وسحب محمد أبا حفص وأبناءه وطالبهم واستولى على أموالهم، وتناول محمد أبو حفص السم، ومضى أبو حفص إلى حضرة السلطان وألقوه أمام الفيلة ونجا الآخرون، وفي سنة أربعمائة وواحد وقع مرض خطير في سجستان، ومات ناس كثيرون، ودخل ثانية في سنة أربعمائة واثنتين، وجاء الأمير نصر بنفسه إلى سجستان وصاحوا (استغاثوا) من الغور، وجاء المشايخ إلى هنا، ومضى السلطان محمود بنفسه إلى هناك، وقاتلوا قتالاً عنيفًا في جبل يشتلك[2] وقتل كثير من المسلمين وبقوا أسرى، وكان السيد أبو العباس الخليلي رحمه الله من هؤلاء الأسرى إلا أنه حرر (إلا أنه أطلق سراحه).

مقدم ابن بهاء الدولة إلى سجستان

ولما كانت سنة أربعمائة وأربعة جاء إلى سجستان أمير الأمراء أبو الفوارس ابن بهاء الدولة، ونزل في بادار أبو جعفر القوسي، وكان بهاء الدولة ابن عضو

---

(١) خواف : رستاق كبير وكانت من ملحقات نيسابور وهي اليوم تابعة لمشهد ويسمونها روى وخواف وكانت قصتها خركود والآن خواف وكانت لها قصة أخرى تسمى سلومد.

(٢) بشلنك: اسم قلعة تقع على رأس جبل وبشلنك، وفشلنك من قلاع الغور العظيمة وتقع على حدود داور ويقول الإصطخري وبلاد الداور إقليم خصب وهو ثغر للغور وخلج وبشلنك.

الدولة فناخسرو (1)، ومضى من سجستان إلى حضرة السلطان محمود، وقد رعى جانبه وأعطاه جيشًا وأرسل معه الأمير أبا العباس بن طاهر إلى كرمان حتى وجد الجاه والملك بمساعدة جيش السلطان، وفى هذا العام هبط ثلج صعب فى سجستان حيث جف كثير من الأشجار والنخيل والحقول، وتخربت القصور من هذا الثلج، وكان هذا كله أثناء عمل السيد أبى منصور بن الخوافي، وكان رجلاً داهية، وقتل خلق كثير فى سجستان، إلا أنه قتل جميع المفسدين، وكان خيرًا مع أهل الخير والصلاح، وكان حييًا وسخيًا وكفئًا فى تدبير العمل، وأعلن كثير من الناس العصيان في عصره مثل أبى الليث بن أبى القصر بن ملك وطاهر بن أبى محمد ابن أحمد بن طاهر الحذيقى، وكان معهم كثير من الناس والدواب، وكانوا عصاة وقتل كلاهما، وكان فى سجستان دائمًا ألف رجل من العصاة فى عصره، فقبض عليهم وقتلهم، وإذا ما قلت قصته بتمامها فإنها تطول، وبعدهم أعلن ناصر ابن محمد بن كازن العصيان، ولم يستطع القبض عليه (الإمساك به)، ولما تم عزله جاء عزيز محمد الفوشنجى ولجأ إليه (أمن عنده)، ومات بنفسه، ولما جاء عصر أبى منصور وشكاه كثير من الناس، وكان الأمير قائد الجيش قد مات فى السنة نفسها سنة أربعمائة وثمانية عشر، جاء حسنك(2) النيثابورى بأمر السلطان محمود إلى سجستان، وأحضر معه عزيز بن فوشنجة ليلة السبت الثانى من جمادى الأول، ودخل القصبة فى السنة نفسها ، وعزل أبا منصور وجعل عزيز عاملاً (خليفة).

---

(1) عضد الدولة وفناخسرو الملقب بشاهنشاه والمكنى بأبى شجاع هو ابن ركن الدولة حسن بن بويه وقبره فى النجف.

(2) هو أبو على حسن بن محمد الميكالى المعروف بالأمير (حسنك) آخر وزراء السلطان محمود الغزنوى أسند إليه السلطان رئاسة نيسابور، وأظهر فى تدبير أمور هذه البلاد حنكة ودهاء وكفاءة، وبهذا كبر فى عين السلطان، وأسند إليه أعمال ديوان غزنين، وقد وصفه العتبى فى آخر كتابه وصفًا بليغًا، وقتل فى سنة ٤١١ ، أو سنة ٤٢٢ فى بلخ على يد السلطان مسعود بن محمود وبتحريض من أبى سهل الزوربى وصلب.

عمل عزيز بن محمد فوشنجى وعزل أبى منصور بن خوافى يوم الثلاثاء التاسع من رجب سنة أربعمائة وثمانية عشر

وحملوا أبا منصور إلى الحضرة وفى شوال من هذا العام ارتفعت الأسعار، وأصبح ثمن كيلة القمح سبعة دراهم، وتوفى أبو منصور الخوافى سنة أربعمائة وتسعة عشر، وفى سنة عشرين سقط برد (ثلج) كثير على سجستان، ومات كثير من الطيور فى زرة وظنوا أن أجنحتها انكسرت، ووزنوا جبة من حبات هذا الثلج، فكان وزنها عشرة دراهم، وكان عزيز رجلاً مستقيمًا فى العمل، إلا أنه لم يكن كريمًا وضيق الأعمال على نفسه وعلى الناس، ولما حل المحرم سنة أربعمائة وإحدى وعشرين، أعطى السلطان محمود عمل سجستان للسيد الأمير الأجل سيد أبو الفضل بن نصر بن أحمد مولى أمير المؤمنين وعزل عزيز.

مجىء الأمير أبى الفضل نصر بن أحمد عاملاً على سجستان

وجاء إلى سجستان وقويت قلوب الناس لأن الدولة تحسنت لأنه أصبح من مدينتنا قائد عظيم علينا ثم وقع قضاء الله تعالى، وتوفى السلطان محمود ابن سبكتكين يوم الخميس لسبعة أيام بقين من ربيع الأول سنة أربعمائة وإحدى وعشرين.

وفاة السلطان محمود – رحمة الله عليه –

وقامت القيامة فى الدنيا واضطربت وبقى الأمير أبو الفضل مدة حتى جاءت رسالة السلطان مسعود من العراق، واستخدم الأمير أبو الفضل الفيلة والجيش فى استقباله، واستولى العيارون على المدينة فأخذوا (وأقاموا) التعصب والحرب وأغاروا على باب فارس وأغاروا وأحرقوا قصر الإمام فاخر بن معاذ وأبنائه فى رمضان من هذ العام، وخطبوا للسلطان مسعود بن السلطان محمود فى سجستان، وأصبح أخوه محمد أميرًا على غزنين حتى وصل الأمير أبو الفضل نيثابور، وجاء الأمير مسعود من العراق إلى هنا ومضى أخوه من غزنين حتى يأتى إلى سجستان، وأراد أن يسلب منهم الحقد والخلاف [1]، وهكذا وقع قضاء الله تعالى أن يهزموا جيشهم وقيدوهم واتجهوا ناحية مسعود، ولما اقتربوا منه اعتقل أركان الدولة جميعهم وقتلهم ، ولم يقبل الأمير أبو الفضل سجستان على النحو الذى قاله ثم أعطوا سجستان لعزيز فوشنجة ثانية.

مجئ عزيز الفوشنجى من قبل السلطان مسعود عاملاً على سجستان

ودخل ليلة الأربعاء منتصف المحرم سنة أربعمائة واثنتين وعشرين، وجعلوا الخطبة والإمارة لكتغدى الحاجى، ولما حلت سنة ثلاث وعشرين جاء خبر وفاة أمير المؤمنين من بغداد القادر بالله وخطبوا لأمير المؤمنين القائم بأمر الله يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة أربعمائة وثلاثة وعشرين، وجاء عزيز

(١) إن هذه الرواية التى تقول إن الأمير محمد قصد سجستان تعد وجهة نظر شخصية وليس لها مصدر معلوم فما أجمعت عليه التواريخ أنه خرج ليحارب السلطان مسعود وليس من المعقول أن يقصد مسعود نيسابور وخراسان وأنه ترك أخاه ليمضى لحرب السجزيين (من تعليقات بهار) .

ثانية إلى سجستان، وكان قد جاء قبله صاحب القضاء ـ أبو سعيد الجيمرني ـ وكانت ثورة العيارين قد ضعفت لأن الحاجب شطر بعض الرجال شطرين، ثم اعتقل عزيز القادة وضربهم بالسياط، وضرب أعناق النقباء [1] وشطرهم شطرين، واتخذ العمل بالسياسة واستولى على كثير من المصادر وكثير من رؤساء القصبان وعظماء القرية وتوفى ناصر كارش فى هذه السنة وأخذ ماله من زوجية اعتقلها، ولما حلت سنة أربعمائة وخمسة وعشرين جاء إلى هنا أبو المظفر فوشنجة، وأرسل (حمل) عزيز إلى فراة، وأعطى سجستان للأمير أبى الفضل، وحمل عزيز معه، وكان أبو سعد الجيمرتى هناك، ولما سمع الخبر هرب، وتولى الأمير أبو الفضل العمل فى غرة رجب سنة أربعمائة وخمسة وعشرين فى سجستان وباشر عملها حتى سنة أربعمائة وسبعة وعشرين، ثم أمضى العمل لأبى سعد الجيمرتى وأبى سعد الفهستانى متشاركين وجاءوا هنا.

عمل أبى سعد الجيمرتى

وفى أثناء تولية عملهم جعل الأتراك [2] يغيرون على سجستان، ومضى أبو سعد القهستانى إلى برونج وقتلوه، وكان الأمير أبو الفضل محبوسًا فى قلعة أرك،

---

(١) النقباء : نوع من التشكيلات العيارية

(٢) المقصود بالترك فى هذا الموضع طائفة السلاجقة، ويعرفون فى بعض التواريخ بالغز، وهؤلاء التركمان هاجروا فى أواخر القرن الثالث الهجرى مجموعة مجموعة من التركستان عن طريق كوج مع حشمهير وخيولهم وخيامهم، ومضوا إلى ما وراء النهر وأسلموا، وبهذه الوسيلة وجدوا مقرًا ومرتعًا، ولما كان أمراء ما وراء النهر يحاربون الترك الخطايين فى صحراء القبجاق، وكانوا يغتنمون مقدم هؤلاء الطوائف ومن جملتهم قدوم جماعة فى حدود سنة ٣٧٥ ومضوا إلى خراسان، وجملة القول إن التركمان عاثوا فى أرض خراسان فسادًا وكانوا أبناء سلجوق وتاريخهم معروف (من تعليقات بهار)

واستقر عمل أبى سعد الجيمرتى يوم الإثنين لعشرة أيام بقيت من ذى الحجة سنة أربعمائة وثمانية وعشرين، ولما حلت سنة تسع طلبوا الأمير أبا الفضل إلى الحضرة وأعطوه عمل سجستان.

مجيء الأمير أبى الفضل يوم الخميس سنة أربعمائة وتسعة وعشرين من شهر ذى الحجة

ودخل المدينة يوم الجمعة، فجاء أحمد بن طاهر وإسحاق بن كازن والشنكليانيون إلى سكر، واجتمع لهم ألفا رجل وجاءوا إلى برونج لحرب الأمير أبى الفضل، ومضى الأمير من داشن وعليار والمدينة والقادة ومراقبو المدينة (الشرطة) وتحاربوا هناك، وتغلبوا عليهم، وقبضوا على كثير من قادتهم، وهرب أحمد بن طاهر وإسحاق بن كازن بحيث لم يرهما أحد، وحبسهم جميعًا فى أرك، وتصدع فى السنة نفسها سد كندك وجرف الماء باب كركوى يوم السبت الحادى عشر من المحرم فى هذه السنة، واتحد أبو عمر بن الليث وابنه ربانا جر مع الشنكليانين واعتقلوا جميعًا، وفى سنة ثلاثين وأربعمائة ارتفع سعر الغلة حتى أصبح ثمن حمل القمح بمائة وثلاثين درهمًا، وأمر الأمير أبو الفضل بأن يجددوا سور سجستان، وانتهى العمل من سور المدينة فى سنة أربعمائة واثنتين وثلاثين على يد الأمير أبى الفضل ثم جمع أحمد بن طاهر خلقًا كثيرًا واتحد مع الترك، ونزلوا على باب كركوى وجعلوا يغيرون على بيش زرة وانقطعت الدخول بسببه، وطلب الأمير أبو الفضل جيشًا من السلطان مسعود ولكنه لم يرسل، وفى هذا بقى (انقطع) حديثه، فما وجد سببًا أن يطلب من الترك قورة وأرسل شخصًا، وفى النهاية مضى الأمير أبو نصر وأحضر أرتاش مع خمسة آلاف فارس فى ربيع

الأول سنة أربعمائة واثنتين وثلاثين، وكان التركمان يغيرون كل يوم علـــى بـــاب المدينة من جهة أحمد بن طاهر، وفى النهاية استولى أحمد بن طاهر على المـــشاة والفرسان كلهم من الترك، ومضى إلى در طعام، ولما جاء أرتاش نزل عند أســـفل أرك، واقترب منه الأمير أبو الفضل .

مجيء أرتاش والخطبة لبيغو

وأبرموا العهود وخطبوا لبيغو، وأرسل أرتاش شخصًا وأمر هـــؤلاء التـــرك الذين كانوا مع أحمد بن طاهر أن يحضروه وأتباعه جميعًا إليه على باب المدينـــة، فاعتقلوا أحمد بن طاهر وكل أوليائه، وأحضـــر إلى أرك، ومضر أرتاش والأمير أبا نصر والجيش إلى باب بست، وأمر .أبو الفضل أبا نصر الكوكى حاكم المدينـــة بشنق أحمد بن طاهر ومنوجهر ومظفرين حسين وأبـــى جعفـــر حمـــدان الـــدرقى أوليائهم وقادتهم جميعهم .

مقدم بيغو إلى سجستان

وجاء بيغو فى الحادى عشر من ربيع الآخر سنة أربعمائة واثنتين وثلاثـــين، ومضى الأمير أبو الفضل معه إلى مكان ومضينا إلى باب بست، واســـتولوا علـــى هذه النواحى كلها، وأغاروا ثم وقع خلاف بين بيغو وأرتاش فعـــاد أرتـــاش فجـــأة والجيش معه وعاد بيغو أيضًا وجاء إلى سجستان، وانتهى حديث سجستان للأميـــر أبى الفضل وعاد الجيش التركمانى كله ناحية خراسان .

مقتل السلطان مسعود

وقتل الأمير مسعود أيضًا في سنة أربعمائة واثنتين وثلاثين، وأصبح (جلس) مودود بن مسعود أميرًا وأحضر أبو سعد الجيمرتي وأبو عمر بن الليث جيشًا إلى سجستان من جهة الأمير مودود وكان قائدهم قيماس الحاجب، ونزلوا على باب نوايست، وكان ابن أبي عمر بن الليث بن نصر وابن أبي سعد الجيمرتي كلاهما محبوسًا في أرك فهربا بحيث لم يعلم أحد كيف هربا .

مقدم قيماس مع الجيش إلى سجستان ومجيء أرتاش وانهزام جيش مودود في سجستان

ومضى الأمير أبو الفضل مع جيشه الخاص إلى هناك، وتحاربوا مع قيماس وهزموهم وعادوا إلى غزنين، وكان هذا كله في سنة أربعمائة واثنين وثلاثين (وجرت) الأحاديث في هذا، وأرسل الأمير مودود الرسائل سرًا إلى سجستان وكان الأمير أبو الفضل على علم بهذا ولم يعلموا حتى يوم الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الأخر سنة أربعمائة وثلاثة وثلاثين، وحبس الأمير أبو الفضل كلاً من أبي سعيد بن محمد بن عبد الله والفقيهين عبد الحميد وعبد السلام ولي الإمام فاخر والأمير كنك والأمير أحمد كوترال في أرك، ثم وصل جيش مودود مع حاجبه الكبير وكان مقداره ألفي فارس وعشرة آلاف من المشاة الشنكليانين الذين اجتمعوا معهم، وكان معهم أبو سعد الجيمرني وأبو عمر بن الليث وأخو أحمد بن طاهر وأبو منصور وأبو حاتم ابنا ستكان الجويني، يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب سنة أربعمائة وثلاثة وثلاثين، وخرج الأمير أبو الفضل وتحاربوا حربًا صعبة، وقتل خلق كثير من كلا الفريقين، وعاد أنصار القائد طاهر بن محمد ابن السجزي، ودخل أبو نصر وجيش مودود، ومضى الأمير أبو الفضل إلى القلعة

أغاروا وقتلوا خلقًا كثيرًا، وصنعوا ما لا يصنعونه في دار الكفر، وكان بداية الحصار من هذا اليوم، وكانوا فى كل يوم يقاتلون قتالاً عنيفًا حول أبواب القلعة، وقتل من الفريقين خلق كثير لمدة أربعة شهور ومائة وعشرين يومًا ، حتى أرسل الأمير أبو الفضل رسالة إلى أرتاس فى خراسان، وكان قد مضى الى بلاد ما وراء النهر حيث كان للتركمان حرب هناك، ومضى من هنا فى آخر ذى القعدة سنة ثلاث ولم يكن لأحد خير من هذا للصعود ولا للهبوط حتى وصل مع الجيش، ومضى جيش مودود الى باب المدينة وعسكر (أقام) الجيش فى هذا المكان وفى الصباح وصل أرتاش والجيش، وحاربوا ساعة واحدة، ونزل رجل المدينة مع الأمير أبى الفضل، ومضى جيش مودود منهزمًا وقبض عليهم وقتلوا، وماتوا من العطش فى الصحراء الى أن وصل عدد قليل منهم إلى بست، وصلب (شنق) الأمير أبا الفضل قيماس والحاجبين ومجموعة من كمران وأبا سعد الجيمرتى على قصر يعقوب، واستولى أرتاش على الجيش ومضى إلى بشت على أثر جيش مودود وكان معه الأمير أبو الفضل والمشاة، واستولى على قلاع وأغاروا وعادوا من هناك فى ربيع الأول سنة أربعمائة وأربع وثلاثين .

أسر الأمير أبى نصر[1] على يد طغرل

وجاء بيغو إلى سجستان بطريق آخر فى شهر ربيع الآخر وعاد من هناك ومضى إلى خراسان ومضى آلامى أبو النصر إليها وتزوج الخاتون ومكث مدة وعاد من هناك، وجعل صغول [2] حاجب مودود جاسوسًا عليه، وأغار من بست

---

(١) الأمير أبو نصر: هو أبو نصر منصور بن أحمد مولى أمير المؤمنين أخى الأمير أبى الفضل نصر ابن أحمد صاحب سجستان .

(٢) يقول ابن الأثير: إن طغرل هذا كان غلام الأمير مودود بن مسعود وحاجبه، وكان إذا طلب شيئًا يستجاب له حتى أنهم أعطوه جيشًا ليحارب الترك فلم يقبل ذلك، وفى النهاية وبعد وفاة مودود =

مع ألفى فارس وقبض عليه فى وادى هند قان، وجاءوا فى جمادى الآخر من هذا العام نفسه، وأصابوا الجيش فى سجستان بخسائر، واستولوا على باب كركوى، وقتلوا خلقًا كثيرًا من المجوس والمسلمين وأغاروا ومضوا إلى كاشن، وحاصروا بيت كاشن واستولوا عليها وقتلوا جماعة من الناس وأغاروا، ومضوا إلى أسفل القلعة والتقوا بالأمير أبى الفضل، وصعد بعضهم إلى القلعة وأصلحوا، ومضوا فى النهاية، وحملوا الأمير أبا نصر إلى غزنين وحبسوه هناك .

مقتل أرتاش

وفى سنة أربعمائة وسبعة وثلاثين مضى أرتاش مع جيش كبير حتى أمضى إلى غزنين، وجاء جيش مودود وتحاربوا، وعاد أرتاش منهزمًا وقدم المدينة ونزل هناك، وعاد بيغو فى سنة ثمانية وثلاثين وكان أرتاش فى سجستان، وخلص الأمير أبو الفضل فى تسعة وثلاثين الفقيهين عبد الحميد وعبد السلام يوم الإثنين الثانى والعشرين من رجب سنة أربعمائة وتسعة وثلاثين، وكان حبسهما استمر ست سنوات وشهرًا، وخلص الأمير أحمد بن توتوال فى وقت الحصار نفسه وأمر الأمير كتك أن ينسحبوا إلى قلعة أرك، وهرب القاضى أبو سعيد بن القاضى أبى الحسن ومضى إلى مكران ومات هناك، وقتل أرتاش فى سنة أربعمائة وأربعين فى طبس على يد غلمان الأمير أبى العباس بن درهى .

= وجلوس الأمير عبد الرشيد أميرًا ، جدد طغرل طلبه وأعطاه عبدالرشيد ألف فارس ودخل سجستان، وهزم بيغو وأبا الفضل على بابها (ابن الأثير جـ ٩، ص ٢٠١) .

خلاص الأمير أبي نصر

وتخلص الأمير أبو نصر بفضل خواجة سعيد بن أحمد بن حسن الميندى الذى كان محبوسًا فى سجستان، وبذلوا عدة حجاب كان قد أخذهم الأمير جفرى، ودخل المدينة يوم الخميس فى الحادى والعشرين من صفر سنة واحد وأربعين، واستولوا على مدينة أثين، وفرح أهل سجستان كثيرًا، ووزعوا الصدقات ثم عاد من هراة، ودخل المدينة ليلة السبت فى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة أربعمائة وواحد وأربعين، وقتل يوسف بن يعقوب بن صابر الكمرى وأبا جعفر الصابر وأولادهم، وأغار على قصرهم وأغار الأمير أبو الفضل وحرره (أخذه) يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول سنة أربعمائة واثنين وأربعين، وأمر فى الوقت نفسه أن يقسموه قسمين.

خبر وفاة أبي جعفر أحمد بن منصور بن أحمد مولى أمير المؤمنين نور الله حفرته

كان هذا الأمير بن نصر الذى كان من أبطال العالم، وما كان فى رجال الدولة نظير له قط فى الرجولة والشجاعة والسخاء والتواضع وحسن العهد على نحو لم يكن مثله كريم ومعطاء، وإن قيل إن أحدًا مثله لم يأت إلى سجستان بعد الأمير ماهر أبى على ، وهكذا أجرى القضاء ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر سنة أربعمائة واثنتين وأربعين وأقام أهل سجستان خاصهم وعامهم مأتمًا لمدة تسعة أيام بقلوب محزونة وعيون دامعة، لأنه كان منقطع النظير رحمة

الله عليه، ومضى أبوه الأمير أبو نصر يوم الإثنين الثامن عشر من جمادى الأولى سنة أربعمائة واثنتين وأربعين إلى هراة، وحزن الأمير أبو الفضل عدة أيام بسببه، ولكن عاد الطرب على عادة الملوك، ولم يكن فى هـذا الوقـت أى ضـرر فـى سجستان حتى جاء طغرل الملعون غير المبارك عليه .

مجىء طغرل

ونزل يوم الأحد الثالث من رجب سنة ثلاث وأربعين فى قلعة طاق، وجعل يرسل الرسل ولم ينخدع الأمير أبو الفضل به، وفى النهاية وقعت الحرب على القلعة، وكان هلال بن درقى الحاكم، أظهر كثيرًا من الشجاعة، ومات فى النهاية، وكان خليفة الأمير أبى الفضل هناك الأمير أبو سعيد السمورى الذى تابع هذا العمل وأظهر الشـجاعة، وكان القادة هنـاك والعيارون مثل أبى الليث اليرزى وأبو محمد بن منصور وأصحابهم الذين ظهروا الوفاء حتى هيأ خمسة آلاف فارس محمودى وخمسة فيلة ومجموعة من ألفى من المشاة السجزيين والغزنويين، وكان معهم أبو محمد بن عسكر، ولم يستطيعوا أن يستولوا على هذه القلعة مع كل ما صنعوا من حيل، وكان من حكم القضاء أن يختار طغرل ألف فارس كاملى العدد، وجاء إلى باب المدينة وجاء الأمير بيغو من هراة بجيش ليحارب جيش طغرل لم يكن لأحد خبر عن طغرل قد يروا تدبيرًا وأخبروا طغرل أن بيغو قادم الآن، فتربص له فى كمين حتى خرج من المدينة الأمير الأجل السيد أبو الفضل بن أحمد مولى أمير المؤمنين رحمه الله، ونزل بيغو على ضفة النهر حتى يصل الجيش والعتاد ويجتمعوا ويدخلوا المدينة وكان هذا اليوم السبت الثانى والعشرين من رجب

من التاريخ نفسه، وأغار (ضرب) طغرل فجأة على عامة المدينة وارتفع الصياح، ومضى بيغو منهزمًا بلا جيش وبلا سلاح واحتفظ الأمير أبو الفضل بقلبه (بهدوئه) ومضى معه إلى هراة حتى يجمع الجيش هناك ويأتى للحرب، ثم مضى طغرل إلى قلعة طاق، وحارب هناك عدة أيام أخر، ولم يأت له قط، ومضى محمود بن كندمك والإخوة إليه، ولم يأت شيء قط مع أهل القلعة، وفى النهاية عاد عاجزًا يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان ومضى إلى غزنين واستولى عليهما، وقتل عبد الرشيد ابن محمود ومعظم أمرائها الملوك أهلكه الله تعالى كذلك، وكان هذا جزاء له، ولما سمع الأمير أبو الفضل خبر ذهابه ترك الجيش وعاد إلى مملكته بطالع السعد ودخلها ليلة الثلاثاء الخامس عشرة من رمضان من هذه السنة نفسها، وأحضر معه ابن الأمير بيغو وأنزله فى داشن وكان الأمير الأجل أبو الفتح قرارسلان بورى ابن معز الدولة[1] مولى أمير المؤمنين هناك ومكث عامًا مع العظمة والجاه والنصر وأحبه الأمير الأجل المؤيد أبو الفضل، ثم أرسل والده من هراة الرسل والحجاب حتى جاءوا به، ومضى إلى هراة يوم الإثنين الثامن من شوال سنة أربعمائة وأربع وأربعين، والخطبة للأمير طغرل بن محمد بن ميكال أدام الله ملكه فى سجستان يوم الجمعة الثامن من المحرم أربعمائة وخمس وأربعين[2]

---

(١) قرارسلان بورى بن معز الدولة أمير المؤمنين، ابن الأمير موسى بن بيغو فى هذا الكتاب، لكن فى شجرة النسب التى ذكرها الراوندى أن أبناء بيغو كانوا على هذا النحو : يوسا ـ ارتاش ـ ينال ـ مسعود الأمير فرخ زاد، ولكن فى أسرة البارسلان شخصين لهما هذا الاسم أولهما بورى بارس ابنه والآخر بورى تكين حفيد ابنة تكشى .

(٢) فى المتن عدة سطور بيضاء مما جعل سياق الحديث به اضطراب .

موقعة بده

غارة أهل سجستان على روستان بده من قبل قرتاش بن طغان بك العسلى لعنه الله يوم الإثنين السابع والعشرين من رمضان سنة أربعمائة وخمسة وأربعين في وقت النحس فى برج الحوت، وكان هكذا مقدمه إلى سجستان، كان قصد أن يمضى إلى مكران، عدة أيام وقالوا : ينبغى أن تمنى بعد كثرة ما فعله جيشك فقال أعطونى علفًا لمدة خمسة أيام أخرى حتى أرى عيد سجستان ثم مضى غاضبًا ونزل فى بده وبدأ الحرب مع الرعايا وجعل يخرب فى بيوتهم ويقتلهم وفى ليلة الإثنين عين الأمير الأجل السيد أبو الفضل الأمير بورى قائدًا على فوج من التركمان وعين الأمير إسماعيل القوقهن والأمير أبو جعفر القوقهى والأمير أحمد أخيه على أهل أوق، ووكل الأمير طاهر بالثوار (العصاة) وأهل بيش زرة وعينه عليهم كما عين غلمانه معه، ومضى معه ما يقرب من مائتى فارس من التركمان وغلمانه وخمسمائة رجل مسلحين تمامًا ومضى معهم بنفسه إلى باب المدينة، وكان يوصيهم جميعًا احترسوا من أن تقتلوا أحدًا ولا تسيلوا دمًا من الرؤوس، وارفعوا الأصوات حتى يمضوا، فمضوا، وكان هؤلاء التركمان الذين كانوا مع الأمير بورى صاحوا قبل أن يصلوا إلى الجيش، فترك التركمان معسكرهم ومضوا، وجاء هؤلاء وأغاروا وحملوا أمتعتهم وتفرقوا جميعًا، وولى كل شخص منفصل منهم وجهه إلى المدينة ولما جاء (بزغ) نور الصباح عاد التركمان وبدأوا الحرب وحاربوا إلى صلاة الظهر، وهرب تركمان الأمير بورى، وتقهقر الأمير بورى والأمير طاهر وتركوا المشاة بأيديهم، ودخل الأمير إسماعيل أبو جعفر المنزل، واستولوا على القلعة، وحاربوا يومين آخرين، وأنزلوهم فى اليوم الثالث وقبضوا عليهم، وقتل ما يقرب من مائتى رجل هناك، وباعوا الأمير

إسماعيل بعشرين ألف درهم، ومضى الأمير الجليل السيد أبو نصر هناك وكان معه الرهائن حتى يقدموا (يعملوا) الذهب ومضى السلام.

سجن السيد الكبير الأمير بيغو فى قلعة اسبهبد بين (وسط) الجيش الذى كان قد أحضره، والأمير يورى بن بيغو فى شعبان سنة أربعمائة وخمسة وأربعين وفى اليوم التالى كان الجيش الذى معه وقصدوا الأمير بيغو فى هراة، وأحضروه إلى قلعة أرك، وقتل فى الخامس من رمضان من هذا العام .

قدوم ياقوت [1] للمرة الأولى إلى سجستان

يوم الخميس الثامن من رجب سنة أربعمائة وستة أربعين، وبقى تسعة أيام فى سجستان مع ألفى فارس ضيوفًا على الأمير الأجل السيد الملك المؤيد أبو الفضل رحمه الله، ولم يأخذ أى شخص منهم وهم فى كل سجستان منا من القش، ولم يضربا شخصا قط، ومضى إلى مكران يوم السبت السابع عشر من رجب، وخطبوا فى مكران، وزوجوه أخت الأمير مهيا، وعاد ومضى إلى قاين عن طريق صحراء كرمان، وعاد معظم جيشه إلى سجستان، وبقوا هناك عدة أيام، وكان أبو المظفر حضر نقيب العتبة (مندوب العتبة) يرسل المؤن لهذا الجيش وقبضوا عليه فى سجستان، وقيدوه، وحملوه معه إلى قاين، ولم يتركوه فى الخارج حتى يتعذب ومطالبته آلاف دينا، ووقعت المكاشفة بينه وبين الأمير أبى الفضل من هذه الجهة حتى مضى إلى خراسان، وطلب منشور سجستان من الأمير حضرى أبيه، وأرسل شخصنا إلى العراق، وكتب الرسائل إلى الأمير الغول وتسلم منشور سجستان

(١) ياقوت بن داود بن چغرى بك وابن أخى السلطان طغرل السلجوقى

وقدمها، ونزل فی رون وجول يوم الأحد الثانی عشر من شعبان سنة أربعمائة وسبع وأربعين .

مقدم ياقوتی مرة أخرى (ثانية)

وجاء فی اليوم التاسع من السنة الفارسية [1] فی عام أربعمائة وأربعة وعشرين . ومكث مدة هناك، وأصبح معه أهل رون وجول ولم يؤد أحد قط هنا، وأرسل الرسل، وعرض منشورًا إلا أنهم لم يحسنوه ولم يقبلوه، وآل الأمير أبو الفضل : لا اعتماد (لاثقة) لی فی قولك فأنا لا أريد ولن أخطب لك ويمكن إخراج سجستان من يدی بقوة السيف، ونهض من هناك وجاء إلى جوين، وأرسل الرسول إلى طرف آخر، وأعادوا رسوله ثانية وقالوا: أنت الآن لم تأخذ قلعة سجستان ولم تستولى على القلعة ولم تقتل رجلاً فهل نعطيك الطاعة بالحجة حتى مضى رسول وكان قد قدم دوق، ولما سمع هذا الكلام عاد يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان،

وصلى العصر فجأة فی جوين، وكان الناس غافلين، وعادوا إلى ديارهم مما حدث لهم ولم يتأذوا، فحارب الناس وصدهم عن القلعة .

---

(1) لأول مرة يذكر المؤلف التاريخ بالسنة الفارسية، لأنه كن قبل ذلك يذكر التواريخ العربية الإسلامية فقد ذكر المؤرخ (روزآذر) وسنة (٤٢٤ يزدجردی) ومعنى روزآذر اليوم التاسع ويعلل الأستاذ بهار هذا بقوله: لعل المؤلف أخذ عودة الأمير ياقوتی من المزارعين والدهاتين، والقرويين كانوا يحتفظون بالتقويم الفارسی القديم.

موقعة جوين

واستولوا على القلعة فى اليوم التالى يوم الثانى عند وقت صلاة الصبح وشنوا الغارة، وقبضوا على الأمير شاهنشاه فى جوين، وحملوه إلى المعسكر، وقتل ما يقرب من ألف ومائتى رجل من هذه المدينة، وأسروا كثيرًا وسجنوهم وحملوهم، وأرسلهم إلى خراسان، ومكث هناك حتى مضى عيد الفطر، وجاء إلى برونج، ونزل فى الجانب الغربى فى كلموه، وتقاتل معه أهل قوقة عدة مرات، وسلبوا منه كثيرًا من الخراف والجياد والأمتعة، وباع درب وأخذ منهم ما يقرب من ثلاثمائة ألف درهم، وآمنهم، وأرسل أبو القاسم ينال الذى كان قائد جيشه من كلموه مع مائتى فارس على أنهم رسل، وقال : ها أنا استوليت على القلعة وقتلت الرجل وقضيت عليه، ولم يبق عذر، ولكن لم يخضع الأمير أبو الفضل وأبى وقال : لا يمكن طلب الولاية مع هذه المعاملة التى تعاملنا بها، فعاد أبو القاسم ينال ومضى عنده، وكان الأمير أبو الظفر والأمير أبو الحسن مع الأمير أبى نصر فى قلعة برونج، ومعهما ما يقرب من عشرة آلاف رجل مسلمين تمامًا، ووقعت الحرب هناك ذات يوم ولم يحدث له شئ، وقبضوا على عدة رجال من رجاله وجرحوهم ثم أرسل رسولاً وهو أبو القاسم النيشابورى، وقال الأمير أبو الفضل : إذا ما كففت يدك عن الحرب والغارة والقتل فأنا أطيعك، ولم يؤذ أحدًا مدة سبعة أيام، وأرسل حنباشكى إلى كل قرية من قرى بيش زرة، وأمن الناس جميعًا .

موقعة بيش زرة

وجاء فجأة إلى كمر زهير يوم الخميس العشرين من شوال، ومضى إليه أصرم بن يعقوب بن صابر مع أهل كمر وخدمه وضيفه، ومضى فى اليوم التالى

من هناك إلى مارجويه، وبدأ الحرب على قلعة مارجويه واستولى على الحصن فى اليوم التالى فى الضحى (الصباح)، وقتل مائة وسبعين رجلاً فى القلعـــة وآمـــن النساء، وأرسلوا إليه شخصًا، وقدم برندن فى هذا اليوم نفسه، واستولى على رود وزرق وحصونهما وقتل الناس جميعًا، وأسر النساء، وحمـــل بعـــضهن وأطلـــق بعضهن، ومضوا فى اليوم التالى إلى قلعة مهربان وبـــراون، واســـتولوا عليهمـــا وخربوا بيت براوند وبيت شهرزادى فى رندن وبيت ونيس زن وقتل كثيـــرًا مـــن الناس فى براون، وكان الطالع فى هذا الوقت نحسًا فى العمل، واستولوا فى هـــذا اليوم على قلعة كدة، وقتلوا أربعين رجلاً منها، وعاد فى الخامس والعـــشرين مـــن شوال، ونزل فى فرسفان برونج ومضى فى اليوم التالى إلى دوق، وبـــدأ الحـــرب وحارب يومين واستولى على أسفل القلعة، وسلك طريق ثمانين، وكان يصنع هـــذا كله من أجل تقتيل أهل سجستان، وجاء قبله خمسمائة رجل كانوا قد خرجـــوا مـــن سجستان، وأراد محمود كندمك أن يمضى معهم إلى طغرل، ولما جاء إلى سجستان عاد محمود كندمك وجاء معه ثلاثمائة رجل من رون وجول والأمـــاكن الأخـــرى وكان من هؤلاء كلهم الفتنة والحرب .

مجىء رسول الأمير جغرى [١]

يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر ســـنة أربعمائـــة وثمانيـــة وأربعين كان الطالع السعد فى الثانية والعشرين درجة، وكان هؤلاء فى ذلك اليـــوم فى بيت الأمير أرتاش، وكان هو فى سجستان، وحملوهم إلى ضفة النهر فى زيان،

(١) هو أبو سليمان داود بن جفرى بيك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق أخو السلطان طغرل بن السلجوق.

وكان معه فى الطريق ثلاثة آلاف رجل والجوش والـدرع والأسـلحة والنـاجح والرمح، وكانت شرف قلعة أرك مختلفة عن شرفات القلاع الأخرى، وفـى كـل شرفة دروع . وعتاد تام للفرسان وضعوه من أعلاها إلى أسفلها، ولم يكونـوا قـد فتحوا باب السلاح وكان هذا وذلك فى يد الرجال، ولما وصل الرسل إلـى ضـفة النهر من هذا الجانب، حملوا القتلى معهم ووضعوهم فى السفينة، ومضى الحاجـب مع خمسين فارسًا معهم من ضفة نهر هيرمند إلى باب المدينة ومن جهة النهر إلى زيان، وجاءوا معهم حتى باب المدينة، ولما قدم الرسل والحاجب معهم من ضـفة النهر مضوا، أغلقوا الباب ولم يسمحوا للآخرين بالخروج حتـى مـضى هـؤلاء الرسل إلى الأمير الأجل أبى الفضل فى حديقة ميمون وكان جالسًا فى خنبكـركين، وكان يخدمه مائة غلام وخمسون ومائتا شخص من خواصه معهم الـسلاح التـام (الكامل) فدخل الرسل وأقاموا الصلاة ولما أرادوا أن يدوموا (ينـصرفوا) نثـروا أمامه الجواهر القيمة وألف دينار ومضوا، ونزلوا فى بيت أرتاش .

الخطبة للأمير بيغو

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من هذا الشهر أقاموا الرسوم فى المدينـة من باب قصر أرتاش حتى باب تبان، وتزينوا جميعًا بـالخوذة والمغفـر والـدرع والجوش والديباج، ونثروا الكثير من الدراهم والدنانير، ومضى من بوابة جفـرى بك إلى مسجد الجمعة، ولما خطبوا باسم الأمير جفرى نثروا قـدرًا مـن الـدراهم والدنانير حتى أن ما وجده من المصلين ما بين عشرين وثلاثين دينارًا، فكان فـى ذلك الوقت طالع العقرب فى عشرين درجة والمريخ فى الأسد بـثلاث درجـات،

والشمس فى السرطان بخمس وعشرين درجة، والقمر فى الجوزاء فى التاسع عشر درجة، والرخل فى الحمل من عشرين درجة والمشترى فيه بتسع،وعشرين درجة، والزهرة فى الجوزاء بإحدى عشرة درجة، وعطارد فى السد بأربع عشرة درجة .

مقدم الأمير بيغو إلى سجستان

ولما كان الحال على هذا النحو، أرسل الأمير بيغو رسالة إلى الأمير طغرل فى العراق، وكان يشكو كثيرًا من الأمير چغرى، والوعود التى أبرمها فى ذلك الوقت، وأنهم قدموا بعد عبورهم نهر هيرمند، واستولوا على خراسان، وذكر هذا كله، وعاتبه كثيرًا ثم جاء الرد على الرسالة وكتب المنشور إليه عند الأمير أبى الفضل وأهل سجستان وقال: لقد كتبنا إلى الأمير چغرى حتى لا يسئ الأدب من بعد، وكتبنا منشور سجستان إلى الأمير بيغو فينبغى بعد ذلك ألا نختلف وألقوا السمع إلى أمره، واخطبوا له واجعلوا الخاتم والدرهم والدينار باسمه، وإذا جاء جيش بيغو إلى هذه الناحية فلا تطعه حتى نعلم هذا كله، ولما وصلت الرسالة والمنشور إلى الأمير بيغو، أرسل ابنه يورى مع الحجاب والجيش إلى سجستان، وكتب رسالة لقد أرسلت منشور الأمير طغرل كما ينبغى أن تخطبوا إلىَّ وتجعلوا خاتمى على السكة وأن ترسلوا الضرائب والشحن الخاص بالأمير چغرى عندكم، وسلموها للجيش، وأمر جيشه ألا يأذوا أحدًا فى مكان قط حتى ذلك، وقت الذى لا ينفذون فيه ما قلت، فإن يذا تحرق والأخرى بها السيف تقتلون وتحرقون حتى يأتمر فى ذلك الوقت، وقدم الأمير يورى سجستان يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأخر سنة أربعمائة وثمانية وأربعين فى الصباح وكان الطالع فى الميزان ثلاث درجات، ولما وصل ضفة نهر ديوان على باب المدينة، أرسل الأمير

أبو الفضل حاجبه الكبير مع عشرة آلاف فارس ليستقبلوه، ولما وصلوا إلى باب المدينة لم ير أحدًا أخر يستقبله، وهكذا مضى يورى ونزل فى داشن، وقدم معه ما يتراوح بين عشر أو خمسة عشر فارسًا إلى المدينة عند الأمير أبى الفضل فى حديقة ميمون، وسلم عليه، وكان فى صلاة الظهر قد أحضر الخلع من عند الأمير بيغو أرسلها بيد الحاجب وعليها رسائل، ولما قرأ الأمير أبو الفضل الرسالة قال : لا أستطيع أن أفعل لكم هذا ..... (1) .

وفاة الأمير الأجل أبى الفضل فى الثالث والعشرين من جمادى الآخر سنة أربعمائة وخمس وستين وتولى الأمير الأجل بهاء الدولة (2) والدين طاهر بن منصر بن أحمد فى السابع والعشرين من جمادى الآخر فى هذه السنة نفسها . مجىء الأمير بدر الدولة والدين شمس الملوك بن العباس أول مرة فى أوق فى غرة شوال سنة أربعمائة وسبع وستين، ومجيئه إلى قلعة سمور والاستيلاء عليها فى الشهر نفسه، ومجئ الأمير طاهر إلى درق، وحصر (ضغط) الأمير أبى العباس فى القلعة وجيش سجستان وخمسة آلاف رجل وفارس فى يوم الجمعة السابع عشر من الشهر نفسه وعودة الأمير طاهر من قلعة درق فى يوم الأحد التاسع عشر من

---

(١) فى الأصل ما يقرب من نصف صفحة بياض، وقد قطع موضوع التاريخ، وسقطت سبع عشرة سنة ويبدو أن قضية مقدم بيغو من هراة إلى سجستان وكيفية الأوضاع فى السبع عشرة سنة وبقية أخبار الأمير أبى الفضل سقطت من هذا التاريخ، أو أن المؤلف لم يكتبها أصلاً، ومن العجب، أن موضوعات الكتاب، كما يبدو فى الصفحات التالية قطعت فجأة والصفحات التى تتلوها كتب فيها الموضوعات التاريخية عبارة عن جمل وفهارس وما يشبع هذا، وكأن كاتب النسخة الأولى قد توفى وأن بقية التاريخ كتب على النحو سابق الذكر، فمن جملة الأمير طغرل خلد الله ملكه التى رؤيت فى الصفحات الماضية وأن المؤلف الأصلى كان معاصرًا للسلطان طغرل وبيغو وأبى الفضل، ويبدو من ذلك أن بقية الكتاب قد أتمه مؤلف أخر، كما أن الجزء الأخير من الكتاب به كلمات وألفاظ لا وجود لها فى القسم الأول وعبارات ليست فى قيمة عبارة الجزء الأول .

(٢) بهاء الدولة هو الأمير طاهر بن أبى الفضل بن نصر بن أحمد .

الشهرنفسه وبقاء الأمير أبى العباس فى قلعة درق ودوام هذه الحرب والخصومة ثمانية أشهر حتى عاد ومضى إلى خراسان، وبعد هذا قتل الأمير أبو العباس الأمير حرب فى التاسع عشر من شوال فى سنة أربعمائة وتسع وسبعين ومجئ الأمير أبى العباس إلى قلعة كاه فى الخامس عشر من شهر المحرم فى سنة أربعمائة وثمانين، والقبض على إسماعيل بن أبرم يوم الجمعة الثامن من صفر فى السنة نفسها، وقتل الأمير إسماعيل فى قلعة كاه ليلة الأربعاء الثالث عشر من شهر صفر، وموت الأمير أبى جعفر القوقهى ليلة الأربعاء الثامن عشر من ربيع الأخر فى السنة نفسها، والخطبة فى قلعة برونج للأمير أبى نصر شاهنشاه يوم الأربعاء الثانى من جمادى الأول فى السنة نفسها، والخطبة فى برونج باسم الأمير بدر الدولة شمس الملوك أبو العباس يوم الجمعة فى الرابع من هذا الشهر ودخوله برونج والنزول فى جوسق برونج يوم الأحد الثانى عشر من هذا الشهر، ومضيه إلى باب المدينة، وحصر الأمير طاهر فى القلعة فى المدينة غرة شهر جمادى الآخر حتى قرب شهر رمضان من السنة نفسها وهناك وقعت الحروب الكثيرة، وارتفعت الأسعار، وأصبح المن الواحد من القمح بثمانية دراهم فى المدينة فى السنة نفسها، وحمل الأمير أبى العباس من سفح المدينة فى شهر شعبان وقدومه إلى برونج وبقاؤه فيها فى الثامن عشر من شهر شعبان، وقد مكث هناك حتى شهر ذى الحجة ثم نهض ومضى إلى مدينة أخرى، واستولى على قلعة أرك فرودين (العليا) ليلة السبت الثانى والعشرين من هذا الشهر وحارب كثيرًا على باب أرك، وقتل خلق كثير على باب المدينة، وفى هذه النهاية استولى على باب كركوى، وشق جدار قلعة أرك والقلعة العليا وطلب بادار عمار حاكم أرك هو والعشرون رجلاً الذين معه هناك وأعطاه الأمان على النزول من القلعة، ومضى بنفسه للقلعة والأمير أبو العباس والأمير أبو نصر قوقة أول شهر ذى الحجة فى نفس السنة وخرج الأمير طاهر من المدينة ليلاً فى الخفاء واعترض شخص له

واعتقاله وجلوسه فى أرك الثانى من شهر ذى الحجة . وجلوس الأمير أبى العباس فى المدينة واستيلاؤه على المدينة كلها فى وقت الزوال الثالث من ذى الحجة وقتل الأمير طاهر ليلة الخامس من ذى الحجة، وكان قد تولى الإمارة خمسة عشر عاما، ومضى الأمير مأمون إلى سجستان ليلة الإثنين الثالث من ذى الحجة فى هذا الشهر والسنة، ومضى الأمير أبو العباس إلى قلعة نة وحمل جيش سجستان هناك ليلة الأربعاء من غرة رجب فى سنة أربعمائة واحدى وثمانين، وحمله من قلعة نة للصلح فى آخر هذا الشهر، ومجيء شخص خلفه من قبل حضرة سلطان خراسان، ومضى الأمير أبو العباس فى سجستان للمرة الأولى إلى قصر السلطان ملك شاه بعد هذه الوقائع غرة شوال فى هذه السنة نفسها، وعودته من قصر السلطان ملك شاه وجلوسه أميرًا فى شهر جمادى الأول سنة أربعمائة واثنتين وثمانين، ووفاة والأمير أبى العباس بن أبى الفضل ليلة السبت الثالث من شهر ذى الحجة فى السنة نفسها جلوس الأمير الأجل بهاء الدولة خلف بن أبى الفضل أميرًا فى الثامن من ذى الحجة، ومضى بهاء الدولة فى التاريخ نفسه إلى خراسان وفى سجستان جلس (تولى) الأمير أبى منصور أبو جعفر القوقهى الإمارة، واتفاق أهل سجستان على الأمير منصور وعصيانه على بهاء الدولة فى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى القعدة سنة أربعمائة وثلاثة وثمانين، عودة بهاء الدولة من خراسان إلى برونج، ومجئ الأمير أبو منصور القوقهى من سجستان وحاصروا الأمير بهاء الدولة الأمير أنور منصور فى برونج يوم الأربعاء الثانى عشر من ذى الحجة فى السنة نفسها، واستيلاء الأمير بهاء الدولة على برونج مثل الأمير أبو منصور فى الثانى عشر من ذى الحجة حتى اليوم الرابع من شهر المحرم فى سنة أربعمائة وأربعة وثمانين، وتصالحوا على أن يمضى بهاء الدولة من برونج إلى طبس وأن يمضى الأمير أبو منصور إلى سجستان، وفى هذا العام أصبح المن من القمح بعشرين درهمًا، وثلاث منات من القمح ومن الشعير بخمسة عشر درهمًا، وقن التمر باثنى

عشر درهمًا وامتلأت الأنهار كلها بالماء في سجستان وأوق، وهطلت أمطار غزيرة، وفي نفسه أغار الأمير منصور بن أحمد القوقهي على ورق وشرائها بمائة ألف درهم يوم الجمعة غرة شهر صفر في السنة نفسها، ومقدم بهاء الدولة مرة أخرى إلى برونج، ومجيء الأمير أبي العباس بن قوقة في الشهر نفسه، ومضى الأمير أبي منصور بن أحمد وجيش أوق معهما إلى باب المدينة، وقتل الأمير أبي العباس الأمير أبي منصور بن جعفر القائد وخلق كثير، ووقعت حروب كثيرة على باب المدينة، وقتل خلق كثير بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وحده في الحادى والعشرين من صفر في السنة نفسها، وعودة الأمير الأجل بهاء الدولة مرة أخرى إلى الإمارة يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر، وقتل بهاء الدولة للأمير منصور بن أحمد القوقهي في يوم الخميس الحادى عشر من ذي القعدة من السنة نفسها، مقدم الأمير المؤيد إلى سجستان، وحصار بهاء الدولة للمدينة قبله في غرة جمادى الأول سنة أربعمائة وخمسة وثمانين، وجلوسه عند أسفل (سفح) المدينة حتى غرة شهر رمضان من السنة نفسها. وفي النهاية خرج الأمير بهاء الدولة من المدينة وجلوس الأمير المؤيد أميرًا، ومضى بهاء الدولة إلى قلعة دره بمساعدة قزل السارع [1] لاقتلاع القرامطة، وكان هناك حتى وفاة السلطان ملكشاه، وجاءوا من هناك إلى سجستان وكانوا معًا في شهر رمضان من هذا التاريخ عودة بهاء الدولة ثم خروجه إلى سجستان وكان الأمير قزل سارع في سفن المدينة واجتمع له عشرة آلاف رجل من المدينة والأطراف، ولما جاءوا جميعًا اجتمعوا عند سجستان في العاشر من شهر ذي الحجة سنة أربعمائة وستة وثمانين حتى العاشر من

(١) ذكر سارع، ويذكر في بعض النسخ قزل سارق وهو من قواد السلطان ملكشاه السلجوقي الذى أمره بالخروج لقمع الإسماعيلية في قهستان ورئيسهم حسين القايني الذى لجأ إلى قلعة درة وهي من توابع مؤمن آباد ومن العام نفسه توفي ملكشاه، وقوى أمر الملاحدة وقد ذكر الجويني قزل ساريع (من تعليقات بهار) .

المحرم . وبقوا هناك شهرًا وانهزموا ليلة الإثنين لعشرة أيام مضت من شهر المحرم، مقدم جيش غزنين ومعهم الأمير بهاء الدولة أسفل مدينة سجستان، ومحاصرة الأمير المؤيد للمدينة فى يوم الإثنين الخامس من شهر صفر فى السنة نفسها، وبقوا فى هذه المرة فيها، وحصروا الناس فى المدينة مدة هذه الأيام التى كانوا فيها، ولم يجعلوا قليلاً أو كثيرًا يخرجون من المدينة، ولم يتركوا أحدًا يدخل إلا ما شاء الله، وبقوا هناك حتى الحادى عشر من ربيع الآخر يوم الثلاثاء من السنة نفسها، واقتلعوا الجميع فجأة حتى قالوا: إن أحدًا لم يعرف ماذا حدث، خروج الأمير (١) المؤيد من المدينة وقومه فى السابع والعشرين من ربيع الأخر وفى الشهر نفسه سلموا المدينة للأمير أبى نصر شاهنشاه وتولى الإمارة فى المدينة، واستيلاء الأمير الأجل بهاء الدولة على قلعة طارق ودر طعام، واستولى بادار محمود على قلعة برونج باسم بهاء الدولة، وكتب أهل المدينة والأمير أبو الفضل إلى الأمير مأمون حتى أحضروه من هراة، وجلسوا فى المدينة منتصف رجب من السنة نفسها، وجرت الحروب بينهم فى هذه السنة حتى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر جمادى الأخر سنة أربعمائة وسبعة وثمانين، ومال بعض أهل سجستان من المدينة إلى بهاء الدولة وأعطوه الباب (وفتحوا له الباب) وجاء بهاء إلى المدينة وهكذا يقولون إنه قتل ثلاثمائة رجل من المدينة منذ طلوع الشمس حتى الظهر، وأغاروا ووقع ما وقع (ومضى ما مضى) وجلس الأمير بهاء الدولة فى المدينة .

واستولى بادار محمود على أرك وكان نائب الأمير أبى نصر شاهنشاه وحاكم أرك من جهة الأمير أبى منصور، وفى آخر الأمر نزل بادار محمود فى الخامس من شهر رجب، وحبسوه فى حديقة المدينة وعينوا عليه حراسًا حتى العشرين من

---

(٢) هذه الجملة مضطربة ومختلفة وبذلك لم يحدث تلاؤم بين الجملة التى سبقتها ولا التى تبعتها .

رجب وقتلوه في ذلك الوقت، وأرسلوا الجيش إلى برونج وكان معه حاكم قلعة برونج واستولى على القلعة وحارب وكان معه الأمير مودود، فدخلا القلعة كلاهما وبقوا هناك ما يقرب من ثلاثة أشهر حتى نزلوا للصلح، وسلموا القلعة للأمير بهاء الدولة، وفي العام نفسه كان مقدم جيش القرامطة خذلهم الله ولعنهم على بعد تسعة فراسخ شهر كذا، ومضى جيش سجستان لمحاربتهم فتعقبهم إلى مكان يسمى محتاران، وقامت الحرب هناك وكانت حربًا كحرب بدر، وأرسلوا إلى جهنم ألفًا وأربعمائة رجل من القرامطة خذلهم الله، وهكذا وصفوهم بأن رجلاً واحدًا من جيش سجستان قتل على يد القرامطة لا أكثر وكانت تلك الحرب في شهر جمادى الأولى سنة أربعمائة وتسع وثمانين، ومجيء الأمير ألب غازى[1] إلى درق في الرابع عشر من جمادى الآخر سنة أربعمائة وتسعين، وإقامته في درق جول بيه مولين ودستكرده حتى الثانى عشر من شهر رجب من نفس السنة، وغارته على نصف درق وبيعة نصفها بخمسة عشر ألف دينار على أن يتسلموها بعد مدة قليلة، وكان هذا في ذلك التاريخ نفسه، مقدم الأمير أبو منصور شاهنشاه من خراسان وكان معه الأمير فرخ شاه ومضى الأمير مأمون أبو العباس من نه إليه، وحاصروا الأمير الأجل بهاء الدولة في المدينة في شهر شعبان سنة أربعمائة واثنتين وتسعين، واشتعلت الحرب بينهما حتى آخر شهر صفر سنة أربعمائة وثلاثة وتسعين مدة سبعة أشهر متصلة، وفي هذا العام غلت الأسعار، وأصبح ثمن القمح بمائة درهم والشعير بمائة وثمانين درهمًا والتمر بمائة وعشرين درهمًا، وجاء الماء بعد النوروز وجرى شهرًا في نهر درنك ومدة أربعين يومًا في أوق وكان هذا كله في سنة أربعمائة وثلاثة وثمانين، وشحن الغلة إلى حد بحيث أصبح من القمح في ناحية سجستان ألف ومائتي درهم، كما كان الشعير والذرة والتمر بالسعر نفسه حتى أحسن الله تعالى الحال، مجيء جيش القرامطة خذلهم الله إلى درق

---

(١) ألب غازى أحد قواد السلاطين الغور، وكانت له هراة، ويحتمل أنه هو ألب غازى نفسه .

وقتل العالم أبوالحسن القاضى يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من صفر سنة أربعمائة واثنتين وتسعين، مجيء الأمير مأمون إلى برنج فى شهر جمادى الأول فى سنة أربعمائة وستة وتسعين، مجيء الأمير برغش[1] قائد جيش السلطان سنقر إلى سجستان فى آخر شهر صفر ومعينة إلى أسفل (سفح) المدينة والتصالح على أن ينزل إليه كل من الأمير بهاء الدولة خلف والأمير الأجل تاج الدين أبو الفضل[2] واستخدم إليه أمير تاج الدين إلى بلخ وترمد وكان هناك ستة أشهر حتى رمضان من السنة نفسها فى أول شهر جمادى الآخر سنة أربعمائة وتسع وتسعين، وظهرت علامة فى السماء وكانت تظهر كل ليلة فى وقت صلاة العشاء حتى ينتصف بالليل أو أكثر مثل عمود وأكبر من وجه سطح الأرض حتى كبد السماء، وكانت تلك الرأس التى على الأرض متصلة ومنتصبة على الدوام، وكان لونها أبيض، وظلت هكذا شهرًا ثم اختفت، وعصيان الأمير الأجل تاج الدين أبوالفضل لابنه فى غرة شهر رجب فى السنة نفسها، وقامت بينهما الخصومة حتى مضى تاج الدين فى النهاية، وانضم إليه معظم أهل أوق وسجستان قادة سجستان جميعهم ومن أوقش زرة والنواحى الأخرى، ومضى فى غرة شهر رمضان، واستولى على باب المدينة، وبدأت الحرب واستمرت حتى يوم الإثنين الثانى والعشرين من شهر رمضان من العام نفسه، وفى النهاية دخل الأمير الأجل تاج الدين أبو الفضل وتولى الإمارة فى هذا التاريخ، وهرب الأمير شاهنشاه أخوه، وأعلن العصيان واستولى على قلعة طاق وقتل حاكمها وأغار بعضهما على بعض، وكان الأمير بهاء الدولة فى هذه الوقت فى المدينة وفى النهاية هرب ومضى إلى قلعة طاق

---

(١) الأمير برغش أمر فى سنة ٤٩٤هـ بقلع وقمع الملاحدة فى قهستان وطبس، وفتح طبس فى عام ٤٩٧هـ (ابن الأثير جـ١٠، ص١١٢).

(٢) تاج الدين أبو الفضل بن بهاء الدولة خلف بن أبو الفضل نصر بن أحمد، وقصص شجاعته ونجدته تملأ صحائف التاريخ (ابن الأثير،جـ١٠، ص٣٥٥).

واتحد مع الأمير شاهنشاه وانسحب الأمير قلمش وجيشه إلى سجستان وكان هو فى استفزار، مجيء الأمير قلمش إلى سجستان غرة شهر ذى القعدة فى سنة خمسمائة، وكانوا على الدوام فى سجستان ونواحيها حتى منتصف شهر محرم سنة خمسمائة وواحد، ومضى الأمير بهاء الدولة مع جيش قلمش إلى رون وجول، وفى نهاية الأمر تصالح الأمير الأجل الملك المؤيد تاج الدين أبو الفضل مع أبيه بهاء الدولة وأحضره على أن يأتى إلى سجستان وحقق له رغباته كلها إلا الإمارة فإنها له، مقدم الأمير فرخشاه مرة أخرى إلى سجستان فى العشرين من شهر شعبان سنة خمسمائة وواحد[1] ومجيء جيش الملاحدة[2] فى سنة خمسمائة وعشرين،ومضى تاج الدين إلى سمرقند فى سنة خمسمائة وثلاثين ومقدمه من سمرقند فى شوال سنة خمسمائة وثمانية وثلاثين ووقوع المرض له فى شهر شعبان سنة خمسمائة وتسعة وخمسين، ومجيء شمس الدين من نية فى غرة رمضان من نفس السنة، وتجمد التمر فى سجستان فى صفر سنة خمسمائة واثنتين وستين، وكسوف الشمس تماماً وصار النهار ليلاً وظهور النجوم يوم السابع والعشرين من جمادى الآخر من السنة نفسها، ووقوع (استيلاء) الملك للأمير تاج الدين حرب فى الحادى عشر من شعبان سنة خمسمائة وأربعة وستين ومجيء عز الملوك من نية فى نفس السنة، ومقدم الغز لعنهم الله بين العيدين والهزيمة يوم عيد الأضحى فى العام نفسه، وعودة الغز مرة أخرى فى العاشر من المحرم سنة خمسمائة وأربع وسبعين، ومجيء جيش الملاحدة لعنهم الله بقرية حورق، وقتل الأديب أبى جعفر فى يوم الأربعاء غرة

---

(١) فى هذا الموضع سقطت اثنتان وعشرون سنة من أحداث هذا التاريخ ولم يذكر عنها شيئاً، وبعد سطرين آخرين سقطت اثنتا عشرة سنة أخرى.

(٢) الملاحدة أو القرامطة هم أتباع حسن الصباح، وسموا فى أول أمرهم بالقرامطة وذكرهم هنا بالملاحدة مما كتب المؤرخون يعلم أن إسماعيلية إيران إلى آخر مدة حكم بن كيا لم يكونوا ملاحدة وكانوا على السنة الإسلامية ولكنهم يقولون عن حكومة حسن بن محمد بن بزرك أميد على ذكره السلام وقتل فى سنة خمسمائة وواحد وستين.

رجب سنة خمسمائة وتسعين، ومضى جيش سجستان إلى قهستان في الخامس عشر من هذا الشهر، وهزيمة جيش سجستان يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر رجب من السنة نفسها، ومجيء الملاحدة مرة أخرى إلى قرية رنجن والاستيلاء على القلعة، وحمل القاضي طاهر والقاضي مسعود يوم الأربعاء الخامس من جمادى الآخر سنة خمسمائة وإحدى وتسعين، ومضى جيش سجستان وغور وخراسان على باب قاين ومقتل الملاحدة[1].

مقدم تاج الدين يلدروز إلى سجستان ونصير الدين حسن والتخريب والخلاف مع بعضهم، والعودة إلى خراسان في سنة ستمائة واثنتين، ومضى جيش سجستان لمساعدة السلطان محمد خوارزم شاه على باب هراة وفتحها سنة ستمائة وأربع، ووفاة السيد ناصر الدين عثمان بن حرب بن محمد نور الله قبره في السنة نفسها، وذهاب خواجه زورن نحو كرمان وطلب المدد، وذهاب شهاب الدين محمود مع جيش سجستان لمعاونته وفتح كرمان على أيديهم في سنة ستمائة وست، ووفاة السيد الملك المعظم تاج الحق والدين حرب بن محمد نور الله مرقده في الثالث من رجب سنة ستمائة وعشرة، استقرار ملك سجستان كله للسيد يمين الدين بهرامشاه بن حرب في هذا اليوم، وطلب السلطان محمد خوارزمشاه الجيش من سجستان وإرسال السيد يمين الدين شمس الدين زنكي بن الأمير أبا حفص الجويني والقائد أصرم الكمري مع ستة آلاف رجل لمعاونته إلى ضفة نهر ترمد في سنة ستمائة وخمس عشرة، وعرضوا جيش السلطان وهو ما يقرب من مائة وخمسين فارسًا

---

(١) سقطت أحداث ست عشرة سنة من الكتاب قبل عدة أسطر، وهنا سقطت إحدى عشرة سنة أخرى، والموضوع غير تام في الكتاب حيث به بياض لآخر الصفحة.

فضلاً عن المشاة وكان عددهم مائة ألف آخرين، ولما وصل جيش المغول[1] على ضفة نهر ترمد، هزم السلطان محمد وقتل جيش سجستان عن آخره، وغرق فـــى ماء النهر وكان هذا فى سنة ستمائة وست عشرة، واستيلاء جيش المغــول علـــى أرض خراسان فى السنة نفسها ومقتل يمين الدين بهرام شاه بن حرب علـــى يـــد الملاحدة، وكانوا يسمون الفدائيين فى سوق السراحين يوم الجمعة الخامس من ربيع الآخر سنة ستمائة وثمانية عشرة، وجلوس السيد زاده تـــاج الـــدين نـــصرت بـــن بهرامشاه أميرًا على سجستان يوم الأحد السابع من شهر ربيع الآخر مـــن الـــسنة نفسها، الخلاف بين الشاه شمس الدين الزنجى وشجاع الدين بـــن ســـام الأصـــرم الكمرى وبادار نصر بن على فى برونج، وإخراج السيد زاده ركـــن الـــدين أبـــى منصور بهرامشاه من الجيش فى أرك، وقوع الطبل باسمه، وهزيمـــة الـــسيد زاده نصرت فى جانب بست فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأول مـــن السنة نفسها، وإجلاس الأمير شهاب الدين محمود بن حرب، وكان حبس السيد زاده ركن الدين فى اليوم نفسه، وعودة السيد زاده نصرت من جانب بـــست وتحـــارب شهاب الدين محمود معه، وخروج ركن الدين من قلعة أرك وجلوسه ملكًا فى أول رجب من السنة نفسها وطلب السيد زاده العون منجيش المغول الـــين قـــدموا مـــن ناحية بست، وذهاب السيد زاده نصرت عنهم إلى جانب خراسان فى شهر صـــفر فى سنة ستمائة وتسع عشرة، ومقتل ركن الدين أبى منصور بهرامشاه علـــى يـــد غلامه التركى فى الخامس عشر من ربيع الأول فى السنة نفسها، وجلوس الـــسيد زاده أمير أبى المظفر بن حرب فى اليوم نفسه، وعودة السيد زاده نـــصرت إلـــى جانب خراسان واستيلائه على الملك فى الخامس عشر من السنة نفسها، ومجـــىء

---

(١) جاءت فى الكتب العربية والفارسية كلمة(مغول) ولكنها تأتى فى الكتب الأوربية (منغول) ولكنها جاءت فى هذا الكتاب أيضًا (منغول).

الجيش الكافر إلى سجستان للمرة الأولى فى عهد دولة السيد زاده نصرت فى غرة ذى القعدة من السنة نفسها، والاستيلاء على مدينة سجستان وتخريبها، وقتل السيد زاده نصرت كان يوم الجمعة العاشر من ذى الحجة سنة ستمائة وتسعة عشر، ومجىء علاء الدين أحمد بن عثمان بن حرب من جانب نية سنة ستمائة وعشرين، وقتل علاء الدين أحمد على يد الأمير سام جوجند يزى فى التاسع والعشرين من شهر رمضان من السنة نفسها، وجلوس السيد زاده أمير على بن حرب بن محمد فى شهر شوال من السنة نفسها، ووقوع الخلاف بين أعيان سجستان، وذهاب بادار طاهر مأمون الدرقى إلى نية، وإحضار الملك تاج الدين نيالتكين للشاه محمود وجلوسه ملكًا على سجستان، وقتل الأمير على فى جمادى الآخر سنة ستمائة واثنتين وعشرين، وتعمير أرك وحفر خندق بين المدينة وأرك فى السنة نفسها، وذهاب الملك نيالتكين إلى جانب نية، مجىء جيش الملاحدة لمحاربته والهزيمة أمامهم فى السنة نفسها، وجلوس أسد منجنيقى بالنيابة، والمضى إلى جانب فراة، والخلاف بين عظماء سجستان، وإحضار ابن الأمير خلف ومحاصرة قلعة أرك فى سنة ستمائة وأربعة وعشرين، ومجئ الملك نيالتكين من جانب فراة وإحضار نير كل ملك معه، وإلحاق الهزيمة بالجيش فى أسفل القلعة أرك والمضى إلى أوق وقوقة وحصارهما، ومجىء الملك نيالتكين إلى المدينة وحمل الجيش إلى معركة قوقة وهزيمتهم وقتلهم على يده فى السنة نفسها، وذهاب الملك نيالتكين إلى جانب كرمسير والغور حتى حدود تولك واسفزار، ومحمل جيش سجستان والاستيلاء على تلك الولاية، وإحضار ملوك تلك الولاية للخدمة فى سنة ستمائة وستة وعشرين، ومجىء جرماغون وجيش المغول، مضى الملك نيالتكين إلى جبل إسبهبد، محاصرة الجبل أربعين يومًا، وخلاص الملك نيالتكين من الجبل فى سنة ستمائة وسبعة وعشرين، ومجىء قراجة ويغان سنقر ولجوؤهما إلى سجستان، مقدم جيش الملاعين خذلهم الله فى إثرهم فى عهد دولت الملك نيالتكين فى الخامس عشر من شهر ذى القعدة فى السنة نفسها، والاستيلاء على المدينة فى السابع

والعشرين من شهر رمضان سنة ستمائة وإحدى وثلاثين، والاستيلاء علـــى قلعـــة أرك وأسر الملك نيالتكين وقتل بقية الرجال الذين كان موتهم[١] فى الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ستمائة واثنتين وثلاثين، وفى المدة التى كان محاصرًا فيها كان أكثر أو أقل من مائة ألف رجل قد هلكوا من ألم القدم والفم والأســـنان، وارتفعـــت أسعار الغلال والحبوب والأطعمة والمأكولات على النحو التالى:

السكر الأبيض (الحلوى)	سكر	عسل	زيت الخيل	لحم الغنم(الضأن)
المن الواحد عشرة دنانير	خمسة عشرة دينارًا	اثنا عشر دينارًا	خمسة دنانير	أربعة دنانير
لحم البقر	الدهن	الخل	الحبنة الجاف	الحناء التى تفيد ألم القدم
دنانير	ستة عشرة دينارًا	ستة عشرة دينارًا	خمسة وعشرين دينارًا	سبعة دنانير
أملج (وهو صنف من الأدوية)		الدقيق		
سبعة دينار		العشرون منا		
		دينار واحد		

مبايعة مشاهير سجستان للملك شمس الدين على بن مسعود بـــن خلـــف بـــن مهربانى فى شهر رمضان فى سنة ستمائة وثلاثة وثلاثين، وجلوسه فـــى مملكـــة سجستان فى الثالث عشر من شهر ذى القعدة فى السنة نفسها، وتوجيهه إلى حضرة القآن فى سنة ستمائة وستة وثلاثين وإجلاس ابنه مبارز الدين أبو الفتح بن سعود نائبًا عنه ومجيء علاء الدين درهكز للمرة الولى إلى سجستان فى ســـنة ســـتمائة

(١) يذكر ميراخواند فى هذا الموضع: أن جيش المغول مضى إلى سجستان مرة أخرى ســـنة ٦٢٥هـــــ، وكان تاج الدين نيالتكين محصورًا فى القلعة، ودامت أيام حصاره عامين، وكان معه جنود من الغـــور والتوالكى والسجزيين وغيرهم من الأتراك، وقد هلك معظمهم، وقد أصابوا عين الملك فزال نور عينه، واستولى المغول على القلعة، واستشهد الباقون، وحملوا نيالتكين أسيرًا إلى قلعة إسبهبد(مـــن تعليقـــات بهار).

وتسع وثلاثين لجمع الضرائب ووضع رسم الضرائب[1]، وتخريب قلعة إسبهبد بواسطة الأمير تمغي والملك مجد الدين كاليونى فى غرة شهر المحرم سنة ستمائة وأربعين، ومجيء السيل فى ولاية سجستان فى جانب الخندق وهبوط السيل على المدينة بحيث ارتفع الماء بقدر رمح، ووصل فى ناحية الغرب إلى صحراء كندة كرمان ووصل فى ناحية المشرق حتى سفح جبل دزدان وفى ناحية الشمال حتى سفح جبل فراة،وفى الجنوب حتى حد رمكران، وارتفع الماء فى هذه الجهات كلها إلى هذا الحد، وكان ينبغى ركوب السفينة لمدة ثلاثة شهور من المدينة، وغرق فى هذه المدة ثمانية رجال فى الخندق، وفى أطراف الولاية أهلك هذا السيل ما يقرب من ثلاثمائة رجل وامرأة وكثير من الدواب، وحمل الماء أغلب غلة سجستان فى يوم الجمعة التاسع عشر من شهر شوال سنة ستمائة وإحدى وأربعين، ووفاة السيد مبارز الدين أبى الفتح بن مسعود نور الله قبره فى شهر ربيع الأول سنة ستمائة وسبعة وأربعين، ومحاصرة الأمير نكودر[2] نيه مع ثلاثة آلاف فارس، وذهاب الملك شمس الدين على بن مسعود إلى نيه، وإخراج أهل نيه إلى إيلى وإحضارهم إلى سجستان فى سنة ستمائة وإحدى وخمسين، وخروج الملك شمس الدين على ابن مسعود مع جيش سجستان إلى جانب شمال ومستونك، والاستيلاء على قلعة قصدار ومشكى وهذه الناحية فى سنة ستمائة واثنتين وخمسين،وتوجهه إلى خدمة أمير الجيش الذى اسمه كدبغانويين فى نفس السنة، ومجىء الملك شمس الدين كرت بأمر الملك منلوقآن إلى سجستان فى ذلك الوقت، والخلاف مع عظماء سجستان فى غيبة ملكهم، وإنزاله فى قصر الملك شمس الدين على بن مسعود فى

---

(١) ذكر المؤلف كلمتى (قبجور وقلان) والكلمتان مغوليتين وكل منهما بمعنى الضريبة المقررة فى الديوان وهى المستحقة على الرعايا، وألغى غازان هذه العادة، وجاء فى التواريخ (قوبجور) نوع من الضرائب على ذوات الأربع (من تعليقات بهار).

(٢) ذكر فى جانگشاى (تكودراغول) وهو احد أبناء (جوجى أغول) وحفيد جنكيزخان، وكان حاكمًا على إيران من قبل هولاكو، و(نكودر) ابن هولاكو.

شهر المحرم سنة ستمائة وثلاثة وخمسين، وعودة الملك شمس الدين على بن مسعود من خدمة كدبغانويين وإقامة بيت له ودخوله البيت واعتماده عليهم، وقتل في اليوم نفسه في شهر صفر من السنة نفسها، وذهاب الملك شمس الدين كرت لخدمة الملك هولاكو وتعيين أرسى شاه نيالتكين نائبًا عنه في هذا الشهر، وذهاب ابن أخ الملك على بن مسعود واسمه الملك نصر الدين محمد بن أبى الفتح بن مسعود لخدمة أمراء المغول وتسلمه الأمر، وإرسال القائد الأجل شجاع الدين نصر بن خلف مهربان نائبًا عنه على إمارة سجستان، ومجيئه بنفسه وراء الملك شمس الدين كرت طلبًا للثأر لدم عمه الملك شمس الدين على بن مسعود بن خلف مهرباني وذلك لخدمة الملك هولاكو فى هذا العام، والعودة والإثبات بالأمر فى ذلك العام، ومجيء الملك شمس الدين كرت للمرة الثانية إلى سجستان، وذهاب الملك نصير الدين إلى خدمة الملك هولاكو وبقاؤه مدة فى الخدمة فى عام ستمائة وخمس وسبعين، وعودة الملك مصير الدين من خدمة الملوك وإحضار الأمر إلى إمارة سجستان، وجلوسه فى مملكة سجستان فى سنة ستمائة وتسعة وخمسين من منتصف جمادى الأولى، وإخراج نواب الملك شمس الدين كرت من سجستان، وقتل من كانوا أنصارًا له جزاء لهم على قتلهم عمه الملك شمس الدين على بن مسعود، وعندما كان طاهر بن أبى الأسد القوقهى نوبت سالار [1] ونقيب وعميد ومبارز الدين محمد بن حرب بن مقاتل فى برونج سنة ستمائة وإحدى وستين. وفرار أبنائهم إلى فراة فى شهر رجب من السنة نفسها وإرساء الملك المعظم نصير الحق والدين عمارة قلعة أرك وسور المدينة الذى دام أربعين عامًا حتى خربه وسواه بالأرض جيش الملاعين فى أول رمضان من السنة نفسها. جمع جيش الملك شمس الدين كرت من بلاد غور وخراسان وفراة ونيه جميعها وعدة ملوك

(١) نوبت سالار كان منصبًا ويعنى قائد النوبة، والنوبة هى الموسيقى التى تعزف، وأطلقت النوبة فى الاصطلاح العلمى على الطبل الذى يقرع ثلاث أو خمس مرات على باب القصر أو خيمة الملك، والنوبيون هم قارعو الطبول (من تعليقات بهار).

كبار وأمراء عظام وجماعة من ثائرى سجستان والمضى بهم إلى باب المدينة، وبيتوا وحاربوا وانهزم جيشه فى الساعة نفسها والعودة من باب المدينة يوم الجمعة فى الثالث عشر من ذى الحجة من السنة نفسها، مجىء الملك الكبير عماد الدين كجوران ولجوؤه إلى خدمة الملك المعظم نصير الحق والدين فى الثامن عشر من شعبان من السنة نفسها، والعودة إلى ولايته وسرور المدينة كلها فى السنة نفسها، مجىء الأمير جنجو در نوبين إلى سجستان والجيش، وإقامته معسكرًا فى زرة، وقيام الجيش بمناورات الصيد على ضفة نهر هيرمند آخر صفر سنة ستمائة وثلاثة وستين، مجىء الأمراء الكبار ياغو وارس نويين[1] باثنى عشر ألف فارس والملك شمس الدين كرت مع جيش الغور وخراسان واصفرار وفراة ونية كله وغيرهم ملوك وأمراء هذه الديار جميعهم وثائرو سجستان والحرب مع الأمير الكبير جنجودر نويين وانهزامه ومضيه إلى المدينة، ولجوؤه إلى خدمة السيد الملك المعظم نصير الحق والدين خلد الله ملكه، وذهاب جميع الجيوش إلى جانب زرة والتوقف اثنى عشر يومًا والقيام بالتخريب وقتل خلق كثير من السجزيين والبلوجيين والمجوس ومعظم أهل السواد الذين كانوا فى الخارج انضموا إليهم والمضى إلى باب المدينة فى غرة ربيع الأول فى السنة نفسها، والبقاء فى الحصار أربعين يومًا، والبيات من داخل المدينة عليهم فى ليلة الجمعة وقتل كثير من جنود جيشهم، وحمل رؤوسهم والأعلام وخيولهم وأسلحتهم إلى المدينة، وطلب أمراء القبائل العظام أن يكونوا مع الملك المعظم نصير الحق والدين، ومجىء ملك نية بينهم والبيعة وخروج الملك المعظم إلى باب المدينة ــ بوابة طبق كران ــ واللقاء والحديث مع الأمراء الكبار، وخوض الجيش من باب المدينة فى منتصف ربيع الآخر فى نفس السنة. وإجلاس الملك تاج الدين أرسى شاه إلى أوق مع ألف رجل من الفرسان والمشاة من غور وهراة واسفراز ونية وفراة، وفصل أوق عن بيش زرة وتعميره لقلعة برونج والأبواب فى السنة نفسها ومجىء الملك عز الدين

(١) هذه والأسماء السالفة فى الصفحة نفسها لم ترد فى التواريخ الأخرى.

تولك[1] مع عدة أمراء عظام من غور وخراسان واسفزار وفراة ما يقرب من خمسمائة فارس مدد الملك الكبير تاج الدين أرسى شاه فى أول رجب سنة ستمائة وستة وستين ومقدمهم مع الجيش جميعه إلى أرض الترك والحرب مع نقباء كلمارود ومقتل عدة رجال منهم ومن نقباء كلمات رود وخروج جيش الملك من المدينة، وإرسال أخيه ملك الأمراء والكبار علاء الملة والدين بجيش مجهز وذهابهم من أمامه منهزمين حتى رباط دشت والحرب وانهزامهم، وقتل بعض منهم وأسرهم وانهزامهم وتتبع الجيش لهم فى السادس عشر من شعبان فى السنة نفسها، وتحرك الركاب المبارك للملك المعظم فى أوق ومحاصرة قلعة قوقة والحرب تسعة أيام والاستيلاء على فصيل وجرح عدة أشخاص منهم وعجزهم وخروجهم بسبب عجزهم، وأخذوا العهد وطلبوا الأمان وحضور عدة أشخاص من رؤوسائهم وهروبهم من الطريق، وسجن واحد من عظمائهم، ووضع هذه الطائفة للأساس مرة أخرى، وتعمير القلعة واستعدادهم لبدء الحرب فى الثانى عشر من ذى الحجة من السنة نفسها، وذهاب ملك الأمراء والكبار الملك علاء الدولة والدين صفدر نيمروز دامت دولية مع الجيش، وعلم الملك تاج الدين أرسى شاه بذلك، وجمعهم للجيش فى قرية سمور وخروجهم إلى الصحراء والحرب وهزيمتهم واللجوء إلى قلعة سمور، وخروج ملك الأمراء والكبار علاء الدولة والدين فى أثرهم، وإلقاء عدة أشخاص منهم فى خندق قلعة سمور وجرحهم وقتلهم، والعودة بالنصر فى الرابع والعشرين من المحرم سنة ستمائة وسبعة وستين، تشييد الملك نصير الحق والدين خسرو نيمروز خلد الله ملكه دار الملك فى أرك وإتمام تعمير قلعة أرك فى الشهر والسنة نفسها. تحرك ركاب الملك المعظم خسرو نيمروز مرة أخرى مع جيش المغول إلى أوق وحمل عدة منجنيقات وحصار قلعة

---

(١) تولك: اسم قلعة على حدود الغور وجورجيا، وقد وصف منهاج السراج مؤلف طبقات نصرى هذه القلعة، وذكر أخبار أهلها مع المغول، ويقول: إنه حتى سنة ٦٥٩هـ كانت هذه القلعة تحت يد هرمز الدين محمد مبارك، واستولى عليها تولك (من تعليقات بهار).

قوقة، وتخريب ركن من السور بالمنجنيقات واضطرارهم وخروجهم عاجزين من صغير وكبير، وتعدى جيش المغول على نسائهم وأبنائهم، وصراع الملك المعظم من أجلهم مع المغول وإنقاذهم من القلعة ومن أمام المغول، وعودة الملك المعظم من سفح قلعة قوقة، وإقامة المعسكر عل ضفة نهر فراة والتوقف عدة أيام، والمضى بعد ذلك إلى أسفل قلعة برونج، ونصب المنجنيقات، والحرب لعدة أيام وطلبهم العهد وعودتهم من أسفل القلعة بالعهد والتوقف واحدًا وعشرين يومًا والعودة إلى جانب المدينة، وإحضار عدة أشخاص من رؤسائهم وحبسهم، وتخريب قلعة قوقة فى الثانى عشر من ربيع الآخر فى السنة نفسها، وهجوم الملك تاج الدين أرسى شاه والأمراء الذين كانوا فى أوق على بيش زره وسلب أموال المسلمين والإغارة على القرى وأحرقوا السدود والبيادر فى أوائل شهر شوال من السنة نفسها، حركة ركاب الملك المعظم للمرة الثانية إلى أوق وحمل الجيش إلى بيش زرة وإحراق الطواحين الهوائية والتخريب فى أواخر شوال من السنة نفسها، وخروج الملك تاج الدين ومحاصرة قلعة برونج وإخلاء القلعة من الناس، ومجىء كل الأمراء والنقباء لخدمة الملك المعظم نصى الحق والدين وطاعة انقياد الولاية كلها، وتخريب قلاع أوق جميعها وإحضار عظمائهم إلى الخانات فى التاسع عشر من جمادى الآخر فى السنة نفسها، إرسال ملك نية ابنه شمس الدين محمد شاه للخدمة مع عدة من الأشخاص من العظماء فى الثانى من شوال من السنة نفسها، إرسال الملك الكبير أرسى شاه قائد الجيش الكبير قطب الدين محمود الذى كان ابن أخيه فى السابع من شهر ذى القعدة فى السنة نفسها، إرسال قائد الجيش الكبير شجاع الدين لتكريم نيمروز، وقاسم بن محمود دام إقباله لإدارة قلعة كاه فى العشرين من ذى الحجة من السنة نفسها، تعمير مواضع بحيرة برزره(١) واستخدام نهر جوب المتحطم فى الزراعة وإجراء الجداول والأنهار إلى هذه الناحية وتعميرها وقد كانت خربة ومعطلة منذ ما يقرب من مائتى عام، وعمرت بحيث

---

(١) برزره: جزء من قرى بحيرة زره، وذكرت فى معظم الكتب (بشت زره ودشت زره).

إنها جعلت من يسكنون هذه النواحى فى رفاهية فى سنة ستمائة وثلاثة منذ عهد بهمى أسفنديار واستظهار الولاية ورفاهية الرعايا والتعمير وصرفها فى مؤنة وأحوال هذه الناحية في سنة ستمائة وخمس وستين، تعمير ولاية خشك رود والمواضع التى فى شرق القصبة مثل كدة بلبلى وإقامة سور جديد وحفر خندق كدة بلبلى، وهذا ما لم يكن موجودًا أصلاً من قبل، وتعمير الزراعة والعمارة فى هذه المواضع فى السنة نفسها، وكان هناك عدة مواضع خربة فى سجستان من تخريب الكفار لها ولم يكن باستيلاء هذه الطائفة مثل لبنو، وكوشك طاهر، وفشته السلطان وهيسونج ومارجويه، واشتقاق رافد من هيرمند وإجراء الماء وعمران هذه الناحية فى سنة ستمائة وخمسة وسبعين، ومجىء السلطان مظفر الدين حجاج[1] من كرمان ولجوؤه إلى خدمة الملك المعظم نصير الحق والدين، وإقامته عامًا فى سجستان، وكان الإعزاز والإكرام فى حقه، والسفر إلى الهند استبدادًا بالرأى وذهابه فى السنة نفسها، مجىء جيش أباقاخان ملك الوقت على سجستان وفى مقدمتهم الأمير جاردوود نعره وطغان، وعدة آلاف من الأمراء الآخرين مع جيش الملك ابقا، وتخريب معظم الولاية وإتلاف وسلب الغلة والدواب وما أعطى لهم، ومجيؤهم إلى باب المدينة وخروج جيش منصور وغارته عليهم، وقتل كثير من المغول والاستيلاء على كثير من الخيول والأسلحة وقهرهم وهزمهم فى السنة نفسها، وعصيان الأمير بار وهو مكين الدين عمر بن أبى منصور مهربانى والملك سابق محمد رئيس، وخروج جماعة من العشائر والقبائل منهم وإخراجهم من ولايتهم وذهابهم إلى نية وتعقب جيش منصور نصرهم الله ومضيهم إلى قهستان منهزمين من هناك، ووفاة الأمير بار فى جوسف فى سنة شتمائة واثنتين وثمانين، وهروب قومه وذهابهم إلى سجستان، ووضع رقابهم ربقة الطاعة والخدمة، كما كان الرأى والمراد للملك المعظم وانتهى بالصلاح فى السنة نفسها، مجىء رسول أحمد سلطان الذى كان من نسل جنكيز خان واعتلائه عرش إيران وإعطاء القوة للإسلام والمسلمين به، وإرسال خلع التشريفة إلى السيد الملك المعظم نصير الحق والدين

---

(١) مظفر الدين حجاج : من بقايا أسراء كرمان ، واستولى عليها بعد غزان فى عام ٦٦٨ هـ ، وكان فى خراسان فى معسكر ، وكان حاضرًا فى معسكر الأمير شاهزاره .

خلد الله ملكه مثل الأمر والمنشور والجمال والعلم والطبل والسيف والقباء المرصع والمجاملات الكثيرة وإعطاء منشور إمارة سجستان ونية وفراة وقلعة كاه وبست وتكناباد وكل نواحي رواد، والتفضل بالإعزاز والإكرام في سنة ستمائة وثلاثة وثمانين. تعمير مواضع قلعة طاق، وجمع خلق كثير من در طعام وحفر نهر وتوصيله إلى هذه المواضع، وإتمام تعمير القلعة، واجتماع عدد كبير من الناس في هذه الناحية والاتجاه إلى التعمير في سنة ستمائة وأربعة وثمانين. مجيء أخي طغان وهو ترشيير ملك مع جيش كثيف من المغول إلى نية والحرب على باب نية (ونزول شمس الدين محمد شاه مع الرعايا وترحيلهم إلى قهستان في سنة ستمائة وثمانية وثمانين، إرسال خدام الملك نصير الدين خلد الله ملك ابنه الشاه شمس الدين على إلى نية، وتعمير هذه البقعة ومضيه من هناك إلى جانب قهستان والاستيلاء على جوسف وبيرجند وبقية منجدر قهستان، والإقامة هناك في السنة نفسها مجيء كمشو الذي من نسل ملوك المغول مع خمسة آلاف فارس إلى ولاية أوق وإحراق عدة طواحين هوائية، والذهاب إلى سفح قلعة سفيد كوه المعروفة ببلاش، ومشاهدة الجيش الكثيف التام العدة، والعودة من هناك خوفًا إلى جانب خراسان في السنة المذكورة نفسها، مجيء أتابك يزد وهو الأتابك معظم قطب الملة والدين أتابك علاء الدولة والإقامة في مدينة سجستان لمدة عام، وذهابه من هناك إلى خدمة الأمير نوروز في السنة نفسها. مجيء الأمير الكبير نوروز(١) إلى فراة والبيات والهموم وأسر أهالي هذه البقعة والنهب والقتل في هذه الولاية، واعتقال الملك جلال الدين بن الملك تاج الدين وحمله إلى هراة، والاستيلاء على قلعة داوري، وإجلاس الملك ركن الدين في هذه القلعة أميرًا سنة ستمائة وثلاث وتسعين، مجيء رسل الملك شمس الدين كرت وهما القاضيان مولانا شمس الدين محمد قاضي غور ومولانا

---

(١) الأمير نوروز يعد من القادة العظام في عهد السلطان غازان خان، وهو من المغول الذين أسلموا وكان على صفات عالية وشجاعة عظيمة وسجايا وخصال حميدة، توفي سنة ٦٩٦ نتيجة لغدر فخر الدين قتل على يد قتلق في أسفل قلعة هراة.

زين الدين قاضى أسفزار لإصلاح ذات إبليين وبسط الأغدار فى السنة نفسها. مجىء الشاه شمس الدين على من قهستان بعبودية خدمة الملك،وطلب الجيش وإرسال الجيش بمصاحبته إلى قهستان، واستخلاص مدينة قاين وبقية ممالك قهستان حتى بترشز فى سنة ستمائة وأربع وتسعين، مجىء الملك نيالتكين بن الملك تاج الدين أرسى شاه من جانب العراق بطريق قهستان إلى ولاية فراة، والاستيلاء على دزبوج وجمع جماعة من أهل فراة واللجوء إلى عبودية عتبة نيمروز وطلبه المدد، وإرسال مخدوم ملك الإسلام خلد الله ملكه الجيش والاستعداد ومعاونة الملك واستخلاص هذه الولاية والجلوس فى قلعة دزداورى ووقع قحط شديد فى تلك البقعة، مجىء الملك نيالتكين بالعبودية للسيد ملك الإسلام خلد الله ملكه وتفضله بالإنعامات والتشريفات فى حقه، وإرسال الغلة إلى فراة حبوبًا وعلفًا لأهالى تلك البقعة بما يعنى الحاجة لمدة عام وكان ذلك فى السنة نفسها، مجىء ملوك كرمان وبم وهم الملك المعظم غياث الدين والملك المعظم معز الدين على ملك والأمراء الآخرون والأمراء وأكابر هذه الديار إلى حضرة مولانا ملك الإسلام خلد الله ملكه بسبب، ما قام من نزاع وخصام بين أفراد الأسرة المالكة فى سلطنة كرمان وإقامة مستقر لهم فى المدينة، وبذل العناية والرعاية فى حقهم وإسكانهم فى الولاية فى العام نفسه، مجآء نكودريات إلى ولاية أوق رغبة فى الهجوم على سجستان بأربعة آلاف فارس وإحراق عدة طواحين هوائية والانهزام خوفًا ورعبًا من هناك وعودتهم إلى هراة فى العام نفسه، مجىء السيد شاه شمس الدين على للمرة الثانية بالعبودية لخدمة ملك الإسلام خلد الله ملكه بعشرة آلاف فارس إلى قهستان وكذلك الأمير بابيك وتودكان وإقامته هناك، وطلبه من عبودية مخدوم الملك جيشًا وإرسال الجيش معه وإخراج العشرة آلاف فارس من قهستان فى السنة نفسها، إرسال جيش منصور إلى ولاية كرمسير وتوابع بست وتتكاباد والقضاء على طائفة اللصوص والخلعاء وقتل بعضهم وإخلاء الولاية من هذه الجماعة وإحضار القادة والرؤساء وأهل تلك البقاع إلى سجستان وتأمين الطرق من شرهم وفسادهم فى سنة ستمائة

وخمس وتسعين، وتعمير قرية المحروسة ديورك وإجراء الماء إلى هذا الموضع وبدأ العمارة بعد استيلاء الكفار خذلهم الله الذين خربوا وعطلوا فى السنة نفسها.

قصة أحوال مخدوم الشاه الأعظم شهريار نيمروز ركن الحق والدين الشاه محمود خلد الله ملكه(١)

وهو الابن الأكبر للملك المعظم نصير الحق والدين، وسر أبوه برؤيته التى تزين العالم مدة من الزمن، وكان ملازمًا خدمة أبيه باللفظ والمعنى حتى وقع بينه وبين أبيه شر بسبب بعض قبائل وعشائر أمه، وأصابته عين الحسود، مضى الشاه المعظم ركن الدين محمود من سجستان غاضبًا وعزم المضى إلى مدينة مزناباد ومضى إلى هناك، وبايعه أهل تلك النواحى وجعلوا رءوسهم فى ربقة طاعته، وأقام هناك مدة عام واحد، وبعد ذلك أخذ الجيش ومضى إلى بهداين وخرج أهلها لمحاربته، وهزمهم الشاه المعظم ركن الدين محمود، وقتل عدة رجال منهم، واستولى على كل ما لديهم من مال ومنال، ولكن بعد أن رأى أهل تلك القصبة ألاّ طاقة لهم به أرسلوا إليه شخصًا منهم، ودانوا له بالطاعة وسلموا القلعة، وبعد ذلك أخذ الجيش ومضى به إلى سلامت(٢)، ومضى جماعة من أبناء سادة خواف وقهستان إلى قلعة سلامى، وبدأ الحرب مع الشاه المعظم ركن الدين محمود، واستمرت الحرب بينهما ثلاثة أيام حتى عجزوا فى النهاية وسلموا القلعة، وجاءوا

---

(١) يبدأ الكتاب من هذا الموضع فى التفصيل مرة أخرى، حيث انقطعت كتابة الفهارس والجمل إلا أن عباراته لا تشبه أوائل الكتاب.

(١) سلامت: هذه القرية من قرى خواف، وذكرها الإصطخرى (سلومك) وقد ذكرت فى ص ٢٥٦ من هذا الكتاب (سلومد) ويسمونها إلى يومن هذا سلومد.

إليه عاجزين، وأعطاهم الشاه المعظم وأمنهم، وجعل تلك القصبة تحت تصرفه، ومضى من هناك إلى خرجرد وحارب هناك. واستولى على هذه القصبة أيضًا، وأقام هناك عدة أيام، ومضى بالجيش من هناك إلى سنكان، وانهزم الأمير شهاب الدين سنكان، وقدم إليه بقية أهل سنكان وانقادوا له وأطاعوه ومضى من هناك إلى قصبة زوزن، وقدم إليه أيضًا أهل تلك البقعة وخدموه وسلموه المدينة والقلعة، وطاب له المقام هناك عدة أيام، ومضى من هناك إلى سنكان ولما عرف أهل تلك المنطقة خبر وصوله المبارك خرجوا فى الحال والساعة لاستقباله، وهكذا فتح ولاية خواف كلها وقد أنس به أهل تلك الولاية وفرحوا به. وبعد ذلك مضى إلى ولاية باخرز، وقدم إليه أهل تلك الولاية جميعهم وبايعوه وقبلوا خدمته، وكان الأمير نوروز أمير خراسان جمع جيشًا فى الخفاء وأرسله إلى هناك بحيث لم يطلع أى شخص قط على هذا الحال،وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود قد نزل فى قرية من ولاية باخرز وفرق جيشه، حتى بيت جيش الأمير نوروز فجأة، وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود قد انفصل عن جيشه، وبقى مع عشرة من خواص رجاله فى مكان ضيق، وجاء جيش الأمير نوروز حول هذا البيت وحاربوا طوال الليل،ولما أصبح الصباح استمرت الحرب بينهما إلى وقت صلاة الظهر، وبعد ذلك فقد اقترب كبار قادة جيشهم من الدار وقالوا للشاه المعظم ركن الدين محمود: نحن نبرم معك عهدًا وميثاقًا على ألا ننالك بضرر ولا ننقض العهد ونمضى معك إلى خدمة الأمير نوروز، فوثق الشاه المعظم ركن الدين محمود بكلامهم وخرج، ومضوا معًا إلى الأمير نوروز، فاعتقله الأمير نوروز وأرسله إلى غرجستان فى قلعة وبزويز، وبقى فى السجن عامًا وبعد ذلك أطلق سراحه الأمير نوروز وطلبه وخلع عليه وخصه بالرعاية ومكث عامًا آخر عند الأمير نوزوز، وبعد ذلك أرسله مع أخيه حاجى إلى قهستان واتفقوا أن يهزموا جيش قهستان وهزموه، واستولوا على غنائم كثيرة وعاد الأمير حاجى من هناك.

عودة الشاه المعظم ركن الدين محمود

من عند الأمير نوروز إلى ولاية نية

وجاء الشاه المعظم ركن الدين محمود من هناك إلى ولاية نية، وكان جيش المغول خذلهم الله قد خربوا هذه الولاية وتفرق الناس، واتخذ هناك مقامًا له، وأعاد تعمير هذه القصبة وشيد قلعة وأصلح القنوات وغرس فى المدينة ومواضع الحدائق الأشجار المثمرة، وقديمًا لم يكن فى مدينة نية شجر ولا حدائق، وبعد ذلك التف الناس حوله ومضى إلى ولاية خبيص.

ذهاب الشاه المعظم ركن الدين محمود

إلى ولاية خبيص

واستولى على ولاية خبيص، وقوى أهل هذه الولاية وأمنهم، مضى من هناك إلى قرية كرد، واستولى على قلعتها، ومضى من هناك إلى حيث وفتح هذه النواحى، وبعد ذلك مضى إلى قلعة هشتاد طاف وأقام المنجنيقات وبدا الحرب حتى رفع أهل القلعة صوتهم معلنين عجزهم، وأرادوا أن يأمنوا على أرواحهم وسلموا القلعة، واستولى على المال كله الذى كان فى القلعة، وأقام فى هذه المواضع كلها الرجال والمعتمدون، وكان من فى هذه النواحى من ناحية الجبل كلهم سلم إليه، وسر به الناس وكانوا سعداء، وأرسل السلطان محمود من مدينة كرمان أقاربه

والمتصلين به بالخيول العربية والهدايا الكثيرة وذلك لخدمة الشاه المعظم ركن الدين محمود، وأقام هناك مدة عام، وأحاط مدينة حنبيص بسور وحفر خندقًا في هذا العام بسبب عفونت كرمسير، وانتشر في هذه الولاية مرض صعب ومرض الناس ومات معظمهم، ومرض أيضًا الشاه المعظم ركن الدين محمود كما مرض جميع رفاقه.

ولما كان الحال هكذا، حملوه على محفة إلى ولاية نية، وبقي هناك عامًا طريح الفراش، ولما شفي من مرضه أرسل شخصًا إلى أبيه يقول له إن مولانا هذا غادر الوطن منذ وقت طويل وكابر مشقة الغربة وتقلبات الدهر وأصبح اليوم وقت خدمة أبيه الهرم فمن الواجب أن يجد هذا الولد نصيبًا له من الولاية، ولم يجد جوابًا لهذا المعنى، فأرسل إليه رسولاً مرتين أو ثلاثة.

وعرض عليه مثل هذا، وما أجابوا ولو بلا صواب، وبذلك تجدد ظهور العداء بينهم، وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود يأتي عدة مرات مع خدامه إلى نواحي سجستان وكان يخرب أطرافها حتى قدم مرة مع مائة فارس من خدامه خلف المدينة، وأرسل شخصًا إلى خدمة الملك المعظم نصير الحق والدين وعرض عليه أن في خدمته عدة آلاف من الفرسان والمشاة المحاربين ومعلوم لخدمتك أنه ليس مع ابنك أكثر من مائة فارس وأنا أحتفظ بحرمتك الأبوية وعزة خدمتك، وأنا لا أقدم نفسي في حضورك وبقية الجيش كله والعيان وتفضل بتعيينهم حتى نحارب، وإذا أجبت الجميع فاعلم أني خير منهم جميعًا وإذا ما هزموني فإني أغادر سجستان وأرضى بهذا الركن، ولما سمع الملك المعظم نصير الحق والدين هذا الكلام، تمكن أثر الغضب في وجهه، وزادت الحمية، وأخرج جيش سجستان كله حتى جاء إلى قرية مارجويه.

محاربة الشاه المعظم ركن الدين محمود مع جيش نصير الحق والدين وانتصار جيشه على جيش الملك

وكان الشاه المعظم ركن الدين محمود هناك، وأرسل شخصًا إلى أبيه قـائلاً: إن من أجل المحافظة عليك لا أريد أن أواجهك وأستل السيف، أرسـل الآخـرين جميعًا فاستدعى الملوك وعظماء سجستان كلهم ، وأبلغهم كلام الملك المعظم ركـن الدين محمود معهم فقالوا جميعًا: جعل الله جسمنا وروحنا لك فداء وإذا ما أمـرت فنحن نحارب، وفى الحال أرسل الملك المعظم نصير الحق والدين ألف فارس مـع ملوك وعظماء سجستان جميعهم لمحاربة الشاه المعظم ركن الدين محمـود، ولمـا التقوا ببعض حمل بما لديه من المائة فارس خدامه على الألف فارس وألحق بهـم الهزيمة، وأسر الأمراء والعظماء، ولما قتل عدة رجال منهم أمر بعد ذلك بألا يقتل أحد منهم وأن يطلقوا سراح من فى الأسر كلهم، ومضى الجيش المنهزم المتعـب المسكين من أمام الملك المعظم نصير الحق والدين وفى الحال عاد الجـيش مـن هناك ومضوا إلى المدينة واتجه الملك المعظم ركن الدين محمود إلى نية منصورًا مظفرًا، وبعد مدة أرسل الملك المعظم نصير الحق والدين عدة أشخاص إلى نيـة، وطلب الشاه المعظم ركن الدين محمود وسلمه الملك، وبقى فى المدينـة، وفـوض إليه أمر قلعة أرك والقلاع الأخرى ومواضع سجستان، ولما مضى على هذا الكلام عام ندم الملك المعظم نصير الحق والدين على تسليمه المملكة للشاه المعظم ركـن الدين محمود، وجمع ذات ليلة غوغاء المدينة وجاء إلى باب أرك وبـدأ الحـرب واجتمع معه أهل المدينة جميعهم وتحاربوا عشرة أيام وقتل وجرح ما يقرب مـن مائتى رجل، وبعد ذلك أرسل الملك المعظم ركن الدين محمود رسلاً إلى أبيه قائلاً: لقد طلبتنى بمحض إرادتك ووهبتنى الملك، واليوم وبعد أن ندمت على هذا مكننـى

من العودة إلى ولايتى، وهكذا فعلوا وخرج الشاه المعظم ركن الدين محمود مع قومه وأتباعه ومضى إلى ولاية نية ومكث هناك إلى أن حان وقت الغلة وجاء من هناك إلى ولاية سجستان، واجتمع حوله أهل زرة ومضوا إلى باب المدينة، وخرج الملك المعظم نصير الحق والدين مع عشرة آلاف رجل من باب المدينة وباب طعام الحرية، وتقابلا وجهًا لوجه، ولما ظهر الملك المعظم ركن الدين محمود من بين جيش أبيه ترك جيشه كله، وحمل على أبيه وهو على جواده، ودخل من بين عشرة آلاف رجل وأسقط أباه من على جواده، مضى بالسيف إلى رأسه فطلب منه أبوه الأمان وصاح يا محمود لا تضرب، وأثرت شفقة الآب فى نفس ابنه الشاه المعظم ركن الدين محمود فرفع يده عن السيف، وحملوا الملك المعظم نصير الحق والدين، وكانوا قد قرروا من قبل أن يحاربوا أنه من ينتصر يكون له الملك، ولما انتصر الشاه المعظم ركن الدين محمود وهزم جيش أبيه أرسل فى اليوم التالى رسولاً إلى أبيه قائلاً: انتهت الحرب وكان الظفر لى فينبغى أن تسلمنى الملك الآن، ولم يلتفت الملك المعظم نصير الحق والدين لهذا الكلام فحاصر الجيش أطراف المدينة وبدأوا الحرب على أبواب المدينة وكانت الحرب فى كل يوم ودام هذا الحصار ثمانية أشهر، وهلك ما يقرب من خمسمائة رجل، وتلفت الغلال كلها وسلبوا الأنعام، وبعد ذلك تدخل الأئمة والمشايخ بينهم وقرروا أن يكون نهر هيرمند الفاصل بينهم وأن تكون هذه الناحية من نصيب الملك المعظم نصير الحق والدين وتلك الناحية من نصيب الشاه ركن الدين محمود، وعادوا بهذا العهد وعاد الشاه ركن الدين محمود إلى نية وترك رجاله فى نواحى زرة ومتعلقاته، ومرة أخرى نقض الملك المعظم نصير الحق والدين هذه العهود كلها التى أبرمها، وعزل أتباع وأشخاص وخدام الشاه المعظم ركن الدين محمود من الولاية وأرسلهم خلفه إلى نية، فجاء الشاه ركن الدين محمود مرة أخرى إلى سجستان وخرب كثيرًا فى أطراف أوق وبيش زره، وانقطع تجار الأطراف، ومضى إلى نية ثانية إلى أن

انتقل الملك المعظم نصير الحق والدين إلى رحمة مولاه، وفى هذا الوقت سقط الشاه المعظم الشاه محمود فى مكان الصيد عن فرسه وانكسرت ساقه ولذلك لم يستطع أن يمضى إلى سجستان، وكان فى المدينة واحد من اخوته هو الشاه نصرة الدين فأرسل إليه شخصًا وأطلعه على الحال والآن يجب المحافظة على المدينة ولما مر عام وشفيت ساق الشاه ركن الدين محمود، مضى إليه أكابر أعيان ولاية زرة وأعيانهم جميعها وقالوا: لا بد من الذهاب إلى سجستان، ولم تكن لقدمه فى ذلك الوقت القوة (الشفاء) فحملوه على محفه إلى سجستان ومضى الشاه المعظم نصرة الدين إلى المدينة مباشرة، واتفق الناس معه ووزع عليهم خزائن أبيه ولما قدم الشاه المعظم ركن الدين محمود، قدم جميع أهل سجستان إليه وقالوا: ينبغى أن تبقى فى المدينة، فمضوا إلى باب المدينة وبدأوا الحرب ودام هذا الصراع شهرين، وهلك خلق كثير وتصالحوا فى النهاية، وجاء الأئمة والمشايخ مرة أخرى وتدخلوا بينهم وقرروا ما أقروه فى عهد الأب من أن هيرمند يكون بينهم، ومضى على هذا القرار مدة ثمانية أعوام وهم يقررون هذا فى الساعة نفسها، واتصل الأبناء ببعضهم، ورفعوا من بينهم المعاندة والمنازعة وكانوا معًا إلى آخر العمر.

وبالله التوفيق .

المترجم فى سطور :

محمود عبد الكريم على

ولد بمركز كفر صقر ، محافظة الشرقية . سافر إلى ألمانيا فى بعثة إشراف مشترك بجامعة كلونيا ، وحصل على الدكتوراة من قسم اللغة الفارسية ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، وهو يعمل الآن أستاذًا مساعدًا بها . له اهتمامات متعددة فى مجال اللغة والأدب الفارسى بصفة عامة والتاريخ والحضارة الإسلامية بصفة خاصة ، حيث يرى أن التاريخ والحضارة الإسلامية ليست مقصورة على اللغة العربية ، بل حفظت لغات الشعوب الإسلامية الكثير من التراث الإسلامي كاللغة الفارسية والتركية والأردية . وهنا يبرز دور الباحثين المتخصصين فى لغات هذه الشعوب فى نقل إسهامات العلماء والأدباء المسلمين الذين كتبوا بهذه اللغات .

التصحيح اللغوى : محمد إسماعيل

الإشـــراف الفنى : حســـن كامل